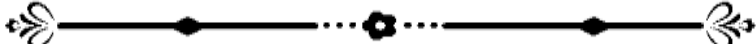
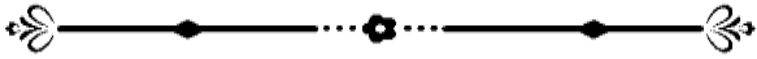


واثماً... تسبقني بخطوة!

(بركان وايمونه هيه)



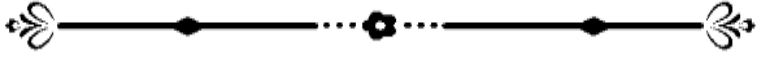


دائماً... تسبقني بخطوة!

(بركان دايموند هيد)

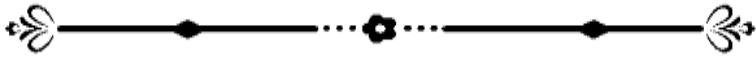
د. رعد محمد شيخ شعبان





حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.





إهداء

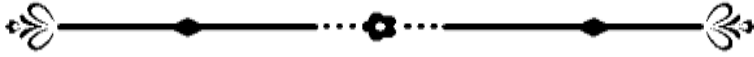
إلى من أشعل فيّ شرارة الإبداع في كهف الألم فاستحال الألم ضياءً ونوراً...

إلى جميع شخصيات روايتي وجزيرة هاواي الساحرة...

وإلى قرائي المتلهّفين...

أحبكم كثيراً...

د. رغد محمد شيخ شعبان



مقدمة

من الذاكرة... قبل بضع سنوات.. بسنتين!!

- مساء الخير... كيف حالكِ دكتورة سينا؟
- أمسكت سينا هاتفها وقرأت الرسالة ثم كتبت:
- مساء النور... من يتكلم؟!
- أعتذرُ لإزعاجك دكتورة... اسمي دكتور عرفان... طبيبٌ في الجراحة العينية... أودّ التقدّم لخطبتك إذا سمحتِ لي... هلاً أرسلتِ لي رقم هاتف والدكِ إن لم تمانعي؟!
- فكرت سينا قليلاً فيما تراه لتوها ثم كتبت له:
- دكتور... هل أنت اختصاصي؟
- نعم... لقد أنهيت إقامتي وتخرجت منذ شهرين..
- كانت كلمات الشاب مهذبةً ولطيفةً... ومباشرة...
- وبالنظر لمؤهلاته، فالأمر يستحقّ منحه الفرصة، إن تغاضت سينا عن مشكلة ابتعادها عن عائلتها ومكان عملها في المدينة والاستقرار في القرية حسب المعلومات التي أدلّاها الطبيب..!

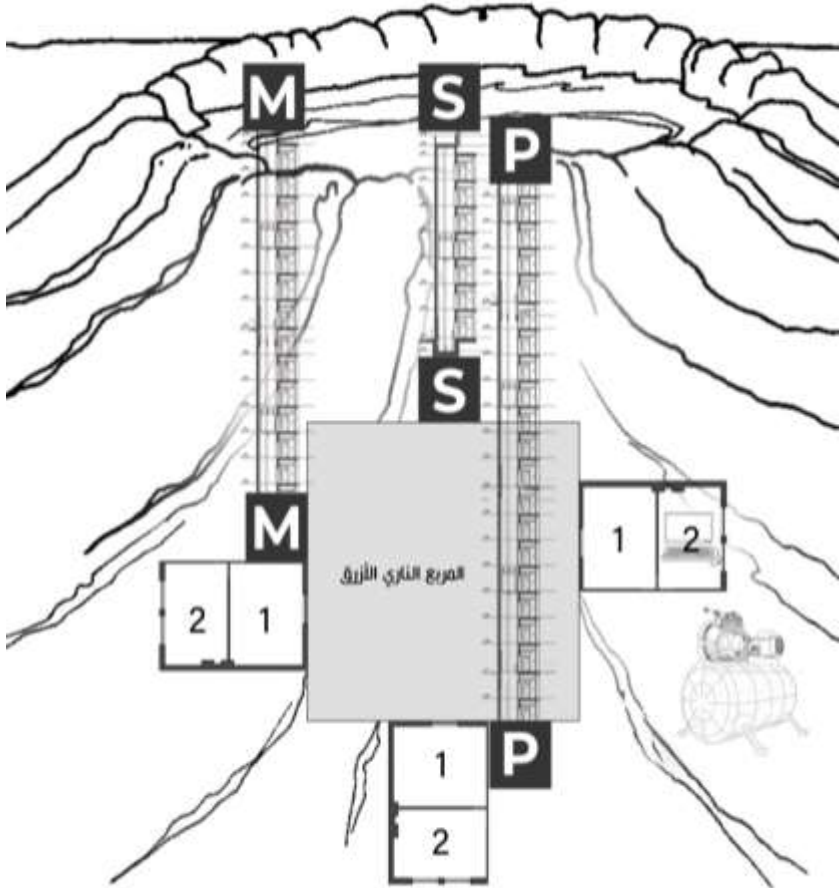
في الوقت نفسه لم يتوانَ عرفان عن التأكيد لها بأنها تستطيع بكلّ بساطة زيارة عائلتها بين الحين والآخر وبأنّ عملها في القرية لن يختلف بتاتاً عن عملها الحالي..

فأذعنت سينا للأمر وأرسلت له رقم هاتف والدها، حيث تحدّث إليه عرفان في ذات اليوم موضحاً له كافّة النقاط الواجب توضيحها وقد اتّفقا على اللقاء في غضون أسبوع..!

هذا اللقاء الذي لم يحدث!

ولن يحدث!

بل حدث مع سينا في ظروفٍ غريبةٍ تبعثها أحداثٌ غامضة قد تصرّف بها القدر في أدقّ صوره وأكثرها حكمة.



الفصل الأول

(ماليزيا)

تصلب الشاب في مكانه وهو في حالة ذهول تام وقطرات الدم تقطر من أصابع اليد الاصطناعية المتصلة بذراعه الأيمن غير مستوعب لما حصل في اللحظات الأخيرة..

فُتح الباب ودلف منه شاب آخر سرعان ما صرخ مذعوراً عندما رأى الطفل الرضيع صريعاً مغطىً بالدم..

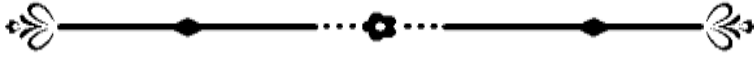
تمتم الشاب الواقف بكلماتٍ كادت تكون مفهومة:

- إنها اليد.... لستُ أنا.... أردتُ فقط تحسّس وجهه.... (ثم حدّق بقبضة اليد الاصطناعية بعينين جاحظتين)... جاكو.. هي القاتلة.... لستُ أنا!

ثم اندفع بقوة نحو الباب هارباً لحظة إدراكه خطورة الأمر، لكن محاولته باءت بالإخفاق عندما انتشرت الشرطة الماليزية بحثاً عنه كونه المتهم الأول بجرime القتل الغريبة مجهولة الدوافع!

جلس الشاب بعد رحلة البحث القصيرة في غرفة التحقيق الزجاجية المعزولة والحماية على كاميرات مرتقبة وأجهزة لتسجيل الصوت.

جلس المحقق وبدأ بقراءة التقرير أمامه بصوت عالٍ وهو يتحسّس ذقنه الشائكة، ثم سأل المتهم:



- يقول الشاهد هنا أنه ضبطك متلبساً في الدقائق القليلة التالية لسحقك

رأس الرضيع!

قال الشاب بصوتٍ مرتعشٍ وذاهل:

- نعم... هذا صحيح...

- لماذا قتلته؟!... الغريب في الأمر أن أخيه الأكبر الذي ضبطك هو من أعزّ

أصدقائك... وقد صرّح بذلك...

- نعم... هذا... صحيح

- إذا... هل تعترف بجريمتك؟

- سيدي... لست أنا.. صدّقني... (ثم مدّ ذراعه الاصطناعية)... جاكو هي

التي قتلت الطفل... أردت فقط تحسّس وجهه بهذه الذراع واختبار طبيعة

ومدى الإحساس الذي ستزوّدني به!

تململ المحقق في مكانه ثم قال بازدراءٍ مخاطباً اليد الاصطناعية:

- أخبرينا يا جاكو... هل أنتِ المذنبة؟!

قال المتهم بصوتٍ متوسّل:

- إنها الحقيقة... (ثم تردّد متابعاً)... لا أعلم تماماً من أين تولّدت قوّة

السحق والطريقة التي قتلت الطفل بها!..... لا شك أنكم بحثتم عن أداة

الجريمة في تلك الغرفة صحيح؟!..... (ثم ضرب بكفّه الاصطناعية على

الطاولة)... هذه هي أداة الجريمة... لقد حاولتُ التحكّم بها لإفلات وجه

الطفل.... لكنّها أبت أن تتركه وشأنه.... كنتُ كمن فقد السيطرة عليها

تماماً وتولّت هي زمام الأمور... أقسم لك يا سيدي... هذه الذراع هي السبب... عليكم أن تحقّقوا خلف شركة ميغا...
نظر المحقق مليّاً إلى المتّهم الشاب ذي الأصول الهاوائية وهو يدافع عن نفسه باستماتة المحارب...

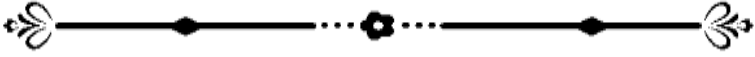
إنّ ما يقوله صحيح!
ما من قوّة بشرية قادرة على إلحاق هذا النوع من الأذى بيدٍ مجرّدة من السلاح!
وبالنظر لما حدث...

فقد بدا له أنّ المتّهم على حقٍّ إلى حدٍّ ما!
قدّم المحقق كأس الماء الزجاجي قائلاً:
- اكسرها الآن...

حدّق المتّهم مستفسراً عمّا يعنيه المحقّق الذي أردف موضحاً:
- اقبض عليها بيدك الاصطناعية وبرهن لي صحّة ما تدّعيه عن امتلاكها قدرةً خارقة!... هيا الآن... دعني أرّ ذلك...

قبض عليها المتّهم وأحاطت أصابع اليد الاصطناعية بالكأس الزجاجية ثمّ حاول الضغط عليها بأقصى ما استطاع من قوّة... عبثاً!
أدار الكأس بغية تغيير نقاط الضغط المطبّقة على جدرانها الأسطوانية دون أيّ فائدة!

فقال المتّهم بصوتٍ متردّد:



- حسناً.... ربّما لا تعملُ هذه اليد على الأشياء الجامدة....
ابتسم المحقق هازئاً:
- تعني أنّها لا تسحق سوى البشر؟!.... (ثمّ مدّ يده).... جرّب على يدي....
واسحقها...
- حدّق المتهّم به ثمّ قال:
- أخشى أن تصاب بمكروهٍ يا سيّدي... إنّ ما أقوله محض افتراض....
- لا تقلق... إنّ حياتك على المحكّ.... إنّ لم تستطع أن تبرهن لي مدى صحّة
افتراضك..... فاعلم أنّك في ورطة!
- حاول المتهّم عبثاً استعمال اليد الاصطناعية وسحق يد المحقق الذي تململ
في مكانه ثمّ قال مخاطباً الشرطي:
- خذوه.. انتهى التحقيق
- صاح المتهّم وهو يُقتادُ عنوةً إلى الخارج:
- ابحث خلف ميغا يا سيّدي... أنا بريء... جاكو هي القاتلة!!

الفصل الثاني

(مشفى الملكة)

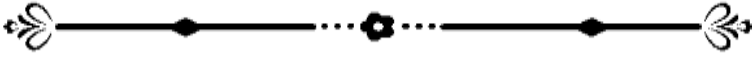
رَنَ منبّه الهاتف المحمول فمدّت سينا يدها باحثَةً عنه تحت وسادتها لكنّها لم تعثر عليه..

علا صوت المنبّه وبات مزعجاً..

فتحت عينيها بصعوبةٍ وبدأت رحلة البحث عن هاتفها الضائع في كومة الفوضى التي يعجّ بها السرير، إلى أن اهتدت أخيراً إليه حيث كان قابلاً على الأرض إذ لم تنتبه لسقوطه في أثناء نومها العميق.

تنفّست الصُّعداء للهدوء الحاصل وحاولت التركيز بعينين ناعستين نصف مفتوحتين ما قد يدفعها للحصول على إجازةٍ لهذا اليوم، لا سيّما ومشاعر الامتناع ما زالت ترافقها كونها لم تتأقلم بعد مع عملها في الطبابة بشكلٍ عام والمشفى بشكلٍ خاص..

نهضت وجلست بشكلٍ قائم ثمّ أغلقت عينها اليسرى وهي تنظر للوحة أمامها لثوانٍ، ثمّ أغلقت اليمنى وفتحت اليسرى دون أن تحوّل نظرها عن اللوحة، فتمتّت بهدوءٍ لا مبالٍ: "المهمّ أنّي هنا.. وعلمي لا يحتاج أكثر من ذلك"



كانت أمريكا هي الدولة التي اختارها لها أستاذها المشرف لتكمل فيها تعليمها بمنحةٍ تعليميةٍ ملتزمةً ببرنامج التدريب المقرر لاختصاص طب الأسنان الشرعي، والذي ينصُّ في عامه الأول على الالتحاق بمشفى "الملكة" **the queen medical center** وتعلّم مبادئ الإسعاف العامة في كل أقسامه الجراحية.

كان حماسها عالياً عندما فُرز اسمها للدراسة في العاصمة "هونولولو" على جزيرة "أواهو" في ولاية "هاواي" حيث الطبيعة الساحرة والشاطئ الذهبي. فطبّ الأسنان الشرعي كان اختصاصاً غريباً غير مرغوبٍ ربّما في محيط الطب الشرعي العام، ما جعلها تشعر بالاستياء عندما فوجئت بضالة شأن هذا الاختصاص غير المطلوب عادةً إلا في حالات الحثّ مجهولة الهوية، لكنّها تعلّم جيّداً أنه اختصاصٌ شاسعٌ وذو مجالاتٍ واسعة.

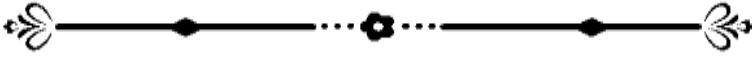
لطالما قرأت عن إنجازاته في تقدير العمر وتحليل العضّات البشرية بالإضافة لتميّزه في أفراد بصمةٍ سنّيةٍ لكل فردٍ يستحيل أن تتشابه مع أخرى على وجه الكرة الأرضية، ما جعلها تبذل الغالي والرخيص سعياً لسبر أغواره واكتشاف خباياه في أعماقه الحقيقية في مكانٍ آخر..

كان مسكنها عبارةً عن غرفتين إحداهما للنوم والدراسة والأخرى للجلوس والطعام.

إنّ كلّ شيءٍ في بيتها الصغير مرتّبٌ إلا سريرها الذي كانت تعمّه الفوضى من كتابٍ هنا ومرجعٍ هناك وقلمين على الأقلّ ضائعين تهدرُ وقتاً لا بأس به

وهي تبحث عن أحدهما المنسلّ في ثنايا السرير أو على الأرض! لذا كانت تستسهل إحضار قلمٍ آخر لا يميّز مصيره عن نظيره الضائع.. وعلى الرغم من سعة هذا السرير ذي الاستخدامات الحافلة، كثيراً ما شكت سينا ضيق المكان عندما تنام، وكثيراً ما استيقظت على إثر سقوط جسمٍ ثقيلٍ على الأرض كان مرجعاً علمياً قد وضعته بجانبها لتطالع فقرّةً صغيرةً منه باحثّةً عن إجابةٍ لسؤالٍ ما!

تذكّرت كم كانت أمّها تشكو فوضويتها وعجلتها الناتجة عن إهمالها وتذكّرها المتأخّر لمهامها، حتّى عندما كانت تذهب لعملها اليوميّ في عيادتها السنيّة، كانت تستيقظ آخر وقتٍ يسمح لها بالذهاب إليها كيفما اتّفق، إذ لم تكن تستهلك أكثر من ربع ساعةٍ حتّى تهبط السلالم وتستقلّ سيّارتها مسرعةً بها إلى العيادة، إلى تلك اللحظة التي تجلسُ فيها خلف طاولتها وتقدّم لها ممرّضتها القهوة الساخنة ثم ترشّف منها أوّل رشفةٍ تليها الثانية، يتسلّل إليها أخيراً شعور الاسترخاء والهدوء العميقين، فتفكّر برويّةٍ في مرضاها المدرجة أسماؤهم في دفتر المواعيد، ومرحلة العلاج الواصل لها كلّ منهم، ثم تمسك كتاباً أدبياً قد بدأت بمطالعة قبل فترةٍ قصيرةٍ لتقرأه على مكثٍ وكأنّها تتشبع بكلّ حرفٍ قد كُتب إلى أن يحين أوّل موعدٍ للعلاج، تغلّق الكتاب بتمليلٍ وتبدأ العمل غير متأقلمةٍ مع ملل هذا الروتين اليومي!



كانت سعادتها عندما أُدرج اسمها ضمن اختصاص طب الأسنان الشرعي أكبر كثيراً من إحباط أصدقائها عندما أبدوا سعادتهم بالمتزجة بشيء من الاستنكار خصوصاً حين جوبهت بسؤالٍ قد وجهه إليها جميعهم بلا استثناء وهو: ماذا ستُفِيدِينَ من هذا الاختصاص هنا؟؟؟!!

إلا أن حماسها لم يفتُر، بل دفعها للتفرغ له بكل ما أُوتيت به من جهدٍ ووقت وفي داخلها شعوراً عميقاً بوجوب رسم مستقبلٍ مهنيٍّ أكثر ضماناً وأمناً بعيداً عن علاج أسنان المرضى التي تحتاج دقّةً وصفاً في رؤية ما بداخلها من معالم تشريحية معقّدة! لكنّها فجعت ببداية هذا المجال وقلة موارده لا سيّما وقد كانت الطاقة السلبية تنبعث من الاختصاصي الوحيد (أستاذها) والذي أوّل من أثّر فيها بسؤاله: ما الذي أحضرك إلى هنا؟؟؟!!

كانت الأشهر الأولى في هذا الاختصاص -على أرض موطنها الأم- من أكثر الأوقات يأساً عندما كانت تذهب لمركز الطبابة الشرعية وتعود بلا أيّ فائدة تُذكر، بل كان جميع العاملين يرحّبون بها لابتسامتها الهادئة ورحابة روحها ثم يبدون تعاطفهم معها حين يسألونها بلطف:

- ألم يكن حظّك أفضل فرمت بكِ الأقدارُ إلى هنا؟؟؟!!

كانت تجيبهم بامتعاضٍ مكبوت:

- كلا.... للأسف!

كثيراً ما دسّت سينا نفسها مع الأطباء الشرعيين العامّين ودخلت غرفة المشرحة معهم.

كان للمشرفة - على الرغم من تهويتها المركزية - راحتها المميّزة المكتسبة من رائحة آخر جثةٍ قد أُدخلت إليها، ممتزجةً بالرائحة المنبعثة من برّاد الجثث الحاوي على الأقل ثلاثة أو أربعة جثامين.

لا يمكنها أن تنسى المرّة الأولى التي وقعت عينها فيها على جثةٍ مستلقيةٍ على طاولة التشريح، وذلك عقب الرعب الذي تملكها لشوانٍ عندما كانت جالسةً في البهو مع موظفة الكمبيوتر الآنسة ندى حين ركضت امرأةً نحو مدخل الطبابة، يتبعها حشدٌ من الناس وهي تصرخُ بأعلى صوتها:

- ابني... ابن قلبي... كان معلقاً بالسقف في غرفته!!

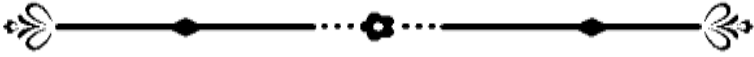
أحسّت سينا في ذلك الوقت بجسدها قد انتفض من مكانه منتصباً وكأنّ أحداً لسّعها، لكنّها فوجئت بهدوء جميع العاملين دون أن يطرف لهم جفن!! فأدركت أنّ ما حدث هو أمرٌ مكرّرٌ قد اعتادوه باختلاف الأشخاص وظروف الوفاة الحاصلة!!

أمالت سينا رأسها نحو ندى متسائلةً: هل يمكننا رؤيته؟؟!!

- طبعاً... تريدين منّي مرافقتك؟

ابتسمت سينا خجلةً: نعم... من فضلك..

ذهبتا برفقة ناصر- رجلٌ قصير القامة ضعيف البنية ذو الخامسة والأربعين عاماً- حيثُ أبدى انزعاجه حين طلبت منه ندى أن يفتح لهما باب المشرفة..



أحسّت سينا بخفقات قلبها تتلاحق متناقضةً مع ادّعاءها السابق بأنّها لا تتأثّر بكلّ تلك الأمور، وبأنّ قلبها قويٌّ وشجاعٌ لدرجةٍ لا يمكن تخيلها!!
" أهذا حقاً هو الموت؟!"

هذه الجثة كانت شخصاً له اسمٌ وكيان!
اقتربت منها بهدوء وكشفت عن الوجه الشاحب وهي تتأمّل ما جدّ فيه،
النزوف النمشية حول العينين وسيلان اللعاب من الفم!
شعرت سينا بيدٍ تدفعها من الخلف نحو الجثة، فصدر عنها صراخاً مكبوتاً
ثم استدارت نحو ناصر وشرارات الغضب تتطاير من عينيها قائلةً:
- أهكذا؟؟!!

ضحك ناصر قائلاً:

- انظري لنفسك... الخوف يملكك... لِمَ طلبتِ رؤية الجثة وأنتِ خائفة؟؟!!

- لا أشعر بالخوف بقدر الرهبة من الموت وطريقته!... ثمّ إنني طلبتُ منك أن تريني الجثة لأكسر هذا الحاجز وأعتاد على ذلك كما اعتدّتم أنتم...
قال ناصر بهدوء:

- الأفضل أن تتركي المكان...!

أجابت ندى ضاحكةً:

- دعها يا ناصر... إنها تريد أن تتعلّم... أنا معكِ يا دكتورة وسأجيب عن كلّ تساؤلاتك ما استطعتُ إليها سبيلاً...

ابتسمت سينا شاكرةً ثم قالت:

- هلاً رأينا غرفة التبريد؟!

حدّج ناصر ندى ثم قال ممتعضاً:

- لا وقت لدينا..!

فتقدّمتها ندى قائلةً:

- هيا يا ناصر... فقط خمس دقائق... لنساعدها..

لم يرَ ناصر بداً من طاعتها ليتسنى له التخلّص من هذا الفضول الطفولي أكثر من أن يكونَ علماً يُرادُ تحصيله!

أخرج ناصر مجموعة المفاتيح الكثيرة وانتقى منها مفتاحاً كبيراً فتح به باب غرفة التبريد المعدني السميك، فانبعثت منها رائحة شواءٍ ثقيلة..

- ما هذا..؟؟! (قالت سينا بصوتٍ مختنق)

أجابها ناصر باهتمامٍ وتأثّر:

- إنّها جيّنةٌ مجهولة... متفحّمة... بُلّغ عنها في الأمس حين لاحظ السكّان

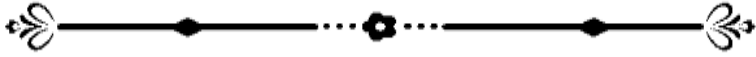
إحدى حاويات القمامة تشتعل بقوة... يبدو أنّه قُتل ثم حُرّق حتى تفحّم!

- أريدُ أن أرى...

قال ناصر غاضباً:

- ما الذي تريدان رؤيته؟؟!... ألم تري دجاجةً محترقةً في حياتك؟؟... هيا

لنذهب..



رَكَزَتْ سينا عينيها اللوزيتين الحادثتين قائلةً بهدوء:

- أريد أن أرى... ولو شيئاً منها..

أطلق ناصر تنهيدةً طويلةً مستاءً من فضول هذه المقيمة وتطفّلها.. ارتدى قفازاً وأبعد الغطاء عن الطرف العلوي الأيمن المنكمش ثم ابتعد قليلاً متيحاً المجال لسينا لرؤيته، إلا أن الإضاءة الخافتة منَعَتْها من معاينة الطرف جيّداً، وربّما شعورها بالغثيان والاختناق قد دفعها للانسحاب ثم المغادرة..

وما زالت تلك الرائحة عالقةً في أعصابها الشميّة ما جعلها تكره تذوّق أيّ طعامٍ مشويٍّ لفترةٍ من الزمن.... وربّما حتى الآن!

كانت الساعة قد تجاوزت السادسة والنصف صباحاً وما زالت جالسةً على سريرها ترقّب الفوضى من حولها متسائلةً عمّن اكتسبت منه هذه العادة الغريبة!

نهضت من فورها ثم جهّزت نفسها سريعاً للمغادرة..

كان الجوّ مشمساً دافئاً في أولى أيّام الصيف الحارّة، ومع ذلك فقد خَفّف جوّ الصباح المنعش وعبقه الممتزج برائحة المحيط القريب كثيراً من مشقّة السير يومياً إلى مشفى الملكة..

- صباح الخير.... هيا سام.... استيقظي

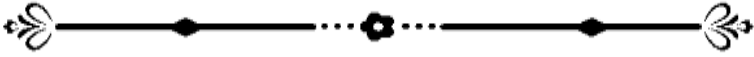
رفعت سينا البطانية ورمتها بعيداً عن سام التي تناولت هاتفها متسائلةً عن الساعة.. ثم ابتسمت بهدوء:

- لا يزال الوقت مبكراً... أستغرب وجودك هنا قبل موعد الدوام!!
كانت غرفة مقيمات الجراحة العامة عبارةً عن صالةٍ واسعةٍ يتوزّع في أركانها ستّة أسرّة وخزانتان ومنضدةٌ مستطيلة الشكل عليها آلة تحضير القهوة وبضعة فناجين قهوةٍ غير نظيفة وكوبان فيهما شيءٌ من المياه الغازية

- كيف كانت مناوبتك البارحة؟؟! (قالت سينا وهي تغسل أكواب القهوة في المطبخ الصغير القابع بجانب الغرفة ثم أردفت): أمّا كان عليك تنظيف هذه المنضدة والأكواب؟؟!... إنّ من العسير غسل القهوة بعد أن تجفّ...
- تمارسين دورك الآن في إيقاظي وتعنيفي... تنتقمين مني ها؟؟! انظري كم أنا هادئة... وقارنيني بك عندما أوقظك رغبةً مني في مساعدتك لتسجيل بصمة حضورك قبل فوات الأوان..

قالت سينا وهي تحضّر القهوة:

- أعلم ذلك.... لكنّ طريقتك في إيقاظي ترعب الدبّ النائم في سباته الشتوي... تعلمين أنّ نومي خفيفٌ جداً... ولا أصلح لهذا التّوع من الإيقاظ المرعب... اسمعي... أخشى حقاً أن أكتسب شيئاً من شخصيتك المخيفة الصاخبة قبل أن أنهي تدريبي هنا لديكم في الجراحة العامة
تشاءت سام ضاحكةً ثم قالت:



- لن تصلي للتدريب والعمل هنا ما لم تكوني قويّة وحازمة... إنّ مايكل يلزمه جيشٌ كاملٌ منّي لأمنعه من استغلالي واستغلالك... إنّني أحميك أيتها الحمقاء!

- شكرًا... ارتاحي أنتِ وهدي أعصابكِ وستكون كلتنا بخير..
- ألو... فريد... (فتحت سام هاتفها مبتسمةً قائلةً بصوتٍ أنثويٍّ لطيف)..
كيف حالك يا حبيبي؟؟

كانت سينا ترقبها مبتسمةً وقد أومأت برأسها مستنكرةً هذا التناقض ثم همست:

- كيف حالك يا حبيبي؟؟؟؟... اللطف نفسه يبكي متأثراً بك!!..
قالت سام محاولةً إخفاء ضحكها وهي تطلب من سينا مشيرةً إليها لتخفص صوتها:

- أجل... حقاً؟؟... سعيدةٌ لأجلك... عملٌ موفقٌ يا عزيزي..... ماذا؟؟؟؟!!
حقاً؟؟... "دايموند هيد" نفسه؟؟؟؟... (ثم صاحت) هذا رائع.....

أصغت سينا باهتمامٍ وهي تسكب القهوة المفلترة -مستمتعةً بعبقها- في فنانين ثم قدّمت أحدهما لسام التي أنهت محادثتها مع خاطبها بالكثير من عبارات التهاني والشوق، ثم أقفلت المحادثة وقد هُرعت لمعانقة سينا ضاحكةً:

- اسمعي سينا... لقد حصل فريدريك على وظيفةٍ أخيراً... وليس أيّما وظيفة... إنّهُ عملٌ محترمٌ من أرقّ الأعمال... موظفٌ أمينٌ في أكثر الأماكن

هدوءاً وروعة... المخروط البركاني المنقرض "دايموند هيد"...إنني سعيدة للغاية.

- اهديني... القهوة ستُسكبُ علينا... (ثم ابتسمت)... مباركٌ له... بل لكما...
كلُّ أمنيائي لكما بالسعادة
- شكراً يا سينا... شكراً... أعدكِ أُنِّي لن أوقظكِ بطريقي المرعبة أبداً أبداً
- عديني أن تنظفي هذه الفوضى دائماً..
- نعم...

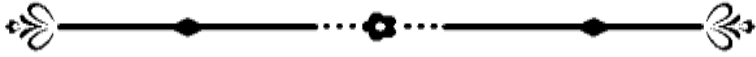
- عديني أيضاً أن تقللي كثيراً من مهامك الموكلة إلي
احتست سام قهوتها سريعاً ثم ابتسمت بدهاءٍ قائلة:
- لا تختلفين عن مايكل في شيء... بدأتِ باستغلال سعادتي وتطلبين مني
وعوداً تفوق قدرتي على التحمل..

جلست سينا على السرير المقابل لسرير سام قائلةً بهدوءٍ بارد:
- تحبّينه كثيراً خاطبكِ هذا... ما اسمه؟... فريدريك؟
أومأت سام مبتسمةً:

- نعم... كثيراً... إنّه دافعي وأمي في هذه الحياة وهذا المشفى...
- لماذا؟

- لماذا...؟؟؟!!

- أجل... لماذا هو دافعك وأملك في هذه الحياة؟!
- سينا... إنّه الحب!



- كيف وقعتما في الحب إذا؟!
- سينا... كم عمرك؟؟!
- ثلاثون عاماً..
- امم... أنتِ أكبرُ مني بأربعة أعوام...
- نعم... أكبرُ منكِ ولا أعلم بعد شعوراً كهذا...
- أهو القدر؟؟!.... أم أنكِ السبب؟؟
- اكفهرّ وجه سينا قائلةً بانزعاج:
- أنا السبب؟؟!!!
- أكيد..... (ابتسمت سام بازدراء)
- تنهّدت سينا مستسلمةً:
- ربّما... وليكن في علمكِ أنّ طريق الوصولِ إلى قلبي صعبٌ جداً...
- وعليه المرور بعقلي أولاً.. (قالت ذلك وهي غير متيقّنةٍ من مدى صحّة ادّعائها!)
- أومأت سام ضاحكةً:
- تصعّين الأمور دائماً...
- أصعّبها لتستحقّ في النهاية... (ثمّ بدت وكأنّها تحدّث نفسها) لستُ
- مستعدّةٌ للمعاناة!
- عليكِ أن تتبعي إحساسكِ أيضاً..
- تمتمت سينا بهدوء:

- لا أثق بإحساسي... (ثم استدركت متسائلةً) إذاً أخبريني.. كيف أحبك فريدريك هذا؟!

- كنا أصدقاء طفولةٍ وحسب....

- لماذا لم يدرس معك في كلية الطب؟؟!!

- إنه يكره الدماء وعلاج المرضى... يخشى الخطأ في أجسام بأرواح... لذا اكتفى بدراسة هندسة التقانة الحيوية واستجاب لهوسه بالبرمجة...

- وما وظيفته الأساسية في عمله الجديد؟!

- موظف أمن

- لكن... لماذا لم يجد وظيفةً أخرى يُفيد من دراسته فيها؟؟!

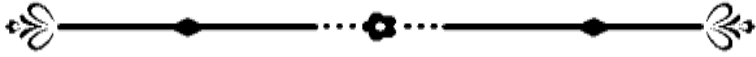
تنهّدت سام مفكّرةً:

- كلامك صحيح... وعلى الرغم من محبّته لمجال دراسته إلا أنه اقتنع بفكرةٍ عارضةٍ حين اقترح صديقه عليه التقدّم كلاهما للوظيفة... باعتبارها ذات مرتّبٍ ضخمٍ مقارنةً مع أيّ عملٍ آخر... ولا تتطلّب الكثير من العمل... بل ربّما لا تتطلّب أكثر من الراحةِ نفسها.... وبالمصادفة فقد نجح بالاختبار وأخفق صديقه... فوقع الاختيار عليه... (ثم ابتسمت بفخر) إنّ فريد مجنونٌ بذكائه....

ضحكت سينا قائلةً:

- قلت لي اختبار.... هه... اختبارٌ لهذا النوع من الوظائف.... ما مضمون

الاختبار يا ترى؟؟!... اكتب لي كيف ترتاح...؟؟!!



ضحكت سام:

- يا لك من شخصٍ ساخر!... في النهاية هو موظفٌ آمن ومدة عقدِ عمله خمس سنوات وعادةً لا يتم تجديد عقود العمل في تلك المنظمة... موظفهم متجددون...

نهضت سينا وهي تنظر للساعة التي تجاوزت السابعة والنصف ثم قالت:
- هيا بنا... تأخرنا... اليوم مناوبتي.. كم لديّ وقتٌ لأمضيه في هذا القسم يا ترى؟!

- ليتكِ تمضين فترة الإقامة كلّها معي... لن أسعد عندما تغادرين هزّت سينا رأسها مستغربةً:

- إنّ من يسمعك الآن... لن يفكر بكمّ الشجارات التي حكيتها لي لأغادر القسم

ابتسمت سام بهدوء ثم قالت بصوتٍ لطيف:
- لم أكن أعلمُ عنكِ وعن مقدار لطفك وصفاء قلبك شيئاً... لذا عليك أن تعذريني...

لطفك وصفاء قلبك!!

من الذاكرة... قبل بضع سنوات

كانت سينا جالسةً على كرسيّ المريض الخاص بطاولة الفحص مقابل صديقتها سمر الطبية اختصاصية الجراحة العينية وهي تطلبُ من سينا فتح عينها جيّداً مقابل الضوء الأصفر المسلّط على العين..

ثم طلبت سمر من سينا تحديد اتجاه الإشارة E ابتداءً من الصفّ الأول العلويّ نزولاً إلى الأسفل حيث عجزت سينا عن تحديد الاتجاه في الصفّ الخامس قبل الأخير..

قالت سمر مومئةً برأسها:

- حسناً... لم تتغيّر درجات الانحسار لديكِ درجةً ونصف فقط في كل عين..... تستطيعين الخضوع لعملية تصحيح النظر الليزرية..

- متى؟

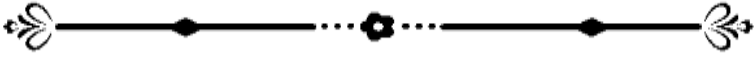
- وقتما تشائين...

- الآن؟!....

- الآن؟!.... ليكن الآن إذاً.... نريدُ أولاً تحديد سماعات القرنية وشكلها في العين لتحديد نوع الإجراء إن كان ليزك أو ليزر..

- لا أريد الليزك... إنّها ناكسة... هل تعلمين أنّ هذه عمليّتي الثانية للتخلّص من درجات الانحسار هذه؟!..

- إنّ ما يميز الليزك عن الليزر هو سرعة شفائها وقلة ألمها... دعيني أقرّر حسب صورة القرنية... (ثم نادى على إحدى ممرضات مركز الليزر للعيون



L.V قائلَةً لها).. هَلَّا أُجريتِ للدكتورة سينا صورةً لقرنيتي عينيها من فضلك؟

استغرق إجراء الصورة وتحديد أبعاد وسماكات القرنية ربع ساعة، ثم جلست سينا في غرفة الانتظار ريثما تنهي سمر مناقشة الحالة مع رئيس المركز وزوجها الاختصاصي في جراحة العين..
فُتِح الباب ثم قالت سمر لسينا بحماس:

- جاهزة؟!

- أمهليني دقيقةً لأُعلم أمي بالأمر...

اتصلت سينا برقم هاتف والدتها التي سرعان ما قالت لها بصوتٍ قلق:

- أيّ عملية وأيّ ليزر الآن؟!

- اهدي يا أمي... مجرد إجراء بسيط كعملية الليزك السابقة التي خضعتُ لها منذ بضع سنوات... يومٌ واحدٌ فقط وستكون رؤيتي صافيةً كالمرآة...

- سينا... لا تتهورى!... انخسارك هذا بسيطٌ جداً... ولا داعي له...

قالت سينا بنفاد صبر:

- لكنّه يزعجني... أخبرتك يا ماما... لا خوف عليّ منها...

- حسناً... سأخبر أبيك ليأتي إليك حالاً... لن تستطيعي قيادة السيارة..

أطبقت سينا بيدها مكان مكبر الصوت الخاص بهاتفها ثم كَلّمت سمر بصوتٍ خفيض:

- هل أستطيع القيادة بعد العملية؟!

قال لها زوج الطيبة:

- تستطيعين لكن بهدوءٍ وحذر... لأنك ستعانين من بعض الضبابية هذا اليوم

أغلقت سينا الهاتف مُطمِئنةً والدتها ما استطاعت، ثم تبعت الممرضة إلى الغرفة الملحقة بغرفة العمليات حيث جلست على أحد المقاعد مسلمةً عينيها لتقطير المحلول المخدر فيهما، بعد ذلك ارتدت زِيّ العمليات وقامت الممرضة بمسح أجفانها وما حولهما بمحلول البوفيدون قبل أن تقتادها إلى طاولة العمليات.

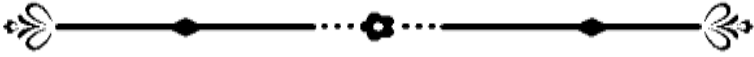
استلقت سينا محاولةً تجاهل بواعث القلق، ثم وضعت الممرضة غطاءً عقيماً غطى وجهها باستثناء فتحة مكان العين اليمنى التي أرغمت أجفانها على الفتح بواسطة أداة فتح الأجفان القسري الذي ثبتته سمر وهي تقول:

- أنت جاهزة؟!

لم تستطع سينا رؤية أي شيء آخر بخلاف شاشة صغيرة سوداء مظلمة فأردفت سمر:

- عليك أن تركّزي على نقطة الضوء الأحمر وحسب... لنبدأ..

أحسّت سينا بتدفّق محلولٍ ما على كرة عينيها الأمامية ثم جريانه على خدّها ومحاولاتٍ قويّة لا إراديّة تبذلها أجفانها للانطباق وحماية العين عبثاً! ثم سمعت صوت وزيرٍ متواصل أصدره الجهاز، علمت من خلاله أنّه



الصوت المرافق لإطلاق أشعة الليزر تبعه رائحة غريبة تشبه رائحة حرق الجلد سرعان ما اختفت بالتزامن مع اختفاء رؤيتها للنقطة الحمراء...
- ستظهر النقطة بعد ثوانٍ قليلة... ركزي عليها جيداً.. (قالت سمر)
مضت ثلاث دقائق إلى أن بدأت سينا تميّز أداة صغيرة تصقل كرة عينها بلطف، تمّ وضع غلافٍ رقيقٍ شفاف طلبته سمر على أنه عدسة طبية لاصقة..

وأخيراً تمّ نزع فاتح الأجفان المزعج عن عينها..
قالت سمر بصوتها الواثق:

- لقد انتهينا من العين اليمنى
أغمضت سينا جفنيّ عينها اليمنى بشكلٍ لا إرادي، وتمّ تبديل الغطاء الجراحي الوجهي ليتم كشف العين اليسرى التي نُقلَ إليها فاتح الأجفان وخضعت لذات الإجراء بخلافٍ صغيرٍ فقط... وهو أنّ الوقت كان أقلّ قليلاً من سابقتها!!

تنفّست سينا الصعداء عندما أغلقت عينها تأثراً بما تعرّضت له من رضّ قد أجهدهما، ثمّ نهضت بهدوء وهي تحاول فتح عينها ببطء لتطمئن على الأقلّ أنّها ما زالت ترى!

استطاعت تمييز كلّ شيءٍ في الغرفة لكنّ الضبابية كانت شديدة..
مدّت سمر إليها يدها لتساعدها على النزول من طاولة العمليات إلى الأرض قائلةً:

- حمداً لله على سلامتك يا صديقتي... سأكتبُ لكِ وصفةً طيبةً من ثلاثة أنواعٍ من القطرات العينية يجبُ أن تستعملها بانتظام... إنَّ رؤيتكِ الآن مشوشة... وقد وضعتُ على عينيكِ عدساتٍ لاصقة سأقومُ بنزعها غداً في العيادة... والأهم من كلِّ ذلك... هو التعامل مع العينين بلطف ما يمكن... ممنوعُ أيِّ مصدرٍ للبخار... ممنوعُ الاستحمام لأسبوع... ممنوعُ أيِّ نوعٍ من الضغط أو الحركات العنيفة على الأجناف...

قالت سينا وهي تخلع زِيَّ العمليات بهدوء:

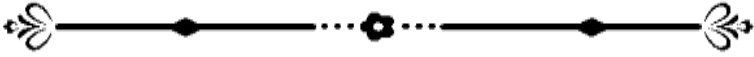
- نعم... أعلمُ هذه التعليمات...

ثم حاولت التركيز أكثر مختبرةً مدى قدرتها على العودة إلى البيت آمنةً كلِّ الأمل أن تصل بسلام دون أن تثير أدنى درجةٍ من القلق لدى أمِّها القلقة عليها أساساً!

أمضت سينا يومها نائمةً بسبب الضبابية المزعجة التالية للعملية بعد أن اتَّصلت بممرضتها طالبةً منها تأجيل مواعيد المرضى لهذا اليوم. ذهبت مساء اليوم التالي إلى عيادة صديقتها سمر لنزع العدسات اللاصقة عن عينيها وهي تحاول تفسير سبب عدم صفاء الرؤية بشكلٍ تام كما تبينتهُ هذا الصباح!

قالت سينا لسمر:

- متى سأستعيد رؤيتي بشكلٍ مثالي؟!



- يجب أن تشعري بالتحسن يوماً بعد يوم مع ضرورة التزامك بالقطرات العينية..

وضعت سينا يدها اليسرى على عينيها ثم بدلت اليد والعين المناظرتين قائلةً بصوتٍ حاول أن يبدو ثابتاً:

- سمر... عيني اليمنى... ليست كاليسرى على الإطلاق!

- ماذا تعنين؟!.... اذكري لي اتجاه إشارة E في هذا الصف...

بمشقة استطاعت سينا تمييز اتجاه الإشارات مستجيبةً لما تبعثه سمر من التفاؤل والهدوء وبأنّ الوقت ما يزال باكراً على التقييم..!

إلا أنّ مرور الأيام الثلاثة التالية حيث تأكدت سينا من أنّ مشكلةً قد أصابت عينيها وفرضت عليها تركيزاً مُضنياً في أثناء رؤيتها وهي تعالج أسنان المرضى، أرغمها على إخبار سمر بضرورة إعادة التقييم!

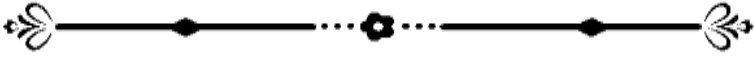
بدت سمر مركزةً تماماً وهي تقلّب عدسة جهاز الفحص بين العينين ثم سألت صديقتها:

- هل لديك أمرٌ مهمٌ عليك القيام به الآن؟!

- مثل ماذا؟!

- حسناً... سأقطرُ في عينيك قطرةً شالّةً للحدقة... ليتسنى لي الفحص بشكلٍ جيد قبل أن أأخذ قراراً... هذه القطرة ستصعبُ عليك رؤية كل ما يقع في المدى القريب..
قالت سينا بلا مبالاة:

- لقد أنهيت عملي اليوم في العيادة... لذا لا بأس...
- أحسّت سينا بحرقة في عينيها في الثواني القليلة التالية وقد بدأت تشعر بزوغانٍ يشتدّ تركيزه بمرور الدقائق...
- لم تكثرث كثيراً لهذا الزوغان بالمقارنة مع الخيالات المربعة التي بدأ دماغها يحيكها حول ما أصاب العين اليمنى!
- انتظرت الفتاتان نصف ساعة وهما تتحدّثان ريثما تأخذ قطرة "السايكلو" مفعولها بشكلٍ كافٍ للفحص الدقيق.
- قالت سمر وهي تحدّق بواسطة عدسة التكبير الخاصة بجهاز الفحص إلى عين سينا:
- إنّ عملية التصحيح الليزرية لا غبار عليها... لذلك سنقوم بغسلٍ بسيطٍ تحت شريحة القرنية ثمّ نعيد الشريحة وفوقها عدسةً لاصقة...
- تساءلت سينا بذهول:
- هل يعني ذلك أنني سأخضع للعملية مجدّداً؟!
- تحديدًا... ستخضعين للجزء الأول فقط من العملية... لن نستخدم الليزر... الإجراء بسيطٌ جداً...
- حسناً... متى... ذلك؟!
- غداً صباحاً... أنتظرُك في مركز الليزر L.V



غادرت سينا العيادة مساء ذلك اليوم وهي تفكر بما ستخبر به والدتها
القلقة التي لن ترتاح حتماً لفكرة الغسل تحت الشريحة تلك والتي لا تعني
إلا شيئاً واحداً... خلاً بالعملية الأولى!

كانت سينا تسيّر ببطءٍ غير مستوعبةٍ تماماً المشكلة الحاصلة، ما زاد
الأمسوءاً هو الزوغان الشديد الذي سبّته لها القطرة الشالّة الموسّعة
للحديقة ما جعلها تحرّص على التأكد من سلامة خطواتها في أثناء العودة
خشية تعثرها..

في صباح اليوم التالي..

تناوب على فحص عينها رئيس مركز الليزر للعيون L.V وزوج سمر -
طبيب الجراحة العينية- وقد لاحظت سينا إيماءات وجوه الثلاثة بأنّ أمراً
غير مرغوبٍ قد حصل ما سبّب هذا الخلل في رؤية إحدى العينين دون
الأخرى...

قالت لهم سينا بصوتٍ هادئٍ:

- المَعذرة.... هَلّا أخبرني أحدكم بما يحدث!... إنني طبيبةٌ وأنفهم الأمر....
ما نوع الاختلاط الطبي الحاصل؟!

قال رئيس المركز -الأستاذ عصام - بوجهٍ ضاحكٍ:

- لا تقلقي يا دكتورة... إنّ أمورك بخير... ستقوم الطبيبة سمر بالغسل تحت
شريحة القرنية المنكشّة قليلاً... ثمّ إرجاعها ووضع عدسةٍ لاصقةٍ فوقها..

أسلمت سينا عينيها للإجراءات التخديرية والتعقيمية التي قامت بها الممرضة بعد ارتدائها زيّ العمليات وهي تلاحظ مناقشات صديقتها سمر مع زوجها ورئيس المركز دون أن ترتاح كثيراً للأمر...

تمدّدت سينا على طاولة العمليات واستسلمت لفاتح الأجنان القسري لعينها اليمنى وما تلاه من حركاتٍ وانسيابٍ المحلول المزعج من عينها إلى وجهها..

وعندما لاحظت أنّ سمر تبدّل فاتح الأجنان إلى العين اليسرى قالت سينا بخوف:

- اليسرى أيضاً؟!

أجابت سمر بصوتٍ هادئ:

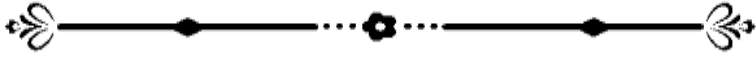
- نعم... هذا أفضل..

كان يوماً عصيباً على سينا لدى عودتها إلى البيت وما تلاه من ضبايةٍ مزعجة يشبه يوم العملية الأولى..

لم تكن الأوهام والأفكار السيئة قد فارقتها طيلة اليوم، ما دفعها للبكاء هلعاً من أنّ اختلاطاً مُريعاً قد أصيبت به وامتنع الأطباء من إخبارها الحقيقة!

وعندما عادت إلى العيادة العينية مساء ذلك اليوم لنزع العدسات اللاصقة سألت سينا سمر محاولةً التسلّح بالشجاعة والثقة بعد فحص عينيها:

- هل هي بخير؟؟.... هل تمّ الغسل بشكلٍ جيّد؟!



قالت سمر ضاحكةً:

- نعم... إنها بخير... انتظري فقط عدّة أيام وسترين النتيجة بنفسك (ثم قالت بصوتٍ أكثر لطفاً)... مابكِ يا سينا... لم البكاء؟!

وضعت المريضة يدها على فمها مانعةً نفسها من النحيب قائلةً بصوتٍ متقطع:

- لستُ بخيرٍ يا سمر!.... أخشى من الأذية طويلة الأمد!... لو كنتُ أعلمُ أنّ اختلاطاً كهذا سيحدث... لما تجرّأتُ على خوض هذه التجربة!.. ما تفسير ذلك؟!

- في الواقع... إنّ مقدار ثخانة الشريحة المقتطعة من القرنية في عمليّتك السابقة غايةً في الرقّة... لهذا السبب انكمشت الشريحة قليلاً بعد إزالة تحدّب القرنية بواسطة الليزر في العملية الجديدة... وهذا ما لا تُسببه الأجهزة الليزرية الحديثة التي تقتطع سماكةً معتبرةً من القرنية...

- لماذا لم أُصّب بهذا الاختلاط منذ عدّة سنواتٍ؟؟

- هذا الاختلاط ممكن الحدوث في كلّ عمليات الليزك!... ولدى أيّ مريضٍ آخر... المهم الآن... هو تديره السهل...

- سهل؟؟... إنّني أعاني ليومين كاملين بعد التداخل!... هل تتخيلين مدى الرؤية المشوشة التالية؟... ثم لماذا تداخلتِ على العين اليسرى في المرة الثانية على الرغم من سلامتها كلياً؟!... ألم تفكرّي باحتمال تجعّد شريحة

هذه العين عَرَضِيًّا؟!... ماذا لو سَبَّ رفعها مجدداً إصابتها بمشكلة العين اليمنى؟!... لقد عَرَضَتْ عيني السليمة للخطر يا سمر!
- حسناً... حسناً... اهدئي... انتهى الأمر... اهدئي رجاءً... البكاء يسبب تشنجات في الأجفان واحتقان غير مرغوب أبداً... يجب أن تهدئي وترتاحي لئلا تعيقى الشفاء من آثار العمل الجراحي... (ثم ضحكت)... ثقي بي... لن أتركك أبداً يا سينا...

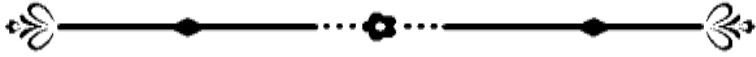
غادرت سينا العيادة العينية، وعندما عادت إلى البيت سألتها أمها بقلق
تعبث به مشاعر الخوف:

- هل أنت بخير؟!

ابتسمت الفتاة ضاحكةً:

- نعم... لقد أزلت سمر العدسات اللاصقة وسأكون على أفضل ما يرام.
دخلت سينا غرفتها وأقفلت الباب ثم جلست على سريرها مسندةً رأسها على راحة يدها وهي تفكر بما ستكون عليه في الأيام القليلة التالية...
استيقظت صباح اليوم التالي وسريعاً ما أغمضت العين اليسرى ثم اليمنى ما دفعها للنهوض والذهاب إلى مركز الليزر للعيون L.V. للتحديث إلى رئيس المركز الذي أجرى لها العملية منذ عدة سنوات..

كان المطر يهطل برقة على زجاج السيارة وسينا لم تكف عن مقارنة دقة الرؤية وهي تقود مغمضة العين اليمنى ثم اليسرى وبالعكس وهي تردّد



لنفسها بأنّ ثمة اختلاطاً لم تتمكّن سمر من تدبيره قد أصاب العين
اليمنى!!!

- صباح الخير... أريدُ رؤية الأستاذ عصام...
قالت موظفة الاستقبال:

- أهلاً دكتورة... صباح النور... انتظري قليلاً من فضلك
أطلّ رئيس المركز الأستاذ عصام وهو يرحّب بسينا مبتسماً بحماس:
- أهلاً أهلاً دكتورة... تفضّلي من هنا رجاءً...

تهدّج صوت سينا محاولةً منع نفسها من البكاء وهي تتبعه قائلةً:
- أستاذ عصام... أخبرني رجاءً عمّا حدث بالضبط!... إنّ عيني هذه ليست
كالأخرى!... أعاني من تشويش واضح بالمقارنة مع العملية التي أجريتها أنت
لعيني منذ سنوات حيث لم أعانِ هذا الأمر بتاتاً!... كنتُ في اليوم الثاني في
أحسن أحوالي!

قال عصام وهو يشغل جهاز الفحص:
- ضعي ذقنك هنا..... حسناً..... (ثمّ نقل عدسة الفحص بين العينين
بحفّة).... حسناً..... هذا رائع.... (وأبعد جهاز الفحص مردفاً بصوتٍ
مُريح).... نتيجةٌ ممتازة... إنّ عينك على خير ما يرام...
قالت سينا متفاجئةً:

- وهذا التفاوت في دقة الرؤية؟....

- بعض الوقت فقط.... عليك تجاهل الأمر وحرصك على عدم فحص دقة رؤية كلّ عينٍ على حدة....

غادرت سينا المركز وفي أعماقها شعوراً مغايراً تماماً...
مضى أسبوعٌ كاملٌ دون أيّ تحسّنٍ يُذكر!

قالت سمر:

- لا أريدُ الضغط عليك كثيراً يا سينا... لكن ثمة إجراءً بسيطاً سأقوم به
لحلّ المشكلة...

بدت سينا قلقَةً وهي تستمع لما تشرحه سمر على الهاتف من خطواتٍ ستقوم
بها على عينيها وكأنّها حقل تجارب لا أكثر فقالت لها بخوفٍ شديد:

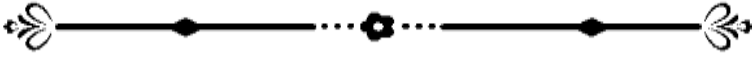
- لا أستطيع المغامرة برفع الشريحة مرّةً أخرى... أخشى أن تنكمش أكثر!
قالت لها سمر نافيةً احتمال الخطر بحماس:

- أبداً يا سينا... لن أحرّكها من مكانها أبداً.... سأقوم بمجرد حقنٍ لمحلّولٍ
خاصّ تحتها لتنتجب الشريحة ويزول كلّ انكماشٍ فيها... أصلاً التجميعات
قليلةٌ جداً...

صرخت سينا بهستيرية:

- لكنّها تزعجني!... لا أستطيع العمل بشكلٍ مريح!... إنّ علاج أسنان
المرضى صار أمراً عسيراً عليّ يا سمر!.. هل تدركين ذلك؟!

- أعلم... أدرك هذا الأمر... في النهاية يجبُ حلّ المشكلة يا سينا... لا
تقلقي... ثقي بي..



قالت سينا معاتبَةً بصوتٍ يائس:

- كان عليك أن تحبرني باحتمال حدوث هذا الاختلاط اللعين!.... لو كنت أعلم أن ذلك قد يحدث... لما غامرتُ أبداً بخوض عملية التصحيح الليزرية هذه.... لو لم تكن مهنتي حساسة وتتطلب العمل على المدى القريب وضمن ساحة عملٍ صغيرةٍ ودقيقة... لما اكرثتُ لكل هذه المشكلة... وربما تعايشْتُ مع الوضع الحالي... لكنني أتعذب... لا أكادُ أستطيع إدخال المبارد السنّية في الأقنية الجذرية للسن.... هل أدركتِ الآن معاناتي؟!.... كان عليك إعلامي بمخاطر الأمر!!

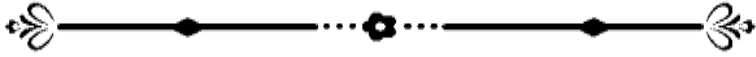
صمتت سمر قليلاً ثم قالت:

- سينا... دعيني أساعدك... يجب أن نتصرّف بأسرع ما يمكن....
- مجرد إجراءٍ بسيطٍ وآمنٍ جداً!... إنّ التأخّر ليس في صالحنا...
- لو أنّك واثقةٌ ممّا تقومين به... لنجحتِ على الأقلّ في تداخلكِ الثاني...
أنتِ تحاولين فقط يا سمر... لذلك لن أخوض التجربة لمجرد المحاولة... إنّ لم يكن الإجراء مضموناً مليوناً بالمئة... لن أعرض عيني للخطر... لقد نالت بما فيه الكفاية...

أمسكت سمر عن الحديث وهي تفكّر بطريقةٍ تقنع بها هذه العنيدة غير الواعية لقيمة الوقت الذي يمرّ على عينيها المصابة!
استسلمت في النهاية قائلةً بهدوء:

- حسناً... فكري بالأمر... ولا تتأخري بالتفكير... صدقيني... ستكونين
بخير..

أغلقت سينا الهاتف رافضةً تماماً كل ما قيل لها للتو...
لذا كان عليها استشارة طبيبٍ آخر تعلمُ منه مدى صحّة ما أُخبرت به من
قيل سمر وزوجها ورئيس مركز الليزر للعيون.



الفصل الثالث

(دايموند هيد)

كانت طاولة الاجتماعات تتربّع وسط صالةٍ واسعةٍ تُشرف من خلال جدارها الزجاجي الجنوبيّ على المحيط الهادئ الأزرق.. لطالما فضّل أعضاء لجنة الأبحاث مبنىً هادئاً بعيداً عن الصخب السكاني وربما بعيداً عن الأنظار!

فتمتدّد بناؤه قريباً من قمة جبل "دايموند هيد" الجنوبية، وفي الواقع لم يكن رأس الماس أو "دايموند هيد" جبلاً بالمعنى الجغرافي، بل يعدّ مخروطاً بركانياً من سلسلة هونولولو البركانية حيث دخل في حالة خمودٍ تامٍّ بعد ثورانه الأول أحاديّ المنشأ منذ مئةٍ وخمسين ألف عام!

إنّ ما ميّزه كموقعٍ جغرافيٍّ مثاليٍّ في المنطقة، هو ارتفاع قمّته البالغ مئتين واثنين وثلاثين متراً (232 متر) وليستقلّ مبنى مركز الأبحاث جغرافياً عن مبنى المنظّمة الأمنية - الواقع في منتصف فوهة المخروط - ، فقد خُصّص له ذلك الجزء من الفوهة الأقرب للمحيط شبه المنعزل عمّا سواه إلّا من نقطةٍ مراقبةٍ فرضتها المنظّمة الأمنيّة الأمريكيّة (S) على المبنى متذرّعةً بضرورة حمايته ومراقبة ما قد يخلّ بأمن المنطقة! على الرغم من أن هذا المركز مخصّصٌ للأبحاث العلمية النفسية، جلّ ما يحتويه بعض الحواسيب والوثائق

والمراجع الطبيّة يستخدمها العلماء والأطباء المتخصّصون بعلم النفس والصحة السلوكية.

كان الطبيب بيكا جالساً وقد عقد ذراعيه أمام صدره منصتاً للأعضاء الستة الجالسين حيث يُدلي كلّ بتقريره..

وفي الواقع... لم يلقِ بيكا بالآلِما عُرِضَ عليه من معلومات... بل ربّما طغى شعورُ اليأس والاستياء عليه عندما فكّر بكثرة النتائج المكرّرة الصادرة عن الأبحاث شبه المكرّرة التي خضع لها أشخاصٌ مكرّرون!

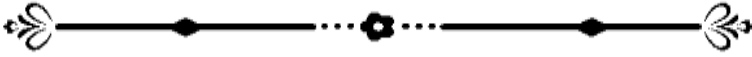
لطالما أراد بيكا بحثاً مختلفاً مميّزاً، لم يسبق أن أُجريَ في كلّ بقاع الأرض، لا سيّما وأنّ عقل الإنسان لم يُخلَق له حدٌّ أو سقفٌ لأفكاره وتحليلاته واختراعاته واستكشافاته!

عليه فقط أن يفكّر... ويسجّل ويدرس ما توصّل إليه...
عليه ببساطة أن يجرب...

لقد قضى عمره الستين مؤمناً بفكرةٍ واحدةٍ فقط

إلا تزال النفس البشريّة زاخرةً بالأسرار... وإن تكشّف منها سرٌّ.. فقد تولّد منها الكثير غيرها... فلا تزال هذه النفس ساجدةً عائمةً غائصةً في محيطٍ كهذا المحيط الهادئ الممتدّ أمامه من الغموض والألغاز..

استطاع بيكا من خلال دراسته في مجال علم النفس أن يجمع بين شغفه في الاستكشاف وحرصه على تقديم مادّةٍ علميّةٍ نادرةٍ مبنيّةٍ على بحثٍ حقيقيٍّ



قد أُجْرِيَ بنزاهةٍ وحياديةٍ، موقناً بأنَّ الحقيقةَ تستحقُّ التضحيةَ، تستحقُّ
البذل... تستحقُّ كلَّ شيءٍ!

ولا حياةَ لإنسانٍ يهرب من الحقيقة متوهماً راحته المنشودة، يفضل تهادئه
أعصابه طالما هو في مساحة الأمان الخاصة به منعزلاً عن الضوضاء خارج
الحدود التي رسمها لنفسه...

إنَّ هذا الإنسان الغريب لا يُدركُ أنَّ هذه الضوضاء المزعجة والتي تؤرِّق
خاطره وتهدِّدُ أمانه إن اطلع عليها ودرس خباياها وفهمها وسبر أغوارها،
ستصبحُ حتماً سلاحاً قوياً يستخدمه لصالحه وصالح من يهتم لأمرهم،
ستتسع حدودُ أمانه وتتوسَّع مساحةُ صلاحياته وقد يسيطر على من حوله
ويتحكَّم بهم!

لطالما كانت الطمأنينة والأمان خديعةً تُسلمُ الإنسان للدَّعةِ والخمود،
كخمود "دايموند هيد" هذا، وخمود أفكار أعضائه الجالسين، وخمود
همهم...!!

نهض الحاضرون وبقي أحدهم جالساً حتى تأكَّد من خلوّ قاعةِ الاجتماعات
قال بهدوء:

- سيدي... هناك ما سيسرُّك... أظنَّه القنبلة العلمية المنشودة!

- هاتِ ما لديك...

- كانت نتائجُ البحثِ الذي أجريناه على أوَّل ثلاثة مرضى زُودوا بذراع
JAKO في الآونة الأخيرة مذهلة... هاك هذا التقرير (ومدَّ يده ليُخرج آخر

ورقة كانت مُدرجةً ضمن تقريره ثم تابع)... حصل ما توقّعتَه تماماً يا سيّدي... إنّها نتيجةُ الاختبار الثالث.

حدّق بيكا بالورقةَ مركزاً باهتمامٍ غير مرتاحٍ لنتائج الاختبارات الأخيرة، وفي أعماقه إحساسٌ عميقٌ بأنّ حدثاً سيئاً سيحلُّ بالجزيرة إن استمرّ الأمرُ على ذات الوتيرة المتصاعدة بهذا البطء المستمرّ! تابع الطبيب المساعد قائلاً:

- سيّدي... هل نختمُ نتائج البحث؟؟

- كلا... ليس بعد... لا يزال أماننا عملاً طويلاً

- سيّدي... الوضعُ خطير... لا أعتقد...

احتدّ صوتُ بيكا قائلاً:

- أعلمُ وأرى أُمّامي أنّ الوضع سيّئ... تابع العمل دون نقاش... (ثم تمتم بهدوء) علينا أن نصلَ إلى نتيجةٍ نستطيع من خلالها سبرَ أغوارِ دايمود هيد...

حدّق الطبيب المساعد بسذاجة فاستدرك بيكا:

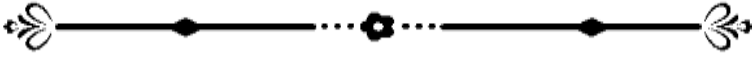
- بالنظر للإنجازات الرائعة التي تحقّقها أبحاثنا فمن المهمّ أن نتابع ما بدأناه.

- حاضر

- هل تحدّثتَ إليك جنيفر؟؟

- نعم... كان صوتُها مريباً...

- لماذا؟؟؟؟..... (أجاب بيكا بازرداء)



- أخشى أنّ ماكاني_ رئيس شركة ميغا_ قد افتعل ما يدفع جنيفر لفرض سيطرتها على فوهة المخروط بشكل متعسفٍ مجدداً...
تمتم بيكا منزعجاً:

- ماكاني... لطالما كان هجوميّاً وغير دبلوماسيّ... دعنا منهما... سنواتٌ طويلةٌ مضت وهما على هذه الحال... قل لي... ماذا قالت لك جنيفر؟؟!

- طلبت إلينا أن ننهي جميع أعمالنا على "دايموند هيد" لأنّها ستلغي صلاحيّاتك وتغلق مبنى مركز الأبحاث النفسيّة

- اممم... ألا يكفي أنّها احتلّت القسم الشمالي من مبنى مركز الأبحاث؟!... ما الذي تريده أكثر من ذلك؟!... وأنت... ماذا قلت لها؟؟!!
- كما طلبت منّي سابقاً... نحنُ رهنُ الإشارة...

- أحسنت... في المرّة القادمة عندما تحدّثك بشأن هذا الأمر... دعها لي حاضِر

- أين عرفان؟!... لماذا لم يحضر الاجتماع؟

صمت الطبيب المساعد قليلاً ثم قال بهدوء:

- لقد اعتذر.. وكان صوته متعباً... (ثم صمت قليلاً وتابع) لكن...
- تحدّث...

- لقد شاهده بعض أطبائنا قبل عدّة أيّام وهو يدخل البوّابة الرئيسيّة للمنظمة الأمنية S

حدّق به بيكا مستفسراً عن معنى الكلام الخطير هذا، فأردف الطبيب المساعد:

- لا نعلم المدة التي قضاها هناك... لكنّ جنيفر سريعاً ما عدّلت عن قرارها السابق وأصدرت قراراً ينصّ على متابعة مركز الأبحاث عمله دون أيّ عائق وازعةً بعض الشروط التي يمكن التعامل معها..
ابتسم بيكا ضاحكاً:

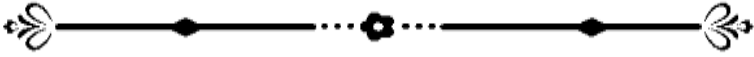
- هذا العرفان... إنّه يفوقني مهارةً في الدبلوماسية... انسّ جنيفر إذاً... (ثمّ تابع باهتمامٍ وهو يحدّق بالطبيب المساعد) احذر... فلتركّز على أبحاث الذراع الاصطناعية **JAKO** ... علينا أن نرصّد كلّ حركةٍ فيها... إنّ ماكاني ينتظر منّا أخباراً جيّدة

- حاضر

- انصرف... شكراً لك

توقّف بيكا مقابل الجدار الجنوبيّ الزجاجيّ المطلّ على المحيط وهو يحصي عدد العوائق التي عليه التعامل معها والمدى الذي سيساعده ويمكنه من استغلاله بالدراسة والتحليل قبل أن تخرج الأمور عن حدودها المرسومة لها وتفلّت زمام السيطرة منه.

لقد حان وقتُ التحرك!



أدرك بيكا أنّ ماكافي على وشك التصريح باختراعه الجديد الذي سينطلق منه للحرية المنشودة، تلك الحرية التي لطالما تعطش لها ورسم آمالاً عظيمة تحقّق له ولأجداده ومن سبقوه استقلالهم الهاوئي! على بيكا أن يساند ماكافي إلى أقصى حدّ، ويدعم موقفه بالطريقة الهادئة الصحيحة التي ستحقّق للجميع منفعة المرادة.

....

جلست جنيفر_المرأة الطويلة بقوامها الرشيق_ خلف طاولة مكتبها الواسع وقد بدت ملامح القلق جليّة على طلعتها الإفريقيّة السمراء، ثم أرخت رأسها المثقل بالأفكار على راحة يدها فتدلّت خصلّة من شعرها الفاحم المجعّد على جبينها. لقد ترقّت جنيفر لمنصب رئيس المنظّمة الأمنيّة S منذ أكثر من عشرين عاماً.

كان مبنى المنظّمة أوّل ما تمّ بناؤه في منتصف سطح قوّة مخروط "دايموند هيد" بالتزامن مع شركة "ميغا" ليعوي خمسة طوابق، اثنان منها تحت الأرض وقد توزّعت سبع نقاط أخرى كأبراج مراقبة على كامل محيط قمّة المخروط لا سيّما تلك النقطة الجغرافيّة التي تحقّق إشرافاً بانورامياً شاملاً على شاطئ "وايكي" بشكل خاص، مراقبةً بذلك كامل المنطقة الجنوبيّة لجزيرة "أواهو" - هاواي ومشكّلة شبكة قويّة توفّد للمبنى المركزي كلّ ما تمّ مسحه بالصوت والصورة!

والآن... المهمة مختلفة...

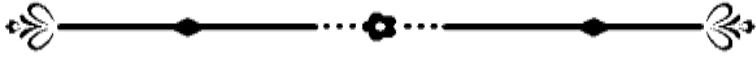
كان على جنيفر إيفاد موظف جديد للمنظمة الأمنية وما يتبعه ذلك من خطوات سرية حذرة تختبر من خلالها قدرته على التعاون ومدى تحمله الضغط الذي سيقع على عاتقه!.. وليس أيما ضغط! إن هذا الموظف هو الثالث على التوالي الذي وقع عليه اختيار أعضاء لجنة التوظيف لما يملك من ميزات حققت معظمها شروط العمل ومتطلباته الدقيقة الحساسة.

من حسن الحظ أن الأوامر قد نصت على ضرورة اختبار وفحص قدراته النفسية والعملية التي ستحدد وتقرر فيما بعد إن كان مؤهلاً حقاً لإنجاز العمل المراد له..

لم تكن جنيفر تشعر بالراحة لدى مرورها بمرحلة اختيار الموظف هذا! حيث كانت تحصي السنوات الخمس قبل أن تقرر فيها اللجنة استبداله بطرق ذكية وبأقلها رية.

وطالما أن جنيفر رئيسة المنظمة الأمنية فلم يكن من الصعب عليها أبداً تعديل القرارات واختيار أنسبها حسب الموقف الراهن إلا أمر اختيار الموظف، فلم يكن من صلاحياتها الموافقة على توظيفه أو لا...

كان عليها فقط أن تقوم بإخضاعه وتدريبه وفحص إمكانياته على كافة الأصعدة، ثم كتابة التقرير اللازم الذي سيبنى على أساسه القرار النهائي.. إن الخوف الذي تشعر به الآن ليس خوفاً عادياً..



رفعت رأسها المضغوط بالأفكار والاحتمالات الكثيرة ممكنة الحدوث جرّاء التطوّرات الأخيرة الحاصلة.

فتحت عينيها الصغيرتين ثم ازدردت لعابها بصعوبة وتلاحقت أنفاسها الخاطفة حين تخيّلت عاقبة عجزها عن العمل كما يجب ضمن منظمتها على قوّة مخروط "دايموند هيد"

- إيّاك وإفلات زمام الأمور جنيفر... احذري الإخفاق قبل أن تحذريني!
كانت كلماته تدقّ كلّ خلية من خلايا دماغها، تلك الكلمات التي تتكرّر كلّ مرة توظّف فيها شخصاً جديداً تكتمل فيه المواصفات اللازمة ليحلّ محلّ سابقه، وإنّ أهمّ هذه المواصفات هو الحياديّة الصادقة في العمل والتطفّل المعدم!

هاتان الصفتان قلّما تجتمع في شخصٍ ما..
لكنّ فريدريك كالوا، وبالنظر لأسلوب حياته الفريد غير المكترث لتفاصيل الأمور ودقائقها فقد تحقّق الشرط الأوّل الذي ينصّ على تجاهل الأسباب والدوافع والنتائج التي يُخطّط لها ضمن الفترة الأولى من العمل على الأقلّ!

رفعت جنيفر رأسها للأعلى ثم سكبت كامل الماء من الكأس على وجهها صارفةً عن ذاكرتها الساعة التي اطلّعت فيها على حقيقة المربّع الناري الأزرق القابع في قعر المخروط الذي جعلها تستيقظ فرعةً كلّ ليلةٍ وهي

تحصي الأسباب الكثيرة التي تمنع محروط "دايموند هيد" من قذف الرماد والحمم بعد خمود دام مئة وخمسين ألف عام. لقد امتنعت عن زيارة المرتع منذ اليوم الذي وظفت به الموظف السابق لفريدريك كالوا وها هي الآن على مشارف زيارتها مجدداً لتلك الهاوية المربعة!

طرق الباب فدخل موظف أمنٍ من رجال المنظمة قائلاً:

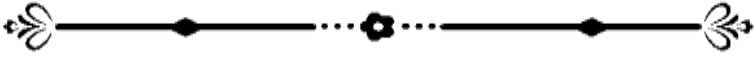
- سيدي... رئيس شركة ميغا السيد ماكاني يطلب رؤيتك...

دخل رئيس شركة ميغا الطبيبة ماكاني بلباسه الهاوائي التقليدي ذي القميص البرتقالي المنقوش بالأزهار الملونة والبنطال القماشي العريض وبرفقتة رجلي أمن من موظفي المنظمة ثم قال باللغة الهاوائية وهو يجلس على الكرسي الجلدي الأسود المجاور لطاولة المكتب:

- الأمريكيون كالشعالب... ما بالك ترتجفين كالدجاجة الآن؟؟! (ثم صرخ بها معنفًا).. عندما يدخل عجوزٌ هاوائيٌ مكتبك.. من الجيد لك أن تنهضي وتقفِي احتراماً له...

أراحت جنيفر ساقها اليمنى على اليسرى ثم عقدت ذراعيها أمام صدرها محدقةً به بعينيهما الصغيرتين قائلةً بذات اللغة:

- العجائز مكانهم في دار العجائز... وليس في مكتب رئيسة المنظمة الأممية - منبع القذارة الأمريكية... وليست المنظمة!



عصّت جنيفر على شفتها الرقيقة محاولةً كتم غيظها من أن تستغلّ الفرصة وتُفرغ كامل طلاقاتِ مسدّسها في رأسه ثم تمتمت بصوتٍ مرتعش:

- أجنّت لتهينني في مقرّي يا ماكاني!!؟!!

- كلا... جئتُ لأطلبَ إذنًا رسميًا لشركة ميغا بإيفادِ الدفعة الجديدة من بعض المستلزمات الطبيّة إلى جزيرة "ماوي"

ابتسمت جنيفر بمكرٍ:

- لا بأس.... كالعادة... دعها تمرّ على نقطة التفتيش أولاً..

قال ماكاني متنحنحاً وشراراتُ الغضب تتطايرُ من عينيه:

- لو أردتُ لها أن تمرّ على تلك النقطة اللعينة.. لما جئتُ إلى هنا بنفسي!

قرأت جنيفر من ورقةٍ كانت موجودةً أمامها ثم تساءلت:

- إنّ جزيرة "ماوي" لديها ما يكفي من جميع منتجات شركتك... وجزيرة

"هاواي" بحاجةٍ أكبر لتلك المستلزمات... سأمنحُ الإذن بإيفادِ الدفعة إلى

جزيرة "هاواي" بدلاً من "ماوي"

صرخ ماكاني منفعلًا:

- ألم تسمعي بجرائق الغابات التي تكتسح منطقة "لاهاينا" في "ماوي"!!؟!!

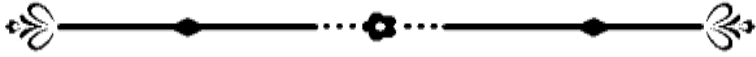
ألا يمكنك أن تقدحي شرارات دماغك قليلاً؟!.. (ثم نهض وهو يسعلُ

بشدّةٍ مستدرَكًا) وقّعي الإذن حالاً... إنك تتجاوزين شروط اتّفاقنا أيتها

الأمريكية السافلة!

رفع أحدُ رجلي الأمن مسدّسه ثم وجّهه نحو رأس ماكاني فقالت جنيفر:
- لا تخلطِ الأمور... مجرّد وجودك هنا يعني أنّك أنت من يخرق قوانين
الاتّفاق المنصوص عليها... (ثم أمسكت قلماً لتكتب في رغبةٍ منها لإنهاء
الحديث العقيم) إمّا أن تأخذ الإذن المباشر بتصدير الدفعة إلى جزيرة
"هاواي" بعد تفتيشها والآن... أو فلتمرّ على نقطة التفتيش حسب
البروتوكول ومنها إلى جزيرة "ماوي"... هذا ما لديّ.... انصرف!
حدّجها ماكاني لثوانٍ ثم انصرف متمتماً ببعض الكلمات الهاوائية غير
المفهومة بدا من الواضح أنّها شتائمٌ محتقنةٌ بالكراهية، وما إن أغلق رجلُ
الأمن الباب حتى أمسكت جنيفر بكأس الماء ورمته بكلّ ما أوتيت به
من قوّة صارخة:

- اللعنة عليك أيها الهاوائي السافل الوغد!!



الفصل الرابع

(مشفى الملكة)

تثاءب أسامة وهو يكتب معلوماتِ المرضى في ملفاتهم الجراحية الخاصة في شعبة الجراحة العظمية.

كان يكتب ويراجع ما كُتب من ملاحظاتٍ من قِبل زميله المستهتر مايكل في أثناء مناوبته السابقة ثم يدرس تطوّر حالة المريض المقبول في جناح المرضى.

ولطالما أثنى عليه اختصاصيو الجراحة العظمية وأساتذته المشرفون، لدقّة عمله وحرصه النابع من مسؤوليته الطبية والإنسانية.

في الواقع.. إنّ وجوده هنا في مشفى الملكة على جزيرة "أواهو" في "هاواي" قد عزّز من تمسّكه بمبدئه في إتقان وضبط كلّ ما تقع عليه يده! إنّهُ لم يكن يتخيّل أنّ الأقدار ستسوقه إلى هنا تحت أيّ ظرفٍ كان! كثيراً ما لاقى أسامة من اللوم والتحذير لتخليه عن سنتين فقط تفصلانه عن نيل شهادة الاختصاص في موطنه، لكن إدراكه أن الفرصة قد لا تتكرّر حال دون الاكتراث لنصائحهم من جهة، وتوسّلات والديه من جهة أخرى، ولهذا السبب أدرك أنّ العناد صفةٌ تلازم شخصيته الهادئة ظناً منه أنّه أدري من غيره في شؤونه الخاصة، خصوصاً عندما حاول تذكّر آخر مرة

قد استشار فيها أحد أصدقائه المقربين أو أهله... فلم يستطع!
وحقيقة الأمر.. أن لا أصدقاء مقربين له!
كلهم كانوا سواسية بالنسبة إليه، ربّما عُرِف فيما بينهم أنّه الصديق الوحيد
الذي يفتقر للمشاكل الحياتية والمورقات اليومية المألوفة التي لا تخلو منها
حياة أحد..

إنّ ما رسّخ هذه الفكرة عنه لديهم إمساكه عن الحديث في شؤونٍ يراها من
المسلّمات التي لا تستأهل الخوض في تفاصيلها الشخصية وإضاعة الوقت
لمجرّد الإفضاء وإشراك الآخرين الذين يجدون في تبادل وجهات النظر شأناً
يعود بالنفع عليهم وعلى غيرهم!

وعلى خلاف الأطباء المقيمين، فقد كان أسامة أكثرهم تعاطفاً مع المرضى
مدرّكاً حرصهم على تعجيل الشفاء وتخرّجهم من المشفى بأسرع وقتٍ ممكن!

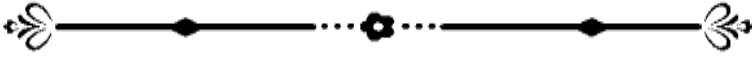
- ألوها¹ أسامة... صباح الخير... ماذا تفعل؟!

جفل أسامة لصوت مايكل الأجشّ الجهوريّ، ثمّ قطب حاجبيه منزعجاً
قائلاً بهدوء:

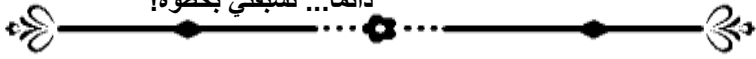
- يا رجل... هل هذا صوت إنسان؟؟!!

ضحك مايكل عالياً ثمّ ضرب بكفّه على ظهر أسامة قائلاً:

¹ ألوها: تحية الشعب الهاوائي وترمز للعاطفة والمحبة والسلام، لها أهمية ثقافية وروحية عميقة
لدى شعب هاواي الأصليين



- لماذا تبدو ممتعضاً كعادتك؟!
- اجلس هنا وانظر مقدار ما تكتبه من مشاهداتك بالمقارنة مع ما أكتبه... يا أخي... فلتكتب المريض يتنفس وهو بخير وكفى!!
- أرنى.... (أمسك مايكل ملف أحد المرضى ثم قال)... هذا المريض... إنه مريضٌ وقح
- حدِّق أسامة بزميله مستفسراً بتعجبٍ واضح:
- كيف.... ماذا تقصد؟!
- ألا تعلم معنى كلمة "وقح" بالإنجليزية؟!
- أعلم أيُّها الأحمق.... أعلم.... آه (ثم وضع يده على رأسه).. من أين أتيت أنت؟!
- أصولي من هنا... إنني هاوئي
- انزلق القلم من بين أصابع أسامة الذي بدا ذاهلاً لثوانٍ ثم ابتسم بسداجةٍ ضاحكاً:
- تشرفنا!
- التقط مايكل القلم وسلّمه لأسامة مستفسراً:
- ألم تُخرِّج أحداً من الجناح؟
- بلى فعلت...
- من؟
- رمى أسامة بالملفات في حجر مايكل ثم قال:



- ابحث بنفسك..

ضحك مايكل ثم فكر بحجم المعاناة التي عليه تكبدها برفقة المقيم الجديد أسامة هذا!

إنه شخص غامض لكنه ظريف.

ما يهم هو تحمله المسؤولية شبه الكاملة، لذا كان مايكل يحرص على المناوبة برفقته!

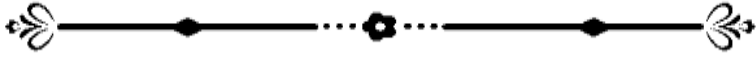
لقد كان يعلم تماماً أن أسامة لن يفوته اعتماداً مايكل عليه في أغلب المهام الموكلة إليهما، وإنّ ما ساعده على تجاهل الأمر هو رغبة أسامة الشخصية في العمل... لكن إلى متى يمكنه تحمّل ذلك؟؟!

فتح مايكل علبة السجائر وأخذ واحدة ثم أشعلها وبدأ ينفث منها الدخان.

قسم الجراحة العظمية، ما رسا عليه اسمه في مفاضلة التقدّم للاختصاصات الطبيّة، إنّه اختصاصٌ مثيرٌ وغير خطير، ونادراً ما يحدث فيه اختلاطٌ قد يؤدي بحياة المريض.

لذلك سمح مايكل لمشاعر الامتنان أن تغمر أعماقه عندما اطلع على نتائج القبول.

لكن الصدمة لم تتجاوزه عندما علم أنّ على مقيمي السنة الأولى ملازمة العمل في قسم الطوارئ في المناوبات الليلية.



فقسم الطوارئ أكثر الأقسام الطبيّة انشغالاً لكثرة عدد المرضى الوارد إليه،
كما أنّ على جميع الأطباء المقيمين من كافة الأقسام أن يلمّوا بمبادئ
الإسعافات الأولية وطب الطوارئ.

هذا بالضبط ما جعله يتملّص من أكثر المناوبات الليلية بأسلوب إغراء
بقيّة المقيمين من زملائه، فيدعو هذا لوجبة غداءٍ سريعة، ويمنح ذاك
بطاقة دعوة لحضور فيلم سينمائيّ بهدف تغطية قسم الإسعاف في غيابه
عن مناوباته في الجدول!
إلا أسامة هذا...

لم ينفع معه هذا الأسلوب...

سحب مايكل آخر نفيس من سيجارته ثم هصرها في منفضة للسجائر على
الطاولة الخشبية أمامه..

- لقد خنقنا برائحة سجائرك... (قال أسامة مكشراً)

ابتسم مايكل ثم قال:

- عليك أن تجربها... إنها جيّدة... أظنّها تعمل على تنشيط خلايا الدماغ
للتفكير.

- لا يمكنني تخيّلك متوقفاً عن التدخين إذا!

- ماذا تقصد؟!

- دخّن واحدة الآن.. لتفهم...

علا صوت مايكل ضاحكاً لكنّه سرعان ما أمسك عن ضحكّه عندما دخل الاختصاصيّ المشرف غرفة الشّعبة قائلاً بهدوء:

- بُني... ما اسمك؟!

- أهلاً دكتور... أنا مايكل...

- صوتك مزعجٌ جداً... سأكون ممتناً إن أخفضته قليلاً...

- حاضر سيدي

- أجاهزان للجولة الصباحية؟!

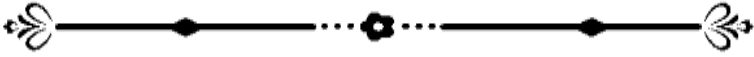
سار أسامة ومايكل برفقة الاختصاصيّ والمقيم الأعلى - الذي جاء متأخراً- باتجاه جناح المرضى المخصّص لإقامتهم في مشفى الملكة حيث صدح أسامة بعد دخولهم الجناح قائلاً:

- صباح الخير... أرجو من جميع المرافقين المغادرة ريثما ننهي المشاهدة الصباحية للمرضى.

تضمّ الردهة ستّة أسرةٍ رُتبت على شكل أزواجٍ متقابلة تفصل كلّ سريرين متجاورين طاولةً خاصة وستارةً طويلة.

قال أسامة:

- حكيم... هذا المريض كاي كالا عمره سبعة وخمسون عاماً، قديم للمشفى مساء أمس بعد أن زلّت قدمه وهو ينزل عن الرصيف... بالتصوير الشعاعي تبين أن المريض مصابٌ بكسرٍ في عنق الفخذ... مدخّن شره... بالإضافة إلى أنّه مريضٌ سكريّ من النمط الثاني... نسبة سكر الدم مضبوطة تماماً



حسب استشارة أطباء الأمراض الباطنة... تم إجراء جبيرة راحة للطرف المصاب وهو صائم الآن استعداداً لإجراء عملية صفيحة DHS^2 كان أسامة يلقي المعلومات العامة والتشخيصية الخاصة بكل مريض على مسامع الاختصاصي والمقيم الأعلى ومايكل بهدوء وبضع كلمات شاملة لكامل النقاط المهمة الضرورية ذكرها لاسيما وإن كان المريض على مشارف غرفة العمليات..

- وأخيراً... هذا المريض... اممم...

- إنه مريض البتر... صحيح

- نعم حكيم... إنه الشاب ليكو لي... بعد محاولة بائسة للإفادة من يده اليمنى عقب إصابتها بحادث هرس نتيجة سقوط كتلة المعادن، تم اتخاذ القرار ببترها للأسف، والآن مضى على إجراء العملية قرابة عشرين يوماً.. حدّق الاختصاصي متأسفاً بالمريض الشاب ذي السبعة عشر عاماً من عمره والذي بدا يائساً حزين الطلعة

مدّ الاختصاصي يده وربّت بها كتف الشاب قائلاً:

- لا تيأس يا بني.... عليك أن تكون قوياً... ماذا كنت تعمل؟؟!

- حدّاداً..

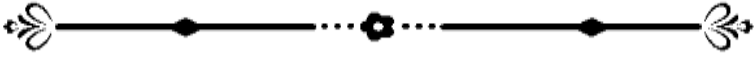
² * صفيحة DHS: صفيحة عظمية من معدن التيتانيوم مقفلة بزاوية 135 درجة تستخدم لتنبيت كسور العنق الفخذي

أعار الاختصاصي انتباهه لإجابات الشاب المقتضبة فقال بهدوء:

- هل تستطيع إخباري عن تفاصيل الحادثة؟؟!

أكفهرّ وجه الشاب وثبت فكّيه ببعضهما بواسطة أسنانه بقوة ثم قال
بلكنته الهاوائية بصوتٍ محتقن:

- قلتُ لأبي مراراً إنّني لا أحبّ هذا النوع من العمل... لكنّه أجبرني على مرافقته كلّ يوم حيث العمل طيلة النهار بشكلٍ متواصل... حاولتُ مغافلته والتّحضير للامتحان....هه... (ابتسم الشاب بأسئى) كيف السبيل ولقد استطعتُ بعد عناءٍ النجاح بامتحان المرحلة السابقة بسبب عدم اقتناعه بالدراسة... إنّهُ يكره العلم! ودائماً يلقي اللوم على الأطباء والمشافي ويهذي مُدّعياً أنّ الأمراض لم تتفشّ إلا بكثرة أعداد الأطباء والمنشآت الطبية... وإلا كيف سيُرزقون؟!.. (ثم بكى الشاب مستدرّكاً)... أستغرب بكائي الآن على الرغم من استسلامي للأمر الواقع عليّ وعلى مستقبلتي... لكنني لا أظنني أستطيع نسيان تلك الحادثة التي سحقت قلبي قبل يدي... هل تصدّقون؟!..... في ذلك اليوم رفضتُ الذهاب للعمل... وتشاجرتُ مع أبي لأنني ضقتُ ذرعاً بهذا التعب الجسديّ وملازمة الورشة الحارقة بحرارة فرنها المستعر والشرارات المتطايرة من المناشر الحديدية الحارقة للعيون، لكنّه أصرّ على مرافقته وإلا سيطرّدني من البيت.... في ذلك اليوم... طُلب إليّ إحضار لوح معدنيّ من القبو... لم أكن ملماً تماماً بالمكان المقصود.... ذهبتُ سريعاً يدفعني الغضب نحو أقرب لوح لمحطته عيناوي... سحبته دون أن أدرك



أنّه الداعم الوحيد لمنع سقوط الألواح المعدنية (ابتسم ليكو هازئاً) لحسن
الحظ أن حاسة السمع لديّ كانت جيّدة عندما سمعتُ صوت احتكاك
الألواح الخفيف في البداية وهي تستعدّ لتهوي إلى الأمام، سرعان ما رميتُ
اللوح من يدي وأنا أحاول إرجاع الألواح الهاوية.... لكنّ ثقلها وضيق
المكان لم يترك لي المجال للهروب بسلام!... هذه قصّتي أيها الطبيب...
ظلّلت غمامةً من الصمت المثقل بالألم والحزن لما ألمّ بهذا الفتى من واقع
قاسٍ ومرير!

ماكان الألم ليضعف لولا قسوة والده وإخضاعه لتقرير مصيره دون أدنى
رحمة!

إنّ من له دورٌ في تخفيف العذاب أو مضاعفته هو الأجدر بتلقّي الشئ أو
العقاب... لكن ماذا لو كان أقربُ الأشخاص إلى القلب هو السبّاق
لطعنه؟!.. لقد كان والد الشاب السبب الرئيسيّ للفجوة المظلمة الحاصلة
بين الأب وابنه الذي كانت أقصى مطالبه منحه الفرصة لشقّ طريقٍ
مناسبٍ له في هذه الحياة، فهل كانت اليد ثمناً يدفعه الأب لتعنته وفرض
قوقعةٍ يقضي فيها الابن على فرصة حياته التي مُنحت له؟! أم كانت النتيجة
هي الحلّ الوحيد لتحرّر الشاب وقطع قيده ممّا يقيدّه!!

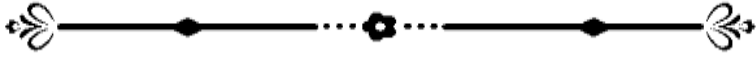
- نعم يا بني... إنها فرصتك لتعيش من جديد... وتقرّر ما تريده أنت... يدك
التي فقدتها.. سنقوم بتعويضها بأخرى اصطناعية على وجه السرعة

ابتسم الاختصاصي ابتسامته العريضة المشرقة، فضجت الغرفة بعبارات الامتنان والشكر من قبل المرضى تحت تأثير دفعة التفاؤل التي سرت لها النفوس واستبشرت بها القلوب..

برقت عينا الشاب لدى تجمع قطرات الدموع الممتدة في مقلتيه ثم حاول التحدث بثبات:

- عندها سأبرهن لأبي أنّ تطوّر العلم الذي يسعى لدحره هو ما سيعيد لي يدي التي فقدتها بسببه
- نعم يا بني... العلم ومن أجل العلم نحن نحيا....

(قالها الاختصاصي وهو يضغط على كتف الشاب بقوة)



الفصل الخامس

(مشفى الملكة)

- والآن.... ابدئي بخياطة الجلد....

نظرت سام بطرف عينها نحو مقيمتها العليا _ مقيمة السنة الثالثة لاختصاص الجراحة العامة _ ومشاعر الغيظ قد اجتاحتها، لكنّ قناع الجراحة الطبي (الكمامة) استطاع أن يخفي ملامح وجهها المتبرّمة، فلم تعلم المقيمة العليا بما اعتلج في نفس سام من اضطرابٍ وضيقٍ لعدم سماحها بالمشاركة في أبسط الأعمال الجراحية كاستئصال الزائدة الدودية الملتهبة، حتّى أنّها ضنّت عليها بخياطة الطبقة العضلية تحت الجلد! إن استمرّ الحال على هذا المنوال.. فلن تتعلّم سام شيئاً!

إنّ أحد مساوئ هذا المشفى وأكثرها ضيقاً هو اتّباع النظام الهرمي في برنامج الإقامة..

فعلى مقيم السنة الأولى أن يتّبع أوامر مقيم السنة الثانية وربّما عليه تملّقه وتصنّع الودّ معه مقابل نيله تقدّماً على طريق الاختصاص. كان ذلك أمراً عسيراً على سام..!

قالت سام بصوتٍ حازمٍ لإحدى الممرضات:

- خيط نايلون قياس 3\0

قالت المقيمة العليا:

- قومي بإجراء خمس غرزٍ فقط... ثم ضمّدي الجرح وابعثي بالمريض إلى الجناح.... و..... (اقتربت من أذن سام هامسةً ومتوعّدة) ... اهدئي... وكوني لطيفة..... (ثم غادرت غرفة العمليات)

امتقع وجه سام غضباً لكنّها أمسكت عن الحديث وبدأت بالخياطة بيدين مرتجفتين.

أحسّت بيدٍ تربّت بلطفٍ كتفها، ثم سمعت صوت صديقتها مقيمة طب الأسنان الشرعي المتدربة في المشفى:

- خذي نفساً عميقاً... ثم خذي الأمور ببساطة

- إنها لا تريد أن تعلّمني...

- لو كنتُ مكانها... لفعلتُ مثلها...

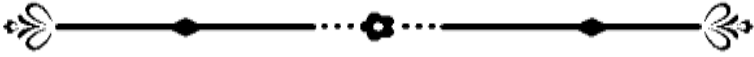
- سينا!!... (صرخت سام بصوتٍ مرتفع)

فابتسمت الصديقة بلطفٍ:

- اهدئي... كاد يستيقظ مريضك من تخديره!

خلعت سام رداءها الجراحيّ ومشاعر الغضب قد أوغرت صدرها ثم سارت برفقة سينا في رواق جناح العمليّات قائلةً:

- ماذا أفعل... إنّها لا ترحمني... وكأنّها تتعمّد إغاظتي... أخشى حقاً ألاّ أفد من إقامتي هنا شيئاً... توكلّ لي مهام الضماد وخياطة الجلد فقط... تخيلي...



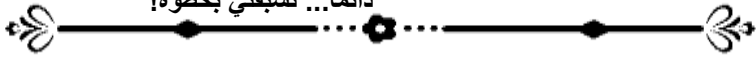
حتى جميع مرضى فغر القولون... فإنّها تحرص على أن أكون أنا من يغيّر لهم
أكياس الكولوستومي³!!! على الرغم من وجود خمسة مقيمين غيري!!
- سام عزيزتي... أظنها تريد أن تلقّك درساً... في رأيي عليك أن تعدّلي
طريقة تواصلك معها... ذكاؤك العاطفي يا عزيزتي صفر..
- ها..!!

- تستطيعين بشيء من اللّين وحسن المعاملة أن تنوّميهما مغناطيسياً... لك
الخيار... أكياس الكولوستومي وخياطة الجلد... أو عمليّة كاملة بإشرافها
هي، ابتداءً من المشرط حتّى الضماد... مع كامل المعلومات العلمية والعملية
التي تريدينها...!! إنّ هذه المقيمة ومن خلال تواصلها معها في جناح
الإقامة... يسهل جداً التعامل مع شخصها وتكييفها كيفما أردت!
قالت سام بازدرأ واضح:

- اختصري كلّ ذلك بكلمة... وهي التملّق!
ابتسمت سينا مفكّرةً:

- اممم..... ليس التملّق في معناه الحقيقي!... أريده أن يكون (ثم أشارت
بإصبعها نحو قلب سام) نابعاً من قلبك...
نظرت سام في عيني سينا الحادتين ثم قالت مستنكرةً:
- هل كنتِ تعيشين في المدينة الفاضلة؟!

³ أكياس الكولوستومي: هو كيس طبي قابل للإزالة يُعلق على فتحة موجودة في بطن المريض يتم تغييره كلّما امتلأ بالفضلات التي تخرج من هذه الفتحة الموصولة بالقولون.



تنهّدت سينا ثم تابعت سيرها يائسةً:

- أكياس الكولوستومي أقلّ ما تستحقّينه!

لحقت سام بها سريعاً ثم أدركتها:

- تعلمين أنّي ألتزم حدود الأدب معها صحيح؟!.. لا أستطيعُ أن أكون

متسوّلةً أستعطفها لتجودَ عليّ بعلمها..!

- انظري لنفسك.... الشراسة وغلاظة المجابهة حتّى لو اتّسمت بالصمت

والوجوم في مكانٍ أنت فيه أضعف من الطرف الآخر.. لن يوديا بك إلا إلى

الهاوية!.. لا يكفي الاحترام!... اسمعي.. (ثم أخرجت قلماً من جيب

ردائها الأبيض ودفترّاً صغيراً وبدأت برسم مثلث)... إنّها منظومةٌ كاملة...

عليك أن تكوني محترمةً ومهذّبةً في الدرجة الأولى... صوتك لطيفاً...

ردود أفعالك هادئة... نظرات عينيك... إيماءاتك... حركات رأسك

وجسدك... تركيزك على انتقاء الكلمات المناسبة تماماً للموقف الحاصل...

وأخيراً... ثقتك المتوازنة بين درجة الغرور ودرجة التضعع يحكمها الموقف

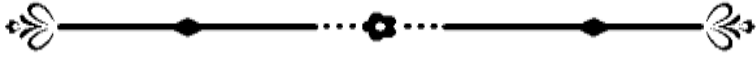
والشخص... حينها فقط... (ثم أحاطت المثلث بالدائرة)... ستسيطرين على

كامل القضية... ببساطة.... لا بأس بالتحليّ ببعض التواضع لمن بيده خيرك

ومنفعتك...

- قوّتك الناعمة مخيفة! (قالت سام محدّقةً بدهشة في عيني سينا الملقّنتين

ثم تابعت)... وأين يكمن القلب؟!



- ستنبو المشاعر القلبية وتزدهر مع مرور الوقت.... هذا إن أردت لها ذلك.... إن أتقنت ما أخبرتك به... عدوك نفسه سيصبح صديقاً لك.... وإن لم ترغب في تطوّر العلاقة.. حسبك مرادك المحقق..

- سينا... هل طبقت هذه التقنية عليّ حتى صرنا صديقتين؟!

ابتسمت سينا ضاحكة:

- كان الإيقاع بك سهلاً جداً...

حدّجتها سام متسائلة:

- هل غايتك مأرب أو صداقة؟!

- مأرب؟!.... (صاحت بصوت مكبوت)... وأيّ مأرب أحققه من صداقتي

هذه؟!... أنت كتلة من المتاعب!

برقت عينا سام متذكّرة:

- لقد أحبّ فريدريك كتلة المتاعب هذه... كيف تفسّرين ذلك؟!

افتّرتُ غرُ سينا عن ابتساميةٍ وديعة:

- ليس للحبّ تفسير...!

كادت سام أن تسألها سؤالاً جديداً لكنّها أضمرت ما أثار استغرابها عن هذه

الفتاة الغريبة!

تكادُ تكون سينا الشخص الوحيد بعد خاطبها فريدريك تطمئنُّ له..

فعلى الرغم من حذر سام الدائم من عواقب التعرّف بالأشخاص الجدد، فقد

استطاعت هذه الفتاة -سينا- أن تفتح كلّ أقفال شخصيتها بأسلوب

تعاملِ ذكيّ وفطنٍ يحكمه ويسيطر عليه قلبها النقيّ وروحها الصافية من شوائب وكدر النفس البشرية.

- صباح الخير...

جفلت الفتاتان لدى سماعهما صوت مايكل القريب ثم استدارتا لتجده برفقة أسامة يسيران:

- خيراً...

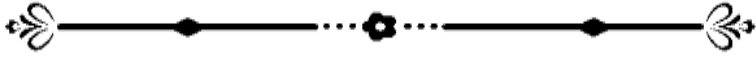
(قالت سام بصوتٍ حانق)

- أُلقي تحية الصباح على سيناء... أمّا أنتِ فمن تحدّث إليك؟!

لطالما كرهت سام مايكل هذا!

إنّه شخصٌ متواكّل وغير ملتزمٍ ببرنامج الإقامة لاسيّما في المناوبات الليليّة في قسم الإسعاف، حتّى إذا قدِمَ وحضر مناوبته، قلّما يتحرّك من مكانه جالساً على كرسيّه ممسكاً هاتفه المحمول أغلب الوقت، ومكتفياً بتسجيل أسماء الوافدين من مرضى الطوارئ واضعاً إشارة (صح) بجانب التحاليل الواجب إجراؤها والصور الشعاعية اللازمة، كلّ حسب حالته!

لم تنسَ سام المرة الأولى التي التقت به في إحدى المناوبات المشتركة عندما افتعلت شجاراً تصادماً من خلاله بالتهم والتوعّد، فكانت سام ترشقه بأحكامها وإدانتها له بإهماله لفحص المرضى، ومايكل يستنكر عجزها عندما تُملي عليه ما يجب فعله عند مخاطبتها له بلهجة عدوانيّة متبجّحةً بخبرتها في تدبير مرضى الطوارئ وكأنّها تستمتع بإحراجها ليظهر أمام



الحاضرين من ممرضين ومرضى ومقيمين آخرين بمظهر الأخرق لا يفقه شيئاً مما يعمل!

- تعلّم لتساعدني...

- علّمني...

وعندما كانت تسعى لئيلم بشيء مما تقوم به، تجده شخصاً بليداً بدا جلياً أنّه يدعي الغباء ليتملّص من العمل! فبذلت كلّ طاقتها في تعديل البرنامج ليتّم إعفاؤها من المشاركة معه في المناوبة بل ومن ملاقاته حتّى في أروقة المشفى، لكن.. كيف السبيل وبرنامج السنة الأولى حافلاً بالمهام الجماعيّة؟!

تكبّدت سام المعاناة وذوقت من الخيبات ما لا يستطيع غيرها تحمّله! إذ مُنيت بوالدين منفصلين تخلياً عنها مذ بلغت سنّ الرشد غير آبهين بمستقبلها وأحلامها التي كانت أوسع من الكون!

ما اضطرّها للعمل والدراسة واصلّة الليل بالنهار قد قوقعت نفسها في صندوق الانشغال متناسيةً الحزن العائليّ والدفع المنبعث من تفاصيله، ولعلّ هذا الباعث قد علا بها إلى القمّة حيثُ هي الآن! حيث تعارك مايكل وتقاوم مقيمتها العليا المتسلّطة مقاومةً لطيفةً ما أمكن! كلاً... ليس هذا ما أرادته!

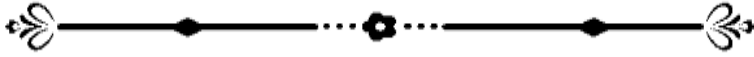
لقد أخطأت سينا عندما وصفتها بكتلة المتاعب!

الحقيقة أنّها محاطةٌ وغائصةٌ بكتلة المتاعب هنا في هذا المكان!

تنهّدت في أعماقها عندما أدركت حجم اليأس الذي يملكها الآن!
لقد اشتاقت لرؤية فريد..
خاطبها وصديق طفولتها الذي لم ينقطع عن مساندته لها في أقسى أيامها
وبأسها!

هذا الصوت..... هذا.... الصوت...!!
- تعلم أنّ صوتك قبيحٌ جداً..... لماذا تُشهره بهذه الطريقة الصاخبة!
حدّق الثلاثة بسام التي دوّت كلماتها الأخيرة في وجه مايكل في رواق
جناح العمليّات..
صرخ مايكل معنّفاً:

- أقلّه لا يُقارن بقبحك وبشاعة شخصك!
تراجع أسامة وسينا منسحبين بهدوء من الجوّ المشحون بشرارات الغضب
المتصادمة والصراخ المكبوت عبثاً!
هُرع الأطباء المجتمعون في غرفة الاستراحة لاستطلاع هذه اللجّة، فكانت
حصيلةُ هذا الشجار عقوبةً اقترحها رئيساً قسماً الجراحة العظمية
والعامة قد رُفعت بحقّهما... مناوبةً في قسم الطوارئ لثمانية وأربعين ساعةً
متواصلة، تلاها درسٌ من الموعظة في واجب التحلّي بالأخلاق والحكمة
والهدوء قد ألقاها على مسمعهما جميعٌ من في المشفى بمن فيهم المرضى
الحاضرون!!



الفصل السادس

(دايموند هيد)

كانت الدّراجة المائية تشقّ عباب المحيط مخلفّة وراءها بمحرّكها القويّ لجةً من الأمواج البيضاء المتلاحقة..

بدا فريدريك وهو يقودُ درّاجته الخاصّة مرتدياً بدلة الغوص المطاطيّة، واضعاً الخوذة المزوّدة بجهاز استقبالٍ وكاميرا لتصوير الحدث الرياضيّ الممتع، ماهراً ومتقناً لأنواع الرياضات البحرية..

لقد أحبّ هذه الرياضة المائية مذ كان في العاشرة من عمره، وبذل في سبيل تعلّمها وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً عندما صمّم على اكتسابه هذه المهارة الشاقّة! لا سيّما وقد كان عليه إتقان عدّة نشاطاتٍ مائيّةٍ قبلها.. فأجاد السباحة والغوص وركوب الأمواج الطويلة والقصيرة على المزلجة النفاثة، واصلاً إلى مبتغاه في إحكام سيطرته على الدراجة المائية ذات المحرّك النفاث...

أشارت الساعة على شاشة الدراجة إلى السادسة صباحاً، ما يعني أنّ الوقت لا يزال باكراً، لذا قرّر خوض مغامرةٍ جديدةٍ وقام بإجراء جولةٍ استغرقت ثلاث ساعاتٍ حول كامل شاطئ جزيرة "أواهو" ابتداءً من شاطئ "وايكيكي" -مكان إقامته مع عمّته- باتجاه منطقة "سنسيت sunset" الواقع شمال

الجزيرة - حيثُ يعهدُ بدرّاجته في أحدِ المستودعاتِ هناك - ثمّ عائداً باتجاه الجنوب...

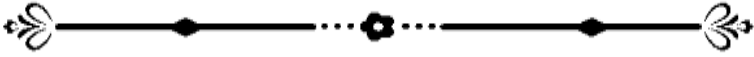
أحبّ فريدريك المحيط وامتّن في أعماقه أنّه ترعرع في "هونولولو" على الجزيرة المعزولة المكتفية بمركزها العالميّ الدولي المشهور. عاش وحيداً مذ كان في الخامسة من عمره في كنف عمّته التي تولّت مهمّة رعايته بعد أن قُتل والداه في حادثة إطلاقٍ للنار المتبادلة بين مجرّم هاربٍ وضباط شرطة "هونولولو" HPD عندما اتخذَ المجرّم الوالدين وابنهما رهناً في سبيل السماح له بالهرب..

عانى فريدريك كثيراً حتّى استطاع نسيان تفاصيل هذه الحادثة المروّعة إذ كانت الطريقة الوحيدة في رأيه هي إلهاء نفسه وإطلاق عقله وقلبه في جوّ من الحماس والاندفاع والمغامرة، مبتعداً ما أمكنه عن الحياة الساكنة الخالية من الإثارة المشتعلة.

أنهى فريدريك جولته الصباحية، ثم استلقى على الشاطئ الذهبي وهو يراجع ما صوّره الكاميرا الموصولة بجوّذته مختالاً بالعرض التصويريّ الذي قدّمه لتوّه.

رنّ هاتفه المحمول فكان المتّصل عمّته..

لابدّ أنّها تدعوه لتناول طعام الإفطار برفقتها وعليه ألا يتوانى عن طاعتها والخضوع لكلّ أوامرها، إلّا شيئاً واحداً..! وهو اختلافه معها في طبيعة المشاعر... فهي المرأة الرقيقة المتّزنة وهو ابن أخيها المتهوّر الأهوج غير



المكثرت لما يمنحه التروّي من فُرصٍ حياتيّةٍ وعلاقاتٍ اجتماعيّةٍ مرموقة...
لقد أيسّت العمّة من دعوته لحضور جلسات التأمل المقدّسة لديها في
الحديقة ذات الإطلالة الساحرة، إذ كان ردّه في كلّ مرّة تناشده فيها ليُغوص
في أعماق ذاته، هو أنّه من الأفضل له أن تبقى هذه الأعماق راكدةً بلا أيّ
عبث...!

فمنّ هذا الذي بحاجةٍ لتنشيط ما عمل على تنويمه ثمّ دفنه وكتمانه ليبقى
بعيداً عن ممارسة تأثيراته السلبية على الحياة والواقع!
كثيراً ما أكّدت عمّته - عندما تلاحظ انخفاض حدّة مزاجه مساءً وإحباطه
المسيطر - على ضرورة إدراكه أنّ الحياة خليطٌ تمتزجُ فيه كلّ المشاعر.. وأنّه
سيكونُ أفضل حالاً لو قيّد هذه المشاعر بالهدوء والحكمة وغلّفها
بالعقلانية وسعة الإدراك فيتنبّه إلى أنّ السعادة الصارخة سيتبعها كسادٌ في
الحماس وخمودٌ في الشغف!

عبثاً حاول فريدريك فهم عمّته!

الآن فقط هو المهم... الحاضر... صنع سعادةٍ وبهجة..

ها قد تعلّم وأنهى دراسته في الجامعة وأتقن ما يحبّ من الرياضات وخطب
من خفق لها قلبه..

والآن.. حصل على وظيفته الجديدة..

العمل مع المنظّمة الأمنية S والتي يبدو أنّها تحبّى له الكثير من المفاجآت
الحماسيّة السارّة..

وكما توقّع تماماً... لم تبارك عمّته قبوله مثل هذا النوع من الأعمال الأمنية الغامضة!

ضغط فريدريك على زرّ جرس المنزل الواقع على بعدٍ سير ربع ساعةٍ على الأقدام من شاطئ "وايكيكي"، فسمع صوتَ وقع أقدام عمّته الرشيقة قبل أن تفتح له الباب مبتسمةً ابتسامتها العطوفة وهي تعانقه:

- تأخرتَ يا صغيري..

- عمّتي... هلّا توقّفتِ عن مناداتكِ لي بهذا!.. ثم إنَّك تبلغين من العمر ما يفوق عمري بخمسة عشر عاماً فقط...

رمقته العمّة نينا مؤنّبةً:

- أنتَ صغيري... واضح؟! -

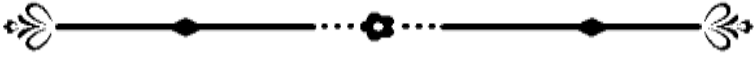
- واضح..

ابتسم فريدريك متداركاً الموقف، ثم صعد إلى غرفته ليغيّر ملابسه شبه المبلّلة وقد وضع حقيبته الرياضية في الردهة..

شرعت العمّة نينا بإفراغ الحقيبة ونقل ما فيها من ثيابٍ إلى غسّالة الملابس..

كانت تستمتع بصباحها الروتينيّ هذا يومياً..

تستيقظ باكراً بعيداً الفجر بقليل..



تغتسلُ ثم تحضّر قهوتها "كونا الملكية" النقيّة المشهورة في "هاواي" والتي يكمن سرّ نكهتها في طريقة تحضير المنتج يدويّاً من خلال انتقاء حبوب البنّ بدقّة وعناية ثمّ تحميصها وتغليفها في غلافٍ أنيق..

وعلى الرغم من تكرار هذا الروتين إلّا أنّها كانت تعيشه كلّ يوم وكأنّها تعيشه لأوّل يوم!

ربّما يجدّده نوع الكتاب الذي تختار مطالعته وهي تحتسي قهوتها الساخنة جالسةً على مقعدها في فسحة حديقة منزلها المطلة على الشاطئ البعيد.. كانت تحرّص على إيقاظ ابن أخيها ليشاركها الاستمتاع بهذا الصباح، وتُرجمه على ذلك إلى حدّ ما، لكنّه كان يفضّل النوم عندما تكون ليلته السابقة حافلةً.

أو يستيقظ ليحتسي القهوة سريعاً ثم ينطلق ليمارس رياضاته المفضّلة على شاطئ المحيط...

اعتنت العمّة نينا بابن أخيها عنايةً فائقة!

اهتمّت به وتمسّكت بواجبها نحوه ساعيةً بأقصى ما تملك من طاقةٍ ووقتٍ لتعوّضه عن فقدانه والديه في ظلّ ذلك الحادث المريع فتعلّقت به تعلّقاً شديداً وأفرغت عليه من حنانها وحبّها ما قد يفوق عاطفة الأم!

ولعلّ ذلك كان سبباً لتملّص فريد من قيودها الهشّة، فانجذب للهو والعبث الذي خفّف من روعها كونه طفولياً لا يتجاوز مستوى ألعاب الفيديو المتطورة وشغفه المستمر ببرمجتها وهواياته الرياضيّة الخطيرة!

إذ أنها لم تنس تلك الأيام التي قَدِمَ فيها إلى المنزل مصاباً نتيجة تمريناته البحرية وتدريباته القاسية في سبيل إتقانه رياضةً لم يكتفِ بها كهوايةٍ يزجي بها أوقات فراغه بعد تحدٍّ برمجيٍّ خاضه حقّق فيه المزايا المعقّدة التي أرادها!

وفي الواقع.. لا تزال أيام الشتاء التي يهوج فيها المحيط من أفزع ما تمرّ به، لا سيّما عندما يختار ذلك الشاطئ الشمالي شاطئ "sunset" والذي يمثّل تحدياً لراكبي الأمواج المحترفين في أشهر الشتاء إذ تبلغ طول الموجة ثلاثين قدماً!

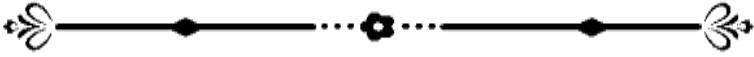
عليها ألا تفقدَ الأمل من إسداء النصائح له..

فإن كان يظنّ أنّه لا يملك ما يخسره فهو مخطئٌ جداً...

لديه حياةٌ مديدةٌ وصفحاتٌ بيضاء تنتظر ما يخطّه عليها من أمجادٍ وسعاداتٍ ممتزجةٍ بدروسٍ تجوّد بها الحياة عليه فتقوّيه وتمدّه بالخبرات والحكمة الضرورية..

يملك كلّ ما يحتاجه ليحقّق هدفاً سامياً يطبع عليه اسمه وكيانه مستقيماً من المعطيات المتاحة في عالمه طوع يديه صانعاً المعجزات!

أدركت نينا لوهلية أنّ حماسها وخيالها التوّاق قد أبعداها عن الواقع، فتنهّدت وهي تضبط برنامج آلة الغسيل ثم ذهبت إلى المطبخ وشرعت بتحضير



أطباق الإفطار الهاوائية التي يحبّها فريد الذي سمعت صوت وقع أقدامه على
السلام مسرعاً..

- ألا تزالين تزيّنين طاولة الطعام بهذه الزهور الاستوائية؟!
- عليك أن تُدرك أنّ أزهار البلوميريا⁴ تمثّل الأملّ والبدايات الجديدة
- أنتِ تقليديّةٌ يا عمّتي...
- أقدسّ تقاليد حضارتنا... لا سيّما تلك التي كانت جدّتك تحرّص على
الاعتناء بها..

- أجل فريد نظره في أركان المطبخ ثمّ قال:
- عليك أن تخرجي من قوقعة التقاليد يا عمّتي... جدّدي هذا المطبخ...
- وغيري نوع الأزهار مثلاً لتلك التي ترمزُ للثروة والتنوّع... ماذا يسمّونها
ياترى؟!... ربّما هي زهرةُ الزنجبيل أو الأوركيد!
- تبدو غريباً اليوم... إنّها المرّة الأولى التي تركّز فيها على تفاصيل كهذه!
- ربّما لأنّ طبيعة عملي الجديد ستجبرني على التركيز
- كانت العمّة تمضغُ طعامها ببطءٍ وهي تنظر للطبق أمامها ثم قالت بهدوء:
- أخشى أن تكون مخطئاً في قرارك يا فريد.... لديّ شعورٌ خفيّ لا
يطمئنني..

- اهديني يا عمّتي... (ثمّ ضحك سريعاً).. الأمر لا يتعدّى كونه مراقبةً أمنيّة

⁴ أزهار البلوميريا: من أهمّ الزهور الشعبية المشهورة في حضارة هاواي ذات لون ورديّ أو أصفر
كريميّ رائحتها الجميلة قويّة وترمزُ للخلود والربيع

- أنت شخص طيب... وأرجو لك الخير في كل لحظة من حياتك يا صغيري
الخير!!

فكر فريد وهو يتجرّع كأس الكوكتيل فيما سيُقدم عليه!
لم تكن شروط التعاقد مع المنظمة عادية!

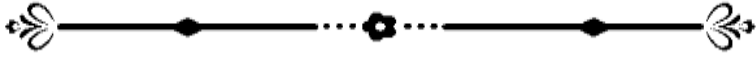
بدا فريدريك لعمته هادئاً جداً على غير عادته... وربما هذه المرة الأولى التي
يتناول فيها طعام إفطاره دون أن تشاركه نغمات موسيقاه الصاخبة وهو
يفكر بشيفرة برمجية يبتكرها لإنجاز برنامج جديد أو يجري مكالمة يرتب
فيها مواعيده اليومية مع أحد أصدقائه أو يتابع فيديو صوره في أثناء قيامه
برحلة الغوص أو ركوب الأمواج!

استذكر فريدريك موعد مقابلاته الأولى مع رئيسة المنظمة جنيفر منذ
شهرين و تكررت بعدها لقاءاته معها ومع أشخاص آخرين إلى أن حان
موعد العمل الرئيسي
والآن...

أنهى إفطاره وارتدى ملابسه الرسمية ثم استقل سيارته باتجاه مخروط
"دايموند هيد" إلى أن اجتاز النفق الشمالي نحو مركز الفوهة حيث مبنى
المنظمة الأمنية S

رصف سيارته في موقف السيّارات الخاص بالمنظمة مستطلعاً المكان فسمع
صوتاً يقول له:

- تفضّل من هنا



رأى الحارسَ الجالسَ في كбинته المنزوية بجانب المبنى وهو يوجّهه نحو المدخل الرئيسي ومنه إلى الطابق الأول حيث مكتب رئيسة المنظمة S السيدة جنيفر التي نهضت من فورها متسائلةً:

- جاهز؟؟

- بالتأكيد..

سارا معاً خارج المكتب، متوجّهين نحو المصعد الذي نزل بهما إلى الطابق الثاني تحت الأرض..

فُتح المصعد على ردهةٍ واسعة تضمّ عدّة غرف..

توجّهت جنيفر نحو ممّر ضيقٍ جنوبيّ المبنى يقفّ مقابل غرفة المصعد ، ثم سارا فيه بضعة دقائق حتى وصلا إلى مصعدٍ غريبٍ لا يشبه سابقه! استقلّاه ليهبط بهما مدّة دقيقتين..

همس فريدريك مبتسماً بسذاجة:

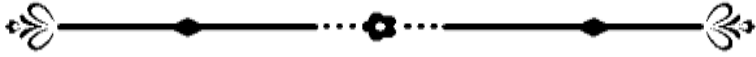
- ظننّت أنّ المبنى فقط ذاك الجزء الظاهر فوق فوهة "دايموند هيد"

التزمت جنيفر الصمت وهي تمسح حبات عرقها المتجمّعة على جبينها إلى أن فتح باب المصعد عن ردهةٍ مربّعةٍ واسعة...

- هل نحن في المحيط الآن؟!

- ليس تماماً... نحن الآن في قعر مخروط "دايموند هيد".... (ثمّ حدّقت به بلامح مضطربة).... في مكانٍ يدعى المربع الناريّ الأزرق فوق سطح المحيط بخمسين متراً فقط..

- ألهذه الدرجة الأمر سري؟!
- ليس سرّاً بقدر خطورته لو انتشر بين الناس... كل ما في الأمر أنّ عملك يحتاج تركيزاً وهدوءاً شديدين...
- قيل لي ذلك... والآن... ماذا سأفعل بالضبط؟!
- ابتسمت جنيفر مداريةً قلقها ثمّ قالت:
- عليك أن تصغي جيداً لما سيُقال لك في الأعلى... (قادتُه إلى مصعدٍ آخر في الجدار المجاور وفتحت بابه متابعَةً) لا تزال لك حريّة الاختيار... فإن عدتّ إلى هنا.. سأتعاملُ مع الأمر على أنّك وافقتَ على بنود التعاقد مع المنظّمة بحذافيرها دون أيّ شروطٍ من قبلك..
- استقلّ فريدريك المصعد مستغرباً هذا التعقيد ثمّ قال لجنيفر بابتسامةٍ مأكرة:
- أمريكا وهاواي... يبدو لي أنّ الحقيقة عكس ما تبدو لي يا سيّدي!
- أمسكت جنيفر بتلابيبه هامسةً له:
- لا تتبجّح!.. هاواي ولايةٌ أمريكية... وستبقى ولايةٌ تحت الحكم الجمهوري.
- القسري؟!
- أفلتته جنيفر ضاحكةً ضحكاتها الخبيثة:
- أنتظر عودتك... فالحديث يطول..



الفصل السابع

(مشفى الملكة)

كانت سينا تجلسُ على سريرها في جناح إقامة مقيّمات الجراحة العامة وقد استيقظت لتوها وهي تنفضُ عن ذاكرتها آثار الكابوس المزعج الذي اعتادت تأثيره رغم تغيّر تفاصيله كلّ حين! تشاءبت وتمطّطت وقرّرت العودة للنوم..

تريد أخذ إجازة...!!

إنّها في المشفى وتريد الاستفادة من إجازة، الأولى بها أن تستفيد منها عندما تكون خارج المشفى!

بعثت برسالة قصيرة لسام: "أريد أن أنام... قدّمي لي إجازة... لا توقظيني" تعلمُ سينا أنّ لديها حسّاً مزاجياً!

وتدرك أنّ ذلك الأمر يزعجها لكنّها لا تستطيع تجاهل نداء إحساسها الداخلي.. هذا الإحساس الذي يجبرها الآن على النوم والتغاضي عن حسّ الواجب هذا اليوم، وغضّ الطرف عن مسؤوليتها... بل وعن المشفى... بل عن كامل "هاواي"!

إنّها بحاجة للراحة... فالتعامل مع الناس وملاستهم والتفكير بطرق شتى لتحافظ على علاقة متوازنة معهم أمرٌ مرهقٌ جداً!

ربّما لأنها لا تُجيدُ تجاهلَ التفاصيل وتبسيط الأمور التي تمكّنها من التصرّف على طبيعتها.

مضى على وجودها هنا مدّةٌ كفيلاً للتأقلم مع هذه البيئة الجديدة والحضارة الهاوائية الغريبة!

لكنّها لم تتأقلم بعد!

وهنا في "هاواي"... التغيّرات كانت كثيرةً... كثيرةً جداً!

اللّغة والشعْب والحضارة ونظامُ العمل والدراسة..

الطعام والشراب والعادات والتقاليد..

كلُّ شيءٍ هنا غريب..

استطاعت سينا التعامل أخيراً بما يتناسبُ مع كادر المشفى وطبابة "هونولولو"، إلّا أنّها لا تزالُ تبذلُ جهداً لا بأس به، فالتفكيرُ وتبسيطُ الكلام

وصياغة الجُمْل بما يتناسبُ مع الآخرين... أمرٌ صعب!

المضحك في الأمر.. أنّها لم تعج حتى الآونة الأخيرة تحيّة "هاواي" التقليديّة "ألوها"...

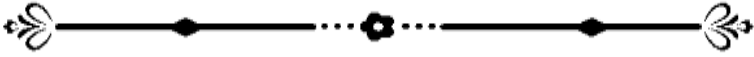
المضحكُ أكثرُ أنّها لم تكلف نفسها عناء الاعتياد عليها حتى تلقت

العتاب اللطيف من زملائها والأطباء الهاوائيين بأنّه يجبُ عليها تحيّيّتهم

بهذه الكلمة التي تمثّل الحبّ والاحترام والثقة من القلب، بغضّ النظر عمّا

تنتمي إليه أو تؤمن به، وكأنّها ستبعث لهم شيئاً من هذه المشاعر العميقة

إن قالت لهم: "ألوها"....!!



إنَّ معتقداتهم غريبة...

كلَّ شيءٍ على هذه الجزيرة له رمزٌ وخرافة، وعليها أن تكون حذرةً عندما تعبر عن رأيها بجمال ما تراه أو بقبحه!

فقد يكون ما هو جميلٌ في رأيها نذيرٌ شؤم، وما تراه قبيحاً قد يعني الحياة والخلود حسب ما تقوله الأساطير!

إنَّ ما عزَّز حذرهما هذا وسؤالها لسام فيما يخصَّ كلَّ ما قد تُقدِّم عليه، هو الموقف المخرج الذي لن تنساه أبداً، عندما تعرَّضت لتوبيخ المرأة الحامل في المشفى بعد أن قدَّمت سينا لها على سبيل التودد ثلاثٍ ورداتٍ إحداهنَّ مغلقةٌ قليلاً تعبيراً لها عن الأمنيات الحارة بولادةٍ سليمةٍ لها ولمولودها.. فضحك الجميع من حولها وتمَّ إخبارها بأنَّ الوردة المغلقة يعدّ نذير شؤم للمرأة الحامل فهي تمثّل الحبل السريّ الملتفّ حول رقبة الجنين! تداركت سينا الموقف سريعاً وأمطرت المريضة بوابلٍ من اعتذاراتها الحارة عندما أعلمتها بأنّها طبيبةٌ من خارج البلاد، إلّا أن المرأة انهارت بكاءً وهي تصرخ قائلةً:

- وماذا لو أنّ الآلهة لم تقبل اعتذارك؟! عليك أن تفهمي وتعي ما تقولينه!
- آلهة؟؟!! (قالت سينا بصوتٍ مستنكرٍ خافتٍ مستاءةً من طبيعة الموقف الذي جهلت التعامل معه بشكلٍ سليم)

استغرقت سام أسبوعاً كاملاً وهي تدرّس سينا حضارة "هاواي" وتُطلِعُها على أساطيرهم وخرافاتهم ورموز النباتات والأشياء مركّزةً على حرف (ل) في تحية "ألوها"

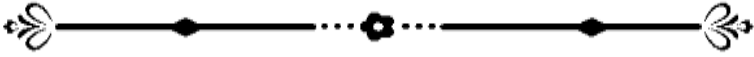
- ضحّمي حرف لام سينا... قولها مضخّمة... ضعي طرف لسانك في منتصف قبة الحنك وليس ملامساً لمقدمته!
ف قالت سينا باستهزاءٍ مضخّمةً جميع أحرف الكلمة:
- أَلَلللوووهاا

فرمقتها سام مؤنّبةً:
- إياك أن تعيدها أمام أحد!... إنّ شعب "كاناكا"⁵ يتّسمون بالمشاعر الحساسة واستنكار كلّ دخيل... فإن لم تحسني كسب ثقتهم واحترامهم.. ستكونين في ورطة!

لقد خاب أمل سينا بادئ ذي بدء، وهبط مستوى توقّعاتها عمّا كان عليه عندما صعدت على متن الطائرة المسافرة بها إلى مطار "دانييل إينوي - هونولولو" الدولي في جزيرة "أواهو".

رغم ذلك.. كانت مدركةً تماماً أنّ شعورها بالخيبة الآن، لن يتجاوزَ في مدّته هذا الصباح، وستكون بخيرٍ عندما تستيقظ، وأنّ مزاجها الحادّ الذي يسيطر عليها وعلى أفكارها، لن تستطيع التغلب عليه إلّا بالسّماح له بأنّ يصول ويجول في عقلها وقلبها كيفما يشاء.

⁵ شعب كاناكا: هم شعب هاواي الأصليين



وكونها لن تحتَمَلْ كلَّ ما يَبْثُّه في فِكْرها من دُخائل سَلْبِيَّةٍ ناتِجَةٍ عن تَضخيم تأثيراتِ المواقفِ المربكةِ الحاصلةِ سابقاً وتَهويلِ العواطفِ ثَقِيلَةِ الوَقْعِ على النفسِ، والتي تَهْدُدُ أَمْنها النَفْسيَّ واستقرارها الكامن، فسيَعْمَلُ دماغها على إسْكَاتِ

كلَّ هذه الدَلَجَةِ المضطربةِ بتخديرٍ عَمِيقٍ لِهَذَا الرَّأْسِ المَثْقَلِ والقلبِ المَتَذَمِّرِ! في الواقعِ.. كانت سينا على درايةٍ كَامِلَةٍ بأنَّها وعقلها على وِفَاقٍ تامٍّ، وأنَّهما وقلبها على جَبَلين متباعدين بُعْدَ "هاواي" عن مَسْقَطِ رأسها. على كلِّ منهما حَقُّ الوجودِ والحياةِ فقط..

فعلى القلبِ النَبْضَ وضَخَّ الدَمِ والغذاءِ في العُرُوقِ إلى الخَلايا.. وعلى سينا الاستجابةَ لِهَذَا النُوعِ مِنَ المَزاجِ المَسْتاءِ الذي بعثه قلبها لها كخطابٍ مَضْغُوطٍ بِمِشاعِرِ التَذَمُّرِ والاعتلالِ، عليها التَعَامُلُ معه وإِرضاءِ مَزاجِيَّتِهِ وهِوَاهُ!

إِنَّ شَكْوَاهُ تُرْهَقَهَا وتُعْظِلُهَا أحياناً عن أداءِ واجباتها.. وحَقِيقَةُ الأمرِ أَنَّها وعقلها يتعاونان على إسْكَاتِهِ وتَهْدِئَتِهِ حتَّى يَحِينِ الوَقْتُ المُناسِبُ لَتَعْيِرِهِ انْتِباهَها واستماعها لما يَبْثُّه من أَوْجاعٍ وأحْزانٍ واحتِجاجاتٍ مِثْلَةِ ثُمَّ تَأْخُذُ بِخاطِرِهِ وتَبَرِّدُ أَلَمَهُ المَحْمُومِ بِشَيْءٍ مِنَ الدُمُوعِ وترسله بِلُطْفٍ بعد ذلك إلى مكانه البعيد جداً عنها... حيثُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ! غَطَّتْ سينا في نَوْمٍ عَمِيقٍ مَتَذَكِّراً آخِرَ ما تَذَكَّرَتْهُ خَيالَ ذَلِكَ الشَّخْصِ مَرِيضِ المِشاعِرِ خَبِيثِ التَفْكِيرِ.

- المشفى اليوم على غير عادته!
(قالت سام متسائلةً عن سببٍ يجعل فيه مشفى الملكة يعجّ بالصحافة والوجوه الجديدة منتظرةً حدثاً مهماً..)

كانت جالسةً على كرسيٍّ خلف طاولة رئيس قسم الطوارئ الواقع في الطابق الأرضي من المشفى، وبجانبها مايكل وأسامة واقفين وقد أعاروا انتباههم جميعاً لهذه اللجة التي أناخت على ردهة المشفى

- ملاحظتك غير عادية!... (قال مايكل مبتسماً)... اليوم ستشهد قاعة المحاضرات لدينا حدثاً مهماً ستعلن عنه شركة "ميغا" للمستلزمات الطبية والأطراف الاصطناعية...

- حقاً؟!!

قال مايكل متفاخراً:

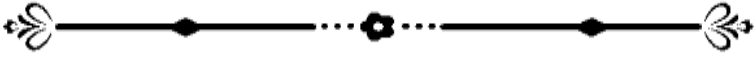
- لوالدي أسهمٌ معتبرة لدى الشركة
- أها!.. لهذا تبدو متغطرساً..

أوماً مايكل برأسه وقد ثبتت عينيه على سام متحدّياً ثم قال:

- سيكون لي شأنٌ كبيرٌ جداً هنا في المستقبل القريب..

- نعم... المال يصنع المعجزات... ويبدو أنك من أسياده يا سيّد مايكل!

أحسّت سام بالغيظ يحتاج أعصابها، فأَيّ حظٍ يملكه مايكل هذا ليحظى بإشرافه مستقبلياً وهو المقيم المهمل غير المسؤول...!!
قطع صوتُ أسامة تفكيرها الصامت قائلاً:



- في النهاية... أنت مجرد رجل أعمال... تاجر إن صح التعبير... لماذا تتعنت التزامك ببرنامج الإقامة إذا لم يكن هدفك أن تصبح طبيباً جديراً بثقة المرضى..؟!

تلملم مايكل ولم يُعر انتباهاً لتسلّط زميليه المزعجين لكنّه أدرك في أعماقه أنهما وبدافع غيرتهما المستترة خلف ستار الإباء والترفع عما يُعدّانه صغيرةً من صغائر الأمور، سيصّبّان عليه وإبلاً من الهجوم المستنكر لسلوكه ومبدئه الذي ينصّ في حقيقته على اختصار التعب والمعاناة بتفكيرٍ تجاريٍّ بسيطٍ يوفّر عليه القلق ومكابدة الجهد لينحصر مستقبله فقط في مجرد عقدٍ يوقعه مع مشفىٍ يجري فيه عملياتٍ في الجراحة العظمية تجودُ عليه بشيءٍ من المال الذي يعادل ربّما خمسةً في المئة مما ستجودُ عليه أسهمُ والده في هذه الشركة!

لاحظت سام أنّ ردهة المشفى مكتظةٌ بالناس الغرباء عن المنطقة.. قليلاً ما كان الأشخاص المحليّون يرتدون بدلاتٍ رسميّةً كهذه الثياب التي توحى بمظهرها بأنّ مرتديها رجال أعمالٍ مرموقون قد جاؤوا إلى "هونولولو" ربّما من ولايات أمريكا الأخرى.. أو من دول أوروبا قاطبةً!

ما يهمّها الآن.. هو الهدوء الطاغي على قسم الطوارئ وقلة عدد المرضى المراجعين، واكتفاؤها بمايكل وشموخه المغرور، كما أنّها تفهّمت انشغال فريدريك عنها في الأيام القليلة الماضية بحكم عمله الأمني، وقنعت بشيءٍ من التواصل القليل بينهما، فهي أيضاً منشغلةٌ عنه مذ قدمت إلى

المشفى واحتمل بعدها عنه وضالة اهتمامها به ما جعل العلاقة بينهما منذ ذلك الحين تنخرط في مرحلة من الفتور والتثاقل، حاول خلالها فريدريك وسام تجاوز هذه المرحلة بصعوبة بالغة، إلا أن التزامات سام الطبيّة وازدحام أيّامها عدا يوم العطلة الوحيد في الأسبوع قد حال دون العودة إلى سابق عهدهما من العاطفة المتأجّجة والأحاسيس المشحونة بالحبّ وشغف الوثام!

أمسكت سام هاتفها المحمول وكتبت رسالةً مفادها:
"أحبّك عزيزي فريد...."

وأرسلتها إليه.

- أحبّك عزيزي فريد...!!... ابتسامتك وبريق عينيك الآن... هل زارك طيف صديقنا فريدريك للتوّ؟؟!!

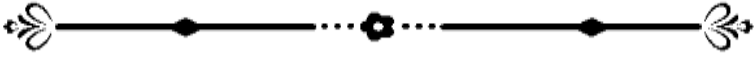
جفلت سام عندما قال مايكل ما قاله بعد أن مدّ عينيه إلى الرسالة المرسلة ثم وارت حياءها عبثاً، إذ امتقع وجهها بلونٍ أحمر مفضياً إخراجها، لكن أسامة غطى عليه بقوله مبتسماً:

- أنت وقح وثقيل الظلّ.... بالمناسبة... أين صديقتنا سينا؟!

- إنّها نائمة في الأعلى... وقد قدّمت لأجلها طلب إجازة..

- لكن لماذا وهي هنا؟!... هل هي بخير؟

- كلا.. لكنها ستكون كذلك...



أمسك أسامة هاتفه ليتّصل بسينا وفي أعماقه شعلَةٌ من عاطفةٍ ما تجذبه
للأطمئنان عن تلك الفتاة ذات الشخصية الرقيقة واللطيفة رغم ثباتها
وحزمها!

أراد سماع صوتها ولو كان نائماً أو ناعساً..
أرادَ فقط أن يُخبره أنّها بخير...

وربّما أن يلفتَ نظرَها لرغبته الصادقة في الاطمئنان عنها لدى غيابها عن
العمل!

أجال أسامة نظره بين الحاضرين محاولاً الاهتداءً لسببٍ واحدٍ يضطربُ له
قلبه كلّما ذُكر اسمُ سينا أو لمحتُها عيناه أو ميّزت أذنه صوتها ذي النبرة
الرّصينة الممتزجة بالرّقة الأنثويّة الجادّة!

أعادَ أسامة الهاتف إلى جيب رداءه الأبيض قلقاً من أن يُزعجها اتّصاله
وحزيناً لحالة الوحدة التي تعيشها سينا بمفردها دون اللجوء لمساعدة أحد!
إنّ سينا فتاةٌ قويّةٌ ويُعتمدُ عليها...

هادئةٌ وذكيّةٌ....

عفويّةٌ وصادقةٌ...

ما ضرَّ لو تخلّت عن شيءٍ من قوّتها تلك التماساً لمساعدةٍ أحدٍ ما..
وليكن أسامة مثلاً...

لكن...

هل ستقبلُ به عوناً لها!؟

تنهّد أسامة متخيلاً ردود أفعالها غير الودودة لو علمت بمشاعره الخاصة نحوها!

تكاد تكون سينا الفتاة الوحيدة التي استطاعت روحها التغلغل بين ثغرات روحه..

كيف ذلك وقد كان قلب أسامة منيعاً ومحصناً من الاستسلام لهذا النوع من العواطف؟!

تناول هاتفه مجدداً ثم فتح برنامج المراسلة متردداً في كيفية صياغة رسالة "الاطمئنان" تلك لتكون أوزن وأجمل ما يمكن..

فكتب.... ثم محاً...!

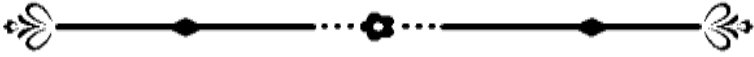
وأعاد الكتابة.... ثم حذف ما كتبه هلعاً من احتمال استنكار سينا لرسالته "الملغوزة" وعدم تقبلها ودّه وقربه!

هذا وارد....

لن يكون سهلاً على أسامة مجابهته بالرفض من قبل أول فتاة أحس ناحيتها بشيء من العاطفة والمودة الصادقة...

أعاد هاتفه إلى مكانه في جيب رداءه مُصغياً لمعاتبه مايكل لسام قائلاً لها بلباقة ولطف:

- اسمعي عزيزتي سام... لننسّ خلافاتنا السخيفة قليلاً.. هل يمكنكِ الاستماع إليّ؟!



حدّقت به سام مندهشةً للباقة المفاجئة ثم قالت والارتباك واضحٌ في صوتها:

- نعم..... تفضّل.....

- أشكرك جزيلاً... لقد عرفتك منذ زمنٍ ليس بالقصير ولا بالطويل... وعرفتُ سينا أيضاً... وفريد صديق الطفولة... واثقٌ أنني لست الوحيد الذي يلاحظ أنّك قد تظنّين نفسك بخلاف ما يجده الآخرون في شخصك... ولا بأس ببعض المحاولة لتُلفّظي شخصيتك الفظة ببعض صفاتٍ شخصيّة سينا الهادئة... فالجميع هنا يقولون عنك ما لا أرضاه لك.... ولو....

قاطعته سام والغضب يشتعل في عينيها قائلةً بهدوء:

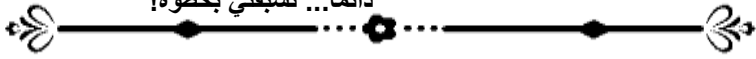
- أقسمُ لك... أنّك ستندمُ على كلّ كلمةٍ قلتَها... ولو أنّي لا أخشى ذلك العقاب السخيف بالمناوبة معك لأوسعتك ضرباً وإهانة... ثم إنّ سينا قد لا تكثرث لك وتظهر ما لا تبطنه... لكنني أوكدُ لك أنّها تكرهك كما أكرهك أنا... وتنفرُ من صوتك القبيح أكثر مني.. تحوّل صوتٌ مايكل لحقيقته الجادة قائلاً بذهول:

- هذا.. غير صحيح... أنتِ تكذبين...

- هه.... اسألها بنفسك وسترى..

عاجلهما أسامة بقوله:

- اهدأ الآن..... لا أظنّ أن بوسعكما المناوبة معاً أكثر مما مضى... (ثم استدرك متحمساً)..... مايكل أخبرني عمّا تعرفه عن شركة "ميغا"



- إنها مركزٌ طبيٌّ متكامل.

ابتسمت سام مستهزئةً:

- فقط؟؟؟؟... لدى والدك أسهمٌ في الشركة!.. وفسّرتَ الماء بعد الجهد بالماء؟!

زفر مايكل نفساً من أعماقه غاضباً ثم قال:

- اسمعي... إن كنتِ تكثرين للعقوبة... فأنا لا أبالي بها إطلاقاً... والآن

إنني على استعدادٍ لأفعل معكِ شجاراً لا تُحمدُ عقباه...

تجاهلته سام ثم قالت لأسامة:

- هل تعلمُ أنت شيئاً عن "ميغا"؟!

أوماً أسامة برأسه متحمساً:

- إنها شركةٌ مذهلة... أتابع تطوّراتها منذ زمنٍ بعيد... فهي لا تَقْنَعُ بما

تؤمّنه للمرضى مبتوري أحد الأطراف من راحةٍ وضمان، بل تسعى بكامل

جهدِها لتصنّع طرفاً يختلفُ عن سابقه بمزايا جديدة... ولقد كنتُ على

تواصلٍ شبه دائمٍ مع مريضٍ من بلدي الأم قام بزراعة طرفٍ صناعيّ من

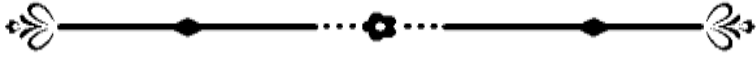
شركة "ميغا" ليده اليسرى التي بُترت بفعل حادث سيّارة... في الواقع... كان

أداؤه رائعاً...

- كان؟؟؟؟... وماذا عنه الآن؟!

تنهّد أسامة قائلاً:

- لقد انقطع اتصاله بي... وقيل لي إنّه في السجن!



- هذا سيئ...!!! على الشركة أن ترفض تقديم منتجاتها لغير الأسوياء
كالمجرمين واللصوص!
قال أسامة متردداً:

- أستغرب تورطه في ذلك...!!! بالمناسبة... إن "ميغا" ترفض تقديم خدماتها
خارج أرخبيل هاواي... وإن عمليات زرع الطرف الصناعي تتم فقط على
أراضي الجزر هنا حتى لو قدم المريض من أي مكانٍ آخر... المهم أن تتم
عملياته هنا على أرض الجزر..
قال مايكل متابعاً باهتمام:

- هذا صحيح.... رئيسها السيد ماكاني شخصٌ هاوائيٌ عنيدٌ وله قوانينه
الصّارمة... لكنّ المنظّمة الأمنية الأمريكية S تحول دائماً دون موافقته
وكأنّها تعتمد معارضته وعرقلة سير أعماله بشكلٍ غريب.... ربّما لكونه
ناشطٌ هاوائيٌ سابق!

- هيا بنا.... لم يبقَ الكثيرُ على موعد المقابلة الإعلامية مع "ميغا"
اكتظت صالة المحاضرات الواقعة في الطابق الثاني من مبنى مشفى الملكة
بالمراسلين الصحفيين والأطباء الاختصاصيين، وقد علّق على الجدار في
صدر الغرفة لوحةٌ كبيرةٌ للملكة الهوائية "ليليوكالاني"⁶ وتربعت تحتها

⁶ الملكة ليليوكالاني: آخر ملكة هاوائية تنازلت عن عرشها حقناً للدماء بعد الإطاحة بالملكة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية.

طاولةً مزدحمةً بمكبرات الصوت المطبوع عليها الشعارات الخاصة بقنوات وسائل الإعلام والرموز المرئية المميزة لكل برنامجٍ صحفيٍّ على حدة.. وقف رئيس ومؤسس شركة "ميغا" السيد ماكاني خلف الطاولة مرتدياً قميصاً أحمر هاوائياً ملوناً وبنطالاً قماشياً واضعاً في جيبه عقداً طويلاً من أزهار البيكاي⁷ والجاردينيا والكركيه.

بدا وجهه أصغر من وجه رجلٍ يبلغ من العمر سبعين عاماً لا سيما عندما انعكس عليه ومضاتُ فلاشات كاميرات التصوير الموجهة إليه. تنحى ماكاني ثم قال بصوتٍ متعبٍ باللغة الهاوائية شعار شعب كاناكا:

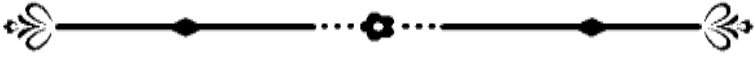
Aloha

Ua Mau Ka O Ka' Aina I Ka Pono

حياة الأرض تدوم بالبر

ولا يوجد برٌّ هنا على "هاواي" موطننا الأم إن لم نقم به نحن (ثم أشار بيده المرتجفة إلى الحاضرين) وكل شخص هاوائيٍّ أصيل... المجد لكاناكا..
توسط شعار شركة MEGA المزيّن بعقدٍ من أزهار "هاواي" على شاشة الإسقاط العاكسة، ثم أُطفئت الأضواء وأسدلت الستائر استعداداً لبدء الخطاب..

⁷ أزهار البيكاي: زهور الياسمين وهي الزهور المفضلة لوريثة العرش الأميرة كايولاني ابنة أخت الملكة ليليوكالاني



تابع ماكاني قائلاً:

- أشكرُ لكم ثقتكم بمرکزنا الطبي الذي سخر كادره وكامل جهوده لخدمة شعب "هاواي" على هذه الجزيرة، وسأحرصُ على اختصار خطابي ما أمكنني... ثم سادع الطبيب بيكا يجيبُ على كامل استفساراتكم..
توجّهت الكاميرات إلى زاوية الصالة حيثُ يجلسُ بيكا مع ثلّةٍ من الأطباء فأوما لهم بابتسامةٍ هادئة..

استدرك ماكاني قائلاً:

- ولأننا شعبٌ يحبّ الحياة وحرصاً منّا على ديمومة اسمنا المبارك وكإثباتٍ دامغٍ أنّ هاواي النقيّة الحقّ في النضال لحفظ حضارتها، فقد حرصت "ميغا" على متابعة التطوّر وعدم القناعة بحدودٍ لها تقيدّها في العلوم والطب..
ويُسعدني أن أُعلنَ لكم الآن عن آخر ما ابتكره أطبّاؤنا الجراحون ومهندسون بعد إجرائهم العديد من الأبحاث العلميّة على بعض المرضى المتطوّعين... اليد الذكيّة الالكترونيّة المطوّرة JAKO جاكو باتّصالها المباشر بواسطة الأقطاب مع عضلات المريض وأعصابه بعد غرسها ضمن العظم المبتور... وإليكُم آليّة عملها..

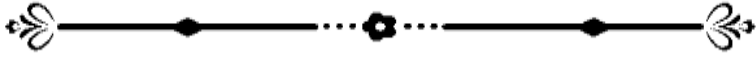
كان جميع الحاضرين يتابعون بشغفٍ مقطع الفيديو المصوّر على شاشة الإسقاط وهو يوضّح كيفيّة العمل الجراحيّ المجرى لدمج العضو الصناعي حيويّاً مع الجزء المتبقي من الساعد المبتور، حيث يتمّ إدخال غرسية من التيتانيوم ضمن الجزء العظمي ثم يتمّ وصلُ الأعصاب المحرّكة للعضلات

المبتورة بعضلةٍ أخرى غير وظيفيّة على مساحةٍ صغيرةٍ منها وبجوارها توضع أقطابٌ كهربائيّةٌ (حساساتٌ للحركة) موصولةٌ مع أجزاء اليد الاصطناعية "جاكو"... وظيفتها تلقي الإشارات المحركة التي يرسلها الدماغ للأعصاب الحركية عندما يريد تحريكها فتستجيبُ اليد الاصطناعية لهذه الإشارات بواسطة الأقطاب، بأن يتم تفسيرها من خلال نظام تحكمٍ مطوّرٍ خاصٍ ضمن الطرف الصناعي، ثمّ معالجتها باستخدام خوارزميات الذكاء الاصطناعي المعقّد فيؤدي ذلك إلى فهم إشارات حركات اليد الاصطناعية.

قال ماكاني:

- تميّزت "جاكو" باستهلاك طاقةٍ من المريض أقلّ بكثيرٍ من تلك المستخدمة لتحريك الأطراف الاصطناعية الأخرى، وبأجهزتها الاستشعارية الحساسة جداً والدقيقة في قياسها وتحليلها للنبضات الكهربائية لكامل اليد ولكل إصبعٍ على حدة، كما أنّها ومن خلال أبحاثنا... استطاعت "جاكو" أن تلغي الإحساس الوهمي⁸ بالطرف المبتور من جسد المريض بشكلٍ مثالي..

⁸ الإحساس الوهمي: هو إحساس المريض بال ألم أو حكةٍ أو حرقَةٍ في طرفه المبتور تُشعره بأنّ طرفه لا يزال موجوداً ومتصلاً بجسده..



ببساطة أيّها الحضور... يمكننا القول إنّ "جاكو" تفوّقت على جميع نظائرها
ومنحت مريضنا الفرصة لمتابعة حياته متخلّصاً من كلّ العراقيل..! وبمظهرٍ
حيويٍّ رائع يعكس معنى اسم مركزنا الطبي "ميغا"⁹
تعالّت صيحات الحاضرين وضجّت صالّة المحاضرات بتصفيقهم، ثمّ علا
صوت المدير بكلمته الهوائية صائحاً:

- حياة الأرض تدوم بالبرّ... حياة الأرض تدوم بالبرّ..!
نزل ماكاني وتوجّه الطبيب بيكا لمتابعة هذا اللقاء محبباً عن كامل
استفسارات الصحافة ووسائل الإعلام..

بعد ذلك تقدّم طبيبٌ شابٌ واضعاً قناعاً طبياً على وجهه وقد لاحظ الجميع
خطواته غير المتناسقة الناتجة عن خللٍ ما في قدمه اليمنى ثمّ وقف بقامته
الطويلة خلف الطاولة وألقى خطاباً وطنياً مقتضباً دوّت لأجله الصالة
بهتاف الحاضرين المتزامن مع تصفيقهم الحار.

....

⁹ اشتق اسم ميغا MEGA من أوائل أحرف الكلمات التالية:

Modern: عصري

Easygoing: سهولة

Gorgeous: رائع

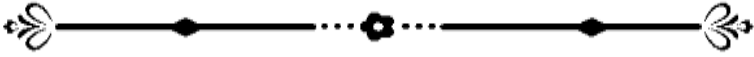
agreeable: مقبول

تصلّب جسدُ سينا الجالس على السرير وعيناها ثابتتان على شاشة هاتفها المحمول محدّقةً مشدوهةً بآخر ما حدث في هذا اللقاء مع المركز الطبي "ميغا"

صوته... خطواته... قامته وأسلوبه..... كلّ شيءٍ لم يتغيّر... إلّا وجهه لم تكن متأكّدةً بعد منه لإخفائه بالقناع الطبي..
ابتسمت غير مصدّقةٍ لما رآته عيناها للتوّ واللحظة.....إنّه هو بلا ريب...
لم تستطع كبت صدمتها فصاحت قائلةً:
- عرفان.... هنا في هاواي؟!!!

من الذاكرة... قبل بضع سنوات

جلست مساءً ذلك اليوم وهي تقلّب بين أسماء جهات الاتصال في الهاتف باحثةً عن أرقام جميع الأطباء المسجّلين في القائمة، ثمّ حصرت بحثها عن أطباء الجراحة العينية فلم تجد سوى سمر وعرفان!
أمعنت سينا النظر في اسم عرفان - ذلك الطبيب الذي تقدّم لخطبتها منذ سنتين بشكلٍ رسميٍّ من والدها دون أن تعلم عنه شيئاً بعد ذلك - وبدون ترددٍ أرسلت له تحيةً مسائيةً ضاربةً بعرض الحائط كلّ ما قد يظنّه من أفكارٍ مريبةٍ لا سيّما وقد طغى في خاطرها احتمال زواجه وتأسيسه العائلة على حالته الاجتماعية ما خفّف ذلك من ثقل الأفكار وعزّز لديها الدافع لمعرفة رأيه الطبي...



في النهاية هو طبيب، ولا بأس بسؤاله وسرد مشكلتها العينية عليه ملتمسةً أي كلمة مُطمئنةٍ قد تريحها من العذاب..

كان ردّ الطبيب عرفان مهذباً ولطيفاً ما شجع سينا على التماس بعض الأمل من خبرته التي تجاوزت العامين بخلاف سمر التي كانت ما تزال في سنة الامتياز التالية لاجتياز اختبارها النهائي...

- حسناً دكتورة ..يجبُ أن أتحدّث إليك بمكالمةٍ هاتفية..الأمر لا يمكن تفصيله عن طريق الرسائل ..سأتصلُ برقمك هذا حالاً ..

استغرقت المكالمة ست دقائق بين سؤالٍ من عرفان وجوابٍ من سينا التي عصّت على شفتها السفلى بغيظٍ عندما سأها عرفان:

- لماذا لم تختاري طبيباً مشهوراً ذا خبرةٍ جيدةٍ لإجراء الليزك لعينيك؟!...
(ثم قال بصوتٍ ثابتٍ ينمّ عن كلامٍ خطيرٍ كانت تحشاه الفتاة)... إنّ عملية رفع الشريحة ليست أمراً سهلاً يا دكتورة!... مع ذلك... لا تخافي... يجبُ أن أفحص عينيك بواسطة جهاز الفحص...إني أزور المدينة كلّ يوم ثلاثاء... لذا انتظري منّي اتّصلاً يوم الثلاثاء القادم...

أغلقت سينا الهاتف وهي تستعيدُ كلّ كلمةٍ قالها عرفان الذي بدا لها شخصاً في غاية الهدوء والحكمة!

كان عرفان جالساً على المقعد المجاور لمقعد السائق في طريقه إلى المدينة الذي يستغرق خمس ساعاتٍ، عندما اتّصل برقم سينا صباح يوم الثلاثاء، وعندما لم تحب على مكالمته أرسل لها رسالةً تحيّةً صباحيّةً لطيفة...

أجابت سينا بعد ساعة:

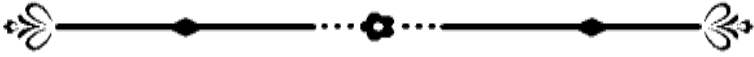
- نصف ساعة فقط... وسأكون في العيادة يا دكتور
وكونها لا تعرف الطبيب عرفان كما أنه لا يعرفها شخصياً، فقد اضطرت
أن تجربها لاحقاً بأنها اجتازت غرفة الاستقبال الخاصة بالمشفى وهي في
طريقها للعيادة العينية..

استدار الشاب طويل القامة المرتدي لزيّ العمليّات نحو باب غرفة الانتظار
وفي يده هاتفه المحمول حيث بدا لسينا أنه كان يقرأ رسالتها الأخيرة..
- صباح الخير (قالت سينا بابتسامتها الروتينية ضاحكةً لظروف هذا
اللقاء الأوّل ذي السبب الطبيّ الملحّ والمهدّد لمستقبلها المهني)
نمت عن عرفان ابتسامةً متفاجئة ثمّ قال بهدوء:
- صباح النور.... أهلاً وسهلاً بك دكتورة

سار عرفان أمامها فانتبهت لسيره غير المتناسق نتيجة خللٍ ما في إحدى
قدميه..

دخل الاثنان غرفة المعاينة، ثمّ جلس الاثنان متقابلين إلى طاولة الفحص،
وبشكلٍ متعمّد شبك عرفان أصابع يديه ثمّ مدّ ذراعيه ليُسندهما على
الطاولة..

سرعان ما لاحظت سينا ما يريد أن يلفت انتباهها إليه.... الخاتم!
إنّ أصابع يديه خالية من أيّ خاتمٍ يدلّ على خطوبةٍ أو زواج!



لم تعرّ الفتاة لذلك انتباهاً، لكنّ شعوراً بالدهشة الممتزجة بالقبول قد غمرها لطريقته الذكية في تبيان الأمور!

أسندت ذقنها إلى حامل الذقن الخاصّ بجهاز الفحص ثمّ استسلمت لتركيز الضوء المنبعث من الجهاز على عينيها اليمنى..

امتدّت يدُ عرفان نحو وجهها وسحب جفنها العلوي برفقٍ إلى الأعلى ليتسنى له مجالاً أوسع للفحص...

وأعاد الكرة على العين اليسرى..

ثمّ سألها عما تستعمله من قطراتٍ عينية، فأجابته بهدوءٍ غير مركّزٍ تماماً بحضور ابتسامته الغريبة!

سألها عرفان:

- من أجرى لك العملية؟!

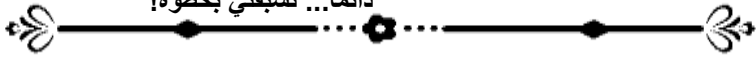
- صديقتي الطبية سمر... لقد أنهت إقامتها هذا العام..

- لقد عرفتُها... إنّها طبيبةٌ ممتازة... أذكرُ كيف اجتازت اختبارها النهائي... كان أداؤها رائعاً..

- وما هو تقييمك للعملية؟

- ممتاز... إرجاعها للشريحة رائع..

حدّقت سينا به باستغراب، وأذعنت لنصائحه مستسلمةً ناسيةً تماماً سؤاله عن اختلاط عينيها، ثمّ أخذت وصفته الطبية التي كتب عليها أسماء قطراتٍ عينيةٍ أخرى أقوى من سابقتها وغادرت...



وفي ذات اليوم....

وفي أجمل مساءٍ من بين مساءات أيامها الثقيلة عليها، تلقت سينا رسالته مُعرباً بها عن اعتذاره وأنه كان راغباً برؤيتها أكثر، لكنّ ضغط مواعيد العمليات الجراحية الملزم بها حال دون ذلك...

سرعان ما تذكّرت السبب الرئيسي لمقابلتها عرفان فسألته عن سبب التشويش الحاصل في العين اليمنى، فأجاب أنّها مصابةٌ برقع درجةٍ من الحسر وثلاثة أرباع من الانحراف!!

حدّقت سينا برسالته ثم كتبت مذعورةً:

- دكتور... لم تكن عيني مصابةً بأيّ نوعٍ من الانحراف هذا قبل عملية الليزك!

- اصبري.. مثابرتك على القطرات العينية التي وصفتها لك وبعض الوقت .. وستكونين بخير..

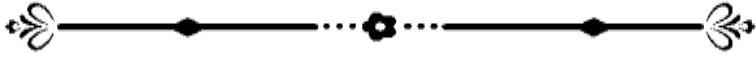
- كم سيستغرق هذا الوقت؟!

- شهر..

أصيبت سينا بالهلع لدى رؤيتها هذه الكلمة المرعبة فكتبت له بأصابع مرتعدة ودموعٍ هاطلة:

- شهر؟؟؟!... هذا كثير... لكن... لماذا...؟

(على الرغم من هلعها إلا أنّ شعوراً بالاطمئنان قد اجتاحتها كون عرفان لم يأتِ على ذكر أيّ تدخلٍ جراحيٍّ يجب الخضوع له، لا سيّما وأنّها قد أصيبت



برضّ نفسيّ حاد تلو تداخل سمر الثاني وما تبعه ذلك من تشويشٍ
مضاعفٍ لرؤيتها في اليومين التاليين... لكنّ شهر... وقتٌ طويل....)
- اهديّ ..أنتِ قويّة وستتجاوزينها ..أثقُ بذلك ..

- كيف أهدأ؟!... إنني أبكي... لديّ مرضى ويجب عليّ معالجتهم!
- أرجوكِ اهديّ .. لأجلي ..إنّ من يرى ابتسامتك كالיום سيهذي مسحوراً ما
أحلاها! .. لديها من الأمل وحبّ الحياة ما يسع الكون!
توقّفت سينا عن البكاء ثمّ كفكت دموعها لتعاین كلّ كلمةٍ أرسلت لها
للتوّ... فابتسمت تحت تأثير شعور المفاجأة الضاغطة بالأحاسيس اللطيفة
التي غمرت قلبها وأبدلت سبب خفقانه من الهلع إلى الحبّ.... ربّما!
تكرّرت رسائل عرفان في الأيام التالية وهو يسألها بغرض الاطمئنان عن
عينها لافتناً انتباهها لمدى رقته ودماثة حديثه ورغبته الصادقة بالاهتمام
بها..

لكنّ سينا وعتّ لضرورة اختصار الحديث خشية وقوعهما فيما يتبعه
سوء الفهم والتقدير للأمور خصوصاً وأنّ سبب تواجد رقمه الخاص في
هاتفها هو أمرٌ حسّاسٌ يجبُ التعامل معه بحذرٍ فائق..
فسألته بشكلٍ مباشر:

- دكتور... أريد أن أسألك سؤالاً خاصاً لو سمحت.... هل أنت متزوج؟!
- لا ..لست متزوجاً أو مرتبطاً ..

ابتسمت سينا لما أبداه عرفان من ارتياحٍ ولباقةٍ في كلامه وقد عزّز شعورها
سؤاله:

- وأنتِ؟! ..

- مثلك...

ضحك عرفان:

- إنّ للتأخير حكمة ..

- دائماً في التأخير حكمة...

- أريدُ أن أخبركِ شيئاً .. في الحقيقة .. لقد فاجأتني يا سينا عندما رأيتهُ
لأوّل مرة .. إنّ من دلّني عليكِ لخطبتكِ وصفكِ لي وتحدّث عنكِ كثيراً ..
لكنّ الوصف ظلمك حقّاً .. هلّا حدّثتني عنكِ وعن عائلتكِ؟؟ ولنمنح
أنفسنا فرصة الارتباط .. ما رأيكِ؟!

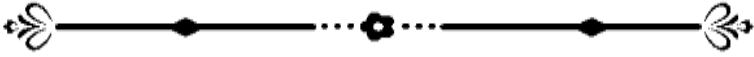
أشرقت عينا الفتاة سعادةً لم تختبرها قبلاً!

سعادةً كفيلاً بنسف كلّ مسبّات العذاب!

توالى رسائل عرفان اللطيفة على هاتف سينا في الأيام التالية ما جعلها تنام
بغطّةٍ متناسيةً كامل الاختلاط الحاصل في عيناها!

إنّه طبيبُ العين والقلب

طلب عرفان رؤيتها مجدّداً لمتابعة حال عيناها كونه سيأتي إلى مركز الليزر
للعيون L.V يوم الثلاثاء القادم.



وعلى الرغم من كراهية سينا لذلك المركز ذي الذكريات الحديثة السيئة إلا أنها أذعنت للأمر وهدهوءاً جميلاً يتخلله الاطمئنان والراحة قد غمر قلبها واكتسح أعماقها...

جلست سينا في مكانها المعتاد حسب توجيهات الممرضة التي سألتها بازدياد غريب لحظة قدومها:

- تريدين رؤية الطبيب عرفان؟!

لم تكثرث سينا لسؤالها آنذاك، بل كانت تفكر بما يشغل بالها وخاطرها من عواصف الأفكار والمشاعر...

فوجئت سينا بقدم رئيس مركز الليزر للعيون الأستاذ عصام الذي جلس أمامها لفحص عينها قائلاً بتوترٍ وشئ بنفاد صبره:

- ما الذي يحدثُ معكِ بالضبط؟!

قالت المريضة بصوتٍ مرتبكٍ متفاجئةً من سؤاله القاسي:

- عيني.. اليمنى..!

نهض عصام من مكانه بانزعاجٍ مفسحاً المجال للطبيب عرفان الذي دخل غرفة الفحص بقامته الأنيقة وابتسامته المشرقة مرحباً بسينا:

- كيف حالكِ يا دكتورة؟!

ثمة شيء غريب!

غادرت المركز غير مطمئنة لما أعاد تفسيره عصام وبثها ضرورة الصبر والهدوء في حين بقي عرفان صامتاً دون أن يتفوّه بأي كلمة مكتفياً

بابتسامته وهو ينظر إليها، تلك الابتسامة التي كانت تعني الكثير!... الكثير جداً!

لقد كان عرفان بالنسبة لسينا هبةً سماويةً مُنحت لها في أقسى أيامها التي أودتها إلى هاويةٍ من الضياع المشرب بالتحطم لا سيّما وأنّ عملها كطبيبة أسنان قد هُددَ بالاندحار!

كانت الأيام تمرّ على سينا ببطءٍ وثقلٍ مؤلم بغياب عرفان عن ساحة التواصل..

- لماذا لم تخبريني أنا؟!

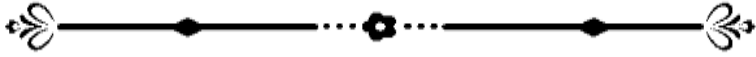
كانت سينا تستمع لصديقتها المقرّبة مروة التي لم تتوانَ عن تقييعها وإنزال شتى عبارات اللوم والتوبيخ بها عندما قالت بصوتٍ غاضب:

- أيّ حماقةٍ هذه ما دفعك للتهوّر والمخاطرة بعينيك هكذا؟!
قالت سينا مستسلمةً ودامعةً العينين:

- ظننتها إجراءً بسيطاً كسابقتهما... أردتُ التخلّص من الحسر بشدة... لقد استفزّتي الطبيبة منذ أشهرٍ عندما كنّا معاً في ورشة العمل وسألتي بازدراءٍ "لماذا لا تجري عملية ليزك لعينيك؟!" كما أنّ سمر أكّدت لي سهولة ذلك...

انتفضت مروة من مكانها صارخةً:

- سهولة ذلك؟!... هذه عين.... وليست قدماً أو يداً!... كيف سمح لك والدك بإجرائها.... بل كيف استطعت القيادة في أثناء عودتك من المركز؟!



- قالت سينا بصوتٍ مكبوت:
- لم أخبر أحداً بالاختلاط الحاصل... سواك الآن... (ثم أجهشت بالبكاء)
- لقد كانت ورطة... كل شيء يهون الآن مقابل شفاء عيني يا مروة...
- اقتربت الصديقة وكفكت دموعها قائلةً بلطف:
- اهديني... أرجوك... دعينا نطلب استشارة الطبيب مروان.. إنه طبيبٌ مشهورٌ جداً في المدينة...
- لقد طلبتُ استشارة أحد الأطباء... اسمه عرفان
- قالت مروة باستنكار:
- مَنْ عرفان هذا؟!
- ضحكت سينا باستياء:
- طبيب جراحةٍ عينيةٍ تقدّم لخطبتي منذ سنتين!
- ابتسمت مروة ضاحكةً بذهولٍ فضولي:
- إذا... ماذا حدث؟!
- لقد طلب منّي الانتظار شهراً كاملاً...
- ماذا قال لك؟
- قال لي إنّ المشكلة ستُحلّ خلال ذلك الوقت!
- قالت مروة بنفاد صبر:
- ألم تفهمي ما قصدته؟!

- نعم.... فهمت.... بخلاف أنه أبدى إعجابه بي.... فلقد غاب عني أسبوعاً كاملاً وأظنه سيذهب بلا عودة...

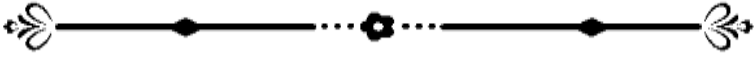
- لماذا؟!... ما الذي حدث؟!!

- لقد قال إن والديه يظلمانه وهو مضطّر للانصياع لهما... لقد بعث لي رسائله منذ أسبوع يخبرني بها أنه غير متفرّد بقراراته ولا يتمتع باستقلالية في تدبير أموره!... إنّ الأمر ببساطة يا مروة... وكما فهمت وحاول إفهامي بعيداً عن المعنى الحرفي... أنه على وشك الارتباط بأخرى قد اختاره لهما أبواه... وأنه في غاية الحزن والأسى... في الواقع اعتبرتها طريقة غير مباشرة في الاعتذار... لذا احترمتُه وشجّعته على ضرورة عدم الخروج عن إطار أهله في كافة شؤونه.... هه... طبعاً لم أصدقَه في كل ذلك!... في النهاية... الاعتذار ولو كان بعذرٍ كاذب يشفع له الوقت الصحيح...

- امممم... صدّقيه يا سينا... إنّ أهل القرى عادةً ما يرغمون أبناءهم على الزواج من نساء القرية نفسها إن لم يكن من أقاربهم... المسكين... يبدو أنه أرادكِ أنتِ... لكنّ القرار خارج عن إرادته..

ضحكت سينا طويلاً ثم قالت:

- هذا مستحيل.... إنّهُ شابٌ طبيبٌ ناضجٌ له ثقله في المجتمع.... كما أنّه أكبر مني بثمانٍ سنوات.... يستحيل أن أصدّق إذعانه بهذه الطريقة الطفولية المثيرة للشفقة في تحديد مصيره المستقبلي... أصلاً لو أنّه كما تصفين... لأرغمه أبواه على الزواج منذ زمنٍ بعيد... إنّهُ مجرد جبان.... ومن



الجيد أنه اعتذر بهذه الطريقة غير المؤذية.... لكنني أصدقك القول.... لقد
حاز على إعجابي منذ رأيته.... (ثم احتد صوتها).... إلا أنني تراجعت عن هذا
الشعور عندما بدا لي ضعيفاً وغير مستقل... (ثم تمتت مواريةً وجهها
الحزين).... لكنني.... حزينة.... ولا أعلم سبب هذا الحزن إن كان عيني أم
قلبي يا مروة!

مضت الأيام ومروة تحاول كثيراً عسى أن تُبادرَ سينا ولو مرةً واحدة
لسؤاله عن حال عينيها ثم العمل بنصيحته لا أكثر... لكن رفض سينا
البات وقرارها الجازم في الامتناع عن استشارته مجدداً قد أجبر الاثنتان
على الاستعانة بطبيبٍ ثالث ذي خبرة مشهورة على مستوى رفيع... هو
الطبيب مروان..

كانت الفتاتان جالستين على مقاعد غرفة الانتظار بعد خروجهما من غرفة
الفحص الأولى الذي أجراه طبيبٌ بدا متدرباً رغم غروره!!
تقدّمت الممرضة نحو سينا وفي يدها عبوة لقطرة عينية..
تراجعت سينا مستنكرةً وهي تقول:

- هذه قطرة شالّة للحدقة.... صحيح؟

أومأت الممرضة مجيبةً بلا مبالاة وهي تمدّ يدها نحو عين سينا التي سرعان
ما انتفضت ممتنعةً ثم غادرت العيادة....
تبعتها مروة سريعاً:

- انتظري.... سينا

تابعت سينا السير وهي تنزل سلالم البناء الطويلة - كون العيادة تقع في الطابق الرابع - دون أن تكثرث لنداء صديقتها التي أمسكت بساعدها بعنفٍ وهي تصيح بها بصوتٍ حاولت إخفاض طبقته:

- اهدي يا مجنونة... لم تقطع تلك المسافة الطويلة لنغادر العيادة دون فائدة... إنّ الفحص الصحيح لا يتم إلا بهذه القطرة... والطبيب مروان لن يراك دونها!

قالت سينا غاضبةً:

- لا أحتاج هذا النوع من الفحص... لأنني أعلمُ تماماً مشكلة عيني... المشكلة تكمن في الشريحة... وعلى الطبيب هذا أن يثق بما أقول لأنني طبيبةٌ ولست مريضةً عادية

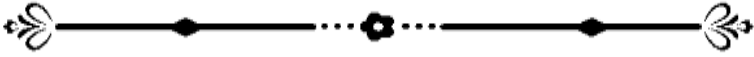
قالت مروة مهدئةً:

- اسمعي... أنتِ هنا بالنسبة للطبيب... مريضةٌ عادية... لو تعامل معك ومع غيرك بخلاف ذلك لارتكب الكثير من الأخطاء الفادحة... أرجوكِ سينا... فلتسمحي للممرضة بتقطير الدواء في عينيك... يجب أن يعاينكِ الطبيب مروان لترتاحي... كفانا عذاباً...

حرّكت سينا رأسها هامسةً بصوتٍ حائرٍ وحزين:

- إنّ هذه القطرة تصيبني بالعمى... لا يمكنكِ تحيّل تأثيرها المريع ومدّته الطويلة..

- لكننا بحاجة... لذا لا بأس... هيا بنا..



استسلمت سينا لرأي صديقتها التي أمسكت بيدها كطفلةٍ مشاغبة وهي
تصعد برفقتها السلالم وصولاً لباب العيادة العينية
ابتسمت المريضة قائلةً:

- غيّرت رأيك!

تقدّمت المريضة فقالت لها سينا وهي تجلس رافعةً رأسها مستسلمةً
لتثبيت جفنها العلوي بإبهام المريضة وفي يدها الأخرى عبوة القطرة:
- هل أستطيع قيادة السيارة؟

- نعم... لكن بهدوء.... ستأثّر رؤيتك على المدى القريب فقط...

- عيني اليسرى بخير... لا أريد فحصها

تجاهلت المريضة آخر ما قالته سينا وهي تثبت جفنها العلوي الأيسر وتركّز
فوهة العبوة لتواجه عينها ثم ضغطت على هيكل العبوة مرّتين لتتأكد من
ترطيب العين بشكلٍ تام بقطرة "السايكلو" الموسّعة للحدقة..
أغمضت سينا عينيها متألمةً لشعور الحرقّة الفظيع الذي باغتها ثم اشتدّ
عليها بضع دقائق، فقالت لمروّة وبصوتٍ شبه غاضب:

- تَبّاً لها من قطرةٍ حارقةٍ تعمي الأبصار... والأسوأ هو انتظارنا الطويل ريثما
يبلغ التأثير ذروته...

- أنتِ متدمّرةٌ للغاية.... لا بأس ببعض الانتظار

- لا أحبّ إشراككِ في متاعبي وهدر وقتك...

- سينا.... هَلَا أغلقتِ فمكِ!

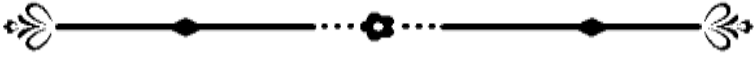
ضحكت سينا متألةً ثم قالت وهي تحاول فتح عينيها المحمّرتين:
- حاضر... خذي هاتفي واقري لي الرسالة التي بعثتها مرضتي... لا أستطيع
تمييز الكلمة من الأخرى... اطلبي منها أن تؤجل مواعيد المرضى لهذا
اليوم... يستحيل عليّ العمل...

مضت ساعةً كاملة قبل أن تطلب الممرضة من المريضة دخول غرفة
المعاينة لإجراء الفحص النهائي لدى طبيب العيادة الأساسي... الدكتور
مروان

كانت غرفة المعاينة أشبه بصالة تحوي شقين، أحدهما حيث يقبّع مكتب
الطبيب وما يحويه من مقتنيات أثرية وتماثيل صغيرة لمشاهير قدامى
ولوحات فنية بالإضافة لدروع التكريم التي نالها خلال مسيرته التعليمية،
أما الشق الثاني فقد خُصّص لأجهزة فحص المرضى...

جلست سينا كعادتها على كرسي المريض المقابل لكرسي الطبيب الذي
طلب منها التركيز تماماً على الضوء.

لاقت صعوبةً فائقةً وهي تحاول فتح جفني العين اليمنى المواجهة للضوء
الأصفر حيث كان تأثيره قوياً عليها بسبب حدقتها المشلولة والموسعة إلى
أقصى حد، لكنّها قاومت الألم متذكّرة رقة عرفان ولطفه في أثناء فحصه
عينيها مقارنةً بعنف هذا الطبيب الكهل ما جعلها تندم كلّ الندم
لخضوعها لعملية تصحيح البصر الأساسية التي أودت بها إلى هذه المتهامة...
أعاد الطبيب فحص عينيها اليسرى ثم طلب منها الإجابة عن اتّجاه إشارة



الشكل E الذي أظهره لها على الشاشة المقابلة لمقعدها بعد إزاحة طاولة جهاز الفحص جانباً لتواجه اللوحة ذات الإضاءة البيضاء...

أجابت عن كامل الإشارات عند إغلاق عينها اليمنى بخلاف اليسرى! ابتسم الطبيب بمكرٍ واضح ثم نهض من مكانها متوجّهاً إلى طاولة مكتبه في الشقّ الأول من الصالة...

تبعته سينا وجلست على المقعد المقابل لمروءة بجوار طاولة المكتب..

سأل الطبيب الممرضة أن تطلب حضور الطبيب الشاب الذي أجرى الفحص الأولي وقدم تقريره إلى هذا المكتب..

مضت دقيقتان فقط إلى أن جاء الشاب الذي بدا متواضعاً ومطيعاً على عكس ما كان عليه أول لقائه بالفتاتين..

قال الطبيب مروان للطبيب الشاب:

- لقد ذكرتَ هنا أنّ الدكتوراة تعاني من حسرٍ وبضع أجزاءٍ من الانحراف في عينها اليمنى... لكن... ألم تلاحظ سبباً لإصابة هذه العين بالذات؟

ابتسم الشاب بارتباك:

- نعم... ربما بسبب سوء تطبيق الليزر...

أشعل الطبيب سيجارته وسحب منها نفساً عميقاً مقوَّساً عينيه وهو يحدّق المريضة المسكينة ثم قال لها:

- عزيزتي.... إنّ الإجراء الليزري ناجحٌ تماماً... تكمن المشكلة بالشريحة التي رُفعت من القرنية بغية تسليط الليزر بشكلٍ مباشرٍ على جسم

القرنية... إنّ هذه الشريحة لم يتمّ فردها بشكلٍ كامل... فحصلت بعض الثّيّات المركزية المواجهة تماماً لبؤرة الرؤية لديك... إنّها السبب في حصول هذه الضبابية المزعجة...

قالت مروة:

- دكتور... نريدُ حلاً... نريد أن نعالج هذا الموضوع... إنّ سينا شبه عاطلةٍ عن العمل.

أذن الطبيب الكهل للشاب بالخروج ثمّ قال:

- الحلّ يكمن عند الطبيبة الأولى التي أجرت العملية الليزرية..

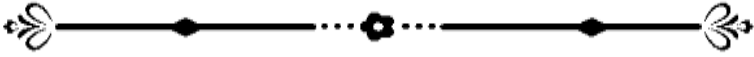
بدت سينا منفصلةً تماماً عن الواقع عندما استدرك الطبيب:

- يجبُ أن يتمّ التداخل سريعاً على عينها ورفع الشريحة من جديد ثمّ مدّها لتأخذ كامل أبعادها دون أيّ خللٍ شكلي... كهذا المنديل... (ثمّ مدّ منديلاً أبيض على الطاولة أمامه بشكلٍ تام)... الشريحة هكذا في أفضل أحوالها دون أيّ ثنّياتٍ فيها.. أمّا إن شددناها من طرفٍ دون الآخر عند إرجاعها فستعاني في جزءٍ منها من طيّاتٍ هي السبب تماماً في المشكلة التي لدينا..

قالت سينا محاولةً استجماع قواها:

- دكتور... خضعتُ مرّةً لفرد هذه الشريحة بعد العملية الأساسية... لكن دون فائدة.. لا أستطيع المغامرة مرّةً ثالثةً على يد ذات الطبيبة..

قالت مروة مؤمنةً على كلام صديقتها:



- دكتور... جئنا إليك تغمرنا الثقة برأيك وعملك... لقد ذكرت لنا التشخيص الصحيح تماماً... هلاً ساعدت سينا يا دكتور؟
ابتسم الطبيب ابتسامته المألوفة التي تبينت سينا من خلالها ما سيقوله حيث أجاب وهو ينفث الدخان من أنفه وفمه مقوساً عينيه:
- لا أستطيع حل مشكلةٍ تسبب لها غيري من الأطباء...
قالت مروة:

- سيدي... أرجوك... نريد أن نطمئن على عينها... وإن المغامرة مرّةً ثالثة على يد ذات الطبيعة أراه ضرباً من الجنون!

- مرّةً ثالثة أو المرة العشرين... لا خطر بتاتاً على العين... الإجراء سهل وآمن مهما حصل... والأهم من ذلك... هو السرعة القصوى في إجراء هذا العمل الدقيق خشية أن تثبت الثنيات وتترمم شريحة القرنية محافظةً على شكلها الحالي فلا يمكن تدبير الاختلاط لاحقاً.

كانت سينا تستمع لما يُدار من حديث بين الطرفين وهي تفكر بمدى دقة وصحة ما يقوله الطبيب، إن ما قاله يثبت صحة كلام سمر على ضرورة مراجعتها في أقرب وقت..

قال سينا بصوتٍ متوسّل:

- أرجوك أيها الطبيب... ساعدني... لا يمكنني العمل على أسنان المرضى...
أخشى أن يُدمر مستقبلي المهني...
ابتسم الطبيب:

- لا بأس يا ابنتي... حلّ المشكلة سهل... عودي إلى طبيبتك حالاً... أمّا أنا... فأعتذر.. لم أعالج اختلاطاً واحداً سببه أيّ طبيبٍ آخر طوال حياتي المهنية..

غادرت الصديقتان العيادة واليأس يغمرهما والإحباط يحيطُ بهما من كلّ جانب..

هبطتا السلالم وصولاً إلى باب البناء صامتتين وقد كانت شمس العصر في طريقها للغروب، ثم سارتا إلى السيارة التي كانت مرصوفةً عكس أشعة شمس الشتاء الغاربة.

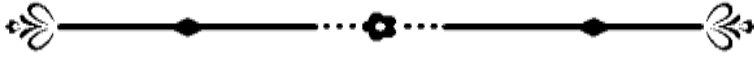
- لقد مضى علينا في الأعلى ثلاث ساعات بين انتظارٍ ومعاينة... ربّما عليّ مراجعة سمر ومنحها فرصةً أخرى..

- كلا!... لن تعودي لسمر... إنّ ما طمأنني هو زوال الخطر... وأنّ التداخل عدّة مراتٍ لن يؤذي العين.

أدارت سينا مفتاح محرّك السيارة ثمّ قادتها وصولاً إلى الطريق السريع، حيث واجهت الشمس بشكلٍ مباشرٍ ما جعلها تشعرُ بالألمِ حارقٍ في عينيها كون حدقتها لا تزال موسّعةً إلى آخر حدّها، ساححةً لأشعة الشمس القويّة باختراق عينيها بشراسةٍ دون أدنى حمايةٍ قد يوفرها تضيق الحدقة السليمة غير المشلولة!

حاولت سينا التماسك قبل أن تُشعر مروة بأيّ خطر قائلةً:

- مروة... أريدُ نظّارتي الداكنة...



- أين تضعينها؟
- آه... تَبَّأ... ربّما ليست في حقيقتي... لا أستعملها في الشتاء!
- سينا.... ما الأمر؟!
- ازدردت سنيا لعابها وهي تقود أقصى اليمين مقوّسةً عينيها إلى الحدّ الضئيل الذي يسمَحُ لها بالرؤية وتمييز السيارات والناس والشارع أمامها، ثم قالت:
- إنّ انعكاس أشعة الشمس على الأرض قويٌّ جداً.
- صرخت مروة:
- احذري....
- انحرفت سينا إلى اليسار بغتةً عندما أدركت بصعوبةٍ رؤية سيارةٍ أمامها وهي تسير ببطء في آخر لحظةٍ لها قبل أن تصطدم بها، ما اضطرّها لزيادة السرعة خشية أن تصطدم بها السيّارات ذات السرعات العالية على الطرف الأيسر من الطريق.
- سألته مروة بفزع:
- أنتِ لا يمكنكِ الرؤية!!
- الشمس... هي التي تمنعني من التركيز... إنّها تُعميّني..
- توقّفي حالاً...
- لا أستطيع الآن.... اهدئي يا مروة.... لنهدأ... تَبَّأ...

بحث مروة سريعاً في الدرج الخاص بمقعدها باحثَةً عن أيّ نظارةٍ قد تساعد سينا على القيادة بأمان، ثمّ بحثت في حقيبتها وقد نال منها الفزع كلّ منال إلى أن وجدت أخيراً واحدة..

كانت سينا تقودُ السيارة بسرعةٍ عاليةٍ مجبرةً ريثما ينتهي الطريق السريع الذي توسّطته كرة الشمس ذات الأشعة المربعة بسطوعها.. سرعان ما التقطت النظارة من يد مروة ووضعتها على عينيها قائلةً بحنق:

- تَبّاً لها من قطرةٍ لعينة... لو لم يكن الوقتُ عصراً لكانت الأمور على ما يرام

- كيف رؤيتكِ الآن...؟؟

- أفضل قليلاً... تشبه رؤيتكِ الآن تماماً

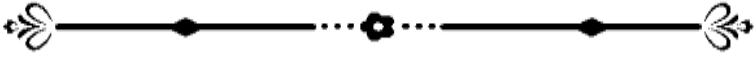
صرخت مروة بفزع:

- رؤيتي أنا؟!... لا أستطيع فتح عيني إلا بصعوبة..

ضحكت سينا عندما استعادت سيطرتها على زمام القيادة إلى حدّ ما ثمّ قالت:

- لا تقلقي... لن نموت...

مرّت ربع ساعةٍ خالتها سينا يوماً كاملاً إلى أن رصفت السيارة بجانب عيادتها، ولو علمت الاثنتان عواقب الأمر في هذا الوقت من النهار لما تردّدتا في الاستعانة بسيارة أجرة تقيهما هذه المغامرة الخطرة.. تنقّستا الصعداء فسألتهما مروة:



- لماذا لم تذهبي إلى البيت مباشرة؟!
- لا أريدُ أن تراني أُمي على هذه الحال... أريدُ أن أهدئ أعصابي ببعض القهوة في العيادة... ريثما يجلّ المساء... مروة... هل لاحظتِ كما لاحظتِ؟!
- ابتسمت مروة مستغربةً:
- نعم... عرفان...
- عرفان لم يذكر لي شيئاً عن شريحة القرنية... لماذا يا ترى؟!
- ألم تُعمليه بالاختلاط الحاصل؟ ألم تخبريه بما قالته لكِ سمر؟!
- لقد نسيت!... ومن الجيد أنني نسيت!... إننا لم نُطلع الطبيب مروان على طبيعة الاختلاط وما هو ذا... استطاع تحصيله بسهولة... أصلاً من الخطأ تشويش الطبيب بأيّ معلوماتٍ قد تكون خاطئة... وما أدرانا أساساً أنّ سمر على حق؟!... لهذا يحبُّ علينا أن ننتظر ما سيُدليه الطبيب علينا من معلوماتٍ تشخيصيةٍ مكتفين بسرد الأعراض والشكوى الرئيسية... مروة... إمّا أنّ عرفان قد تعمّد إخفاء الأمر عني... أو أنّه جهل التشخيص... وهذا ما أستبعده في الواقع... (ثمّ أحاطت رأسها بيديها يائسةً)... ماذا عليّ أن أفعل الآن؟!
- سنفكر بطريقةٍ نقنع بها الطبيب مروان... سمر تلك... لا تفكري أبداً بالعودة إليها..

أمضت سينا يومها نائمةً ساححةً لحدقتي عينيها الموسعتين بالتخلص من تأثير القطرة الشالّة، ورغبةً ملحةً في أعماقها تستجدي أيّ شيءٍ يخبرها به عرفان يُطمئنّها ويهدئ لواعجها المستعرة...

إنّهُ الشخص الوحيد الذي قد يشعرُ بمعاناتها، ويتفهّم قسوة ما تمرّ به، لأنّه الطبيب وقد كان من الممكن أن يكون "الحبيب" لولا ظروفه الكاذبة كانت أم الحقيقة!

ابتسمت سينا هازئةً من أفكارها سريعة النسيج لخيالاتٍ بعيدة المنال... إنّها تفكّر به وهو على وشك الارتباط بفتاةٍ أخرى، حسب ما أوحى لها رسائله الحزينة المتألّمة السابقة!

يا لضعف قلبها!

استيقظت في صباح اليوم التالي وقد انخفضت حدّة الزوغان إلى حدّ كبير.. فتحت قفل هاتفها المحمول واستطاعت تمييز اسم عرفان متصدراً رسالةً جديدة!

- صباح الخير طبييتي الجميلة.. كيف حالك؟!

نهضت سينا من فورها وسعادةً غريبةً قد اجتاحتها أنسّتها كلّ شيءٍ الآن بحضور كلماته...

لكنّها ردّت عليه تحيّة الصباح بتجرّد واضحٍ من أيّ نوعٍ من المشاعر، فسألها:

- كيف أصبحت رؤيتك؟

- دكتور عرفان... إنّ شريحة القرنية مصابةً بنوعٍ من الانكماش في المركز... ما يعني أنّ الانتظار شهراً كاملاً لن يُفيد بشيء!
- من أين حصلتِ على هذه المعلومات؟!
- من صديقتي سمر... وطبيبٍ آخر... وكونك قد اختفيت... فلم أشأ إزعاجك بحالة عيني التي أصبحت حديث الكرة الأرضية يا دكتور!
- ضحك عرفان بخفة ثم قال:
- لا تقولي هذا.. إنّني طوع أمرك يا سينا.. وأرجو أن تكفّي عن مناداتي بدكتور.. قولي لي عرفان فقط..
- أشرفتِ ابتسامتها وكأنّها تعافت تماماً من تأثير قطرة "السايكلو"، بل وشُفيت من كلّ ما أصابها..
- لقد كان وجود عرفان بقربها أشبه بتأثير العقّار المسكّن الذي يتعاطاه المريض المتألّم لكي ينسى بعضاً من آلامه ومآسيه.
- كان حديثه الرقيق واهتمامه اللطيف بها قد طمس كلّ هذه اللّجة من العذاب وجلد الذات لإصرارها أساساً على عملية تصحيح البصر تلك، وربّما امتنّت في الكثير من اللحظات لما حصل وما انتهت إليه هذه المعمة من لقاءٍ جديدٍ مع شخص عرفان الهاديّ الفريد..
- باستثناء شعورٍ غامضٍ كان قد راودها خصوصاً عندما سألها عن مستجدّات ما قالته سمر والطبيب مروان عن عينها وما يجبُ فعله!

لكنّ سينا عندما قالت له إنّ مروان قد طلب منه العودة إلى سمر، حدّرها عرفان بشكلٍ قاطع من الخضوع لأيّ إجراءٍ في الوقت الحالي قائلاً لها:

- أبداً يا سينا.. لا تعودِي إليها.. اهدئي وترثي.. أساساً أستغربُ إقدامها على تصحيح حسر البصر لديك.. إنني لا أصحّح حسر البصر لأطبّاء الأسنان أبداً.. لأنني أعلم أنّ عملهم يعتمدُ في رؤيتهم على المدى القريب

- إنّ التريث والانتظار ليسا في صالحِي..

- هذا الكلام خاطئ.. لا تكثرِي لأحد.. لا بأس ببعض الانتظار..

الانتظار!

ربّما هذا بالضبط ما كانت تحتاجه سينا في خضمّ الإلحاح وضرورة العمل على فرد الشريحة، الأمر الذي كان يُصيبها بالرعب!

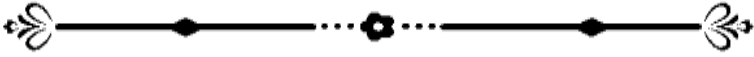
إنّ مجرّد استلقائها وإرغام أجفانها على كشف كامل العين وتسليمها لمن قد يعبثُ بها كفيلاً بفقدانها الوعي إن لم يتوقّف قلبها!

صمتت سينا قليلاً ثمّ سألتَه مستفسرةً عن أحواله وسبب عودته بهذه الطريقة الوديّة حيث قالت:

- أخبرني عنك أنت... كيف حالك؟!

ضحك عرفان طويلاً ثمّ قال لها:

- كنتُ في أسوأ حالاتي..والآن في أفضلها..



لقد حدث تماماً ما ختمته سينا ومروة، بخلاف أنه عمل جاهداً على إفساد هذا الزواج التقليدي، مُعرباً عن رفضه التام الارتباط بفتاة لا تملك من جمال الروح أدنى معاييرها!

- لذا أخبرْتُ والدي أنني لا أريدُ الارتباط إلا بطبيبةٍ في الطبّ البشري ..
تصلّبت سينا متمعّنة بكلّ كلمةٍ قالها ثمّ سألته بتردد:

- ماذا تعني بكلامك هذا؟!... ألسنا بقدر المقام يا دكتور؟!

- لا! سينا.. ليس هذا ما قصدته!.. إنّ تلك الفتاة طيبة أسنان.. لذلك قلتُ لأهلي ما قلته بدافع الذريعة والحجّة.. أمّا أنتِ فإنني أنبهر بك يوماً بعد يوم!... أنتِ أرقى إنسانة صادفتها في حياتي ..

هذا بالضبط ما أكّد لها أنّ ثمة أملٍ رائعٍ وتعهّد آمن قد ضمنه عرفان لعينها وقلبها معاً!

لم تنكر الفتاة شعورها البريء نحوه، ولم يأل عرفان جهداً وهو يصارحها برقيّتها ولطفها وسحر تعاملها ما رسم لها ذلك طريقاً طويلاً من الحبّ القدري الذي أتاها بطريقةٍ مغايرةٍ للطريقة الرتيبة الأولى منذ سنتين!

- حبٌّ كان سببه اختلاطٌ في العين (قالت مروة مبتسمةً وسعيدةً لصرف انتباه سينا عن التفكير والقلق بشأن عينها التي تعهّدها عرفان بمراقبتها وعنايته)

كادت سينا تنسى عينها بحضور عرفان واهتمامه ورسائله الصوتية الهادئة الرقيقة التي يتردّد الحنان بين أصدائها وتثبُّ على قمم أمواجه الضحكات

الساحرة..

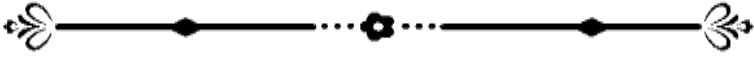
كانت أياماً من أسعد أيامها..

وعلى الرغم من شعورها بأن ما كان يجب أن يحدث قد حان، وأن هذا النوع من التواصل لن يتوج بالسعادة الحقيقية إلا بالارتباط الرسمي، فقد آثرت عدم إحراجها لا سيما أنه تقدّم لخطبتها منذ سنتين - السبب الذي جعلهما على معرفة سابقة هاتفيّاً فقط - ما جعلها ترفض الضغط عليه بسبب ظروفه الخاصّة وبيئته الاجتماعية المغلقة!

وكونه الطبيب الناضج الذي يعي تماماً ما يكتبه وما يوحيه لها من اهتمامٍ وتعاطفٍ في أرقّ وأرقى صوره، فقد تغاضت عن تسليط الضوء على هذه النقطة الحسّاسة..

كانت سينا تحرّص كثيراً على عدم الخلل بهذه الوتيرة من التواصل وتعكير صفو الجوّ الجميل الذي يغمر لحظتها ويومها، وربّما ما زاد من ضعف قلبها هو العين المصابة!

في أحد الأيام وبعد مرور أكثر من شهرٍ من عملية تصحيح النظر، بدأ القلق الحقيقي يتسلّل إليها إزاء الرؤية الضبابية التي لم تتحسن، فأرسلت بطلب استشارةٍ ينصحها بها، وبسبب تعذّر قدوم عرفان إلى المشفى فقد أرسل لها بإعادة فحص عينها لدى طبيب جراحةٍ عينيةٍ آخرٍ يستحقّ الثقة! رفضت سينا زيارة أيّ طبيبٍ باستثناء عرفان الذي وضعت كامل ثقتها به،



لكّته طمأنها بأنّ ذلك الطبيب صديقٌ اختصاصيٌّ ممتاز وأنّ غياب عرفان قد يطول..

- انتظريني بضع دقائق ريثما أحجز لك موعداً عند الطبيب عمر..ثقي بي ..امم؟

كانت سينا جالسةً في سيّارتها بجانب العيادة تنتظر مكالمته...
لم تستطع التحكّم بخفقات قلبها المتلاحقة كلّما رأت اسمه يلوحُ على شاشة هاتفها برسالةٍ كانت أو مكالمّة، خصوصاً وأنّ من عاداتها كتم كامل إشعارات وسائل التواصل الاجتماعي باستثنائه..

عاد هاتفها للرنين، فأجابت بصوتٍ حاولت إخفاء اضطرابه عبثاً:
- أهلاً عرفان...

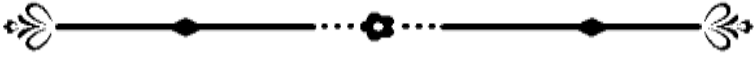
- ما أجمل اسم عرفان عندما أسمعه بصوتكِ هذا...
- (ضحكٌ خافتة) ... شكراً...

- اسمعي سينا... سأخبركِ شيئاً مهماً وأرجو أن يبقى طيّ الكتمان...
- أعدكِ...

- إن صديقتكِ الطبيبة سمر التي أجرت لكِ عملية التصحيح الليزرية....
قد أرسلت بطلب استشارةٍ من الطبيب عمر الذي حجزتُ لكِ موعداً في عيادته غداً عندما استعصى عليها إصلاح الاختلاط في تداخلها الثاني على عينك...

جمدت سينا في مكانها متخيّلةً حجم الورطة التي مُنيت بها، فقالت بانفعال:

- إنها مذنبه!... كيف وثقتُ بها مرةً ثانية؟!... على الرغم من وجود عدّة اختصاصيّين في نفس المركز... إلّا أنّها لم تطلب مساعدةً من أحد... كيف استطاعت المغامرة بعيني هكذا؟!... أيّ غرورٍ يتملّكها ما دفعها لتقديم مصلحتها وسمعتها على عيني؟!
 - اهديّ... لم أرُدُ إخبارك بهذا خشيةً إصابتك بالإحباط.... لكن يجبُ أن تعرفي الحقيقة..
 - كيف... ولماذا فعلت ذلك؟!... بسببها اتخبّط هنا وهناك يا عرفان!... ضحك عرفان ما جعل قلبها يرقص لضحكته:
 - أنتِ معي وبرفقتي... أبداً لم أسمح لك بالضياع أو التخبّط... ستكونين على خير ما يرام... امم؟!
 - مسحت سينا دموعها بيدها اليسرى ثمّ قالت بصوتٍ هادئ:
 - لو لم تكن موجوداً برفقتي... لم أكن أتخيّل حجم الجحيم الذي رمتني إليه الأقدار...
 - شكراً للأقدار التي جمعتني بك... دكتورتي الجميلة...
 - لماذا لم تأتِ للمشفى هذا الأسبوع؟!... هل أنتَ بخير؟!.. هل من خطب؟!
 - إذا كنتَ بخير... فأنا على خير
 - وأنا أيضاً... أتعلمُ أمراً... أكاد أنسى عيني بحضورك وسماع صوتك...
 - يا عيني!!... أيّ أسلوبٍ ساحرٍ تصيغين به كلماتك؟!... لو تعلمين فقط مقدار راحتي عندما أحادثكِ يا سينا...



- قل لي... لماذا أنت غائب عن المدينة؟!... ألم تخبرني أنك تأتي كل أسبوع؟
- في الواقع... إن الطريق بين المدينة والقرية مغلق... لقد مضى عليه ثلاثة أسابيع..
- إن طريق السفر مضمّن ومخيف... في الوقت الراهن على الأقل!
- لا تقلقي علي... لا تنسي غداً... موعدك في الثانية عشرة ظهراً في عيادة الطبيب عمر... سأرسل إليك عنوانه برسالة...
- حاضر...
- طلي رجاءً وليس أمراً...
- أذعنت سينا لنصيحته وذهبت في اليوم التالي برفقة صديقتها مروة حيث استقبلتها الممرضة استقبالاً لائقاً بطببيتين، وسمحت لهما بتجاوز جميع المرضى الجالسين في غرفة الانتظار بناءً على طلب الدكتور عرفان وحرصه على خدمة عزيزته سينا!
- جلست مروة على كرسيٍّ بعيدٍ عن طاولة الفحص واستسلمت سينا لتوجيهات الطبيب وهو يفحص عينيها باحترافية فائقة مذعورةً من قراره في حال قرّر تقطير عيناها بقطرة "السايكلو" الشالّة للحدقة.. فقال لها:
- لقد سألتني عنك عدّة أطباء... من بينهم طبيبتك سمر وعرفان... وآخران نسيتهما
- حسناً....

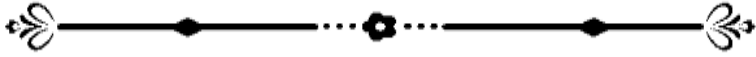
- اسمعي يا دكتورة... إنّ عملية تصحيح النظر ناجحةً على أكمل وجه....
تكمُن المشكلة في شريحة القرنية التي رُفعت بغية تسليط الليزر بشكلٍ مباشر لإزالة تحدّب القرنية المسبب للانحسار... إنّ هذه الشريحة الرقيقة لم تأخذ أبعادها الصحيحة أثناء إرجاعها ما سبّب ذلك تعجيداتٍ صغيرةً في مركز الشريحة حيث بؤرة الرؤية لديك... هذا بالضبط سبب رؤيتك المشوّشة في هذه العين...

- لماذا لم تستطع سمر حلّ المشكلة؟!
حاول الطبيب اختيار كلماتٍ مناسبةٍ للموقف عندما قال:
- حسناً... اختلاطٌ قد يكمنُ حلهً بطريقةٍ أخرى غير التي اختارتها
سمر... أصلاً عليها ألاّ تعاودَ العملَ عليها خشية خدش القرنية..
قالت مروة:

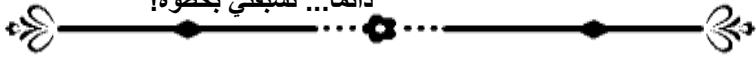
- كيف نستطيع علاج الأمر؟... إنّ سينا تعاني صعوبةً فائقةً في العمل!
- تستطيع استعمال جهاز اللووس¹⁰

قالت سينا بانفعالٍ يائس:
- إنّني أستخدمه.... أصلاً لم يعد بإمكانني العمل إلا به...
ثمّ أطرقت ذارفةً دموعاً ثقيلة:

¹⁰ جهاز اللووس: عبارة عن جهاز له عدساتٌ مكبرة يستخدمه طبيب الأسنان أثناء العمل ليسهل عليه الرؤية ضمن المساحات الصغيرة



- مع ذلك... أجد الأمرَ عسيراً جداً... لقد كنتُ أعمل بدونه وبأصفي رؤية أيتها الطبيب... لك أن تتخيّل حجم معاناتي...
- سَلّمها الطبيب مندبلاً وهو يبتسمُ مدارياً خطورة الموقف:
- كلّ مشكلةٍ ولها حلّ.... سأصفُ لك نوعين من القطرات العينية... ثابري عليها لمدة أسبوعين ودعيني أراجع الحالة لأتخذ القرار النهائي..
- قَدِمَت الممرضة وفي يدها الهاتف المحمول قائلةً للطبيب:
- إنّ الطبيب عرفان يريدُ التحدّث إليك يا دكتور...
- قال الطبيب عمر لعرفان ماقاله لسينا ومروة، ثم صمت قليلاً وهو يُصغي ليقول بعد ذلك:
- حسناً... إنّ تدبير اختراق غصن الشجرة لعين الطفل يحتاجُ أولاً استعمال الصادات ومضاد الفطور... وعلى ذويه الاستعداد لخضوعه لعملية زرع القرنية في وقتٍ لاحق..
- غادرت سيناً ومروة العيادة، فاتّصل عرفان بسينا وهو يسألها:
- ها... هل اطمأنت الغالية سيناً؟!
- نعم... إلى حدٍّ ما...
- ستكون الأمور على خير ما يرام.... لا تقلقي... اممم؟!
- وعندما انتهت المكالمة أرسل لها رسالة:
- ما أجمل صوتك!



فرّدت عليه:

- شكراً للطفك...

صاحت بها مروة وهما تسيران باتجاه السيارة:

- لماذا تتحدّثين إليه بهذا الجفاء؟!

احمرّ وجه سينا قائلةً:

- وكيف تريدني منّي محادثته؟!

- بلطف... بصوتٍ أثنويٍّ دمث... إنّك تخاطبين فيّ الصيانة بطريقةٍ أطف

كثيراً ممّا سمعته لتوّي!

ضحكت سينا عالياً:

- لا... لا تظلميني... (ثمّ تساءلت مستغربةً)... لماذا اكتفى الدكتور عمر

بالفحص دون استعانهه بقطرة "السايكلو"؟

ابتسمت مروة بازدراء:

- لأنّه مّطلعٌ على ملفّك الطبي بشكلٍ كاملٍ يا عزيزتي... أراهن أن جميع

أطباء الجراحة العينية على علمٍ بما حصل... المشكلة إذّا كما قال لنا

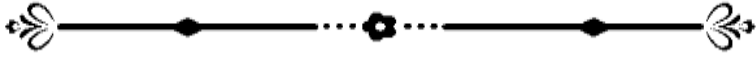
الطبيب مروان!... سينا... عزيزتي... هذا الرجل عرفان... غارقٌ بك.

أجابت سينا مبتسمةً:

- نعم... إنّهُ يبدو كذلك... (ثمّ قطّبت حاجبيها مفكّرةً)... لكنّ إحساساً

غريباً يراودني لا أحبه.. ولا أعلم كنهه بعد!

- إنّهُ الحبّ الأوّل... طبيعيّ شعورك هذا..



- قلت لي الحب الأول... أصدقك القول... لا أظن أنه الشعور الصحيح... إنَّ عرفان شخص مناسب جداً... مهذب ولطيف... وجذاب...
- لولا حال قدمه المسكينة...
- حرّكت سينا رأسها نافيةً فكرة قدمه مستدركةً:
- هناك ما هو أهمّ من قدمه... فلنحمد الله أنه يستطيع السير... (ثمّ ابتسمت بحزنٍ خفي).. المسكين... كم قاسى من المعاناة والعذاب!... أتمنّى ألاّ تؤثر على حالته النفسيّة العميقة يا مروة...
- أنت فتاة لطيفةٌ يا سينا... تستحقّين رجلاً يناسب قلبه قلبك البريء...
- إنَّ قلبي طفلٌ عاقٌّ وساذج... (ثمّ نظرت بيأسٍ عميق)... إنَّ قلبي لا يشعرُ بحبِّ عرفان... لكنّه يأمل ذلك...
- لنأمل أولاً أن تُشفى عينك...
- نعم....

الفصل الثامن

(دايموند هيد)

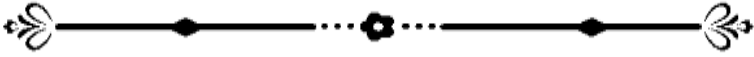
كان فريدريك جالساً خلف طاولة المختبر مرتدياً زياً أبيض مغلقاً عازلاً جسده كاملاً من رأسه حتى أخمص قدميه، وقد أفرغ في أنبوب الاختبار محتويات الماصة المأخوذة من عبوة العينّة الدمويّة بجانبه، ثم تابع عمله في تنقية العينّة ومعالجتها وراثياً..

إنّه لم يكن يتخيّل أن حقيقة عمله في هذه المنظّمة ستصبّ في صميم اختصاصه الهندسيّ..

لقد فوجئ في بداية الأمر عندما طلبت إليه جنيفر أن يقومَ بما يقومُ به الآن.. كون الأمر سريّاً جداً ولا يُسمح له بالإفصاح عن أيّ معلومةٍ غير مصرّح بإفصاحها قبل إعلان الأطباء المتخصّصين عن النتيجة النهائيّة لأبحاثهم.

تخيّل فريدريك حجم الاضطراب الحاصل بين الناس والكثير جداً من الآراء والرؤى غير المبنيّة على أساسٍ علميّ مدروس!

إنّه مهندس تقانة حيويّة ويعلم تماماً ما يقومُ به وإلّا م يفضي! على الناس أن يبقوا في مأمنٍ من أنّ مجرد كلمةٍ تُلقى إليهم قبل أوانها الصحيح... قد يكون لها من العواقب ما لا تُحمد!



لا يكفي أن يعلم الإنسان! بل أن يدرك ما يَعْلَمُه!
كالطفل تماماً الذي يرى السكين ويعلم أنها سكين، لكنه لا يدرك أنها
تؤذي!

المجتمع لا يختلف عن كونه طفلاً... عليه ألا يعلم بشيء!
ابتسم فريدريك في نفسه مستغرباً شعوره بالإحباط أن الأقدار قد أخذته
في النهاية إلى عمله كمهندس.. وهو الذي أحب الحياة واللهم وبرمجة
الألعاب المعقدة!

لقد رفض بادئ الأمر عندما أعلّمته جنيفر بعد شهرين مذبداً العمل لدى
المنظمة الأمنية S بأنه اجتاز مرحلة الاختبار التي أُجريت له وكنتم الكثير
من الأسرار التي سُرّبت إليه، فآن له أن يقوم بعمله الحقيقي وفي مكان آخر..
إلا أن رفضه المضغوط بمشاعر الإحباط وخيبة الأمل سرعان ما تبدد
عندما كاشفته جنيفر بخطورة تسليم هذا النوع من العمل الحساس الدقيق
لشخص آخر غير متمكنٍ قد يخلّ بتوازن العملية فتتخطر الجزيرة في
إعصارٍ من الفوضى لا يمكن ضبطه..

أنهى فريدريك عمله لهذا اليوم.. فخلع رداءه العازل، ثم توجه إلى غرفته
الخاصة الواقعة داخل المختبر..

العملُ مريحٌ جداً رغم ازدحام جدول أعماله اليومي!
المختبر واسعٌ وفيه من المعدات المتطورة ما يسهل عليه عمله ويختصر
جهده والوقت، كما أن الحاسوب المركزي الضخم ذي نظام التحكم الذي

المطوّر قد شكّل له تحدّياً جديداً لدى الولوج لبرامجه وتحليل خوارزمياته المعقّدة...

جلس خلف طاولة مكتبه على كرسيه المريح وطلب فنجاناً من القهوة عن طريق الهاتف القابع على زاوية الطاولة إلى جانبه، ثم فتح مصنفاً ورقياً وأخرج رزمة من الأوراق متصفّحاً إياها بعناية.. وبدأ يكتب على مفكرة خاصةٍ تقرير عمله لهذا اليوم...

صاح هاتفه بصوتٍ رساليّ نصيبيّ... فكانت من مخطوبته سام:
"أحبك فريد... واشتقتُ إليك"

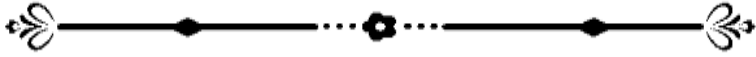
نظر إليها فريدريك بلا مبالاةٍ... ثم تابع عمله...
ثمّة شيءٍ في أعماقه يحثّه على التعامل مع رسائل سام الأخيرة بفتور! في الواقع لم يكن ينكر أنّ لها دوراً هاماً في ترقّيه في العمل هنا... لقد شجّعته وحثّه على تسخير شيءٍ من وقته يحقق فيه ذاته الجديدة بالثقة والاحترام والبعيدة قليلاً عن الحياة الصاخبة غير الهادفة...

ترك فريدريك القلم من يده ثم أراح جسده على ظهر الكرسي الذي تأرجح به للخلف بفعل ثقله... مغطياً بساعده الأيمن عينيه ومتنهداً بعمق...

لقد أصبح في الآونة الأخيرة مضطرب الأحاسيس..

سرعان ما تذكّر رسالتها التي وردت إليه منذ دقائق:

"أحبك فريد... واشتقتُ إليك"



أبتسم بازدرأءٍ عندما أمسك هاتفه مقلَّباً في الرسائل الواردة منها:

"أحبك فريدريك...."

"عزيزي فريدريك.... أحبك"

"تذكرك الآن... وتذكرك كم أحبك..."

"أدرك مدى انشغالك.... لكن اكتب لي أو دعنا نتكلم."

فكر في إمكانية ملاحظتها لإهماله فتعرض هي الأخرى عنه..

ثم استحضر ردة فعلها المتوقعة عندما تعلم أن مشاعره بدأت تتغير نحوها..

وضع يديه على رأسه مصمماً على التركيز...

عليه أن يُقدم على اتخاذ خطوة..

بل عليه أولاً أن يفكر ويمعن التفكير بما عليه فعله..

ربما إن منح نفسه بعض الوقت لاستطاع أن يوجه قلبه نحو الطريق

الصحيح الذي يريده هو... لا الذي يُمل عليه!

وما يريده الآن... يُوافق تماماً ما يرسمُ له ويحطّط لإنجازه!

طرق باب غرفة مكتبه فدلقت الموظفة وفي يدها صينية عليها فنجان

القهوة الساخن..

تقدّمت بخطواتٍ ثابتةٍ متزامنةٍ مع قرع كعب حذائها النسائي الأنيق،

ووضعت الفنجان على الطاولة أمامه هامسةً بصوتٍ أنثويٍّ رقيقٍ مبحوح:

- سيدي.... قهوتك التي طلبتها...

ابتسم لها فريدريك مندهشاً وجودها في مكان عملٍ سريٍّ هو أبعدُ كثيراً عما يجبُ أن تكون فيه..!

"كاترين" هذه الفتاة الرقيقة الهادئة المفعمة بالأنوثة، مضى على معرفته بها عدّة أسابيع كسكرتيرته الخاصة ومديرة أعماله..

- شكراً لك يا كاترين..

- بالخدمة سيّدي..

ثم تراجع، فما إن همّت بالمغادرة عاجلها فريدريك مستفسراً:

- كاترين... أنتِ أمريكية.. صحيح؟؟!

- نعم.....(أومأت بلطفٍ مبتسمةً)

- هل لديك أصولٌ هاوائية؟؟!

- كلا... أصولي أمريكية بجته... وأنتِ سيّدي؟!

- إنني هاوائيٌ.... هاوائيٌّ أصيلٌ.... لماذا قررتِ العمل في هاواي؟!

أشرقت ابتسامةً عريضةً في وجهها وبرقت عيناها قائلةً:

- لأنني أحب هاواي كثيراً.... وأحبّ الهاوائيين.... عن إذنك... سيّدي...

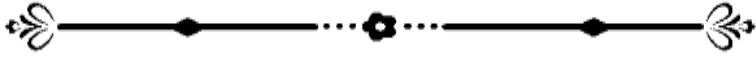
ضحك فريدريك عالياً ثم أخذ رشفةً من فنجان قهوته المنعشة بعد ساعاتٍ

العمل المرهقة، متابعاً كاترين بعينيه وهي تغادر الغرفة ببطءٍ مبالغٍ فيه..!

ثمّة شعورٌ يعتلجُ في أعماقه.... ويا لكثرة هذه المشاعر!

رشف آخر ما تبقى من القهوة ثم تابع ما بدأ عمله في كتابة التقارير

والسؤال الذي يطرق في رأسه بلا أيّ توقّف:



كيف سيكون وقع الصدمة على سام؟؟!!
إنّها فتاةٌ رقيقةٌ وطيّبةٌ على الرغم من سرعة غضبها وسهولة استفزازها، لا شكّ أنّها ستنهار..

قد يكون وقع الصدمة عليها أخفّ وطأةً إن لم تكن وحيدةً أساساً... بلا عائلة!

سرعان ما تذكّر صديقتها سينا.. مقيمةً طب الأسنان الشرعي! لقد تحدّثت له عنها كثيراً، وعندما سأها عن جدوى هذا الاختصاص الغريب وما يقدّمه من نفع يعودُ به على المجتمع، فوجئ بكمّ المعلومات ودقّة استخلاصها بوساطة هذا العلم الطبي الشرعي المدهش.

إنّها صديقةٌ مخلصّةٌ ويعتمدُ عليها... وستُخلّصُ سام من شعورها بالاستياء التالى لصدمة انفصالهما التي لا بدّ منها... لا سيّما وأنّ هذه الصديقة شبيهةٌ وحيدةٌ مثلها تماماً في غربتها عن وطنها... حتماً ستُفيدُ سام من هذه الصداقة...

سرعان ما تذكّر فريدريك سنّه! لقد عانى من آلامه المتناوبة في الشدّة ليالٍ طويلة.. وعليه أن يزورَ طبيب أسنانٍ يعالجُ له هذا النخر قبل أن يمنعه من النوم ذات ليلة!

رفع سمّاعة الهاتف وطلب من سكرتيرة مكتبه كاترين أن تحجزَ لأجله موعداً لدى طبيب الأسنان...

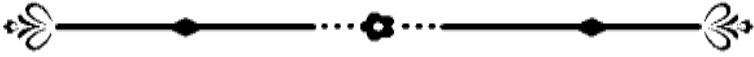
- سيدي.... سأحجزُ لك موعداً في مركز هاواي العائلي للأسنان..
- كلا... لا أريد هذا المركز... لقد آلمني كثيراً طبيبهم المعالج في المرة السابقة..

- ربّما لديهم طبيبٌ آخر..
- أريدُ مركزاً محترماً آخر... اسمعي... احجزي موعداً لدى مركز "أوهانا"...
واطلبي أن يعالجني أفضل طبيب أسنانٍ لديهم... وليكن الموعد اليوم..
- حاضر سيدي.... لكن...
- ماذا عزيزتي كاترين؟

- لقد تكرّرت زياراتك لأطباء الأسنان.... هل أنت بخير؟!
ضحك فريدريك قائلاً:

- نعم... بخير.... كنتُ لا أكرّث كثيراً لهذا النوع من الأوجاع... إلا أنني وبحكم عملي الدقيق هنا.... أخشى أن أفقد شيئاً من تركيزي ودقتي في التحاليل إن حصلّ وهاجمني ألم الأسنان الفظيع هذا.... إنني فقط أحرصُ على سلامتي الجسدية التي ستنعكسُ على مهارتي العملية..

- حسناً سيدي.... (ثم قالت بصوتٍ رقيق).... هل أرافقك...؟!
كانت السيارة الأمنية السوداء ذات النوافذ العاكسة تنتظر عند مدخل المنظمة الواقعة في منتصف قوّة المخروط، وما هي إلا دقائق حتى استقلّ فريدريك ومديرة أعماله كاترين السيارة التي سارت بهما في طريقٍ أمنيٍّ



خاص بالمنظمة انطلاقةً إلى المركز السنّي "أوهانا" والذي يبعد مسافة خمسة عشر كيلو متراً..

قاد السائق السيارة على طريق "لونايلو" السريع..

توقفت السيارة بعد مسيرٍ دام نصف ساعة أمام مبنى مركز "أوهانا"..
ترجّل فريدريك بطريقةً أنيقةٍ مرتدياً ثيابه الرسمية واضعاً على عينيه النظارات الشمسية الداكنة، وسارت إلى جانبه كاترين بثياب عملها اليومي الرسمي، التنورة المستقيمة السوداء فوقه قميصٌ أبيض بأكمام مطويةٍ حتى عضدي يديها، وقد أضفى حذاؤها النسائي ذي الكعب المرتفع لطولها المشوق حُسنًا وجاذبيّةً ساحرة..

- لدينا موعدٌ للمهندس فريدريك حجزته المنظمة S لديكم منذ ساعة
(قالت كاترين مخاطبةً موظّفة الاستقبال)

بحث الموظّفة عن الاسم والموعد... ثم قالت مبتسمةً:

- من هنا.... تفضّلاً..

سار فريدريك باتجاه غرفة المعالجة التي بدت مشرقةً وهادئةً، قد أناخ على أرجائها جوٌّ ثقيلٌ من جزيئات روائح المواد السنيّة الواخزة...

ثم جلس فريدريك على كرسيّ المعالجة مكشّراً، بينما كان الطبيب المعالج يفحص الصورة الشعاعية البانورامية للفكين..

قال الطبيب مستفسراً:

- ممّ تشكو يا سيّد فريدريك...؟

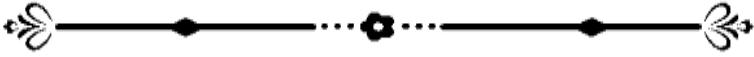
- لديّ ألم في سني... هلاً تفضّلت لرؤيته... (قال فريدريك بطريقةٍ فظة)
فوجئ الطبيب من طريقة المريض ثم تدارك الموقف قائلاً:
- بالتأكيد.... حالاً!

ارتدى الطبيب قفازاته الطبية ووضع قناعه الطبي مغطياً أنفه وفمه ثم
تقدّم لفحص مريضه بعناية متسائلاً:
- هنا الألم؟؟!!

- هنا أيها الطبيب.... هل لي بمرآة لو سمحت..!!
سرعان ما قدّمت له المريضة مرآة واستعان بها لتوضيح المشكلة للطبيب
الذي قال:

- لكنّ سنّك هذا سليم... ولا أثر لأيّ نخر فيه!
امتعض فريدريك ثم قال بهدوءٍ غاضب:

- لديّ ألم هنا.... (والتقط المسبر السنّي من طاولة الأدوات المتصلة
بكرسي المعالجة مشيراً به إلى سنّه مستعيناً بالمرآة ثم صاح..) آآآآه....
هذا مؤلّم جداً.... (وضع يده على رأسه متأوّهاً..) يا إلهي.. أرجوك... عجل
بتخديري... لقد فاق ألمي كلّ احتمال... (ثم قال مخاطباً كاترين)... أيّاً تكن
مستحقّات المعالجة... ادفعي لهم نقداً وأرجو أن يتمّ الأمر سريعاً... أرجوك
أيها الطبيب... أريد أن أنتهي اليوم... لديّ ألم في السنّ المجاور... ولا بأس
بإنجاز الاثنين معاً....!



نظر الطبيبُ إليه باستغرابٍ شديد، ثمَّ جَهَّزَ المحقنةَ الحاويةَ على أمبولة
التخدير قائلاً:

- ربّما لديك حساسيةٌ عاليةٌ في أسنانك...!

- أيّاً يكن... أريدُ أن تحفره وتعالجه... لديّ عملٌ يتطلّبُ رأساً فارغاً
وجسداً مرتاحاً..!

استغرقتِ المعالجةُ ساعةً كاملةً أنهى الطبيبُ فيها تحضير أحد السنين
واكتفى بتحضير الآخر استعداداً لإتمامه في الجلسة القادمة..
نهض فريدريك واضعاً يده على خدّه متحمّساً المساحة المخدّرة منه ثمَّ
غادر المركز برفقة كاترين...

سمع فريدريك صوتاً عميقاً مألوفاً ينادي من بعيد:
- فريد.....

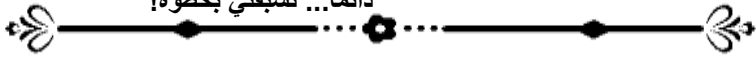
أدار رأسه ناحية الصوت فتصلّب في مكانه هامساً:

- سام...؟؟!!!

أسرعت إليه سام التي لحقت بها سينا، وقالت له بأنفاسٍ متلاحقةٍ وقلبٍ
واجفٍ مبتسمةً بذهول وهي تنقل بصرها بين خاطبها وهذه الفتاة:

- لم أكُ أعرّفك.....!... هه.... تبدو غريباً بعض الشيء بمظهرك الأنيق هذا!
حوّل فريدريك نظره نحو سينا وهو يرمقها مقطباً لثوانٍ.. فأردفت سام
معتبةً:

- لماذا لا تُجيب على اتّصالاتي؟؟!



ابتسم فريدريك بارتباكٍ قائلاً:

- كنتُ أعالِجُ سَيِّ... ولديَّ عملٌ مهمٌ... اعذريني..

وابتعد عن الطبيبتين سريعاً فلحقت به كاترين مومئةٌ لهما بابتسامَةٍ لطيفة...

ازدردت سام لعابها محدقةً بهما وهما يستقلّان السيّارة الأمنية الفارهة التي انطلقت مسرعةً مبتعدةً عن ناظريها...

إنّه غريب..!

لو لم تكن تعرفه حقّ المعرفة... لأنكرته وهو مرتدٍ هذه الملابس منتحلاً شخصيّةً مرموقةً لا تمتّ للبساطة التي عرفته بها بأيّ صلة...

أُيعقلُ أن يكون للثراء الفاحش والمكانة المهمة كلّ هذا التأثير..؟! وعلى من..؟؟؟! على فريد؟!... خاطبها الضاحك المغامر الأخرق؟؟!

إنّه لم يُعرها انتباهاً...!!

أيقظها صوتُ سينا من جمدها:

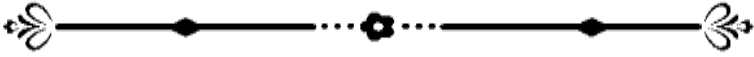
- سام... هيا بنا...

- من هذه الفتاة؟!...

- يبدو أنّها زميلته في العمل..!

همست سام قائلةً بتفكيرٍ عميق:

- لديه عملٌ مهمٌ... لا شكّ أنّه عملٌ طارئٌ حتى تصرّف هكذا!



كان من الواضح لدينا أنّ صديقتها تصارع فكرتين متساويتين في الشدة ومتعاكستين في الاتجاه... إنّهما الوهم والحقيقة.. لكنّها أضعفُ من أن تستسلم للفكرة الحقيقية الصحيحة... قد تبدو سام قويّة رابطة الجأش للآخرين.. لكنّها في الواقع هشّة للغاية.. إذ أنّ انهيار شخص فريدريك في قلبها، يعني انهيارها هي.. يعني نهايتها! حتماً لن تصدّق سام ما رآته عيناها للتوّ، بل ستستدعي الكثير من الحجج وتندّرع بمسبّباتٍ - غير واقعيّة- لفعل خاطبها الطاحن لروحها..! سارت الفتاتان عائدتين أدراجهما.

كان من المفترض بهما تناول طعام الغداء في المطعم الصيني "هونغ نين" الواقع في المبنى الذي يضمّ عيادة "أوهانا" السنيّة.. كان الصمتُ يخيّم عليهما... أو على سام وحدها! بينما كانت سينا تفكّر بمدى سرعة الإنسان في تقلّبه وتضاد عواطفه.. لا بدّ أنّ الفتاة الطويلة تلك تأثّيراً ما جذبه إليها عن مخطوبته! من الواضح تماماً أنّها تختلف عن سام اختلافاً شاسعاً في الشخصية.. فكيف له أن يتأثّر بأخرى تعاكس في شخصيّتها من خفق لها قلبه؟! يا لغرابة البشر..!!

- أعلمُ فريد... وأعرفه تماماً أكثر من أيّ شخصٍ آخر... يستحيلُ أن يفضلها علي... إنّها أبعدُ كثيراً من أن يُعجبَ بها!

إنّ سام الآن على مشارف مرحلة النكران من مراحل الحزن الخمس...
ولن تبعد كثيراً عن مرورها بمراحل الغضب والمساومة ثمّ الاكتئاب إلى أن
تتقبّل الأمر الواقع أخيراً....
هذا غريب فعلاً...

سمعت صوت بكاءٍ خافت.. فكانت سام تمسح الدمعة الهائلة من عينيها
تلو الأخرى.... فقالت لها سينا مَلْطِفَةً:

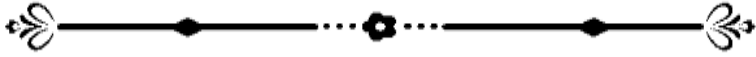
- اهدي... لا شيء يدعو للبكاء...

- أخشى أن يكون في ورطة..!

- ورطة..؟!..

- نعم... تلك التي تنتهي بإجباره على الزواج منها....

- اممم... وارد.... وربما ورطة من نوع آخر..!



الفصل التاسع

(دايموند هيد)

كان شعار شركة "ميغا" المكتوب بحروفٍ حجريّةٍ ضخمةٍ متّصلةٍ ببعضها، والمحاط بعقيدٍ من الأزهار المصنوع من الحجر البركاني، يتوسّط أعلى مبنى الشركة الواقع على بعد كيلو مترٍ ونصف من مبنى المنظّمة الأمنية S غرباً على قمّة المخروط البركاني المنقرض "دايموند هيد"..

تلك المنظّمة المزعجة التي تؤرّق مؤسس الشركة ومديرها السيد ماكاني لمراقبتها "الوقحة" لتحركات الشركة من عاملين وما يدخل إليها وما يخرج منها مترصدةً أيّ هفوةٍ غير مسموح بها حسب القوانين التي سنّتها بأمرٍ من الولايات المتحدة الأمريكية...

مضى على تأسيس الشركة ثلاثون عاماً، وقد كان ماكاني أوّل من اقترح إمكانية إنتاج مستلزماتٍ طبيّةٍ تخدم سكّان جزر هاواي، والاستغناء عن استيراد مواد وأدوات أجنبيّة!

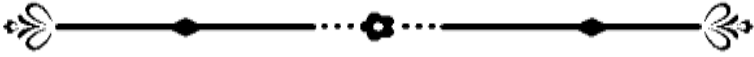
لقد عدّ ماكاني واللجنة المؤسّسة للشركة كلّ ما يردُّ إلى الجزر من خارج حدودها أجنبيّ المصدر على الرغم من انضمام "هاواي" كآخر ولايةٍ إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1898 بعد الإطاحة بالنظام الملكي الذي كانت تحكمه الملكة "ليليوكالاني" عام 1893، وذلك عقب انقلابٍ قامت به

مجموعةً من رجال الأعمال والجنود الأمريكيين والبحارة المدجّجين بالسلاح بمساعدة الوزير الأمريكي في "هاواي" فقرر ماكاني إنشاء مؤسسةٍ طبيّةٍ هاوائيةٍ أصيلةٍ وضمّ إلى أركانها أطباءً ومهندسين وفنيين لتوفير كل احتياجات المشافي الجراحية والمراكز الطبيّة المنشأة في جزر "هاواي"

لقد أراد ماكاني أن يقدم ما يمكنه ساعياً لإفراد "هاواي" باستقلالٍ طبيٍّ يكفيها احتياجاتها دون المساعدة من أي ولايةٍ أمريكيةٍ أخرى.. بدأت الشركة أولاً بإنتاج المستلزمات الطبيّة المُستهلكة المألوفة من قفازاتٍ وأقنعةٍ للوجه وخيوطٍ جراحيةٍ...

ثم تطوّرت بعض الشيء لتصنيع الأدوات الجراحية المعدنية والبلاستيكية وغيرها.. موسّعةً من نطاق عملها فشمّل الكادرُ المهندسين الطبيّين والباحثين العلميين لاستحداث الأطراف الصناعية البلاستيكية الشبيهة بالعضو البشري وصولاً للطرف الصناعي الذكي جاكو.

انحاز السيّد ماكاني وبتعصّبٍ لانتمائه الهاوائي الملكي المستقل وليس الأمريكيّ الجمهوري، وشارك في الكثير من حملات الدعوة لإعادة السيادة إلى الشعب الهاوائي واستلامه الحكم، حيث كان ناشطاً متشدّداً ضد الولايات المتحدة، وحثّ على معارضتها وشجب سياستها، فشارك في عمليّات إغلاق الطرق المهمّة في الجزيرة لا سيّما في أثناء تلك المظاهرة التي



عارضت بناء التلسكوب العملاق (تلسكوب الثلاثين متر TMT)¹¹ في مقاطعة "موناكيا".

حيث تُعدّ "موناكيا" منطقةً جغرافيّةً مقدّسةً لدى شعب "كاناكا" باعتبارها أعلى نقطةٍ لدى جبلٍ بركانيٍّ خامدٍ في "هاواي" صُنّف كأعلى جبلٍ في العالم... لم يتجاوز ماكاني قضيةَ الضم التي قامت بها الولايات المتحدة عندما ضمت "هاواي" لها كآخر ولايةٍ تحت حكمها، بل عدّ ذلك غزواً أمريكياً مسلّحاً وأنّ الإطاحة بالملكة "ليليوكالاني" وما تبع ذلك من سيطرةٍ وسيادةٍ ليس إلا احتلالاً عسكرياً تمّ بطرقٍ غير قانونيّة..

اعتزّ بالسلالة الملكيّة "كاميهاميها" العظيم واعتبر آخر مُلوكه ملكته العظيمة "ليليوكالاني" ملكةً حكيمةً فضّلت حقن الدماء وحفظ الأرواح على تمسّكها بالعرش فتنازلت عن سلطتها مطالبةً الولايات المتحدة ومن خلال رسائل الاحتجاج، الاعتراف بالتحالف واستعادة سيادتها ضدّ الإجراءات الأخيرة للحكومة المؤقتة في "هاواي" لكنّها جوبهت بالرفض! ثمّ وبعد قيادتها لعمليّة انقلابٍ قامت به الحاشية الملكيّة والعديد من الهاوائيين، تمّ اعتقالها واعتقال مئةٍ واثنين وثلاثين جندياً كأسرى حربٍ وما يقارب ثلاثمئة رجلٍ وامرأةٍ كسجناء سياسيين، وقد أدانت المحكمة

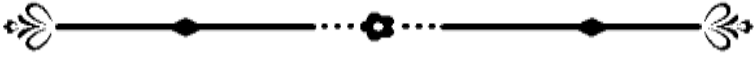
¹¹ تلسكوب الثلاثين متر TMT: مشروع فلكي ضخم حيث يعدّ أكبر تلسكوب ضوئي مرئي يسمح برؤية الأجرام السماوية بشكلٍ أوضح مما قامت به التلسكوبات الأخرى الأصغر حجماً.

العسكرية مئةً وسبعين سجيناً بتهمة الخيانة وحكمت على ستة جنود بالإعدام شنقاً حتى الموت!

كانت الذكرى المئوية للإطاحة غير القانونيّة بعرش الملكة ليليوكالاني عام 1993 ذات وقعٍ مؤثّرٍ على قلب السيد ماكاني وروحه الوطنيّة، فشارك في تنظيم مسيرة "أونيبا" للسلام لإحياء هذه الذكرى العظيمة مع ثلّةٍ من الناشطين والمؤلّفين وزعماء سكّان "هاواي" الأصليين، قادها من برج "ألوها" إلى قصر "إيولاني" مرتدين أزياءهم الهاوائية التقليديّة مزيّنين رؤوسهم بتيجانٍ من أكاليل الزهور وأوراق الشجر..

وقد تأثّر ماكاني لخطاب أحد الزعماء الناشطين السيّدة المؤثّرة "هوناني تراسك" عندما ألقت خطابها بصوتها الحماسي المتقدّ بحضور حشدٍ غفيرٍ من الناس حين ركّزت في حديثها على كلماتها الاحتجاجيّة المجدّلة: "نحن لسنا أمريكيّين... قلّها في قلبك... قلّها في نومك... لن ننسى أبداً ما فعله الأمريكيّون بشعبنا... أبداً... أبداً... أبداً... الأمريكيّون يا شعبي هم أعداؤنا..!"

وعلى الرغم من مرور ثلاثة عقودٍ من الزمن على هذه المسيرة المؤثّرة، إلّا أنّها لا تزال حيّةً في ذاكرته الهرمة وكأنّها حصلت البارحة! وصدى صوتُ السيّدة |هوناني تراسك| يرنّ في أذنه وهي تُلقّي خطابها الذي يدعو لحقّ سيادة سكّان "هاواي" مندّدةً بما استحدثته أمريكا من "ولاية هاواي" وتضليل الهاوائيين بتخدير همهم شعوريّاً



- كونهم شعباً دمثاً وعطوفاً- وجذبهم بعيداً عن ضرورة تحلّيتهم بالقوّة والشراسة لاستعادة أراضيهم المستعمرة من قبل أمريكا!
والآن..!!

وحيث يجلس السيّد ماكاني على الأريكة في غرفة مكتبه في الطابق العلويّ من قصره مرتدياً ثياب نومه الحريرية وفي يده فنجانٌ من أعشاب "أوا" الهاوائية لتساعده على الاسترخاء والنوم مهدّئة أعصابه ما أمكن - كونه يعاني يومياً من مشكلة أرقه الليلي ونومه المتقطع - فقد عادت به ذاكرته إلى أيامٍ طويلةٍ من العذاب والمشقة ناضل فيها ساعياً لتحقيق شيءٍ من مبتغاه ومبتغى الشعب الهاوائي...

لكنّه عاد كما ذهب...!!

وهو الآن على أريكته يتلّع هذا الدواء العشبي علّه يهدأ ويتمكّن النوم منه.. لكن عبثاً!

كان دماغه يعمل ويأبى التفكير إلا بما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية من احتلالٍ وسوء إدارةٍ لأراضي "هاواي" وحظرهم اللغة الهاوائية بأساليب ملتوية تحت مسمّى الديمقراطية...

ماذا عليه أن يفعل..؟!

كيف له أن يعيدَ ولو جزءاً يسيراً من حضارتهم المسلوبة لشعب "كاناكا" الشعب الهاوائي الأصيل..؟!

إنه لا يُنكر أنّ مجرد تأسيسه شركة "ميغا" للمستلزمات الطبية وتحقيقه تفوّقاً باهراً تميّز به على سَلَم التطوّر في كامل أوروبا إن لم يكن في العالم... إنّما هو نصرٌ مبجّلٌ للهاوائيين لا سيّما وقد قيّد حدود تقديم خدمات مركزه لتشمل جزر "هاواي" الواقعة في منتصف المحيط الهادئ دون سواها! ألا يعدّ هذا نصراً للهاوائيين..؟؟!!

هل يواسي نفسه الآن..؟؟!!

إنّ في هذه الجزر شعوباً وسكّاناً من أعراقٍ أخرى كثيرة! كيف يميّ نفسه باستقلالهم طبيّاً والأغلبية الساحقة لتلك الأعراق الأخرى والمختلطة الكثيرة كاليابانيين والقوقازيين وغيرهم؟؟!! بدا لماكاني أنّ جهوده تذهبُ سدى!

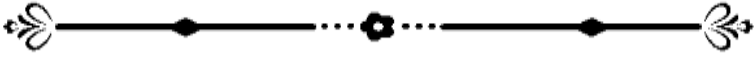
وأنّ صوته وصوت من سبقوه قد ضاع في غياهب هذا المحيط! أحصلَ ما حصل بسبب دعة الهاوائيين ولطفهم وتفضيلهم حقن الدماء اقتداءً بملكتهم الحكيمة؟؟!!

هل لهذه السمات الحسنة كلّ هذا التأثير السيّء؟!

هذا العالم لا يعترف إلا بالقوّة!!

كان عليهم أن يقولوا "لا" بالقوّة ثمّ القتال!

ابتلع ماكاني آخر ما تبقى من فنجان أعشاب "آوا" عابساً متسائلاً:



- هل يستحق حقاً شعب هاواي هذه التوضيحات التي قُدمت له؟؟!!
وهل استطاعت "ميغا" أن تثبت عنصريتها للهاوائيين علّهم يقتبسون شيئاً
من هذه العنصرية فيتحدون ويستعيدون ما سلب منهم؟!
ما المغزى من عنصرية "ميغا" وهي تغذي جميع المستشفيات والمراكز الطبية
في كامل جزر هاواي؟!

هذه المستشفيات التي تعالج مرضى بأعراقٍ من جميع أنحاء العالم..
كان ماكاني واثقاً أنّ وزارة الصحة الأمريكية لم توقّر لحظةً تندرّت فيها
ساخرةً من اتّخاذها قرار حصر منتجات "ميغا" الطبية ضمن هذه الجزر!
ولعلّها اعتبرت موافقتها على ما أراده مجرّد فضلٍ منّت به عليه كحقّ هاوائيٍّ
مستقل!

كما أنّها لم توقّر منحه الجوائز والمكافآت لحيازته براءات اختراع الواحدة
تلو الأخرى كما حصل مع اليد الاصطناعية "جاكو" JAKO
إنّّه يعلم تماماً أنّ ما تقوم به ليس إلّا إسكاتاً مهذباً ودحضاً لمساعيه ومن
شابهه في أفكاره ومقاصده المنافية للسلام وحفظ الأمان للسكان..
منذ متى كان ماكاني وإخوته - أبناء وطنه - يعارضون السلام ويشنون
الحروب ويريقون الدماء؟!

لطالما امتاز هذا الشعب الهادئ باللطف والدمائة والعطف..
أحبّ الخير وسعى له ساعياً للطبيعة أن تحتضنه وتحتويه، لا أن يسيطر
عليها هو!

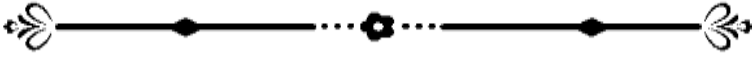
كان خاضعاً لقوانين المحيط والأرض والرياح والضوء..
فلم تبخل الطبيعة عليه بخيراتها وصفاء جوّها ونقاء هوائها!
منحتهم الصحة التامة الخالية من أي أمراض ربّما هي أمراض روتينيّة
خارج الجزيرة!

عاش الشعب لقرونٍ من الزمن سليمين أصحاء والحب والسلام يحوطهم
من كلّ جهة، إلى أن تم اكتشافها من قبل الآخرين الأجانب، فسبّب
اختلاط الهاوائيين بهؤلاء الدّخلاء إصابتهم بالأمراض والأسقام كالإنفلونزا
والحصبة ما أودى بحياة الكثيرين منهم، فقلّ عددهم كثيراً لخلوّ جهازهم
المناعي من الأضداد اللازمة لمحاربة هذه الكائنات الدقيقة الممرضة!
ما ضرّ لو بقيت أجهزتهم المناعيّة ضعيفة مقابل خلوّ أرضهم من دخلاء
أجانب غيرهم.. وكأنّ أجسادهم خلّقت للعيش باستقلال تام..
خلّقت للاندماج مع الأرض والطبيعة، مع المحيط والهواء، مع الحيوانات
والنباتات، لم تُخلق لمخالطة مثيلهم من البشر الأشرار، فكيف بالاندماج
مع أعدائهم الأمريكّيين المحتلّين المخادعين...

نهض ماكاني عن الأريكة بتؤدة ثم توجه نحو النافذة القابعة خلف طاولة
مكتبه ناظراً للمحيط الداكن البعيد..

لا بدّ لنا أن نتصر بطريقةٍ ما...

"لن أستسلم حتى أفرد للهاوائيين الأصليين أرضاً، حكومةً، وطناً وقانوناً
يحكم بينهم"



أطلّت شمس "هونولولو" من بين السحب المتفرّقة السابحة في السماء الزرقاء باعثةً حرماً من أشعتها المتلاقية في مركز قرص الشمس الشاحب.. بدا المحيط متلوناً بين درجتي الأزرق الفاتح والغامق بفعل هذه السحب، التي ما لبثت أن اتّحد بعضها فترقرقت قطرات المطر الهادئة على المنطقة... وحيثُ يعدّ شهر آب من الأشهر المفضّلة لدى السيّاح إذ تمتاز فيها "هونولولو" بقلّة أمطارها في فصل الصيف، فإنّ هطول قطرات خجلةٍ من المطر الهادئ يُضفي شعوراً رائعاً لا كتمال اللوحة بكامل عناصر الطبيعة الخلابة...

كان عرفان واقفاً خلف الجدار الزجاجي الجنوبي لصالة الاجتماعات في مبنى مركز الأبحاث النفسية، يشاهد امتزاج قطرات المطر بالمحيط مكوّنةً دوائر كثيرةً متحدةً المركز ضمن القطرة الواحدة..

ولو استطاع إحصاءها لما تردّد...!

إنّ لهذه القطرة تأثيراً عميقاً على سطح المحيط!

تأثيرٌ لا يُدرك منه إلّا هذه الدوائر التي كادَ يلاحظها لحفةً وزن القطرة الهاطلة..

وهذه الحزم الشعاعية من الشمس لا بدّ أنّها تؤثر بأشعتها على البقعة التي تتركز عليها دون سواها المجاورة التي تظلّلها السحب حاجبةً الضوء عنها! هذه التأثيرات التي قد لا تُدرك... إلّا أنّها ومع مرور الزمن، ستبدو جلياً فعاليّتها وستنبثق عن حقائق مذهشة!

بالصبر فقط ودقة الملاحظة... ستتكشف الكثير من الأمور!!
لا بد من الشك في كل ما هو مُسلّم به، لتحقيق الكثير من الإجابات
المخفية خلف ستار البساطة والبدئية!

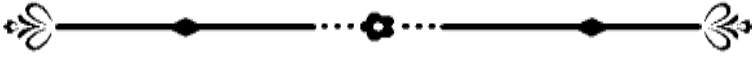
تلمس عرفان بيده ساقه اليمنى، فعاوده إحساسه بتأثير الإصابة عليه..
فعلى الرغم من مرور أعوام تجاوزت عقداً كاملاً من الزمن على إصابته، إلا
أنّه لم يستطع التأقلم مع ما هو عليه، ولم يتجاوز شعوره بخلل يعزّز من
حقيقة عاهته ويسلمه لواقع كربه فرض عليه الحياة بساقٍ معاقّةٍ لِقصرِها
قليلاً عن الأخرى..

وحيث أنّه الطبيب الواثق ذو الشخصية الهادئة المسيطرة على عواطفه
المكبوتة بعناية، والذي لا يكثرث لأحدٍ أبدى أو لم يبدِ ملاحظته بإعاقته،
إلا أنّه وفي أعماقه سجنٌ يقيد فيه "شخصه" الحقيقي الذي يصرخُ
ويستجدي الأمان والقبول!

وليس أيّما قبول...!

إنّه يعلمُ تماماً أنّ أحداً لا يأبه لمشكلة ساقه عندما يعاين تفاصيل
شخصيته الذكية الجذابة والتي تتخذ من الثقة متقنة الصنع رداءً محملياً
نفسياً يسترُ ما لا يرغب بتكشّفه للآخرين من هشاشةٍ وضعفٍ في مراحل
الرضى والهناء..

كان تأثير الصدمة بادئ الأمر قاسياً على قلبه وطاعناً لروحه..
لا تزال تفاصيل الحادثة تعمل عملها في دماغه حتى اللحظة..



لحظة انقلاب وسيلة النقل ولحظة الأصوات المختلطة ثم غيابه عن الوعي، حيث استيقظ بجسدٍ منهارٍ على سريرهِ في المشفى غير قادرٍ على تحريك ساقه،

وقد أُخبرَ بأنها بخيرٍ وأنها تحتاج لبعض الراحة والوقت لتُشفى.. لكنه عندما علم الحقيقة في الأسابيع القليلة التالية، أُصيب بصدمةٍ حادّةٍ كانت أقرب للهستيريّةٍ ما جعله مريضاً منهاراً..

لم يستسلم للأمر الواقع فسعى باذلاً كلّ ما يملك من ثروةٍ لمنح ساقه الفرصة من خلال إخضاعها لعملياتٍ جراحيةٍ عدّة لدى أمهر الأطباء الجراحين تستعيد فيها وظيفتها الحيويّة... لكن عبثاً!

لزم الفراش شهراً طويلاً لم يستطع خلالها تحريك ساقه إلى أن تماثلت للشفاء، فجربَ الوقوف ثم المشي عليها لكنه فُجِعَ بنتيجةٍ أدمت أعماقه المتعطّشة للتعافي التام وعودتها كسابق عهدها!

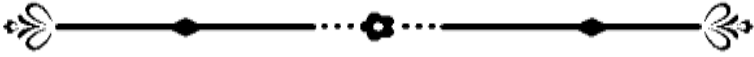
فأمضى الفترة التالية لإصابته متضعضاً يائساً كارهاً للحياة غير راضٍ عن قدره، خسر أصدقاءه لعدم تقبّله مواساتهم وبغضه لكلمات العزاء... الصادقة وغير الصادقة!

كلّ شيءٍ من حوله كان ينكأ جرحه النازف..
كان عرفان عداءٍ رياضيّاً... والآن هو شخصٌ معاق!

اعتزل كامل محيطه من أهله وأصحابه ولزم غرفته وحده منقطعاً عن متابعة دراسته وعمله ردحاً من الزمن أثقل عليه همّه وأضناه، سالباً ما تبقى من فتات أمله بحياةٍ تصلح له ويصلح لها..

انشغل بهاتفه المحمول الذي بقي ملاصقاً ليدّه وعقله يحادث صديقاته في أيام الجامعة والاختصاص، فانبثق له ضوءٌ جديدٌ من نافذةٍ ذكيّةٍ استمدّ منها شيئاً من ثقته وارتياحه لملاحظة أثر شخصه الخبير على هذه التي جذبت لأسلوبه وطريقة حديثه المعسول، وتلك التي ضحكت كثيراً لمزاحه الظريف ورقة كلماته، فما لبث أن اكتظّ هاتفه بأرقام المعجبات اللاتي لم يخلنّ في إغراقه بالاهتمام والودّ ثم طالبات رؤيته على أرض الواقع..! فنكص على عقبيه مولّياً، أناخ عليه شعور الانهزام ما أجبره على الارتداد عن محادثة الفتيات واستبدلهنّ بأخرياتٍ يُرضين مزاجه السابح في عالمٍ افتراضيٍّ هاربٍ من الحقيقة والواقع الحق..

إلى أن اهتدى أخيراً لضرورة خروجه من قوقعته الوهمية وضرورة متابعة حياته وما بدّاه من التزامه ببرنامج الإقامة في المشفى بقصد الاختصاص في وطنه الأم ومسقط رأسه، مُتقبلاً واقع حاله الذي طمس انعكاسه على الآخرين كلياً بطريقته وأسلوبه الواثق وابتسامته اللبقة ونظراته الحادة للمّاحة!



كان ذلك المسلك الوحيد الصَّيِّ الذي اضطرَّ سلوكه للعيش كرجلٍ قويٍّ مُهاب..!

استطاع عرفان تحقيق أحلامه إلا حلمين اثنين!
كان بعيداً جداً حصوله عليهما...

أحدهما قلبُ سينا!

تلك الفتاة المميّزة التي كانت دائماً تسبقه وتتميّز عنه في كلّ شيء...
تمكّن عرفان من الاستحواذ على إعجاب الكثيرات، باستثناء سينا... أثبت
أن تُبادله الشعور..

عبثاً حاول معرفة السبب الحقيقي الذي امتنع لأجله قلبها أن يمنح عرفان
فرصةً ضئيلةً لتجاوز أسواره المنيعة حديثه العهد بالنشوء!
فجوبه بتلمييح قاسٍ ليشبه الرّفِض البات مرّةً ومرّتين ثمّ الكثير من المرّات...
لكنّه لم يستسلم كما لم تستسلم هي!

ولو لم يكن هنا في هاواي، لما تردّد في محاولته الألف سعيّاً ملء رصيده
المعنويّ في أعماقه التي يسجن فيها كيانه الحقيقي..

ذلك الكيان الشره الشرس المؤمن تماماً بأنّ مفتاح سجنه وترياق علاجه
يكن في حصوله على الحبّ الحقيقي من الشخص الحقيقي الذي تتحقّق
فيه كامل الشروط والمواصفات المدروسة والمنتقاة بعناية!

لطالما كره عرفان تمرّد ذلك الكيان الذي عدّه نقطة ضعفه الصريحة، وكابَح قوّته، فاضطرّ لإرغامه على الإقامة ضمن قوقعةٍ متينةٍ مغلقةٍ تضمن اختفاءه محافظاً بذلك على توازنه وثقله في المجتمع...

يستحقّ عرفان أن يكون محطّ الإعجاب أينما حلّ!
إنّه طبيبٌ لَمَّحٌ، مميّزٌ وجذابٌ لولا حالة ساقه الميئوس منها..
لماذا رفضته سينا إذاً؟!...

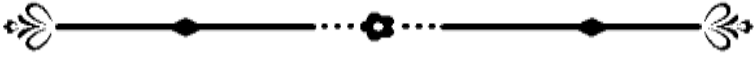
الأجل ما حصل سابقاً؟!
أم لأجل ساقه حقاً؟!

ما الذي جعلها مصمّةً على اتّخاذ قرارها المُجحف ذاك وهو الذي وجدَ فيها كلّ أحلامه وآماله؟!... بل وشفاءه من دائه الذي لا يعلمُ عنه أحد!
لماذا تذكّرها الآن؟!

نعم....

أعماقه وسجنه - معتقل ذاته الأصلية - هو ما يستدعيها كلّما أرادَ عرفان زيارة ذلك المُعتقل والاستفسار منه عمّا إذا اهتدى لبديلٍ آخر يصلحُ للشّفاء غير سينا!
عبثاً كان له ذلك!

ابتسم عرفان في سرّه مستغرباً هذه الرغبة الروحيّة العميقة وهو على بعد آلاف الأميال عن تلك الروح الصافية النابضة بالحياة التي ابتغاها صفيّة روحه حقاً!



ربّما يجدرُ به نسيانها حتّى حين...
ربّما عليه التركيز على نجاحه وإنجازاته الشخصية، وتلك الأمور التي قد
تُخَفِّفُ من حدة جروح روحه إلى حدٍّ ما..!
فها هو ذا في مركز الأبحاث النفسيّة برئاسة الطبيب بيكا الذي يقدرُ عرفان
ويجلّه كطبيبٍ نفسيٍّ قدّم الكثير من خدماته التي يفتقر لها الكثيرون
غيره..
لقد نال في "هاواي" ما لم ينلّه في موطنه.. وحتماً ينتظره الكثيرُ هنا..
إنّه يعلمُ أنّ ذلك مجرّد ذريعة..
وأنّه في أمس الحاجة لذلك الحب من الشخص الذي وقع عليه الاختيار
طالما أنّه الحلّ والعلاج!
لكن..
أين هو وذلك الحب؟!
كثيراً ما حاول عِرفان أن يزهدَ به طالما أنّه لم يحصلْ عليه بالطريقة التي
يريدها هو أن تكون!
إنّه يعلمُ أنّ شروطه معقّدة!
ويدركُ أنّ سينا أبعدُ ما يكون عن هذه الشروط..
فيا لها من منالٍ باتَ مستحيلاً!
طُرق الباب...

فدلف منه الطبيب بيكا وأعضاء لجنة الأبحاث قائلين:

- ألوها

ضحك عرفان قائلاً لهم:

- ألوها يا أصدقاء

جلس الجميع في أماكنهم المعتادة مستعدين لحضور جلسة المناقشة الأسبوعية..

وبدأ الطبيب بيكا:

- لدينا عملٌ مهمٌ جداً يا سادة... فأرجو الإسراع في سرد تقارير الأبحاث المهمة فقط....

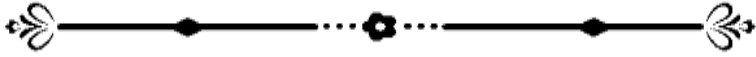
تمعّن عرفان بوجه كلّ واحدٍ من الأعضاء مستمعاً مركزاً تماماً في كلّ ما يقال..

ثمّ بدأ بكتابة ملاحظاته التي ابتعدت كثيراً عن مضمون الجلسة ساعياً لأفكارٍ جديدةٍ بالتدقّق خارج الصندوق كالعادة.. واختتم بيكا المناقشة قائلاً:

- لقد تقرّر توظيف عرفان في مشفى الملكة كطبيبٍ نفسيٍّ مسؤولٍ عن قسم الصحة السلوكية والطب النفسي... نأمل منك أيّها الطبيب ما عوّدتنا عليه..

فأوماً لهم عرفان مبتسماً:

- أتمنى أن أكون عند حسن ظنّ الجميع..



الفصل العاشر

(مشفى الملكة)

كانت سام تمسك المبعد الجراحي كمساعدةٍ جرّاحٍ للمقيمة العليا وتحاولُ في يدها الأخرى ضبطَ تركيزِ بؤرة الضوء المنبعث من القرص العاكس للإضاءة فوق ساحة العمل الجراحية..

- يداكِ ترتعشان.... ركزي.

- نعم... حاضر

رمقتها المقيمة العليا باهتمامٍ متعجّبةً لهذا التغيّر الحاصل ثم قالت طالبةً:

- كوتري*

أمسكت سام جهاز الكوتري¹² لتعطيه لمقيمتها العليا لكن الأخيرة قالت لها:

- اقطعي الصفاق هنا وسلّخي الطبقات العضلية لجدار البطن.....
أحسنّت...

كانت سام تعملُ بهدوءٍ محاولةً نسف كلّ ما يشغل تفكيرها الآن سوى هذه العملية الجراحية.. إنّها على وشك خسارة شخصها المفضّل..

¹² الكوتري: أداةٌ متّصلةٌ بجهاز كهربائيٍّ تقومُ بقطع الأنسجة الرخوة أثناء الجراحة بواسطة الحرارة العالية لمنع فقدان الدم والحفاظ على نظافة ساحة العمل.

لقد بدأت تلميحاته تعمل عملها في علاقتهما... التجاهل والتأخر في الرد على الرسائل، والردود المقتضبة جداً والاعتذارات المتكررة بانشغاله، حتى أنه يرفض رؤيتها!

هل يُعقل أن يتغير فريدريك كل هذا التغيير..؟!

كيف استطاعت تلك الماكرة أن تسحره؟!

ليس الآن الوقت المناسب للتفكير به..

عليها أن تركز فيما بين يديها..

لكن... كيف ستتقبل الآن حقيقة افتراقها عنه؟!

كيف ستواجه هذا العالم القاسي وحدها؟!

تشوّشت الرؤية لديها لترقق عينيها بدمعتين مثقلتين، فطرفت جفنيها عدّة مراتٍ بسرعة علّها تتخلّص من هذه الضبابية..

ثمّ تنبّهت لصوتٍ مقيمتها العليا وهي تحدّث بصوتٍ ثابت:

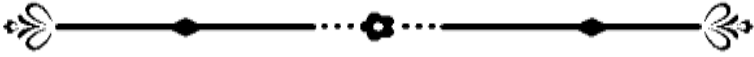
- هذا المريض قد لا يصحو بعد العمل الجراحي... مهما يكن من أمر.. فأنتِ بخير.... أما هو وبجسده المتهالك أماننا الآن... آخر ما يهمّه هو حزنك.. فإن لم تستطيعي السيطرة على عواطفك... اكتفي بالمراقبة وأنا سأتابع...

اختنق صوتُ سام قائلةً:

- حاضر.... سأتماسك...

أمامها ساعةٌ فقط..

- ذهبتُ لمركز الطبابة.... كنتُ أراقب الأطباء الشرعيين هناك في أثناء تشريح إحدى الجثث...
- ما دورك هناك؟؟.... وبرنامج إقامتك يلزمك على العمل هنا لمدة سنة! ابتسمت سينا بازدراء:
- من قال إنَّ عليَّ الالتزام؟!.... إنني حرةٌ طليقةٌ أستطيع حضور متى وأيما شئت هنا أو هناك...
- غادرت الطبيبتان ردهة جناح العمليّات وسارتا باتجاه حديقة المشفى.
- أخبريني.... كيف مات..؟
- بطلقِ نارِي.... لديكم الكثيرُ من المجرمين هنا في "هونولولو"
- ربّما..... لماذا تُتعبين نفسك بالعمل مع الأطباء الشرعيين واختصاصك ينحصر ضمن الأسنان والجثث مجهولة الهوية؟!
- لأنّها جثةٌ مجهولة الهوية....
- حقاً..؟؟!!
- طبعاً.... بعد انتهاء الأطباء الشرعيين من فحصها وتحديد سبب ووقت الوفاة.... ساعدتُ مقيمي الأعلى بتسجيل البصمة الفكيّة للجثة.... أصغى....
- صوتُ مايكل قريبٌ من هنا!
- تنهّدت سام قائلةً:
- ياله من.....
- إنّه شخصٌ ظريّف ومضحك...



- دعينا منه.... فريدريك..... لقد مضى على مصادفتنا تلك أسبوعاً
كاملاً.... تحيّي... لم يحاذثني..... لا يجيب على اتّصالاتي.... أشعرُ بالسّوء يا
سينا...

- إنّهُ حرٌّ بمشاعره..... دعيه.....

- إنّهُ يتسرّب من بين يديّ.... إنّهُ يتلاشى....

- برأيي.... اتركه وشأنه..... أو لديه أسبابه....!

- مستحيل.... عليّ أن أعرف.... كيف له ألاّ يكثرث لمشاعري هكذا؟!
صمتت سينا ثم تكلمت بحذر:

- في كلا الحالتين.... عليك أن تكوني مستعدّة.... هذا الشخص يحاول
التهرّب... فلتساعديه على ذلك!

صرخت سام بصوتٍ مكبوت:

- كيف أساعده؟؟!!!!... إنّهُ لا يعلمُ تأثيرَ ذلك على قلبي!

- عَلِمَ أو لم يعلم.... سهّلي عليه الأمر....

حدّقت بها سام مستنكرةً كلامها البسيط المتساهل جداً مع الواقع المرعب
الذي على وشك أن يصيبها بطعنته القاتلة...

إنّ سينا لا تدرك حتماً شيئاً ممّا تقوله لسام، حتماً لا تعلمُ شيئاً عن الحب!

- أخشى أن تعاملك مع الجثث يميّثُ عاطفةَ الحبّ لديك!

ضحكت سينا عالياً...

لكنّها توقّفت عن الضحك فجأةً متسرّرةً في مكانها حتى باتت نظراتها جامدةً وهي تنظرُ إلى الشخص الواقف في فسحة الحديقة أمامها والذي ابتسم لها هامساً بلطفٍ شبه غائبٍ عن الوعي:
- ابتسامتكِ..... هي الأجل.....

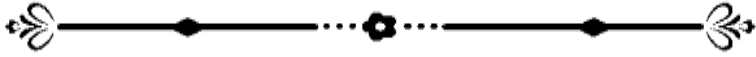
قلّبت سام نظرها بين صديقتها والطبيب عرفان المبتسم بلطفٍ هادئٍ تنبعث من عينيه الحادّتين اللامعتين نظراتٌ دافئةٌ لا تحدّق سوى بسينا...
كان عرفان مسحوراً بهذه المفاجأة...

إنّه لم يتوقّع رؤية سينا في "هاواي" تحت أيّ ظرفٍ كان!
أحسّ بإشراقة الحديقة بل المشفى كاملاً....

كلاً... كامل جزيرة "أواهو".... عندما شهد فقط هذه الضحكة العفويّة الساحرة تبعثها ابتسامه لطيفةً بريئة.... يا لجمال الكون!
أراد أن يتحسّس وجهها ليثبت لنفسه أنّها هي!
الفتاة التي مجوزتها كامل مفاتيح ذاته الأسيرة!
قالت سينا بهدوءٍ مهيب:

- لم تغَيّر من سيناريو مبادرتك يا دكتور.... "ابتسامتكِ".... و"سُررتُ بلقائكِ".... و"فخورٌ بمعرفتكِ".... بتّ مقروءاً جداً!

ضحك عرفان ثم تقدّم نحو الطبيبتين بخطواته غير المتناسقة مُتمتماً:
- إنّها الحقيقة... (ثم أردف مبتسماً مدارياً خيبته بهذا الترحيب القاسي)...
أنا شخصٌ بسيط...!



ابتسمت سينا بازدرأءِ قائلةً:

- في الواقع.... أنا هو الشخصُ البسيط...!

رمقها عرفان بنظراتٍ حاول إخفاء حزنهما عبثاً ثم خاطب سام بدماثةٍ ولطف:

- اسمي عرفان.... طبيبٌ في الصحة السلوكية والطب النفسي هنا في مشفى الملكة... (ثم تابع مُسترقاً النظر إلى سينا التي بدت له خاليةً من أي استغراب)... والطبيبة سينا زميلتي في أيام الدراسة في بلدنا ووطننا البعيد جداً عن هنا...

- تشرفتُ بمعرفتكَ أيها الطبيب... (ثم همست لصديقتها)... أنا أنتظرُكِ في غرفة الطوارئ...

وعندما همّت سام بالمغادرة قالت سينا بصوتٍ ثابت:

- انتظري.... سنذهبُ معاً.... (ثم أومأت لعرفان سريعاً)... وداعاً.. وسارعتا بالسَّير نحو المدخل...

لم تسلم سينا من تقرّيع صديقتها التي لامتها كثيراً لسوء تصرّفها مع طبيبٍ لبقٍ يَكُنّ لها من الاحترام والتقدير والودّ ما قد لا يَكُنّهُ لأحدٍ غيرها، من الواضح أنّ لسينا في قلبه ما لأحدٍ آخر!

هذا ما أكّد أنّها بعيدةٌ جداً عن مشاعر الحبّ التي يبدو أنّها اضمحلت بعد خوضها في هذا الاختصاص المرعب... الطب الشرعي والجثث والأموات!

صحيحٌ أنّها لا تعرف شيئاً عن روعة تأثير مشاعر الشغف الساحرة، إلا أنّها مُصانّةٌ أيضاً من تأثير مشاعر الخذلان والخيبة!
الحبّ بكلّ بساطة... هو تنازل الإنسان عن نظام تحكّم منبع السعادة لشريكه فيتحكّم به كيف يشاء حسب مزاجه!
الحبّ هو شعورٌ له ثمنه الباهظ...
هذا الثمن الذي بدا لسام أنّها على وشك أن تخسره وتخسر قلبها الذي أحبّ سنواتٍ طوال!

لكن....

لماذا يحدث ذلك؟!...

ماذا يفعلُ فريد الآن..؟!!

- أهلاً... أهلاً... (صاح مايكل بصوته مرحباً عندما وصلت الصديقتان قسم الطوارئ)

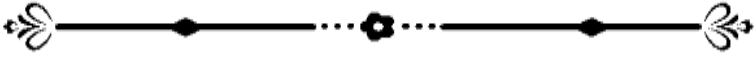
بدت سينا غارقةً في التفكير عندما اتخذت من الكرسيّ البعيد عن الطاولة مكاناً لتجلس فيه..

أحسّ مايكل بالاستغراب كونها لم تردّ عليه، فأشارت سام بعينيها هامسةً له:

- أرايت؟!... لا تحبّ صوتك!

لم تستطع سينا تمييز شعورها الآتي بعد!

هل هو الخوف أم الحماس المختلط بالغضب؟!!



لماذا تشعرُ بالتوجُّس حيال هذا الرجل الغريب؟!
نعم.... لأنَّه غريب....
لكن... ماذا يفعلُ هنا؟!
مهما يكن من أمر... عليها أن تبقى بعيدةً عن محيطه ذي الهالة
الغامضة...
لو كانت في وطنها، لما تردّدت في سبر أغواره ممحصّة أخباره بحذافيرها،
وبأسلوبٍ ماهرٍ بعيداً جداً عن أن يشعر بريبٍ ما أو شكٍّ بأحد!
من الجيّد أنّها تعرفه!
ابتسمت سينا في سرّها ضاحكةً: أهلاً... أهلاً...
قلّبت نظرها بين أصدقائها...
مايكل يشاجرُ سام...
وأسامة يخيّط جرحاً لأحد المرضى...
وكلّ ممرّضٍ ومقيمٍ يقومُ بعملٍ ما هنا...
استطاعت سينا أن تكسب ودّهم جميعاً، إن لم يكن جميع مَن عرفتهم.
حتّى مرضاها في عيادتها السابقة، لم يوقروا اتّصلاً أو مقابلةً يودّعونها
متمنّين لها كلّ التوفيق لما تركته من أثرٍ طيّبٍ في قلوبهم جميعاً..
إلا عرفان هذا!..
لم تكن واثقةً تماماً من نوع الأثر الذي تركته في داخله!
لكنّه حتماً ليس حبّاً!

إنَّ عرفانَ يَدَّعي الحبَّ!

لكنَّه ليس ذلك الشعور النقيَّ السويَّ!

إنَّه حبٌّ مختلٌّ..

حبٌّ مريضٌ لم تجدْ له سينا تفسيراً وتشخيصاً حقيقياً له بعداً!
إنَّ الشخص الذي لا يفقه شيئاً عن انطباع أحدهم عنه، عليه أن يُشهر
سلاح الحذر الخفيِّ منه..

فما أسهل التعامل مع المحبِّ الواضح والكاره البين...

أمّا ذاك الشخص غامض الإحساس ذو الأسلوب الذي يتبع وتيرةً واحدةً
دون أن يخلَّ بها أيّ موقفٍ ساء أو حسن، فهو شخصٌ بارعٌ يتقن كتمان
لواعج نفسه التي تتمثّل بنقاط ضعفٍ إن تكشّفت للآخرين..

حتماً في أعماق عرفان ما يحرّض على إخفائه!

تنهّدت سينا زافرةً كلّ رواسب الضيق الممتزج بالقلق وبعض الاستياء...
ستكون الأمور على ما يرام..

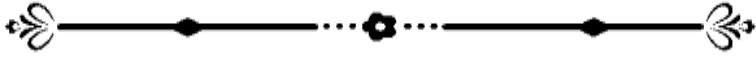
جلس مايكل إلى جانب سينا قائلاً:

- هل أنتِ بخير..؟!

- بالتأكيد... لماذا؟!

- تشبهين بعض مرضى الهذيان الذين أتوا إلى هنا في الآونة الأخيرة... غير
واعين تماماً لمحيطهم...

- غير واعين لمحيطهم..! ماذا تقصد..؟!



- مثلاً... رَحَّبْتُ بِكَ فتجاهلْتَنِي... انظري... تماماً كذاك المريض هناك!
كان المريضُ الواقفُ بجانب مرافقه في قسم الاستقبال يجيبُ عن بعض
الأسئلةِ الموجهةِ إليه بشكلٍ غير متناسق، ثم يطلق نظره للفراغ وكأنَّه
معزولٌ عن العالم الخارجي المحيط من حوله، فتساءلت سينا معاتبَةً:
- هل أشبه ذلك المريض؟!.... من الواضح أنَّه أحدُ مبتدئي تعاطي المخدرات
أو شيءٍ من العقَّارات المهدِّئة..
تقدَّم أسامة وهو يخلع قفازيه قائلاً:
- أو ربَّما مصابٌ باضطرابٍ نفسيٍّ كآثار ما بعد الصدمة!
تساءلت سينا مستفسرةً:
- من هو المسؤول في قسم الصِّحة السلوكية هنا؟!
- إن لم تحنَّ الذاكرة... كانت الطيبة سارة.. لكنَّها نُقلت لمشفى آخر وحلَّ
محلَّها طبيبٌ عربي... اسمه عرفان..
بحثت سينا بناظرٍها قائلةً:
- أين سام؟!
أجاب مايكل بانزعاج واضح:
- لقد أسرعْتَ بالخروج بعدما تلَّقت رسالةً إلى هاتفها من أحدهم....
ظننتُ أنَّكما جئتما لمساعدتنا..
أخرجت سينا هاتفها وهي تسيرُ خارجاً لتجري اتِّصلاً مع سام..
حاولت عدَّة مرات لكنَّها لم تتلقَ أيَّ إجابة!

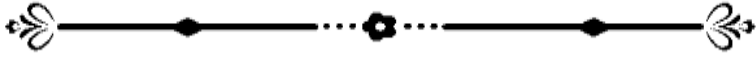
أجالت نظرها في الفسحة الخارجيّة للمشفى باحثةً عنها دون توقّف عن
محاولات الاتصال!
أين يمكن أن تذهب؟!
فهي عادةً ما تشركُ سينا في كلّ ما تقومُ به أو تطلّعها على ما تنوي فعله على
الأقل!

هذا غريب!!
بدأ شعورُ القلق ينتابها عندما فكّرت باحتمالاتٍ مزعجة..
خاطبها... أو تلك الفتاة!
كانت السماء ملبّدةً بالغيوم المتحرّكة سريعاً بفعل الرياح منذرةً بمطرٍ
غزير وعاصفةٍ قويّة..

من النادر أن تمطر في "هونولولو" في هذا الوقت من السنة..
أمضت سينا نصف ساعةٍ باحثةً عن صديقتها الضائعة، ثمّ أعادت الاتصال
بأسامة الذي نفى عودة سام إلى قسم الطوارئ!

.....

انهمر المطرُ غزيراً واستحال ضوءُ النهار المشرق باهتاً بفعل حجب الغيوم
الكتيمة المترابطة لأشعةِ شمس الظهيرة، تتخلّلها ومضات البرق الخاطفة
المتزامنة مع هزيم الرّعد المدوّي.



هُرَع الناس محتمين من سيول الأمطار التي هطلت بقوة منسكبةً على الأرض باعثةً أصوات جلبةً بفعل ارتطام قطراتها الضخمة وحركة الأشجار بفعل الرياح.

وقفت سام متمسرةً تحت مياه المطر الهاطل وهي تحدّق في يدها الحاوية على حجرٍ بركانيٍّ وخاتم خطوبة، وبضع كلماتٍ بصوتٍ أنثويٍّ مبحوح يتردّد في رأسها:

"إنّه لم يعد يرغبُ في إتمام الأمر... أرجو أن تكفّي عن إزعاجنا... أنتِ طبيبةٌ ولا بدّ أن تعي أنّ مشاعر الإنسان خارجةٌ عن سيطرته... وفريد لم يعد في قلبه ما يكفّه لك... أراذني أو أوصل لك رسالته لأنّه مشغول"

وعندما سألتها عن الحجر البركاني¹³، ابتسمت كاترين بمكرٍ قائلةً:

- إنّها اللعنة التي ستُصيبك إن لم تستسلمي حيالَ فريد!

- إذاً الحجرُ منك أنتِ... هه!

- كلا... كلاهما من فريد... إنّني مجرد رسول!

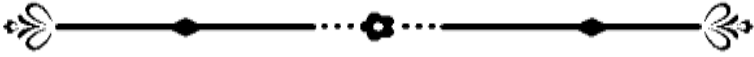
النهاية إذاً..!

يا لغدر البشر ويا لوقاحتها!

إنّها تريد من سام أن تبتعد عن فريستها التي ما أسهل الإيقاع بها.. كونها فريد الأهوج!

¹³ يرمزُ الحجرُ البركانيّ في "هاواي" إلى أنّ لعنة سُصيبُ من يأخذه أو ينتزعه من أرضه

أرخت يديها وأعصابها وأراحت رأسها من التفكير إلا فيما يخص قلب
خاطبها غير المخلص!
هل هذا هو الجرحُ إذاً؟؟!....إنّها لا تشعرُ بشيء...
ربّما لا تزال تحت تأثير الصدمة..
لو أنّ هذه الأمطار تُذيبها فتختفي..
لو أنّ هذه الرياح تقتلع هذا القلب الجريح فتُريحها من عذابه اللاحق..
تابع هاتفها المحمول رنينه في جيب رداؤها الأبيض، لكنّها لا تُريدُ الإجابة..
ولا تُريدُ إسكاته..
صوّته المزعج مع صوت المطر والطبيعة الهالجة ينتشلانها من غياهب
أفكارها..
ضائعهُ سام الآن..
لم يعدْ لحفقات قلبها صدًى تحثّه على النبض للحياة..
لقد غادرها فريدريك.. حبُّها، معنى وجودها.. كما غادرها أبواها!
رفعت رأسها عالياً نحو السماء باستكانةٍ وانهمزام..
لقد توقّعت حدوث شيءٍ مثل هذا منذ فترةٍ قصيرةٍ من الزمن!
لكنّها لم تتوقّع السرعة التي حصل فيها كلّ ذلك!
ما أطفه حياة الإنسان المتعلّق مصيرها بشخصٍ آخر!
كم سيبقى من أشلاء هذه الروح بعد خيانة صفيّها واقتلاع أجزائها
بانتراعه من مقامه المستحلّ في أعظم وأعرق ما تقدّس في الإنسان؟!



فلتصدق هذه الأحزان ولتبكِ هذه الروح وليقرع القلب طبول العزاء
ولترث سام حالها التعيس..

فما أقسى شعورَ الهوان بعد محاولاتها وسعيها يدفعها الأمل والرجاء أن
يخبرها فريدريك بكلّ شيء!

حقيقة تخليه عنها وهجره لمن كانت مصدر سروره وبهجته!
لعلّها تسعى لتصحيح ما أخطأته فتستعيد علاقتهما حياتها وصحتها..
لكن تجاهله الأخير ورفضه النقاش لا يدلّان إلا على قرارٍ اتّخذه لا رجعة
فيه!

ما أشرس شعور الكراهية بعد شعورٍ حلّ بالقلب وأزهره!
إنّهُ شعورٌ قاسٍ جداً...

أن يكرهك من تحب!... لدرجة عدم رغبته برؤية من كان يحب!... حتى
عند توديع مَنْ أَحَبَّ!
لم يشأ فريدريك حتّى أن يودّعها....

سارت سام ببطءٍ دون أن تأبه لصوت الرّعد والمطر.. فتُسرع!
ولا لصوت الهاتف... فتُجيب..!

ولا لصوت قلبها المكلوم... فتصرخ!

تجاوزت إشارة المرور فأطلقت السيارات المسرعة أبواقها محدّرةً وغاضبة!
ترى كيف ستكون حياتها الجديدة الآن بغيابه؟?
كيف ستعيش؟؟

كيف ستدرس؟؟

كيف ستعمل؟؟

إلى أين تسيرُ الآن؟؟؟

مجرد دقائق ورسالة نصية تفيد بضرورة رؤيتها لأحدهم في منطقة قريبة من مشفى الملكة، ثم تحولت سام من شخص إلى آخر!!
إنّ السماء تبكي والرعدُ يصرخ والأشجار تهتز والمياه تمورُ على الأرض...
والمحيط..... ها هو ذا.....

لماذا اختارت الشاطئ لتذهب إليه؟؟!

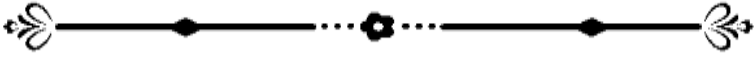
ربّما هو المكان الذي قد يحتويها بكلّ ما فيها من اضطرابٍ ولواعج!
وصلت الشاطئ وبدأت قدماها تغوصُ في الرمال المشبعة بمياه المطر وصولاً
لأمواج المحيط المتلاطمة بفعل العاصفة التي على وشك أن تبدأ..!
لم تشعرُ سام بأمواجه الواصلة إلى ركبتيها وهي تخوضُ فيها كونها مبلّلةً
أساساً بالمطر..

استسلمت لسحب مياه المحيط لجسدها الذي ابتعد عن الشاطئ عدّة
أمتارٍ غير واعيةٍ لشيءٍ إلّا لفكرة الاختفاء لعدم جدواها في الحياة!
الموتُ غرقاً...

حتمًا لن تشعرَ باختناقٍ أعنفٍ ممّا تشعرُ به الآن...

إنّهُ الوقت المناسب للموت بألمٍ أخفّ وطأةٍ من ألمها هذا!

ألا ما أظلم هذه الحياة...!

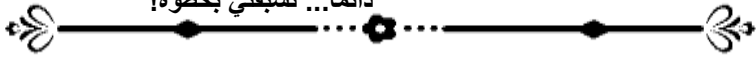


"أمي... أبي.... وفريد.... ليتني لم أعرفكم جميعاً...!"
تناهى إلى سمعها صوتٌ غليظٌ متقطعٌ لا تحبّه، يتيه في خضمّ الطبيعة
الشائرة يناديها...

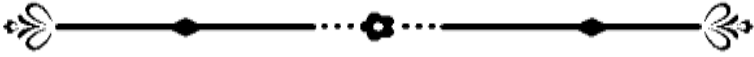
لا تحبّه ولا تحبّ صاحبه ولا تحبّ فريد الذي عَدِر بها ولا تحبّ أبويها...
لكنّ الصوتَ استمرّ في مناداتها مقترباً منها أكثر ممّا تبتعدُ عنه...
- ساااام..... توقّفني..... ساااام... أرجوكِ توقّفني....
انقضّ مايكل رامياً بجسده في المحيط الهائج...
تنهّدت سام حانقةً وقد بلغ شعورُ الضيق والضجر أوجه لوجود مايكل
هنا...

حدّقت به والأمواج تتلاعبُ بهما ثمّ خاطبته متوسّلةً بصوتٍ محتنق:
- هذه المرّة فقط.... لا تزعجني.... أتوسّل إليك.... ابتعد من هنا....
لم يكثرث مايكل لهذيانها وبراعةٍ استطاع السيطرة عليها وانتشالها من
عباب المحيط كونها لم تنأ كثيراً عن الشاطئ..
كانت سينا وأسامة يراقبانها بأنفاسٍ فزعةٍ وقلوبٍ وجليةٍ من أن تبتلعهما
الأمواج المتكسّرة الغاضبة سريعة التأثير بالعاصفة...
انتبه أسامة وسينا لمقاومة سام لمايكل مستعينةً بقوة دفع الأمواج عائدةً
إلى الأعماق..

فهبت سينا إليهما، لكنّ أسامة قبض على ذراعها قائلاً بصوتٍ عالٍ في
خضمّ الرياح العاصفة:



- هذا خطر...
- لكنّها تقاومه...
- سأذهب أنا...
- يجبُ أن أتحدّث إليها... لن تستجيب لك..
- قال أسامة بصوتٍ غاضبٍ وهو يجذبُ سينا من ذراعها:
- أخبرتكِ أنّ ذلك خطر... لا أريدُ أن..... يُصيبكِ مكروهٌ سينا... هل تفهمين ذلك؟!
- توقّفت سينا محدّقةً لثوانٍ في عينيّ أسامة المُصمّتين، ثمّ أعادت النظر لسام التي بدت مستميتةً وهي تناضلُ خائضةً في المحيط...
- فأبعدت يد أسامة بيدها الأخرى بهدوءٍ مؤكّدةً:
- سأكون بخير...
- أفلت أسامة ذراعها وهو يراقبها وشعورٌ سيّئٌ قد طفا على قلبه وحرك في أعماقه رغبةً صادقةً في إجبارها بالقوّة على عدم المغامرة...
- إلا أنّ سينا استغلّت فرصة اقتراب مايكل وسام من الشاطئ حيث قلّ احتمال الخطر كثيراً، حتّى بلغت يدها ساعد سام، أمسكتها وسحبتهما نحو الرمال، لكنّ الأخيرة حاولت التملّص بشراسة فعاجلتها سينا بصفعةٍ قويّةٍ على وجهها صائحةً بها:
- اهدئي... لا شيء في هذا العالم يستحقّ أن يسلبَ حياتكِ!... (ثمّ خاطبت مايكل)... أسرع بها إلى الشاطئ... الأمواج تعلو...



استسلمت سام لإنقاذ مايكل لها راميةً الخاتم الذي كانت قابضةً عليه،
وعندما وصلا الرمال حَمَلَهَا فقالت له مطرقةً:

- أستطيع السير وحدي...

- لا أريدُ سماعَ صوتكِ أبداً....!

استطاعت سينا رؤية الخاتم الذي رمته سام تتقاذفه الأمواج، فسبحت
نحوه محاولةً الحصولَ عليه، وما إن قبضت على الخاتم حتى فقدت السيطرة
على جسدها بالتزامن مع غمرها موجةً عاليةً ساحبةً إيّاها عميقاً...
حاولت رفع رأسها لتأخذ شهيقاً فعاجلتها موجةٌ أخرى مطبقةً عليها دون
حصولها على أدنى فرصةٍ للتنفّس..

بحوزتها دقيقةً فقط تستطيع حبس أنفاسها قبل أن تغيب عن الوعي حيث
الغرق الوشيك، كان عليها أن تصارع هذه اللجة المرعبة التي أحاطت بها،
والأهمّ هو التأكد من وجهتها كونها لم تعد تميّز الشاطئ لهول مياه المحيط
التي أحاطت بها من كلّ جانب، ما جعلها تشعر أنّ المحيط قد ابتلعها كما
يبتلع حبة الرمل!

أغمضت عينيها بقوةً مطبقةً يديها على صدرها عندما أرغمت على سحب
شهيقٍ قويٍّ من المياه المالحة ضاغطةً رئتيها بعنفٍ شديد...
الشيء الوحيد الذي أدركته في تلك اللحظة هو تلاشيها انفجاراً من الداخل

ما جعلها تعجز عن وصف ضآلتها وخفة التقامها دون أن يبقى منها أثرٌ في
بضعة أمتارٍ فقط من مياه المحيط...!
فما أتفه هذه النهاية وما أقسأه من عذاب!
.....

- سينا.....

(إنّه صوتُ سام.....)

- سينا... افتحي عينيكِ... استيقظي...

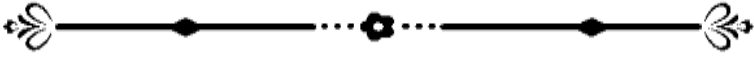
بيطءٍ حاولت سينا إدراك ما حولها من هدوءٍ يتخلله صوتُ سام...
إنّها على قيد الحياة..

هذه أنفاسُها - شهيّق وزفيرٌ- ونبضات قلبها وإدراكها الذي بدأ يجلو عنها
هذه الغمّة الهادئة أخيراً من رعب المحيط والعاصفة...

فتحت عينيها، وبرؤية ضبابيّة استطاعت تمييز وجه سام القلق وهي تحثّها
على الاستيقاظ..

إنّها في المشفى... ويبدو أنّها على سريرها في غرفة إقامتها مع سام...
فهمست جاهدةً بصوتها المتعب وهي تسعل ما علق من المياه المالحة في
حلقها:

- أنتِ بخير؟!.... (ثم مدّت راحتها نحو وجه سام بهدوء).... حمداً لله...
إنّكِ... بخير....



احتضنت سام يدَ صديقتها وأذنتها من وجهها المطرق الباكي:

- آسفة.... آسفة.... آسفةً جداً....

- حاولتُ أن أحصلَ لكِ على الخاتم... لكنّه ضاع مني..

حرّكت سام رأسها نافيةً:

- كلا.... ها هو ذا.... استطاع عرفان إنقاذك والاحتفاظ بالخاتم حتّى النهاية....

حدّبتها سيناً متسائلةً:

- كيف.... عرف بأمرنا؟!.... وكيف استطاع.... بساقه؟؟!!

مسحت سام دموعها قائلةً:

- عندما غبتِ عن أنظارنا وسحبك الأمواج للداخل... هُرع أسامة

لإنقاذك... إلّا أنّ عرفان ولا نعلمُ من أين أتى وكيف.... سرعان ما بان لنا

وهو يسبحُ ببراعةٍ نخوكِ إلى أن انتشلك من براثن الأمواج المتقاذفة...!

نهضت سيناً بصعوبةٍ بالغةٍ محاولةً الجلوس وهي تهمسُ بحبالها الصوتيّة

الملتهبة:

- هل كان يراقبنا؟!

- ماذا..؟!

بدأت اليدُ اليمنى لسينا بالبعث في شفتها السفلية مطلقةً ناظرٍها لما رسّمه

دماغها من تفسيرٍ منطقيٍّ لكثيرٍ من الأسئلة التي بدأت تراودها وتطرّق

رأسها بعنف.

بافتراض أنه كان موجوداً بالصدفة.... كيف علم بأمر الخاتم إن كان تركيزه منصباً على عملية الإنقاذ وليس على شيءٍ صغيرٍ تتقاذفه الأمواج الغاضبة؟! أغلب الظنّ أنه كان على علمٍ بعملية البحث التي خاضتها مع أسامة ومايكل..!

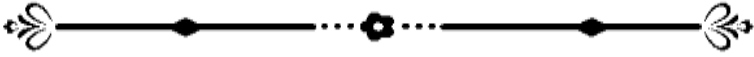
لكنهم كانوا يركضون وباتجاهاتٍ مختلفة.... وبوضعه الصحيّ هذا... لا يمكنه الركض لاحقاً بأحد!... كيف بالثلاثة إذاً؟!... هذا إن تغاضت عن سباحته المتقنة التي لولاها لكانت سينا على طاولة المشرحة في الطبابة، فالسباحة بساقين مختلفتين في الطول... أمرٌ يمكن إتقانه مع التدريب المتواصل، خصوصاً عرفان الذي لا يعترف بالهزيمة... إنّما يسعى جاهداً لإتقان ما قد تكون قدمه عائقاً له... والسباحة ليست أمراً صعباً، إن كان فرق الطول ضئيلاً... لكنّه حتماً لن يستطيع الركض... هذا مؤكد.... فالمسافة كانت طويلة... والعاصفة قويّة... والثلاثة تفرّقوا مسرعين.... قطعاً لم تكن مصادفةً وجوده على الشاطئ في يومٍ ماطرٍ عاصفٍ، لا سيّما وقد كان في الحديقة لحظة اجتماعهما به...

كيف استطاع عرفان اللحاق بهم؟!

هل كان يكذبُ بشأن قدمه طوال الوقت؟!

لكن.... لماذا؟!

كلا.... هذا مستحيل.... إنّها تعرفه منذ سنواتٍ وخطواته غير المتناسقة لم تختلف أبداً عن السابق، كما أنّ الحادث الذي أصابه كان حقيقياً...!



إلا إذا... قد عاجلها هنا.... واستمرّ في التمثيل بأنّه عاجزٌ عن السير كأَيِّ إنسانٍ طبيعيٍّ.... هه ربّما....!

أجهشت سام بالبكاء وهي تحدّق بالخاتم قائلةً بصوتٍ مختنق:

- بسببي كدتُ تفقدين حياتك... لقد تخلّى فريد عني يا سينا.... لم يعد يحبّني.... وأنا حاولتُ كثيراً لتعود علاقتنا الجميلة كما كانت... لكنّه بعث لي بخاتمه هذا... كيف استطاع الغدر بي هكذا؟!... كان حبّاً صادقاً... لقد فقدتُ حبي هذا.... لذلك....

- لذلك قرّرتُ إنهاء حياتك في يومٍ عاصفٍ!

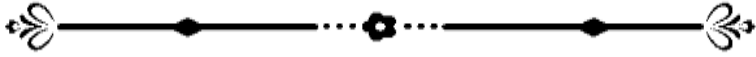
- انظري إليّ.... لقد دُمّرت... حطّم قلبي.... ليتني متّ قبل أن أفجع بخبرٍ فطيع كهذا الخبر... تخيّل... لم يكتفِ بردّ الخاتم وفسخ الخطوبة!.. بل ربط بي لعنةً بحجرٍ بركانيٍّ إن حاولتُ مجدداً الاتّصال به أو أردتُ أن أرده إلي!

ابتسمت سينا هازئةً:

- لعنة؟؟!!... أنتم الهاوائيّون غريبو الأطوار... لديكم أساطيرٌ كثيرةٌ وخرافاتٌ عجيبة! تابعت سام باكيةً:

- أخشى أن يصيبني شيءٌ من لعنته كوني لم أعِد الحجر البركانيّ إلى أرضه.. لقد ضاع منّي في المحيط وخسرتُ هاتفي أيضاً.. أسندت سينا رأسها المرهق على يدها قائلةً بلا مبالاة:

- ليت لعنة بركان "دايموند هيد" بوزنه كله تصيبه فتبيد قلبه الذي لا يعرف معنى الحب
- بسببه عرّضتك للخطر..
- أحسّت سينا بألمٍ في حنجرتها عندما صرخت بها غاضبةً:
- أجنونَةٌ أنتِ؟!... نحاول أنا ومايكل إنقاذكِ وأنتِ ترفضين فرصة الحياة التي مُنحت لك!... تخيلي لو لم نُجدكِ؟! أطرقت سام يائسةً:
- كنتُ أريد الاختفاء... الألم فظيع... أنتِ لا تعرفين ما أشعرُ به.... ولا أرجو لكِ ذلك...!
- أيّاً كان ما تشعرين به!... عليكِ أن تقدّسي الشهيقة والزفير، هذه الأنفاس التي لن تدري عظمتها حتّى تُطبّق أمواج المحيط على صدرك فتسحقه! (ثم وضعت يدها على قلبها مستذكرةً ما حصل).. إحساسُ الموت... أسوأ كثيراً من وهم كسر القلب... جميعُ ضحايا الانتحار تعذبوا قبل أن يلفظوا أنفاسهم الأخيرة... كانت عيونهم جاحظة... ضحايا الحنق والشنق والغرق... حتّى ضحايا الطلق الناري... في لحظةٍ ما... أحسّوا بحجم الورطة التي ابتلوا بها أنفسهم وتمنّوا أنّهم لم يُقدموا على اتّخاذ قرارٍ لن يدفع ثمنه سواهم.... جميعهم سام.... كلّهم... تجاوز عذابُ انتحارهم ألّهم النفسي السخيف....



ندّ عن سام صيحةً باكيةً نافيةً:

- كلا... ليس سخيلاً.... راقبي حياتي كيف ستقلبُ رأساً على عقب في الأيام القادمة.... أنتِ لا تعرفين شعوري....

- وأنتِ لا تعرفين شعور الغرق... هيا... أحضري لي وعاءً مليئاً بالماء... فإن كنتِ جادةً في قرارك... سأجبرُ رأسك على غمره بالماء لدقيقةٍ فقط... سرعان ما سينتفضُ جسدك باستماتةٍ متمسكاً بالحياة التي تنبذنيها!... جميعُ المنتحرين كاذبون!... يكرهون الحياة ثم وعلى مشارف الموت يدركون تفاهة ما دفعهم للانتحار حين يُطبق الهلاك المؤكّد بجدرانهِ الحقيقيّة ساحقةً أجسامهم بما فيها قلوبهم التي كانوا يتشدّقون بألمها المُختلق الواهم!... ثم ماذا... لا رجعة!... كلّ قرارٍ له ثمنه المُستحقّ... وثمرُ قرار الموت أقلّه الندم!

نهضت سام من مكانها والدموع تغطّي وجهها هائلةً بلا توقّف ثم حدّجت سينا بعينيهَا المنتفختين وبصوتٍ متقطّعٍ تكلّمت:

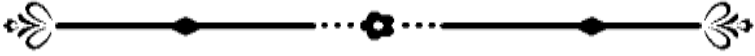
- وهذا القلب الجريح.... ماذا أفعلُ به!؟....

همهمت سينا بحزنٍ هادئ:

- لستُ على وفاقٍ مع قلبي لأُسيدي لك نصيحة... لكنني بطريقةٍ ما... أجدتُ التعاملَ معه.... هذا النوع من القلوب الحسّاسة لا ينفعُ معها إلا التّجاهل والتفريع... حتى تُسكّت ثم تُضمّر أحاسيسها التفصيليّة المزعجة!

- لا أريد لقلبي أن يضمر ويغلق على نفسه...! إنَّ إحساس الحبِّ هو لمسةٌ من الجمال الذي لا يمكن وصف تأثيره على النفس...
- ممتنةٌ لأنَّه لا يمكن وصفه...! فالكلام عن الحبِّ وتأثير سحره يُشعري بالغثيان..

- لأنَّك لا تعلمين عنه شيئاً....
- لنفترضُ أنَّني أشعرُ بكِ تماماً كما تدَّعين... ما الذي ترغبين بقوله لكِ؟! بعضُ المواساة والعزاء... ثمَّ ماذا؟!... نذهبُ معاً إلى المحيط لنغرق!... هراء...! (وتابعتِ مركزةً على كلِّ كلمة) كلُّ شيءٍ في داخلِك... هو ملككِ أنتِ... وأنتِ من سيتحكَّم به... سعادتكِ وحزنك... مقاومتكِ واستسلامكِ... أملكِ ويأسكِ... هي إرادتكِ أنتِ... لا فريدريك ولا غيره يملك حقَّ السيطرة على عواطفكِ وعقلكِ... عالمكِ الخاص الذي ترسمينه وتلوِّنيه كيفما تشائين... حتَّى إذا ولج الحبُّ الحقيقيُّ أعماقكِ... الحقيقيُّ يا سام... لا تسلِّميه أيّاً من مفاتيح سعادتكِ... يفتحها يوماً ويغلقها أياماً حسب مزاجه وضغوطاته وظروفه الخاصَّة التي عليكِ تفهِّمها!... وقلبكِ الصغير هذا... حلّه سهل... لقنّيه بعض الإرشادات وامنحيه وقته ليُشفي وليعتادَ حرّيّة الشعور دون أيِّ تأثيرٍ خارجيٍّ عليه... (ثمَّ تحوّلت نظراتها لتلك الحانية الرقيقة)... يا إلهي... هلّا توقّفتِ عن البكاء....
- لو أصابكِ مكروه... لم أكن لأسامح نفسي....

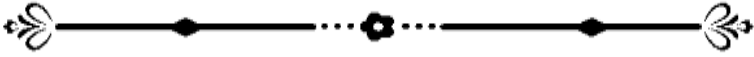


- هل تبكين لأجلي أم لأجل فريدريك؟!
- أحاطت سام بذراعيها صديقتها سينا بقوةٍ منتحبةً:
- لأجلي أنا...
- ابتسمت سينا ضاحكةً:
- أحسنت....

الفصل الحادي عشر

(دايموند هيد)

- أريد رؤية ابن أخي فريدريك كالوا..... إنه يعمل هنا لديكم...
كانت العمّة نينا تُخاطبُ الحارس القابع في نقطته ضمن كبنية زجاجية عند
مدخل مركز المنظمة الأمنية S الواقعة في منتصف فوهة مخروط "دايموند
هيد"..
مسحت جبينها المتصبّب عرقاً لبذلها جهداً وهي تصعدُ إلى الفوهة في يومٍ
مشمسٍ من أيام آب التالي ليوم عاصف...
إنّها المرّة الثالثة التي سعدت نينا فيها إلى فوهة المخروط هذا في حياتها
كاملةً..
فعلى الرغم من لياقتها وبُنيتها البدنية الرشيقة، إلّا أنّها لا تحبّ هذا
المخروط البركانيّ الخامد ولا تأمنُ عواقب هدوئه الطويل جداً...
فهي تشعرُ أنّه سيثورُ يوماً ما كأَيّ بركانٍ كان خامداً في "هاواي" وثار..!
ولا يمكنها حتّى تخيّل حدوث ذلك لما سيحدثُ من كارثة تُبيدُ أقلّها شاطئ
"وايكي" والمنطقتين الشمالية والشرقية المجاورتين له!
أجالت نينا نظرها، فثمة ما تغيّر على فوهة هذا المخروط!
لقد كُثرت نقاط المراقبة التي أعدتها المنظمة S لتغطّي بالإضافة إلى محيط



القمة كاملاً، حراسة بنائي شركة "ميغا" ومبنى مركز الأبحاث النفسية وكأنّ
هجوماً مباغتاً سيحلّ في أيّ لحظة...!
والأهمّ من كلّ ذلك...

فلقد امتنع السائحون عن زيارة هذه القمة التي كانت نقطة سياحية مثيرة
يرتادها كلّ زائرٍ كأول رحلة في برنامج الزيارة المخطط له..
كيف لا... والمنطقة أصبحت أمنيّة أكثر منها سياحية؟!
إنّ نينا لا تهتمّ لكلّ هذه الأمور التي لا حيلة لها فيها..

الشركات والمنظّمات وهذه المخططات السياسيّة ربّما... لا تكثرُ لها!
حتى أنّها لا تأبه لتعصّب الهاوائيين لانتماّتهم واستماتتهم للحصول على
استقلالهم من سيطرة الولايات المتحدة الأمريكيّة، طالما أنّها وابن أخيها
المدلّل بخير، وأنّها حرّة في الاحتفاظ بثقافة حضارتها الأم "هاواي" وتخليد
ما اعتادته منذ صغرها في حضن أبويها الهاوائيين!.

لم يحصل حتّى مرّة واحدة أن شاركت في إحدى المظاهرات التي يقومُ بها
بعض الهاوائيين المتعصّبين لهويّتهم، بل عدّتها غباءً وسوء تقديرٍ إذ لم
يركّزوا إلا على الجانب المظلم لما يعدّونه "احتلالاً أمريكياً" دون الجوانب
الأخرى الأكثر إشراقاً وإيجابية، عندما أصبحت جزر "هاواي" مركزاً تجاريّاً
عظيماً ومنظّماً بقوانين يخشاها جميع المستغلّين الأجانب.
مهما يكن من أمر..

فلقد أشادت نينا بحكمة الملكة "ليليوكالاني" حين تنازلت عن العرش حقناً للدماء.. فإن لم تكن أمريكا... فاليابان حتماً ستسعى لبسط سيطرتها على "هاواي"..

أصلاً.. لم تفوّت اليابان فرصة الهجوم على ميناء "بيرل هاربور" عام 1941 مستهدفةً الأسطول الأمريكي ما أرغم الولايات المتحدة على دخول الحرب العالميّة الثانية.

إنّ نينا تخشى الحرب وإراقة الدماء، وربّما تفضّل السلام الآمن على كلّ أمرٍ آخر...

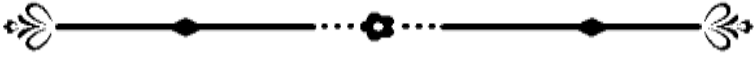
هذا بالضبط ما جعلها تحترم شركة "ميغا" لدرجة التقديس كونها تعبر عن عنصريّتها للهاوائيين بطريقة آمنة وإنسانيّة عظيمة..

سارت نينا بهدوءٍ حول المدخل الرئيسيّ للمنظمة تغلفها الحيرة والقلق! لقد تغيّر فريدريك وأصبح لا يكثرُ لعمّته بعد انسحابه التدريجيّ الهادئ من روتين حياته التي اعتادته نينا عليه!

طال غيابه، وطالت ساعات عمله وكثرت الأيام التي يبيت فيها خارج البيت متذرّعاً بضغط العمل وضيق الوقت..

لطالما لازمها الخوف والتوجّس من إقدامه على عملٍ غريب.

وها هي ذي... تتعنّت الصعودَ إلى هنا وتطلبُ رؤية ابن أخيها الغائب عن البيت أسبوعين متتاليين دون أن يأبه لقلق عمّته فيتّصلُ بها أو يجيبُ على



اتصالاتها ويخبرها عن مستجدات عمله التي تتطلب كل هذا الغياب مُبهم
التبرير والإيضاح!

كان الحارس يُجري اتّصلاً من هاتف كбинته القابع بها... ثم قال لها:

- سيّدي... من غير المسموح دخولك إلى هنا...

- اطلب حضورَ الموظف فريدريك... قل له إنّ عمّته تريد رؤيته...

- سيّدي... هذه أمورٌ أمنية... ولا يُسمح لي بالتدخل فيها!

ردّت نينا غاضبةً:

- ما الذي تفعله بجلوسك هنا كحارس؟؟!!... ابنُ أخي غائبٌ عن بيته قرابة

الأسبوعين!... من حقّي الاستفسار عنه والتأكّد من سلامته لديكم...

- إن كان هذا ما تريدان... فهو بخير... أوّكد لك...

تقدّمت نينا نحو باب الكبينة محاولةً فتحه بقوة قائلةً:

- دعني أراه... افتح لي الباب حالاً... لم آتِ إلى هنا لأعود خاليةً الوفاض...

- سيّدي... سأنادي الحرس ليخرجوك عنوةً من هنا...

مرّت عدّة دقائق ونينا تُشاجرُ الحارس غاضبةً إلى أن جاء رجلان ضخمان

يرتديان زيّاً أسود بقبعاتٍ ونظاراتٍ سود، أمسك كلّ منهما بذراع نينا التي

بدت كالرّيشة بينهما، وسارا بها نحو مخرج "دايموند هيد" وهي تصرخُ عالياً:

- دعاني... أريدُ رؤية فريدريك... تَبّاً لكم... أين ابنُ أخي...

تناهى إلى سمع الثلاثة صوتُ رجلٍ ينادي بقوة:

- انتظرا قليلاً!

تقدّم عرفان نحوهما ببطءٍ قسريٍّ فرضته ساقه عليه معتفياً الحارسين:
- دعاها... ألا تخجلان من نفسيكما تستعرضان عضلاتكما على هذه
السيدة الوقور؟!

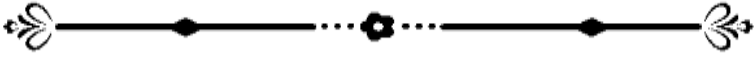
أفلت الحارسان ذراعيّ نينا التي بدت شاحبةً لفرط القلق والخوف، فالمكان
الغريب والشخصيات التي تسيطرُ عليه لم تُشعرها بالراحة والأمان..
- اذهبا أنتما.... سأتولّى أمرها... (ثم تابع بصوتٍ هادئٍ مخاطباً نينا)...
سيّدي... هل أنت بخير؟

- أشكرك يا سيّد.... من تكون؟!

- أعرفك نفسي... اسمي عرفان... طبيبٌ في الصّحة السلوكية وعضوٌ في
مركز الأبحاث النفسيّ هنا.... هل أستطيع مساعدتك؟!
اضطرب صوتُ نينا وهي تحاول استجماع قوتها لتتحدّث:

- ابن أخي يعمل في المنظّمة الأمنية S على "دايموند هيد" هنا... لقد غاب
عن البيت مدّةً طويلة ولا أعلمُ عنه شيئاً... أردتُ فقط الاطمئنان عنه...
(ثمّ أطرقت بحزن)... إنّهُ لا يجيبُ على اتّصالاتي... أخشى أنّ مكروهاً قد
أصابه... هلّا ساعدتني بالوصول إليه؟!

- سأفعلُ ما بوسعي... (ثمّ حدّق بمبنى المنظّمة الشامخ تغلفه الحيرة
والحذر)... لستُ متأكّداً من سماحهم لي بالدخول.... سأجري بعض
الاتّصالات من مقرّ الأبحاث النفسيّة... هل ترافقيني؟



أَحْسَتْ نينا بشيءٍ من الأمان كونها حظيتُ بدعمٍ من أحدهم في هذا المكان
الغريب!

بدا لها عرفان شخصاً عطوفاً متفهماً تنبعثُ من عينيه المشرقتين الكثيرُ
من المشاعر الإنسانية المطمئنة..

مشت إلى جانبه بهدوءٍ مداراةً لسيّره البطيء بسبب خللٍ ما في إحدى
قدميه..

أَحْسَتْ نحوه بالعطف والرّثاء فسألته بدافع الفضول:

- هل قدمُك مصابة؟؟!

توقّف عرفان عن السير فجأةً مطيلاً النظر إليها فعاجلته باعتذارٍ عن
سؤالها المبالغ غير المتوقع.. لكنّه ابتسم ضاحكاً:

- لا عليكِ يا سيّدي.... سؤالٌ اعتدّته كثيراً... أصيبت قدي بحادث انقلابِ
سيّارة.. نتج عنها ساقٌ أقصر من الأخرى بأربعة سنتيمترٍ.. إنّها بخيرٍ وممتنّةٌ
لكوني ما زلتُ أستطيعُ السيرَ حتّى بهذه الطريقة الملفتة... لكن لا بأس....
المهم أنّها تسيّرُ معي..

- لا شكّ أنّك طيّبٌ نفسيّ ممتاز... أبلّيتَ حسناً حين تأقلمتَ مع واقعك
متصالحاً معه بهذه الطريقة الجديرة بالاحترام والإكبار...

تنهّد عرفان من أعماقه وهو يغمغم:

- لكنّ أحدهم لا يبادلني ما أكّنه له من هذا الاحترام والإكبار...

- حتماً هو الخاسر... لا عليكِ منه...

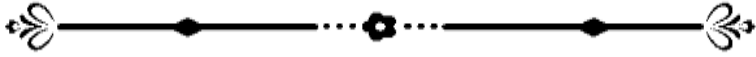
هَبْ نَسِيمٌ قَوِيٌّ من المحيط منعشٌ تعالى بسببه حفيفُ الأشجار العالية
المحيطة بفوهة "دايموند هيد" ..

بدا لنينا أَنَّ الطبيب عرفان يخفي حزناً عميقاً طفا على قلبه هذه اللحظة،
وعلى الرغم من أَنَّهُ غريبٌ عنها لا يصغرها بأقلّ من عقدٍ كامل، فلقد
شعرت أَنَّهُ يعني فتاةً بكلامه الغامض، ما قدح لديها فتيلُ الفضول من
جديد حين سألتَه عَمَّا يخفيه..
فأجابها يائساً:

- سوء فهم!... أو سوء تقديرٍ لموقفٍ حصل بيني وبينها... ما جعلها تدمرُ كلَّ
ما يوصلني إليها... لقد حرمتني حتّى فرصةٍ شرحي لما حدث
أحسّت نينا بالأسف نحو هذا الشاب المسكين فهمست قائلةً:
- يا لقسوتها!

- لطالما تساءلتُ عن علاقة اختصاصها المرعب بشخصيّتها الحادة.. الجثث
والأموات وتحليلُ العضّات البشرية... لا أصدّق أَنَّ قلبها الأبيض استحالَ
حجراً لا يشعرُ ولا يكثرث...! يغذّيه الشكُّ والريبة وتوهمُ السوء والنيّات
الفاسدة... حتّى يثبّت لها عكس كلِّ ظنونها القاسية... وهيّات ذلك!
- يبدو أَنّها تعني لك الكثير....

رفع عرفان رأسه ناظراً للسّماء المرقّعة بالسّحبِ البيضاء السابجة برفقٍ
وصمّت تُسيّرُها النسائم اللطيفة ثمّ قال بحزنٍ عميق:



- تعني لي أكثر من الكثير بكثير... ربّما لو لم أكن أنا... لكرهتها ثمّ نسيّتها وكأنّها لم تكن شخصاً في قلبي هو قلبي!... لكنني لا أستطيع نسيان فتاةٍ تحملُ في قلبها ما يسعُ الكونَ حناناً ولطفاً وتملكُ من الروح ما هو أصفى وأعذب من الرّحيق الزّلال... إنّها فتاةٌ نادرة!

تابع عرفان سيره برفقة نينا التي أسفت لهذه المشاعر الدافئة الضائعة، فتمنّت في أعماقها أن تطالّ يدها أمره فتساعده على توجيه مشاعره إلى مصبّها بشكلٍ لائقٍ ومهيب..

وصل الاثنان إلى المدخل الرئيسي لمبنى مركز الأبحاث النفسية الواقع في النقطة الجنوبية من فوهة "دايموند هيد" منتعشين بنسيم المحيط بعد سيرٍ دام نصف ساعة، فسمعا صوت الحارس يخاطبُ عرفان:

- دكتور.... من تكون هذه السيّدة؟!

- إنّها ضيفتي..

- سيّدي.... ممنوع

حدّجه عرفان بنظراته الحادة ثمّ اقترب منه قائلاً بهدوءٍ محدّراً:

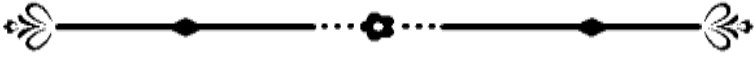
- على منظمتكم التزام حدودها المتفق عليها... أنت مُلزمٌ بجراحة المركز من الدّخلاء... لا من ضيوف العاملين فيه... كما أنّك شخصٌ وقع!... بئس منظمتكم الأمنية التي تحشّر أنفها في كلّ شيءٍ إلّا عملها الأساسي!

امتقع وجه الحارس كاظماً غيظه ثم امتثل لأمر عرفان فقام بفتح البوابة الحديدية بشكلٍ آلي، واختفى الاثنان عن أنظار المنظمة... فقال عرفان وهو يتوجّه نحو المصعد ضاغطاً على رقم 2:
- الآن... نحن بخير...

- إلى أين نحن ذاهبان؟!
- إلى مكنتي.... سأقوم بإجراءٍ داخليٍّ أطلبُ فيه من الطبيب بيكا التحدّث إلى جنيفر رئيسة المنظمة الأمنية علّها توصلنا إلى ابن أخيك..
- هل يمكنك ذلك؟!.... لاحظتُ أنّ العلاقة بين المنظمة ومركزكم هذا متوتّرة!

توقف المصعد عند الطابق الثاني وسار عرفان بنينا إلى غرفة مكتبه الواقعة في الممرّ الأيمن قائلاً:

- هذا طبيعي.... تعلمين أنّ المنظمة الأمنية S ليست أكثر من قاعدةٍ أمريكيةٍ صغيرة... فُرضت على هذا المخروط كون شركة "ميغا" ومركزُ أبحاثنا قد تمّ تأسيسهما من قبل الهاويين الأصليين... إنّ المنظمة تدّعي حماية المنطقة وضمان سلامة وأمان العاملين هنا.... لكنّها في الحقيقة ليست أكثر من نقطةٍ مراقبةٍ صارمةٍ اشترط وجودها بالتزامن مع استحداث شركة "ميغا" للمستلزمات الطبية كونها أوّل بناءٍ هاوئيٍّ حسّاس تجدرُّ بالولايات المتحدة الأمريكية مراقبته... وعلى الرغم من اعتراض السيّد ماكاني مؤسس ومدير الشركة إلّا أنه أذعن في النهاية بشرطٍ عدم



التدخل بالسلطة الهاوائية التامة على كامل منتجاتها... أظن أن المنظمة وعلى مدار ثلاثين عاماً لم ولن تجد ما يريب ويهدد سلطتها على الجزيرة... كون "ميغا" شركة جلّ غايتها خدمة شعب "هاواي" وضيوفهم من سياح ومقيمين ومنحهم ما يمكنها من الرعاية الطبية والعلاجية...

- إنها شركة تستحق كامل الفخر... أظن أن للسيد ماكاني أصولاً ملكيةً تتبع للملكة "ليلوكالاني"... إنهما متشابهان بالحكمة وسداد الرأي فضلاً عن العطف والرحمة التي يتسم بها شعب "هاواي" ويشهد له بها العالم أجمع...

- تفضلي من هنا...

بدت غرفة مكتب الطبيب عرفان مريحةً وصغيرةً على الرغم من سعتها لما تحويه من مقتنيات أثرية قديمة ومجسمات لجزر "هاواي" وأشجار "البانيان"¹⁴ ومنحوتات لأشكال مختلفة من خطافات السمك العريقة، والكثير من المجسمات لبراكين متفاوتة في الأحجام مصنوعة من الأحجار البركانية، قد صُفت بطريقة مميزة ومتقنة على رفوف متوازية معلقة على الجدارين المتقابلين التالين لجدار باب المدخل..

بينما تربعت طاولة زجاجية بمحاذاة جدار الغرفة الزجاجي يطل على المحيط الأزرق والجزء الجنوبي الأخضر من سفح مخروط "دايموند هيد"

¹⁴ أشجار البانيان: أكبر شجرة في الولايات المتحدة الأمريكية، تمت زراعتها في "لاهاينا" كهديّة من المبشرين الكاثوليك الهنود.

مُضفياً بهذا المزيج اللوني الطبيعي شعوراً بالاسترخاء والهدوء والسكينة..
جلست نينا على المقعد الجلدي القابع بجانب الطاولة بينما جلس عرفان
على كرسيه قائلاً:

- سأطلبُ لك عصير الأناناس ريثما أحدث الطبيب بيكا

ابتسمت نينا مندهشةً ثم قالت بصوتٍ حماسيٍّ مشتعل:

- مكتبك هذا زاخرٌ بمقتنياتٍ هاوائيةٍ عريقة... أصولك من....

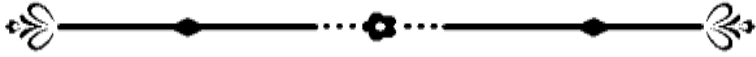
- لستُ هاوايًّا يا سيّدي... إني عربي... لكنني من أشدّ المعجبين بحضارة
"هاواي" وعراقتها... وهذه الأشياء المتواضعة في مكتبي لها في بيتي الكثير
منها... (ثم ضحك عالياً) كنتُ كلّما زرتُ سوقاً أو متجرًا، أبتاعُ ما استجدّ
منها وأرصفها هكذا بالطريقة التي تزينها بها... والآن... اسمحي لي...
سأذهبُ لمكتب المدير لعلّه يقنعُ المنظّمة بأمرٍ مقابلتك لابن أخيك...
ذكّرني باسمه....

- فريدريك....

- حاضر... دقائق وأعود..

خرج عرفان من غرفة مكتبه مغلقاً الباب خلفه، ثم نزل بالمصعد إلى
الطابق الأوّل حيث يقعُ مكتب المدير الطبيب بيكا - رئيس مركز الأبحاث
النفسيّة-

أخرج هاتفه من جيب قميصه متفحّصاً كلّ ما ورد إليه من رسائل أو
مكالماتٍ فائتةٍ...



عبثاً... لم يجد شيئاً!

هل يبحث عن رسالة شكرٍ تعبّر فيها عن امتنانها لإنقاذه حياتها؟!
أسبل يديه يائساً مُرسلاً ناظريه بعيداً إلى الأفق الواصل بين السماء
والمحيط عبر الجدار الجنوبيّ الزجاجيّ لبناء مركز الأبحاث...
يا لها من فتاةٍ حاقدةٍ...!

لماذا هُرّعَ عرفان لإنقاذها؟!

هل كان الأمر يستحقّ دفعه ثمن افتضاح أمره؟!

لا شكّ أنّها علمت بوجوده الغريب برفقتهم عندما أخبرها أصدقاؤها بما
حصل وما بذله من جهدٍ في سبيل انتشارها من المحيط!
لماذا لم يترك الأمر لأسامة الذي لم يتوانَ عن تعريض حياته للخطر مندفعاً
نحو الأمواج المهاجمة كوحشٍ أسطوريٍّ يكاد يبتلع الجزيرة!
هل كان خائفاً من أن يعجزَ عن هذه المهمة الصعبة التي تحتاجُ سباحاً ماهراً
وغوّاصاً متقناً يجيّد التعاملَ مع أمواج المحيط بكافّة تقلّباته!
على عرفان تحديد سببٍ ما قام به تماماً...

والأفسيذهُ جهده هباءً منثوراً!

عليه أن يفهم الدافع النفسيّ الذي حثّه على اجتياز الرمال ما أمكنه من
سرعةٍ متجاهلاً إعاقته، ثمّ السباحة ببراعةٍ نحو تلك الفتاة... وانتشالها مع
الخاتم!

يا له من أحمرّ!

لن يغيبَ عن سينَا هذه التفاصيل!
لا بدَّ أنَّها علمت أنَّها مُراقبة! وممن؟!... من شخصٍ تعامله كعدوٍّ صامتٍ
متربِّصٍ بها!..

في الواقع... إنَّه متربِّصٌ بها حتى النخاع... لكنَّ دافعه بريءٌ تماماً ممَّا تظنَّه
فيها!

أحسَّ بالأسف يكتسحُ أعماقه حين أدرك أنَّ التفسير الوحيد لما قام به...
هو الحب!

تبّاً لهذا الحبِّ الذي بسببه يجني الآن ثمار حماقته!

لا بدَّ أن أسامة وبطريقةٍ ما... قد ينجح!

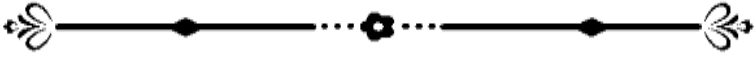
لكنَّ عرفان أبي أن تكونَ حياةُ سينَا على محكِّ الاحتمال!

وها هو الآن تحت سيطرة دَوَّامة التفكير محورها سينَا... وأفكارُ سينَا... وبمَ
تشعرُ سينَا... وكيف تفسَّر ما حصل؟... وإلى أين يسافرُ بها دماغها
المُربَّع؟!

وطالما أنَّه لم يتسلَّم حتَّى الآن رسالةً قصيرةً مفادها:

"شكراً لإنقاذك حياتي"

فإنَّ دماغها قد حطَّ بها على تلك الأرض - وطنهما - في ذلك الزمن... هه...
أصلاً وقبل كلِّ شيءٍ... لم يكن ترحيبها به عادياً!



طريقتها المستفزة في الرد على تحيته المتلهفة لا تدل إلا على كراهية دينية
تحركها دوافع الذكريات الماضية!
والآن...

كيف سيثبت لها أنها تعني له الكثير بعد تورطه فيما حصل؟
فإن كان ثمة احتمال ضئيل تغير فيه رأيها وشعورها به وبدخلته الكامنة،
فلقد تلاشى هذا الاحتمال وحل محله تأكيداً لما كانت تعدّه شكاً!
ربما حان الوقت لتدرك أن بعضاً من المشاعر الصادقة التي تُنكرها هي،
تعكس حقيقة سريره الطامعة بمبادلة لطيفة لما يكنّه لها، ما حثّه وبلا
وعى منه للتضحية بكل شيء في سبيل بقائها على قيد الحياة.. وعلى يديه
هو لا غيره!

طرق عرفان باب غرفة مكتب المدير بيكا رئيس مركز الأبحاث النفسية ثم
قال له باللغة الهاوائية:
- ألوها..

رمقه الطبيب قائلاً بامتعاض:

- من هذه المرأة يا فتى؟!

ابتسم عرفان مدارياً حساسية الموقف كون المدير قد علم مسبقاً بكل ما
جرى، فحارس البوابة لم يتوان عن إعلامه بكل ما يثير الريبة ويُخلل
بالقوانين، فقال بهدوء:

- سيدي... إنها امرأة مسكينة... وبحكم عملنا ارتأيت أن نمّد لها يد المساعدة...

- مساعدة المرضى لا تتم في مركز الأبحاث... كان عليك مرافقتها إلى مكان عملك في مشفى الملكة... لا إلى هنا..

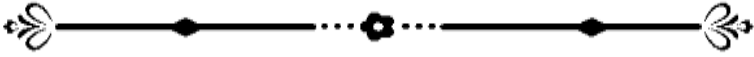
فكر عرفان بالطريقة التي سيُخبر بها المدير أنّ هذه السيّدة لم تأتِ إلى هنا طلباً لعلاجٍ نفسيٍّ محدّد، فجلس على المقعد المقابل لطاولة المكتب ثم قال محاولاً انتقاء كلماتٍ تسعف الموقف:

- سيدي... هذه المرأة تريدُ مقابلة ابن أخيها الذي يعمل لدى المنظّمة S - وما شأننا نحن؟!

- سيدي... لقد رثيتُ لحال هذه السيّدة الهاوائية العطوف... هلاً حدثت بطريقتك الدبلوماسية جنيفر لعلّها تسمح له برؤية عمّته؟! بدت الصدمة جليّة في عيني بيكا فتساءل بذهول:

- ابن أخيها هاوائي؟!... ويعمل لدى تلك المنظّمة الدخيلة؟!... ذلك الخائن اللعين لأصول أجداده... (ثم ضرب بيده على الطاولة بقوة).. لا بدّ أن جنيفر أغرته بالنقود... يا لوضاعة الأمريكيين..!

أحس عرفان أنّه زاد الأمر سوءاً عندما أفصح عن أصول الموظف، لكنّه وبحكم معرفته بالمدير، فمن السهل إقناعه بأنّ السيّدة الهاوائية المسكينة ولما تعرّضته من سوء معاملةٍ من قبل رجال أمن المنظّمة الأمريكية، فمن واجب بيكا الوطني أن يقوم ما بوسعه للوقوف بصدقها ومحاذة جنيفر -



رئيسة المنظمة- علّها تسمَح للموظّف فريدريك بمقابلة عمّته هنا في مركز الأبحاث دون أن يتجاوز أحدَ حدود المنظمة الأمنيّة وأسوارها السريّة..! إنّ العلاقة بين المنظمة ومركز الأبحاث ليست بسوء علاقتها مع شركة "ميغا" التي لم تتوانَ جنيفر عن مضايقة مديرها السيّد ماكافي المتعصّب لوطنيّته وشعب "كاناكا" كونه يفعلُ ما بوسعه لمحاربتها وإنكار جميع أسباب وجودها على "دايموند هيد" تترصد الشركة وتراقب تحركات عامليها من خلال كبينة الحرس الرابضة بجوار البوابة!

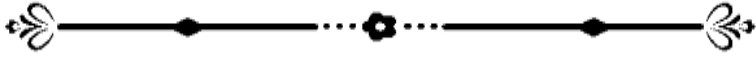
لم يحصل مرّةً أن عارض بيكا - مدير مركز الأبحاث النفسية- لما اقترحته جنيفر من تحديثٍ وتعديلٍ لحظّة العمل على "دايموند هيد" على عكس ماكافي الذي سرعان ما يفتعلُ الفوضى مصعداً التوتر بين الشركة والمنظمة، فيورطهما بأزمةٍ جديدةٍ لا تخلو من عوائق يفرضها الطرفان ما يُزعزعُ أمن المنطقة ويوقع كلّ من يتواجدُ على "دايموند هيد" في مشكلةٍ أمنيّةٍ أبسطها سوء معاملة حُرّاس نقاط المراقبة لدى المنظمة وتديقهم لبطاقات دخول العاملين وتفتيش ملابسهم بطريقةٍ فظةٍ وحجزهم بضع دقائق قبل سماحهم بدخول مقرّ عملهم متذرّعين بخللٍ ما في استقرار المخروط الأمنيّ عليهم السيطرةُ عليه واحتواء الأزمة المُختلقة! من حسن حظّ نينا أنّ عرفان - أحدَ موظفي مركز الأبحاث- قد صادفها دون غيره!

ولم يكن لديه أدنى شك من أنّ الطبيب بيكا سيتمكّن ببعض الحنكة ولطف المعشر أن يطلبَ من جنيفر السّماح لابن أخ إحدى سيّدات شعب "هاواي" ببقاء عمّته بضع دقائق لا أكثر...

وبما أنّ جنيفر تقدّر من يُبدي الاحترام والطاعة وكونها لا تبخلُ بإبداء امتنانٍ لمن يتعاون معها ومع حرّاس وأمن نقاط مراقبتها، فليس صعباً على بيكا استغلال مكانته المحفوظة لديها، لأنّه ببساطة وقرّ عليها جهداً كبيراً حين امتنع عن محاربتها والترصد لكلّ تفاصيل عملها الأمني، كما يفعل ماكاني، إذ كان يكفيها عناد الأخير وامتناعه مع موظفيه عن الامتثال لأحكامها!

هكذا هم الأمريكيّون... الطاعة والامتثال.... ولك جائزة! وجائزة بيكا.. هي الصمود للنهائية على فوهة المخروط الغامض! لطالما ندّد ماكاني بأسلوب بيكا المتواطئ مع الأمريكيّين وعدّه مجرّد تكليف زائف لا يخدم القضية الهاوائية بشيء! إلا أن بيكا لم يكثرث لكلام العجوز الذي يجعل من الحرب والقتال مبدأً وقضيةً أساسيةً يبنى عليها مطلع استقلال جزر "هاواي" وانسلاخ حكومة الولايات المتحدة الأمريكية عنها..!

أجال مدير مركز الأبحاث نظره بين جدران غرفة مكتبه مفكراً في سببٍ يساعد فيها السيّدة الهاوائية لا سيّما وأنّ ابن أخيها الموظف لدى المنظّمة



قد التزم بقوانين صارمة تجبره على الاحتفاظ بسريّة عمله ما يمنعه من
مقابلة أحدٍ لو كان من ذويه وأهله!

فعاجله عرفان بإصراره الهادئ المفعم بالجديّة:

- سيدي... على فريدريك أن يقابل عمّته..... أرجو أن تتفهّم أبعاد هذا
الموضوع

حدّج بيكا عرفان بنظراتٍ ملؤها الحيرة والتردد ثمّ أوماً موافقاً:

- سأفعل ما بوسعي... اذهب أنت... وسأخبرك بالنتيجة

.....

كانت نينا تتجوّل في غرفة مكتب الطبيب عرفان متفحّصةً التحف
والتماثيل الصغيرة التي استهوتها، وحرّكت في عروقها الدم الهاوائي المتيمّ
بمحضارته.

ثم وقفت أمام المكتبة الجداريّة المجاورة لباب المدخل وبدأت تقرأ عناوين
الكتب المتعلّقة بمجال الطب النفسي وعلم الاجتماع والفلسفة، بالإضافة
لمصنّفاتٍ ضخمةٍ مُكدّسةٍ بالأوراق والوثائق، إلى أن توقّفت فجأةً عند
قراءتها لعنوان أحد المصنّفات:

"تقارير قبضة جاكو JAKO"

فسحبت المصنّف وأخرجت منه عدّة أوراقٍ لما راودها من فضولٍ جامعٍ
لمعرفة إنجازات هذه اليد الاصطناعية الالكترونيّة الذكيّة المُنجزّة من قبل
شركة "ميغا" الهاوائيّة العريقة.

كانت نينا متشوّقة لمعرفة تأثير هذا الاختراع على الحالة النفسية لمريض البتر المصاب برضوض معنويّة جسيمة قد أثّرت على حياته... فجلست على الكرسيّ القريب من المكتبة وبدأت بتصفّح الأوراق. كان التقرير في حجرها زاخراً بالأرقام والحسابات الرياضيّة المُشار إليها من كلّ إصبع صناعيّ متّصل بالذراع "جاكو".

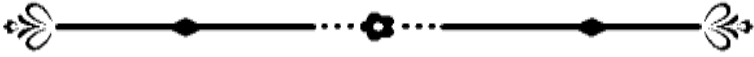
لم تستطع نينا إدراك ما كُتب تماماً، فقلّبت سريعاً بين الأوراق حتى استوقفها عنوان أحد التقارير ما أجبرها على التوقّف عن التنفّس حين شعرت أن قلبها يكاد يتوقّف عن ضخّ الدم إلى عروقها...
"مستجدّات JAKO 77539 في ماليزيا"

- تمّ رصد قوّة ضغطٍ لكامل كفّ الذراع بمقدار 4865 نيوتن، أي ما يعادل 486.5 كغ

- المادّة المتأثّرة: عظام بشريّة (عظام جمجمةٍ لرأس رضيع)
- وضعيّة الصّمام: تمّ إغلاق الصّمام الوريديّ
"مستجدّات JAKO 83051 في الفلبين"

- تمّ رصد قوّة ضغطٍ لإصبع السّبابة بمقدار 3591 نيوتن ما يعادل 359.1 كغ

- المادّة المتأثّرة: الجدار الصدري وصولاً للقلب
- وضعيّة الصّمام: تمّ إغلاق الصّمام الوريدي
"مستجدّات JAKO 23501 في الفيتنام"



- لم تسجّل JAKO 23501 آية قوّة ضغطٍ أو شدّاً أو قصّاً حتى الآن...

- وضعيّة الصمام: الصمام الوريدي مفتوح

أحسّت نينا بجفافٍ في فمها ونبضات قلبها المتسارعة فازدردت لعابها بصعوبة محاولة التفكير بما يسعف الموقف ويُجنّبها عواقب الورطة التي منت بها نفسها.

عليها أن تعيدَ كلّ شيءٍ كما كان قبل أن يُكتشف أمرها الذي قد يُعرّض حياتها للخطر!

لكنّها سرعان ما أدركت أنّ عليها الاحتفاظ بدليلٍ ما قد يكون طرف خيطٍ لمؤامرةٍ مرعبة!

أجالت نظرها محاولةً استجماع أفكارها المشتّتة، فاهتدت أخيراً لها تفها الذي أخرجته، والتقطت عدّة صورٍ لعدة صفحاتٍ من تقارير مختلفة... ثمّ أعادت جميع الأوراق والتقارير للمصنّف الذي أرجعته تماماً كما كان في المكتبة..

تفهقرت نينا والتشجّج يسيطر على عضلاتها مدقّقةً في مظهر المصنّف إن كان قد اختلف عن وضعه السابق، فعادت إليه معدّلةً زاويته العلويّة المائلة حتى تحقّقت من استقراره بشكلٍ موازٍ تماماً بين الكتب.. تصلّبت في مكانها وهي تجلّ نظرها في أرجاء الغرفة وزواياها وبين التحف والتماثيل باحثةً عن كاميرات مراقبةٍ ترصد المكان... لكنّها ولحسن حظها لم تجد ما يُريب!

ثم تثبتت نظرها على الباب مفكّرةً في الهرب.. إلّا أنّها سرعان ما نفت الفكرة خوفاً من فوات فرصة لقائها بابن أخيها المجنون الغائب!.. إذ لم يكن وصولها إلى هنا سهلاً أبداً.

عليها أن تتصرّف بشكلٍ طبيعيٍّ..

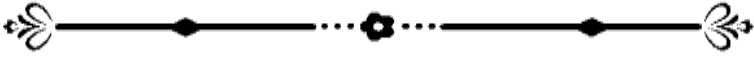
حاولت السيطرة على أعصابها المتوتّرة مهدّئةً من ارتعاشها ما أمكنها ذلك، فأخذت رشفةً من عصير الأناناس البارد ثمّ جلست مكانها على المقعد الجلديّ بجانب طاولة المكتب..

جمعت نينا يديها ببعضهما في حجرها خشية انهيارها تحت وطأة الذعر والجزع!

عليها ألاّ تكثرث لأيّ شيءٍ الآن سوى فريدريك..
يجبُ أن تراه!

....

شعر عرفان بالراحة إذ استطاع الطبيب بيكا التواصل مع جنيفر وبثّها مشاعر الأسى التي تغلّبت على قلب العمّة الهاوائية المسكينة.. فتّم السماح بحصول هذا الاجتماع - غير القانوني أساساً - مع التأكيد على مراقبة اللقاء الحاصل بين الطرفين - أحدهما موظّف مهمّ في المنظّمة الأمنيّة S- فاختر عرفان وأحد موظفي الأمن مراقبين لهما... لم تمض نصف ساعة حتى ظهر فريدريك مع موظّف الأمن عند البوابة الرئيسية لمركز الأبحاث النفسيّ فرحب به عرفان مبتسماً بدمائيّة، إلّا أن



فريدريك لم يُعره انتباهاً سوى أن سمح له بقيادته إلى المكان الذي تنتظر فيه عمته..

لم يكن فريدريك مستعداً بعد لمقابلة عمته الغاضبة التي ستمطره بوابل من العتاب والتوبيخ لانقطاعه عنها فترةً زمنيةً عدتها ردحاً لا يُستهان به! سار بجانب الحارس والطبيب عرفان محاولاً التركيز على كل ما يجب قوله لعمته محاولاً إيجاز الحديث ما أمكن، فبغض النظر عن شعوره بالتعب والإنهاك، ورغبته الملحة بالتوم والهروب ربّما، إلّا أنّ شعوراً غامضاً يحتاج أعماقه بأنّ الأمور لن تكون بخير طالما أنّ عمته قد خطّت على أرض فوهة المخروط!

أياً يكن من أمر..

إنّه مستعدّ لكل شيء!

أسوأ ما يمكن حدوثه هو بعض الصراخ المختلط بالبكاء والتعنيف، ثمّ بضع كلماتٍ على فريدريك قولها لتهدئة الموقف، واعتذاراتٍ أُخر عن فسخ خطوبته مع سام وانتهى!

إنّ سام لديها أصدقاؤها... خصوصاً صديقتها المقرّبة سينا..

أمّا عمته... فمنّ لديها غيره؟!

أحسّ فريدريك ببعض المشاعر التي قد تُضعفه وتخون موقفه الصلب! نظرَ بطرف عينه إلى الطبيب عرفان الذي بدا له هادئاً متعاطفاً مع العمّة المسكينة..

تمتّى في أعماقه ألا يكون قد طال لقاء عمته بالطبيب ريثما يعود
بفريدريك إليها.

إنّه لم يعرف عرفان حق المعرفة إلا في عدّة مواقف جمعتها معاً في
اجتماعات قليلةٍ عقدتها جنيفر لجميع مرتادي مخروط "دايموند هيد"، وقد
كان الطبيب الشاب لطيفاً حسن المعشر ومُطمئناً... إلّا أنّ ثمة هالةً من
غموضٍ ما يغلفه!

كما يغلف فريدريك نفسه الآن!

تُرى... هل من إمكانيةٍ لخلق صداقةٍ بينهما؟!

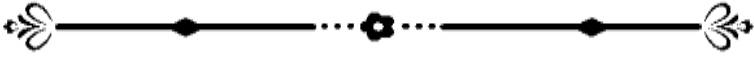
سريعاً ما نفى فريدريك ذلك، فالعمل في المنظّمة S لا يطيق خرق
الخصوصيّة والسريّة التامة!

لم يكن فريدريك مرتاحاً بادئ الأمر في أولى أيام عمله..

لكن عليه أن يخطّ سطور المجد كما قُدّر له تماماً، كفردٍ من شعب
"هاواي" الأصيل، قد سخر حياته بأكملها في سبيل وطنيّته!

أخذ نفساً عميقاً عندما فُتح باب المصعد ثمّ توجّهوا إلى غرفة المكتب حيث
العمّة..

طرق عرفان الباب ثم دلف إلى الغرفة برفقة فريدريك والحارس، فنهضت
نينّا وكأَنَّ على رأسها الطير، ثم اندفعت نحو ابن أخيها معانقةً إياه ومتلمّسةً
وجهه الذي بان عليه الإرهاق والتعب قائلةً بصوتٍ مختنق:



- لقد اشتقتُ إليك... كيف لك أن تتركَ عمَّتكَ كلَّ هذه المدَّة؟!... لا تبدو لي بخير!... أرجوك يا فريد... هلاً استقلت من عملك رافئةً بي؟! تردّد فريدريك ثم قال:

- أنا آسف.... إنّه عملي يا عمّتي... صرخت العمّة بهستيرية:

- منذ متى تُقدّس عملاً أو وظيفةً هكذا؟!!!! (ثم ضربت بيدها صدره بقوّة خائفة).. عدْ إلي... عد إلى حياتك المجنونة سابقاً... اركب الأمواج العالية... وعُص في المحيط كيفما تشاء... لن... (ثم أجهشت بالبكاء)... لن أقف في طريق سعادتك الصاخبة... ولن أدعوك لجلسات التأمل... أرجوك... لنغادر هذا المكان... إنّه مكانٌ مرعب!

تاه فريدريك في غياهب هذا الموقف الحساس مستعيناً ما استطاع بما خطّط له قبل قدومه إلى هنا..

إنّه لم يتخيّل أن يرى عمّته بهذا الضعف... لطالما كانت قويّةً شديدةً وضاحكة!

لم يخطر له خاطراً أنّ تأثير غيابه الذي لم يتجاوز الشهر قد بلغ بها هذا المبلغ من الضعف والحزن... وربّما الخوف والذعر...

إنّه يعلم ويدرك تماماً أنّ عمّته - نقطة ضعفه ومكمن حبه - لن تتأقلم مع غيابه الطويل...

وفي الواقع...

لقد اشتاق إليها هو الآخر....

وأراد الارتقاء في حضنها الدافئ هارباً من كل شيء هنا....

اشتاق إلى مواعظها وحثّها له على الجلوس والتأمل والتفكير بهدوء... أحسّ بتجمّع الدموع في عينيه متأثراً بتوسّلات عمته التي لن تعي حتماً ما ينوي فعله... فأمسك بيديها مستجمعاً قوّته قائلاً بصوتٍ متهدّج:

- اهْدئي أرجوك... إني بخير تماماً... ضغطُ العمل فقط هو السبب في مظهري الشعث قليلاً... (ثم رمق عرفان باهتمام)... لا أستطيع ترك كل شيء الآن... لقد قطعْتُ عهداً أن أتابع حتّى النهاية...

تصلّبت نينا في مكانها ورمقته بعينين زائغتين ثم همست:

- ما الذي عليك متابعته؟؟!!... ما هي طبيعة عملك بالضبط؟!

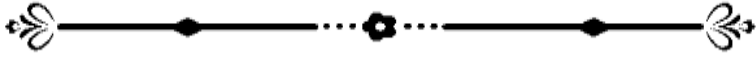
- أنا... فقط.... مُلزمٌ بالعهد الذي قطعته يا عمّتي... لا أستطيع انتهاك سرّيته وعصيان الأوامر...

- ماذا.... يعني ذلك؟!

تحجّرت عينا فريدريك المتسمّرتين على عيني عمّته قائلاً بهدوءٍ صارم:

- أنا آسف.... ربّما عليكِ الاعتياد على غيابي الطويل... (وأدار ظهره نحو الباب)... رجاءً... لا تعودِي إلى هنا... لديّ مهمّةٌ عليّ إنجازها (ثم خاطب الحارس)... هيا بنا..

غادر الاثنان غرفة المكتب..



فانهارت العمّة على الكرسيّ دافنةً وجهها بين راحتها غير مصدّقة أنّ ذاك
الشاب العابث الضاحك المحبّ للحياة وبهجتها قد تلاشى وحلّ محله
شخصٌ غريبٌ بمجديّته المفرطة المختلطة بالغموض والكرب..!

كانت نينا تبكي بلا توقّف لخسارتها الوشيكة ابن أخيها الذي إن طلب
حياتها لم تكن لتضنّ بها عليه!

بكت نينا ما حوّله هذا التحوّل الرهيب!

بكت كلّ الشكوك التي راودتها وحامت حول حقيقة ما يحدث...
بكت خطورة ما رأيته والكارثة التي لا شكّ أنّه يتمّ التخطيط لها بذلكاء..
قال عرفان وهو يقدّم لها منديلاً لتكفكف دموعها:

- اهدي... يا سيّدي... رجاءً

أخذت نينا المنديل شاكرةً له باقتضابٍ، ثمّ نهضت مغادرةً فاستوقفها عرفان
قائلاً بثباتٍ وحزم:

- أرجو أن تحذفي الصور التي قمتِ بالتقاطها... وأن تُبقي ما رأيته سرّاً يا
سيّدي...

الفصل الثاني عشر

(مشفى الملكة)

استيقظ مايكل على غير عادته، ربّما بسبب ما أصابه من أرقٍ طوال الليالي التالية لحادثة انتحار سام..
لم يستطع التغلّب عليه..

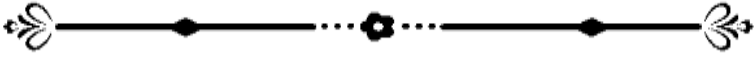
فتح قفل هاتفه المحمول وبعث برسالة نصيّة يسأل فيها أسامة عن سبب جوهرّي يدفع الفتيات للانتحار عقب انفصاهنّ عنّ رومن مستقبلهنّ معه...

فكان ردّ أسامة:

"هل أخبروك أنّي محلّل نفسيّ للفتيات؟!.... اذهب للنوم واستعدّ ليوم عمليات جراحية طويل"

لقد تعاطف مايكل مع سام للمرّة الأولى..

وأصابه نوباتٌ من تأنيب الضمير المبالغ فيه لكلّ موقفٍ تذكّره وهو يتعمّد إغاضتها حتى تُطلق العنان لغضبها فتنبثق عن شخصيّة فظيعة مضحكة! أحسّ مايكل بالضيق عندما أدرك لوهلة أنّ ما كان يقوم به من تصرّف طفولي، ليس إلّا إشباعاً لغريزة النصر والتفوق بإثباته لنفسه أولاً وقبل أيّ



أحد آخر أن بإمكانه وبأقل جهد أن يشل مراكز الإدراك والمحكمة العقلية
لضحيته!

لكن بعد أن عاش تفاصيل رغبة سام - ضحيته - بالانتحار، أدرك سريعاً
أن قدرته تلك التي يتباهى بتأثيرها العظيم لا تساوي في جوهرها تأثير
قشة!

فالمغزى يكمن في هشاشة سام وسرعة إفلاتها السيطرة على عواطفها
وطريقة تفكيرها..

جلس مايكل في تلك الليلة على سريريه عندما لم يغمض له جفن، وفكر
بكم حزن وخيبة تلك الفتاة العفوية ما استفز جوارحها للإجماع على اتخاذ
الانتحار غرقاً في يوم عاصف مهرباً من جحيم ما مُنيت به!
إنّ ما أثار استغرابه أساساً هو ذوق فريديريك الغريب!

لطالما أخبر مايكل أنّه لا يمكن أن يُجذب لنوع معيّن من النساء اللاتي
يملكن أسلوباً ساحراً في جذب الرجال..

ولحكم صداقتهما القديمة - طويلة الأمد- وبالرغم من جنون فريد
وعبثه إلا أنّه حتماً لن يخلّ بمبادئه الأساسية في حياته، وإنّه أذكى كثيراً من
أن تجذب قلبه فتاة تحترق أسلوباً مريباً أقصى مبلغه إغواء الضحية
وسلبها عواطفها والاستئثار بنظام قيادته الفكرية والنفسية لديها، حيث

كان يُعدّ ذلك انهزاماً ساحقاً يلحقُ برجولة الشخص وشهامته..! لكن ومن خلال ما قالته سينا عن طبيعة الموقف التي جمعت فريدريك بسام أمام مبنى عيادة "أوهانا" السنّية، فمن المؤكّد أنّ تلك الموظّفة الطويلة الفاتنة قد استحوذت على انتباه فريدريك العاطفيّ، خصوصاً إنّ لم تألُ جهداً وهي تخلّص ذاكرته ممّا علق فيها من ذكرياتٍ مستبدلةٍ إياها بأخرى طازجة العواطف ناعمة الأحاسيس!

"الأمرُ ليس بهذه السهولة.... كلا...."

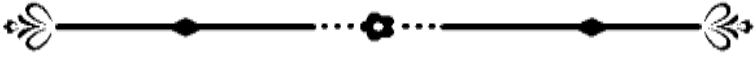
انتفض مايكل من مكانه ثم تناول بوساطة إضاءة هاتفه الخافتة علبة السجائر والقداحة التي شكّلت هالةً برتقاليةً حول وجهه المقطّب عندما أشعل سيجارته بشعلتها..

ثمّة شيءٌ غريبٌ على مايكل اكتشفه..!

ببساطة لأنّ صديقه لم يتخلّ عن مخطوبته وحسب.. بل عن جميع أصدقائه!

بل إنّ أسلوبه في آخر كلامه مع مايكل نفسه لو لم يكن صادراً من رقم هاتف فريد لظنّه شخصاً آخر تماماً!

تُرى... ما الذي يحدث؟!



ولماذا حصل هذا التغيّر السريع بعد شهرين تماماً منذ بدأ عمله في تلك المنظمة الغريبة؟!

يجبُ على مايكل مقابلة نينا...

بل يجبُ على سام مقابلتها أيضاً...

كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة بعد منتصف الليل، فبعث برسالةٍ إلى رقم سام إذ أنّ الأمر لا يحتمل التأجيل خصوصاً أنّه قد استحوذ على انتباه مايكل الذي لا يستوقفه عادةً مثل هذه الأمور، إلّا أنّ حَدَثاً مشبوهاً يحومُ حول أبسط شخصٍ على وجه الخليقة كفريد لا بدّ أن يتبعه بعض التحريّ والبحث... والجواب الآن يكمنُ عند نينا!

- "سام... أأنتِ مستيقظة؟!"

- "ماذا تريد...؟"

- "أريد أن نجتمع بعمّة فريدريك صباحاً قبل بداية الدوام في المشفى"

- "لا أرغبُ برؤية أيّ أحدٍ له صلةٌ بذاك الجاحد الضالّ"

- "ليس في نيّتي أن أوْمَلَك كثيراً... لكنّ فريدريك أبداً... أبداً لن تخدعه فتاةٌ كتلك السكرتيرة... قد لا أعلمُ الكثير عنه مثلك... لكنني واثقٌ من هذه الناحية"

استقبل مايكل رسالةً نصيّةً من رقم سينّا:

"أوافقك الرأي.... في الأمر سر... سنكونُ أنا وسام في بيت العمّة الساعة السادسة صباحاً"

ضحك مايكل عالياً لثقة سام الوطيدة بسينا إذ أطلعتها سريعاً على ما
يدور من محادثة إلكترونية معه..
اطمأن مايكل لوجود سينا بصف سام في محنة ربّما هي أقسى ما مرّت به!
مَن يعلم؟!

إن لم تكن سينا قد اكرثت لغياب سام في ذلك اليوم الذي اختاره
فريدريك لسوء الحظ أن ينهي أمره مع مخطوبته... لربّما... بل حتماً.. كانت
سام في عداد الأموات!

لقد أسعفت سينا الموقف سريعاً حين تنبأت بكلّ شيء فقرّرت إشراك
مايكل وأسامة في بحثٍ إسعافيٍّ عن صديقتها التي لا تُجيبُ على اتّصالاتها
على غير العادة، واختارت أقرب شاطئٍ ستختاره سام أغلب الظنّ كطريقة
لتنهي به حياتها!

لتنهي به حياتها...!

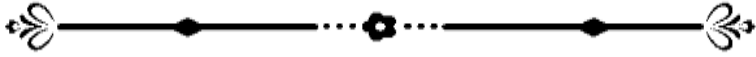
في يومٍ عاصف...!!

إنّ فريدريك يعلم أنّ سام لن تحتلّ الحياة بدونه كونه الشخص الوحيدة
الذي تبقى لها على حدّ وصفها!

أطلق مايكل خياله لتلك النقطة المريعة:

"هل كان فريد يتعمّد موت سام؟!"

إنّ ذلك يفوق حدّ الغرابة!



لا وجودَ لسببٍ واحدٍ يدفعه لقتلها!

عَضَّ مايكل على شفته السفلية الغليظة وانتفض على عجلٍ من مكانه
وغيَّرَ ملابسه ثم انتشل هاتفه وعلبة السجائر مع مفتاح السيَّارة مغادراً
البيت..

استطاع بمساعدة الإضاءة الخافتة أن يصلَ لسيَّارته "Kia Niro"
الحمراء المرصوفة في المرآب..

فتح باب سيَّارته ثم توقَّف فجأةً مرهفاً السمع لخطواتٍ ثقيلةٍ بطيئة..
ازدرد لعبه وأحسَّ بجفاف الدم في عروقه عندما أدرك أنَّ أحداً هنا في
المرآب في هذا الوقت المتأخَّر من الليل والقليل السابق للفجر!
فاستجمع قوَّته وبدأ يبحثُ بحذرٍ مستكشفاً المكان ذي الإضاءة الخافتة،
منادياً بصوتٍ مضطرب:

- من هناك؟؟؟

- أنا... أنا..... (صوتُ رجلٍ واهن)

فصاح مايكل عالياً وبقوَّة:

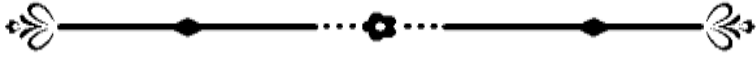
- من أنت؟؟؟

اقترَبَ خيالٌ لرجلٍ طويلٍ وضخم من مايكل الذي سرعان ما سلَّطَ إضاءةَ
الهاتف عليه كاشفاً وجهه الكهل ثمَّ تساءل بأنفاسٍ متلاحقةٍ مستغرباً:

- أنتَ جارُنَا... أليس كذلك؟؟؟.... أنتَ....

-

- أنتَ..... ذكّرني باسمك....
- (لم يُجب مكتفياً بنظراتٍ ذاهلة).....
- آآآ..... تذكّرت... أنتَ جارنا بيير... (ثمّ ابتسم همدوء رعبه واطمئنانه قليلاً)... سيّدي... لقد أخفتني... ماذا. تفعلُ هنا؟!
- تردّد الرجلُ واضعاً يده على الطرف الأيمن من بطنه فعاجله مايكل قائلاً:
- آآآ... هل مكانُ العملية الجراحية يؤلمك؟!... أنتَ الذي أُجريَ له عمليّة استئصال الكيسات المائية من الكبد في مشفانا.....
- كلا..... أنا لستُ متألماً... نعم... قليلاً.. الألم... قليلاً... فقط
- إذاً...؟!!
- إنني... فقط... (ثمّ ابتسم ببلاهة)... لقد تهت... هلاً أخذتني إلى بيتي؟!
- اتّكأ الرجلُ على كتف مايكل القصير بالنسبة له، فعاتبه الأخير قائلاً:
- سيّد بيير... لا يجدرُ بك أن تتعاطى شيئاً من الكحول!... لم يمضِ على عمليّة كبدك الجراحية سوى أسبوعين أو ثلاثة...
- لم.... أشرب...
- بدا الرجلُ لمايكل من خلال سلوكه وملابسه المبعثرة غير المتناسقة، غريبَ الأطوار سادراً وتائهاً حقاً..!
- لم يبدُ ثملاً، إذ لم تنبعثُ منه أيُّ رائحةٍ تدلّ على معاقرة الخمر!
- قاد مايكل الرجل الذي ترك كتفه قائلاً:
- أنا... بخير... دلّني إلى بيتي لو سمحت...



- حالاً.... لكن.... لماذا جئت إلى هنا أساساً؟
- لم يُجِبْ بيير وتابع السير بتؤدة إلى جانب مايكل في الشارع المضاء بالمصابيح الليلية..
- سارا بضع دقائق بين بيوت حيّ "كاهالا Kahala" الفارهة، إلى أن وصلا بيت الرجل..
- رنّ مايكل جرس الباب الذي سرعان ما فتحته ربّة المنزل - زوجة بيير- ثم قالت بفرع:
- بيير.... مرةً أخرى؟!.... أين كنت؟!
- دخل الرجل البيت دون أن ينبس ببنت شفة واختفى في الداخل... فقال مايكل:
- صباح الخير سيّدي..
- أين كان هذا المجنون؟!
- كان في المرآب... هل هو بخير؟!
- آه.... نعم....
- سيّدي.... هل جرحه بخير؟.... أقصد... ربّما كان متألماً فقصد المشفى...
- هل أساعده؟!
- لا.... إنّهُ بخير.... لقد ذهبنا منذ أسبوعٍ لفكّ الغرز الجراحية وكان جرحه ممتازاً.... لكن....
- هل كبده بخير...؟... ألم تختفِ الأعراض...؟!

- اسمع دكتور مايكل... (ثم أجالت ناظريها حول مايكل مفكّرةً)...
جرحه بخير... وكبده كذلك والعملية كانت ناجحةً تماماً... لكن... أظنّ
أنّ... (ثم تهدّج صوتها باكيةً)... دعني أسألك... هل ثمة ما يربط بين
الكبد والدماغ؟!

- ماذا تعنين؟!

- منذ أن عاد إلى البيت... بعد حوالي أسبوعٍ أو أكثر من العملية... بدأ يبهر
يفقد عقله!

- هه... (اتبسم مايكل ذاهلاً)... كيف..؟!

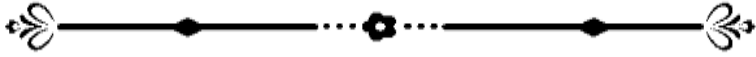
- لا أعلم كيف أفسر لك... حسناً... (ثم ركّزت محاولةً انتقاء كلماتٍ
تسعفها لتُحسن الشرح)... مثلاً... بالله عليك... أخبرني... ماذا يفعلُ
رجلٌ مثله في المَرَّاب الآن؟!... إنّها ليست المَرّة الأولى...

- هل يتردّد إلى المَرَّاب عادةً؟!

- اليوم في المَرَّاب... ومنذ يومين غادر إلى متجرٍ لشراء الملابس دون أن
يأخذ معه نقوداً... وقبل عدّة أيام.. افتقدته... فبحثتُ عنه ووجدته على
طريق "دايموند هيد"

- ماذا يفعلُ هناك؟!

- كان ضائعاً...!! (صاحت المرأة)... حمداً لله... وجدته هناك في وضع النهار
بمساعدة بعض رجال الحرس في وزارة الدفاع القريبة من هناك! تخيّل أيها
الطبيب... لقد نسي موقع عمله عندما ذهب إليه بعد أن شُفي من آثار



العملية... لقد جُنَّ بيير... (ثم أمسكت يديه قائلة...) أرجوك يا بُني... ماذا أفعل؟!... لقد فصل من عمله والأمرُ يزدادُ سوءاً!... تصرفاته في البيت... باتت غريبة... حتى كاد أن ينسى اسمه....!

ابتسم مايكل بأسفٍ بالغ:

- اهدي يا سيدي... يبدو أنها أعراض الزهايمر...

- زهايمر؟!... لكن... لم يتجاوز عمره الخمسين!

- لا أستطيع جزم الأمر هنا... علينا إجراء بعض الفحوصات وأخذ القصة السريرية لوضع تشخيص صحيح..

قالت المرأة بانفعالٍ واضح:

- القصة السريرية... كما أخبرتك تماماً... لقد أثرت العملية على دماغ زوجي!

ابتسم مايكل مدارياً:

- سيدي... كنتُ موجوداً في أثناء إجراء الجراحة بناءً على طلبك... إن أطباء الجراحة العامة لم يقوموا إلا بواجبهم تجاه زوجك...

- والآن... ماذا أفعل؟!

- اذهبي برفقة السيد بيير إلى قسم الصحة النفسية في مشفى الملكة في الصباح الباكر لإجراء الفحوصات اللازمة... وتأكدي من ملازمته رجاءً... لئلا يصيب نفسه بأذى... والآن... علي الذهاب... إلى اللقاء يا سيدي...
أومأت السيدة ومشاعر الحزن طاغية على وجهها:

- إلى اللقاء... شكراً لك....

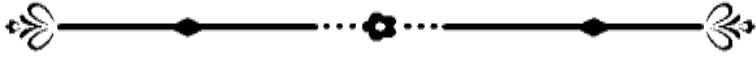
استعاد مايكل ما عايشه من رعبٍ في الظلام ما جعله مرتعداً الأوصال،
فضحك في سرّه عندما أدرك حجم الخوف الذي تملكه!
صوتٌ غريبٌ في المرآب...
ووقتٌ متأخراً من الليل..
والسبب رجلٌ مجنون!

عاد مايكل إلى المرآب حيث السيارة ثم استقلّها سريعاً وقادها عبر طريق
"كاهالا Kahala" وصولاً إلى الطرق السريع "لونايلو Lunalilo" قاصداً
شاطئ "سنسيت sunset" الواقع شمال جزيرة "أواهو Oahu"

....

كان أسامة ما يزال مستيقظاً رغم الساعة المتأخرة من الليل!
إنّه لا يستطيع النوم منذ تلك الحادثة... مثل مايكل تماماً..
لكنّه لم يتجرّأ على إخبار مايكل بأحاسيسه الخاصة..
لقد استطاع كعاداته كبّت شعوره بالإحباط كونه لم يستطع أن يمنع سينا
من المجازفة بحياتها!
والأهمّ من ذلك كلّ... كونه لم يكن من أنقذها!

إنّ ظهور عرفان المفاجئ في ذلك اليوم، كان بعيداً كلّ البعد عن العفوية التي
تستحقّ التقدير!
كان ظهوراً مريباً!



تمتئ أسامة في أعماقه ألا تكون سينا قد تأثرت بنجدته لها...
كلّا... إنها أذكى من ذلك....

نهض أسامة من سريره واتّجه نحو المطبخ ليروي ظمأه بكأس من الماء...
وربما ظمأ قلبه الذي بذل جهداً كبيراً في أثناء مبادرته الخجولة اللبقة...
ثم يحصل عرفان في النهاية على الشاء الجزيل!
فيا لها من خيبة!

هل كان على أسامة البوح بمشاعر إعجابه فور ازدهارها في أعماقه، دون أن
يأبه لما اعتاده من قمع لذلك النوع من العواطف؟!
تبّاً إذاً إن وصل متأخراً...

إنّه لم يطمئنّ بتاتاً لما قالته سام عن اللقاء الأول بين عرفان وسينا وتلك
النظرات الدافئة الخاصة!

إنّهما يعرفان بعضهما حق المعرفة...

لهذا.... يبقى لعرفان الأفضليّة!

ربّما عليه الاستسلام!

عاد أسامة للنوم رامياً بكلّ شيء خلف ظهره، أو ساعياً لذلك عبثاً، لكنّه
فوجئ باتّصال مايكل له في هذا الوقت المتأخر من الليل..
ففتح الخطّ قائلاً بتململٍ ناعس:

- ماذا تريد...؟

.....

اتجهت سيارة الأجرة التي تقلّ سام وسينا شرقاً من منطقة "بنش بول Punchbowl" حيث يقع بيت سينا القريب من مشفى الملكة والطبابة الشرعية...

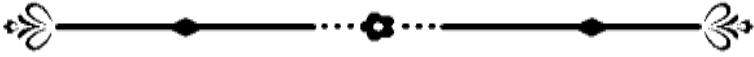
أجبرت أشعة الشمس الذهبية في أول إشراق لها الراكبتين والسائق على إغلاق أعينهم بعض الشيء تجنباً لسنها القوي والمزعج للأبصار.. كان الوقت لا يزال باكراً على بدء الدوام الرسمي في الجزيرة... وحيث أن سام ومايكل على علم تام بأن العمّة نينا تستيقظ بعيد الفجر بقليل، فقد اتفق الثلاثة على لقائها الساعة السادسة صباحاً...

استغرق الطريق ربع ساعة فقط بالسيارة التي توقفت أمام البيت الواقع في حي "وايكيكي Wikiki"..

لم تكن سام مقتنعة بهذه الزيارة، بل عدتها نذير شؤم جديد لا طائل منه! إلا أن عناد سينا وإصرارها على تأكيد شيء ما - نفيًا أو إثباتًا - قد حال دون منع حصول هذه الزيارة المؤلمة!

ترجّلت الفتاتان من السيارة، ووقفنا أمام باب البيت المتوسط حديقته المشدّبة والتي تدلّ على التزام مالكتها بالاهتمام والعناية بها... رنّت سام جرس البيت، ففتح الباب عن شاب واقف متجمّد لوهلة... فقالت سينا مبتسمةً بمكر:

- يبدو أننا نلتقي كثيراً يا دكتور عرفان!..



من الذاكرة... قبل بضع سنوات

- ثمة طبيبٌ جراحٌ عينيةٌ يريدُ زيارتكِ في العيادة يا سينا... هل مسموحٌ له باحتساء القهوة برفقتك؟!!

أطلقت سينا ضحكةً خافتةً ثمَّ حوّلت الهاتف من أذنها اليمنى إلى اليسرى وهي تقول:

- مسموح؟!... بل قل إنه مُرحَّبٌ به...

بدا عرفان لسينا وهو يدخل من باب العيادة في اليوم التالي ضحماً بقامته الطويلة بالنسبة إليها..

- لك أن تتخيّل يا مروة نظراته الهائلة... إنه طبيبٌ لأجمل ما في الإنسان... حقاً إنه يستحق لقب طبيب العيون..

أراحت مروة ساقها اليمنى على اليسرى ثمَّ عقدت ذراعيها أمام صدرها وهي تبتسم مداريةً صديقتها شبه المسحورة بشخص هذا الطبيب، فتابعت سينا مبتسمةً:

- تخيّلِي... لقد كتب لي رسالةً بعد مغادرته العيادة مباشرةً، وقال لي إنني أرقى وألطف فتاةٍ صادفها بحياته...

- اممم

- إنه رائع....

- نعم.... بالنظر لكل ما تُطلعيني عليه... فإنّ ثمة مشاعرَ تجذبه نحوك... لكن الآن... ما يهم هو عينك... كيف هي؟!!

ضحكت سينا سريعاً:

- على حالها!

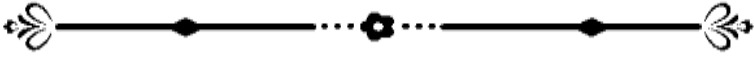
قالت مروة بصوتٍ محدّرٍ:

- سينا... لقد نبّهنا الطبيب من تأخر علاج الاختلاط.... يجبُ العمل على فرد الشريحة... أخشى أن تُرَمَّ على شكلها المجعّد هذا فيستحيل علاجها!
- أستطيعُ العملَ نوعاً ما على أسنان المرضى بمساعدة "اللوس"... (ثمّ ابتسمت بمحياها اليائس)... بدأ دماغي يعملُ على الاعتماد على عيني اليسرى... دعيني من عيني الآن... (ثمّ عبثت يدها اليمنى بشفتها السفلية مفكّرةً بعمق)... إنّ عرفان... لم يخطُ خطوةً واحدةً إلى الأمام... هذا يخيفني!
- حسناً... إنّهُ معجّبٌ بك... وهذه خطوةٌ أولىّه مهمة...

- لكنّه لم يقل إنّهُ معجّبٌ بي!

- عليك أن تعي أنّه طبيبٌ محترمٌ يدرك ما يتفوّه به... ليس مضطراً أبداً أن يتحدثَ معكِ بهذه الطريقة الاستثنائية للغاية... لا تنسي... لقد تقدّم لخطبتك منذ سنتين...

- هذا صحيح... بالمناسبة.. لقد سألتُ صديقةً قديمةً لي تقطنُ الآن في قريته... وقالت إنّهُ طبيبٌ ذو سمعةٍ عطرةٍ ومن عائلةٍ محترمة.... (ثمّ استدركت ببطءٍ مؤكّدةً)... ومنها تحقّقتُ من حقيقة إرغام والدّيه على خطبته لطبيبةِ الأسنان تلك... لقد دامت الخطبةُ أسبوعين فعلاً ثمّ



انفصلاً...! هذا ما أثبت لي صدق عرفان... مروة... إنَّ والديه يضغطان عليه... لكنّه لا يريد!... لقد طلبا منه رؤية جميع فتيات القرية الطبيبات! - أما زلتِ ترتابين في أمره؟!... هذا خيرٌ دليلٍ إذاً على صفاء نيّته ناحيتك وصدق مشاعره... المهمّ الآن... عينُك... ركزي على عينك... متى سيعملُ على إصلاح المشكلة؟!!

- المشكلة أنّه يأتي يوماً واحداً فقط في الأسبوع... لا شكّ أنّه يعاني من ضغطٍ في العمل... مرضاه كُثُر... إنّهُ طبيبٌ مشهور في منطقته... لهذا أثقُ بقراراته... لقد طلب مني التريث وأكّد لي أنّ الانتظار لن يضرّ... - حسناً... لنأمل ذلك...

نعم... الانتظار لن يضرّ!!

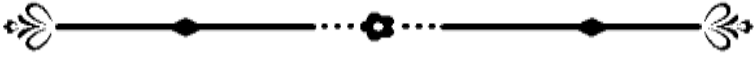
هذا بالضبط ما كان عرفان يريدُ لسينا أن تتعاطاه! بل وتقدمنه! وكأنّه حاول أن يوصل إليها رسائله المبطّنة بضرورة التحلّي بالصبر، الأمر الذي لم يشجّع عليه أيّاً من الأطباء الآخرين.. وفي الواقع، بات ما يشغلها الآن أسوأ وأثقل وطأةً من مشكلة عينها المصابة بالاختلاط الطبي..!

لقد تجاوز الأمر حدّ الاحتمال..

ما جعلها تعزم على الخوض معه في صلب موضوعهما وبشكلٍ مباشر.. وعندما سألها في إحدى محادثاتها:

- أتحسّس شيئاً من الحزن بين كلماتك يا سينا؟!!

- تمنّيت بكلماته مفكّرةً بما يقصده، فقالت له:
- ليس حزناً بالمعنى الحرفي... لكن شيئاً من ذلك صحيح!
 - أرايتِ؟.. أشعرُ بكِ تماماً..
 - (ابتسمت سينا) هل تشعُرُ بي حقاً؟!
 - بالتأكيد..
 - عرفان... قل لي... هل لديك صديقات؟!
 - أبداً.. لا صديقات لدي!.. ماهذا السؤال؟!
 - حسناً... خشيتُ أن تعتقدني صديقةً من نوعٍ خاص لك!...
 - (ضحك عرفان طويلاً)
 - أريدُ أن أسألك سؤالاً وأرجو أن تجيبني عنه بكلّ صدق...
 - ما بكِ يا سينا؟!.. ألا تثقين بي؟!
 - أخشى أن يؤثّر الحرجُ عليكِ فلا تصدقني القول!... لماذا لم تقابل أبي منذ سنتين عندما وعدته بلقائه...؟!
 - حسناً.. إنّ أبي وأمي لم يسمحا لي باتّخاذ هذه الخطوة بمفردي في ذلك الوقت!.. كما تعلمين لقد أرغمانى منذ مدّة على خطبة إحدى فتيات القرية
 - أنا فقط أخشى أن أتعلّق بكِ يا عرفان... أشعرُ بالحيرة من مستقبلٍ مجهولٍ... كما أنني لا أحبّ أن أكون طرفاً لن يحبّه والداك!
 - ما هذا الكلام يا سينا؟!.. ما الذي أصابك؟!.. أين أنتِ من هذه الخلافات؟!



استقبلت الرسالة متفاجئةً من ردّة فعله على سؤالها غير المباشر فكتبت له
بيدٍ مرتعشة وبكلماتٍ أكثر رسمية:

- أخشى أنني قد وقعتُ ضحية سوء فهمٍ يا دكتور!... إن كان ثمة ما أفهمه
بشكلٍ خاطئ... أرجو أن تساعدني على تجاوزه من فضلك..

- دكتور؟؟!!..اتفقنا على التحدّث بلا رسميةٍ أو تكلف!

- نعم... صحيح...

- اسمعيني سينا..إنّني شخصٌ بسيطٌ جداً..ولا أحبّ الكذب واللف
والدوران..كما لا يمكنني قطع وعدٍ لكٍ قد أنقضه..تكمُن المشكلة في
بيئتي الاجتماعية..تعليمين تفكير أهل القرية..إنّ والدَي يفضّلان أن
ينحصر هذا الموضوع ضمن بيئتنا ومحيطنا..وأنا أحرص على رضاها..لا
أستطيع أبداً إغضاها..كما أنّهما لن يتسبّبا في حزني أو إرغامي على ما لا
أريده..هل تؤمنين بالنصيب؟!..ثقي تماماً لن يحصل إلّا الخير..وعلى
الإنسان أن يجتهد ويسعى..يستحيل أن أؤذيك ذرّة واحدة من الأذى!

- إنّها أجمل رسالةٍ تلقّيتها منك مذ تعارفنا...

- لكنّ رسائلِك كلّها جميلةٌ بالنسبة لي..لا تدرकिन مدى راحتي
بكلماتك وحديثك..

- شكراً لك...

- شكراً؟!..فقط؟!

- (ضحكت سينا)

- ضحككتك هي الأجل ..أتعلمين أمراً ..أشعرُ بالانتعاش الآن ..لقد كانت رحلتي اليوم إلى المدينة قَمَّةً في العذاب ..إنَّ أصحاب المشافي والمراكز في المدينة غايةً في الطمع والجشع والأنانية ..كلَّ مرَّةٍ آتي بها إلى المدينة يستغلّوني طمعاً بكمّ المرضى وعددهم الكثير مقارنةً مع مرضاهم ..تخلي يا سينا ..إنّهم يحسدوني لسمعتي الحسنة ومهنتي العالية في العمل ..حقاً إنّ الطمع يُعمي أبصارهم ..قريباً سأفتتح مركزاً خاصاً لي في القرية وسأستغني عن كامل أجهزتهم ومعدّاتهم ..

- ألن يكون ذلك باهظ الثمن؟!

- كثيراً ..لكنني وبفضل الله ..أجني من ثمار العمليات الجراحية ما يُعيني على ذلك ..

....

تردّد عرفان قائلاً وكأنّ على رأسه الطير:

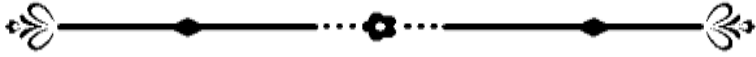
- سينا.... أنتِ بخير!....(ثم استدرك مُرحباً).... تفضّلاً.... السيّدة نينا في الداخل.

دلفت الفتاتان من خلال الباب فأسرعت العمّة نينا قادمةً من المطبخ مرحبةً بهما، إلّا أنّها ضمّت سام إليها بحنانٍ عظيم قائلةً:

- عزيزتي سام.... أرجو أن تكوني بخير..

تهدّج صوتُ سام:

- ليس تماماً.... كيف حالكِ يا عمّتي..؟



- جلس الأربعة إلى طاولةٍ مربعةٍ في الردهة فابتدرت العمة:
- أعرفكما... الطيب عرفان... والطيبة سام مخطوبة ابن أخي.... و....
- قالت سينا مبتسمةً:
- اسمي سينا... صديقه سام... تشرفتُ بمعرفتكَ يا سيّدي...
- أهلاً بك يا عزيزتي.... امنحوني بعض الوقت لأحضّر القهوة
- رافقت سام العمة إلى المطبخ لتحديثها عمّا استجدّ في علاقتها مع خاطبها
- فريد الذي تحلّى عنها...
- استغلّت سينا فرصةً انفرادها بعرفان الذي بادّ لها ذات الشعور، ففي أعماق
- الاثنين ما يجبُ قوله...
- عقدت سينا ذراعيها أمام صدرها منتظرةً ما سيقوله الطرف الآخر..
- إلا أنّ الأخير اكتفى بنظراته الهائمة وابتسامته العميقة..
- فاستسلمت الفتاة وأسندت قبضتيها المتشابكتين إلى الطاولة مقربةً منه
- ثم قالت:
- لم تتغيّر.... أبداً..
- في بعض المواضع فقط... (ضحك عرفان)
- وفي أخرى..؟!
- تغيّرتُ كثيراً.... والدليل أنّك هنا أُمّامي... (ثم أومأ بعينيهِ الدامعتين
- المشبعتين بالحنين)... وبخير.... لا يمكنك تصوّر ذعري عندما رأيتكِ
- تصارعين الموت..!

- نعم... صحيح.... شكراً لك لمساعدتي...

- شكراً فقط؟!

أرخت سينا ملامح وجهها وركزت بصرها في نظرات عينيه احترافية التصنع
ثم استدركت:

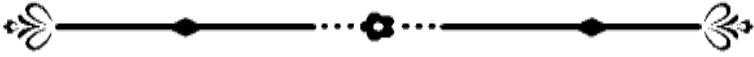
- شكراً جزيلاً.... لإنقاذي.... وإنقاذ الخاتم.... أخبرني.... لماذا كنت تراقب
سام في ذلك اليوم؟!

بدت آثار الصدمة جليةً على وجه عرفان الذي قلب بصره مفكراً فعاجلته
سينا:

- كنت لأظن أنك تراقبني.... لكن حالة قدمك الصحية لن تساعدك في
اللاحق بفتاة تركض!... كنت مع سام خطوة بخطوة!... أغلب الظن أنك على
علم بعلاقتها مع فريدريك.... وربما كنت حاضراً لتتأكد من النهاية
الجديّة لعلاقتهما.... فكانت محاولة سام الانتحار أقوى دليل على صحّة
انفصاليهما.... إلا أن.....

- إلا أن غرقك الوشيك بعد إنقاذ مايكل لسام حال دون استمرار في
التحقي.... تخيلي سينا.... تخيلي مدى ودّي لك ما دعاني لإنقاذ حياتك
ضارباً بعرض الحائط كل الخطّة!... حتى أنني لم أسمح لأسامة أن ينال شرف
ذلك...

- إذاً.... إن في الأمر خطة!!



تَبَّتْ عرفان فكيه ببعضهما ساعياً التركيز لانتخاب ما سيقوله الآن لكنّه
قال بصوتٍ جدّي:

- سينا... أنا أحبك... هل تفهمين ذلك؟!

تنهّدت سينا متململةً:

- أنتَ تحبّني بطريقتك الخاصة...

- ما بها طريقي..؟؟

- عرفان... أقترحُ أن تعرضَ نفسك على طبيبٍ نفسيٍّ خاص... (ثم تردّدت قليلاً وتابعت مصمّمةً على البوح)... جميعنا لديه شيءٌ من النرجسيّة السويّة
الضرورية للحياة... لكنّها مستفحلةٌ بك!.... هل تدركُ ذلك؟!...

امتقع وجه عرفان فقال بهدوءٍ حزين:

- عندما تبادلينني شعوري... سأكون بخير...

- كلا... لن تكون بخير... بل ستُغذي تلك النرجسيّة التي لن تقنع أبداً
بما تجذبه لها من اهتمامٍ وإعجاب... إنّ ما تشعرُ به ليس حبّاً... عليك أن
تعي ذلك جيّداً...

- أيّ أنّي أحبك كثيراً... وأحبّ أن تشاركوني وأن نعيشَ معاً... أيّ أنّ
السعادةَ غمرتني عندما رأيتهُ هنا في هاواي... أدركُ تماماً أنّ سعادتي هي
ملكٌ قلبك وأسيرةُ روحك... أرجوكِ يا سينا... امنحيني الفرصة... أنتِ
فتاةٌ جميلةٌ وذكيّةٌ وأخلاقك عالية... كيف تُريدين منّي نسيانك؟!.....
سينا.....

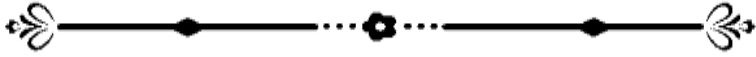
بدت سينا متجمّدة الملامح وهي تُحدِّقُ به غير مكترثةٍ لتوسّلات قلبه، ثم قالت:

- هل يُفترضُ بي أن أداري حيائي وأشكرَ لكِ إطرءك؟!
أحسّ عرفان بالغضب يكتسح أعصابه ما جعله راغباً أن يوسع قلبه ضرباً، بل أن يحرقه ويمزّق ذاته الأسيرة - دافعه القويّ لتسوّل هذا الحب المنيع -

قالت سينا بعد صمتٍ للحظة محاولةً تغيير مجرى الحديث:

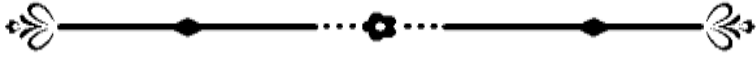
- لماذا كنتَ تراقب سام؟!
- (بقي محدّقاً بها تغلّفه الحيرة)....
- لا تريدُ البوح..؟!
- هل تثقين بي؟!
- تنهّد عرفان مستسلماً ثم قال:

- ما ضرّ لو أنّك واسيتيني بمجاملةٍ لطيفةٍ كقولك... نعم....
- تعلمُ أنّي أبداً لا أجامل في المواقف الحساسة التي تتطلّب شفافيةً ووضوحاً وصراحةً.... على عكسك تماماً... تجاملُ في أكثر المسائل التي لا تحتمل الكذب... وذلك حتماً لغاية!... ثم افترض أنّي وثقتُ بك.... ماذا وراءك؟!
- ما ضرّ لو أنّك واسيتيني بمجاملةٍ لطيفةٍ كقولك... نعم....
- تعلمُ أنّي أبداً لا أجامل في المواقف الحساسة التي تتطلّب شفافيةً ووضوحاً وصراحةً.... على عكسك تماماً... تجاملُ في أكثر المسائل التي لا تحتمل الكذب... وذلك حتماً لغاية!... ثم افترض أنّي وثقتُ بك.... ماذا وراءك?!



- كيف تريدین مَیّ إخبارکِ وأنتِ لا تُصدّقیني!.... إذاً... کلّ ما قد أقوله
لکِ لن ینال ثقتکِ.... فلتنسی الأمر إذاً....
- لو لم یکن الأمرُ علی علاقةٍ بصدیقتی.... لنسیته ونسیته معه...
- هه.... (ابتسم عرفان حائراً)... یا لقسوتک... أهذا ما ورثتکِ مهنة تشريح
الجلث؟!!
- ربّما....
- علیکِ أن تُعطي فرصةً لقلبكِ فی الإحساس... العقل والدلائل لیست کلّ
شیءٍ فی الحیاة...
- کلاً... القلبُ یرمی بکِ فی غیاهب الاحتمالات المنطقية و غیر المنطقية...
أما العقل فیختصرُ علیکِ الطريق وتبعاته!
- قالت العمّة نینا:
- القهوة جاهزة...
- خاطب عرفان سینا هامساً:
- سأستعیدُ ثقتکِ يوماً... أعدکِ بذلك..
- سحبت سام الكرسيّ بعنفٍ ثم جلست علیه قائلةً:
- أين ما یکل؟!.... مواعیده فوضویّة!
- قدّمت نینا فناجین القهوة المحضّرة من بنّ "کونا" الملكية ثم قالت بصوتٍ
حزینٍ محدّقةً إلى النافذة المطلة علی الحديقة:
- لا أصدّق ما جرى.... ربّما ما أعیشهُ هو کابوس....

- بل هو الحقيقة يا عمّي...
(قال مايكل الذي دخل البيت مع أسامة من خلال الباب المفتوح...)
وجلس الاثنان إلى الطاولة التي ضمت الأشخاص الستة المتباحثين حول
موضوع فريدريك...
- أعترُ لتأخري... لقد أحضرتُ أسامة معي... تعلمون أنه صديقي
الصدوق..
حدّجه أسامة بلا مبالاة ثم قال له:
- قل لهم إنك أحضرتني في طريق عودتك من شمال الجزيرة
تفاجأ الجميع مستغربين ذهاب مايكل إلى هناك ما يبعد ساعة كاملة عن
جنوب الجزيرة حيث يقطنون ويمارسون عملهم اليومي..
فاستدرك مايكل ضاحكاً:
- هذا صحيح... ذهبتُ للتحقّق من أمرٍ ما... كيف حالك دكتور عرفان...
هل... (ثمّ أجال بصره بين الحاضرين مستفسراً عن وجوده هنا...)
فقالت العمّة:
- لقد ساعدني الطبيب عرفان في مقابلة فريد... إنّه شخصٌ شهم... أشكرُ
له صنيعه!
- إذاً قابليتماه!... عمّي... كيف كان اللقاء؟!
- بل سلّ كيف كان الوداع؟... (ثمّ ترقّرت الدموع في عينيها)... لقد
طلبَ منّي التأفّلَ مع غيابه الطويل!



- ألم يُخبرك شيئاً عما يعملُه في المنظّمة S
- أبداً... قال إنّه سيُسَطرُ المجد فقط...
- كان صوتُ سام مُفعماً بالغضب حين تساءلت:
- وهل من المجد الذي سيُسَطرُه تهديدُ مخطوبته بلعنة الحجر البركاني؟؟!
- هل أعطاك حجراً بركانياً؟!... (تساءلت العمة مفكّرةً بعمق)... هذا غريبٌ جداً...
- قال مايكل بصوتٍ جدّي:
- لو لم يكن فريد... لما توقّفتُ أنا أيضاً عند هذه النقطة!
- إنّ ابن أخي أبداً ما كان ليؤمن بمعتقداتنا كهوائيين... بل كانت بالنسبة له مجرد أساطير وخرافات...
- قال أسامة بلا مبالاة:
- مثلي...
- ثمّ أومأت سينا ضاحكةً:
- وأنا...
- فكّر عرفان قائلاً:
- هذا يعني... أنّ الحجر البركاني كان إشارةً لفكرةٍ ما....
- قالت سينا وهي تنقلُ أبصارها بين الحاضرين:
- فكرة.. أو.. رسالة.. أو رجاء.. أيّ خاطبٍ يمكنه أن ينهي العلاقة مع مخطوبته دون أن يلجأ لأسطورة تهديدٍ لا يقتنعُ بها أساساً!! خصوصاً

سام... إذ أنّ فريدريك متأكّد تماماً أنّها لن تقوم بسلوك طائشٍ أو دنيءٍ
لاستعادة حبّها الذي تخلّى عنها بدافع شعورٍ نابعٍ من قلبه...
همست سام وكأنّها تحدّث نفسها بصوتٍ مرتعشٍ:
- إذا... فريد لا يزال يحبّني..

- سام... اهديني... لقد ابتعدنا كثيراً عن فكرة الحبّ... السؤال هو... ما
المغزى الذي أراد إيصاله إليك؟!... إن لم يكن لجميع من يحيط بك!
- ماذا لو أنّ الحجر كان من اختلاق سكرتيرته خوفاً عليه منّي؟!
- لم تبدُ لي السكرتيرة هاوائية السحنة... ما يدلّ على أنّ الحجر البركاني كان
مقصوداً تسليمه لك مع الخاتم... ليتك لم تفقديه في أثناء محاولتك
الانتحار!

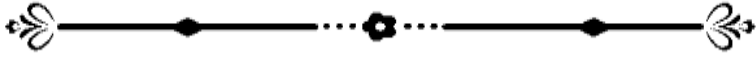
فزعت العمّة فصاحت:

- كنتِ تريدين الانتحار؟!!

قال مايكل محدّجاً سام بنظراتٍ عتابٍ غاضب:

- كادت تُغرق نفسها عندما كان المحيط هائجاً... الشكرُ لسينا التي عرضت
حياتها للخطر من أجلها...
أجابت سيناً مبتسمةً:

- والشكر لعرفان الذي كان موجوداً هناك بالمصادفة... لم نكن نعلم أنّك
تحبّ الاستجمام على الشاطئ في يومٍ عاصف!



تحوّلت أنظارُ الحاضرين المستفسرة إلى عرفان الذي سحب نفساً عميقاً مسنداً ظهره إلى الكرسيّ خلفه مستسلماً، ثم ازدرد لعابه قائلاً بهدوء:

- اسمعوني جيداً... في الواقع... كنتُ أراقب سام بالفعل.... إلّا أنّ السبب ليس كما تظنون! أو كما تظنّ سينا ظنّها السيّء دائماً... في الحقيقة... (ثمّ أجال بصره محدّقاً بكلّ شخصٍ على حدة)... طلب منّي فريدريك حمايتها وحسب... إن حصل وقامت بفعلٍ طائشٍ كقتل نفسها مثلاً... إذ أنّه لم يستبعد حصول ذلك... لكنّ وجودكم هناك ساعدني على التراجع وتأكدت من أنّ سام في أيدي أمينة... هه... لكنّ الظروف اضطرّرتني في النهاية لكشف أمرِي....

ضرب مايكل بكفّه غاضباً على الطاولة ثم صرخ بصوته الجهور:

- لماذا إذاً اختار يوماً عاصفاً تحذّر منه جميع القنوات الفضائية قبل فترة ليست بالقصيرة؟!.. ما المغزى من تصرّفه إلّا أنّه يريد قتلها؟

قالت سينا بصوتٍ حائر:

- ربّما لم يكن هو الذي اختار اليوم!... بل الوجهة التي عليه إثباتُ ولاءه لها!

بدت العمّة نينا غائصةً في دوامةٍ من المشاعر المربعة التي استبدّت كذلك بأعماق سام المضطّربة.. الشخصان اللذان كانا على اتّصالٍ مباشرٍ وغير مباشرٍ مع فريدريك في الآونة الأخيرة..

إذ ما الشيء الخطير الذي لا يريد أن يورّط به أقرب الأشخاص إليه...؟! هطلت دموع نينا على الطاولة أمامها حين تخيلت حجم معاناتها لو عني فريدريك فعلاً ما قاله عندما طلب منها عدم مقابلته والتأقلم مع غيابه... لا يمكن لنينا أن تحتمل ذلك!..

نهضت من فورها قائلةً:

- يجب أن أذهب إلى مخروط "دايموند هيد"... عليّ استعادة فريدريك.. إن حصل له مكروه... سأفقد عقلي!!
قال مايكل مهدّئاً من روعها:

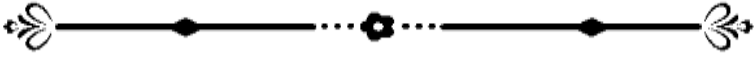
- اهدي يا عمّي... لا تفقدي الأمل من عودته... سيكون بخير...
قال عرفان:

- سيدتي... لن يسمحوا لك بالدخول إلى هناك مجدداً..
اطمأنت سام بعض الشيء كون خاطبها لم يتخلّ عنها إلا بدافع حمايتها..
أمّا الآن.. فعلية أن تفعل شيئاً لاسترداده حرّاً من كلّ قيد..
فقالت للحاضرين بصوتٍ حازم:

- يجب أن نساعد فريدريك...

تثاءب أسامة الذي قال أخيراً بهدوء:

- لن نستطيع... إنّه يعمل على فوّهة "دايموند هيد".. وليس من المصّرَح لأيّ منّا دخول أحد المباني الثلاثة... سوى عرفان
ردّ عرفان:



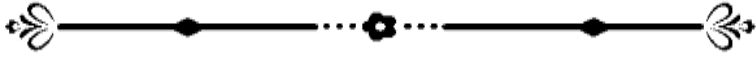
- لا أملك إلا بطاقة تؤهلني لدخول مبنى مركز الأبحاث... أصلاً من العصي علينا التجوّل على قمة المخروط بلا سبب مصرّح به... النقاط الأمنية تحيط بالمنطقة كاملاً..

- برأيي دعونا نكتفي بالمراقبة...

قالت سام بفزع:

- نراقب حتى يفقد فريد عقله!... ربّما أراد أن يوصل لنا رسالة نجدة!
- لا تكوني عاطفية... (أجاب أسامة)... إنّ المنظمة التي يعمل لديها هي في الأصل منظمة أمنية أمريكية... وبطبيعة الحال لا يمكن لأيّ جهة أخرى أن تتدخل في سياستها العملية واستراتيجيتها في التعامل مع الموظفين... (ثم ابتسم مستخفاً بما يحدث)... وربّما باجتماعنا هنا الآن... فإننا نعزّض فريدريك لمتاعب هو بغنى عنها... فإن كانت المراقبة مقتصرة على عمّته ومخطوبته السابقة... فلقد مُنينا جميعاً بالترصد الذي لا طائل منه... لأننا أساساً مجرّد مقيمين في مشفى حكوميّ نعمل وندرس... لا نملك ما يُعيننا على إنقاذ موظفٍ أمنيٍّ سخر حياته لأجل عمله غير مكترث بعواقب قراره التي قد تؤدي حقاً بسلامته وسلامة المحيطين به!... إلّا أن طريقته المدروسة في إبعاد أقرب الأشخاص إليه... واثمّانه عرفان على حياة سام لا تمنّان إلّا عن حرصه على البقاء وحيداً... لسببٍ ما... ولسببٍ وجيه... ولسببٍ خطيرٍ جداً... نحن أبعدُ كثيراً عن أن نبحث عنه أو نعالجه!... استسلموا يا جماعة... برأيي هذا ما يريده فريدريك منكم...

وإلا زدنا عليه تعقيد ورطته وأقحمناه بضائقةٍ هو بغنى عنها!
دعونا نُطمئنه بشكلٍ غير مباشر أنَّ عمته ومخطوبته قد تفادتاها حقاً
وزهدتا به راغبتين عنه وعن الاتصال به كونه من فضل عمله عليهما
وأولاه الأولوية... دعونا نترك الأمر له.. ولنؤمن بقدرته على التعامل معه..



الفصل الثالث عشر

(دايموند هيد)

كانت السحب البيضاء تُظلل قوّة مخروط "دايموند هيد" حاجبةً أشعة شمس الظهيرة عن قوّته الخضراء شبه المدوّرة...

إنّ شمس آب الحارّة لا تؤثر كثيراً على قمة المخروط البركانيّ الخامد لارتفاعه وهبوب نسيم المحيط عليه هبوباً جنوبيّاً.. ما يخفف كثيراً من وطأة حرّها الذي لا يعدّ مزعجاً أصلاً لكامل المنطقة التي تضمّ جزر "هاواي" في منتصف المحيط الهادئ..

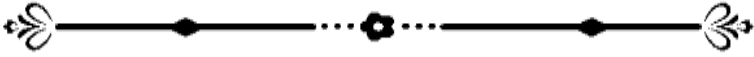
وحيث أنّ مخروط "دايموند هيد" البركانيّ ظلّ خامداً مئةً وخمسين ألف عام... وبالاستناد لدراسات جيولوجيّة عدّة... فقد أكّد العلماء أنّ هذا المخروط البركانيّ غير قابلٍ للانفجار أو الثوران مرّةً أخرى.. لكنّ جنيفر - رئيسة المنظمة الأمنيّة S- لا تزال تقاوم مخاوفها غير المُبرّرة من أيّ ثورانٍ قد يوجد به هذا المخروط ذو القوّة الواسعة.. فما تلبث حتى تستدعي علماء جيولوجيين آخرين لاختبار المنطقة وارتياحها لتأكيدهم أنّ المخروط أبعد ما يكون عن الثوران وقذف الأبحرّة والرّماد كما حدث قبل قرنٍ ونصفٍ من الزمن! فتهدأ لواعجها

وتستقرّ مخاوفها على برّ الأمان لا سيّما عندما تضطرّ للنزول بالمصاعد إلى أعماق البركان الخامد ذي الهيكل المخروطي القويّ حيث يترّبع المربّع الناريّ الأزرق.. إذ ساعد تماسك المخروط في عمليّات البناء في قعره قبل أن تنشأ المنظمة على سطح المخروط بزمنٍ طويلٍ جدّاً!

مضى على وجود جنيفر في "هونولولو" أكثر من عقدين من الزمن، قضت أوّلها ضمنَ تدريبٍ قاسٍ في قاعدة "بيرل هاربور-بيكام المشتركة"، إلى أن تمّ فرزها ليتمّ تعيينها رئيسةً للمنظمة الأمنية S التي تمّ تأسيسها على فوّهة المخروط منذ ما يقارب الثلاثين عاماً بالتزامن مع تأسيس ماكاني - هوائي الجنسية- لشركته الطبية ميغا، إذ أصرّ على اختياره هذا المخروط البركاني الخامد، فتقرّر مراقبته من خلال بناء قاعدةٍ أمريكيّةٍ صغيرةٍ لا سيّما وأنّ الشركة الطبية قد أنشأها ماكاني - المواطن الهاوائي النّاشط - والذي يعدّ من أكثر المعارضين لضمّ الولايات المتحدة الأمريكية جزر "هاواي" كآخر ولايةٍ لها... - الولاية الخمسون -

إنّ ما أثار استغراب جنيفر بادئ الأمر هو حذر أمريكا وحرصها على تتبّع تحركات الناشطين الهاوائيين بمن فيهم ماكاني الطاعن في السن ذي الجسد المرتعش والصوت المتنحج!

ربّما بسبب ما يملك من تأثيرٍ جمهوريٍّ قويٍّ وحساس يوقد في قلوب الهاوائيين حماسهم وشغفهم - ولو مؤقتاً - لاستعادة ما سلب من أرضهم وهويّتهم!



إلا أن جنيفر وبالنظر لما قاسته من صعوباتٍ من خلال احتكاكها الأمنيّ مع رئيس شركة ميغا، فقد سلّمت بضرورة تقييد صلاحيّات ماكاني وفرض حراسةٍ مشدّدةٍ على شركته حتى لو كانت تهدفُ لغاياتٍ إنسانيّةٍ بعيدةٍ كلّ البعد عن أيّ توجّهٍ سياسيٍّ قد يخلّ بسلام وأمان المنطقة! وربّما سمحت لدوافعها الشخصيّة النابعة من تأثرها العميق بتهكّم العجوز وسخريته الصريحة من قرارات المنظّمة الصادرة عن مديرتها التي يعدّها غير جديرةٍ بالاحترام والثقة لكونها فقط تصغره بحوالي عقدين ونصف العقد، وتتملّص من قيود الاحترام التي يلتزم بها الهوائيّون ويجلّونها!

لطالما كان الأمريكيّون يتعاملون مع الآخرين ببساطةٍ دون تقييدٍ بمحدودٍ حضاريّةٍ معيّنة!

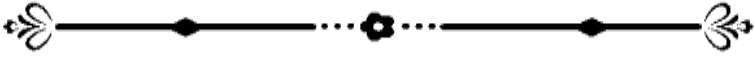
كثيراً ما لاحظت جنيفر ماكاني وهو يراقبها من نافذة مكتبه في شركة ميغا هازئاً منها وهي تتجولّ على فوّهة المخروط برفقة بعض العلماء الجيولوجيّين، فما لبث مرّةً أن شاركهم الجولة بخطواته البطيئة مُبطئاً عليهم عملهم، بل واستغرق أكثر من ساعتين وهو يشيد بقدسيّة هذا المخروط العظيم ويندّد باستغلال الولايات المتحدّة الأمريكيّة لهذا المكان المقدّس، حين اتخذت منه موقعاً استراتيجيّاً لبناء حصن "فورت روجر" كأول محميّة عسكريّة عام 1906 بغرض الدفاع عن ميناء الأراضي التي ضمّتها حديثاً بشكلٍ غير قانوني..

لم يوفر العلماء لحظةً تكلفوا فيها إبداء استيائهم - المتصنع - وتعاطفهم المبالغ فيه مع رئيس شركة ميغا الهاوائي العجوز الطيب، مقدّرين شعوره الوطني وإخلاصه لأرضه "المحتلة" على حسب زعمه!

ولربّما كان الباحثون يستمتعون بحديثه إذ أنقذهم من مهمّة شاقّة كإقناع جنيفر بالأسباب العلميّة الكثيرة والدلائل الواضحة لخمود بركان "دايموند هيد" بشكل نهائيّ وأكيد، ثمّ تخلصها من مخاوفها الوهميّة غير المسوّغة! ازدردت لعبها بهدوء ثمّ ضغطت على زرّ المصعد "S" العميق الواقع في الطابق الثاني تحت فوّهة المخروط في آخر الممرّ الجنوبيّ المقابل للمصعد الأوّل والمضاء إضاءةً خافتة..

فُتح باب المصعد ثمّ دخلت إلى غرفته الصغيرة فهبط بها مغلقةً عينيها لهبوطه المائل المخيف إلى القعر مستغرقاً دقيقتين، رفعت خلاها جنيفر شعرها المجعد عن جبينها وهي تمسح عرقها الناتج عن "فوبيا" معيّنة لا تدرك كنهها ما إن كانت "فوبيا" الأماكن المغلقة أو فوبيا معاكسة لفوبيا الأماكن المرتفعة..!!

كان معدّل زياراتها للمربّع الناريّ الأزرق - الواقع في هاوية هيكل المخروط فوق سطح المحيط بعدّة أمتارٍ - لا يتجاوز مرّةً أو مرتّين في الشهر الواحد... حيث كانت تتجنّب الأمر ما أمكنها لما يصيبها من ذعرٍ خفيّ! لكنّ ذعرها هذا لم يقف عائقاً في طريق ما وجب عليها قيادته، فلقد أكّدت على توزيع كاميرات المراقبة في كلّ زاويةٍ من زوايا المربّع راصدةً أيّ



تحرّك خارج الصالات الثلاث التي لم تخلُ من كاميرتي رصدِ كفيّلتين
بكشفِ كلّ ما يحدث ومتى يحدث وكيف!
لم تسمح جنيفر لأحدٍ أن يشعرَ بشيءٍ من زعزعتها ما قد يخلّ بجدارتها
بقيادة المنظّمة الأمنية S.

حتى عندما كانت تستدعي الباحثين الجيولوجيين للكشف على فوهة
المخروط "دايموند هيد" كانت تتدّرّع بدافع حرصها على سلامة مَنْ هي
مسؤولةٌ عن أمنهم وسلامتهم من حرسٍ وأطباء وعاملين آخرين!
إنّ ما كانت تؤمن به تماماً أنّها وبفضل إتقانها التحكّم بما تظهره قسّامات
وجهها المتناقضة ربّما مع لواعج نفسها، قد استطاعت إيهام جميع من يحتكّ
معها أنّها المرأة القياديّة الناجحة والمديرة الحازمة الصارمة التي لا تستسيغ
من يناقشها في قراراتها، بل وتسعى لتلقينه درساً يسهّل عليه وعليها مرور
الأيام المقبلة!

إلا العجوز الهاوائي "الخرف"!!

وكأنّ عناده نابغٌ من تعمّده إغاظتها كأنيّ وطنيّ كارهٍ لدخيلٍ يتصرّف في
أرضه كيفما يشاء!
وحقيقة الأمر..

أنّها أبعدُ ما يكون عن فكرة الاحتلال والاستغلال ونهب الأراضي المحتلّة
وتلك الأمور السياسية والتوجّهات الاستعمارية..
لديها هنا هدفٌ واحدٌ فقط...

تبدّل من أجله كلّ ما لديها من عزم لتدحر مخاوفها على الرغم من عدم تأكّدها بعد من نجاح ما ترمي إليه...
استغلال تعصّب ماكافي لوطنيّته والضغط عليه...
والآن..

وبعد أن استقرّ بها المصعد أخيراً في أعرق نقطة انتهى عندها محطّط التصميم المعماري، فُتح باب المصعد عن ردهةٍ مربّعة تضمّ في جدارها - يمين المصعد - باباً لصالّةٍ مضافاً إليه بابٌ لمصعدٍ آخر علّق أعلاه لوحةً مكتوبٌ عليها حرف M..

وفي الجدار المقابل للمصعد الذي نزلت به جنيفر بابٌ لصالّةٍ أخرى ومصعدٌ آخر علّق أعلاه لوحةً مكتوبٌ عليها حرف P...
وفي الجدار الأيسر بابٌ لصالّةٍ ثالثة دون مصعد!

توجّهت جنيفر نحو الصالّة اليمني ثمّ أمسكت مقبض الباب وفتحته بهدوء.. نهضت كاترين - سكرتيرة ومدير أعمال فريدريك - وأمارات المفاجأة واضحة على قسمات وجهها الناعمة ثم قالت بصوتٍ خفيض:

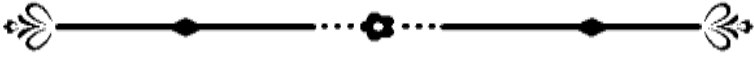
- سيّدتي.... هل من خطبٍ ما؟!

- أين فريدريك...؟

- في المختبر... هل أطلبه لك؟!

- كلا.... جيئت لأسألك...

- سيّدتي تفضلي بالجلوس... لم تكبّدتِ عناء نزولك إلى هنا؟!



- هل الجو حارٌّ أم أنني متأثرةٌ بحرارة الشمس في الأعلى؟!
- لا تقلقي سيّدة جنيفر.... الجوّ هنا أبرد من الأعلى...
- جلست جنيفر على المقعد الجلديّ بجانب طاولة السكرتيرة قائلةً:
- تحرّكاتك مع فريدريك خارج "دايموند هيد" لا تعجبني....
- حدّقت بها كاترين متسائلةً:
- ماذا تقصدين يا سيّدي...
- طلبتُ إليك إبعاده عن كلّ ما يمتّ لحياته السابقة بأيّ صلة... لكن يبدو لي أنّك صدّقتِ نفسك وسمحتِ لمشاعرك الخاصّة أن تزدهر!
- ابتسمت كاترين وهمست بصوتها الأنثويّ المبحوح:
- فهمتُ إلّا مَ ترمين إليه... ثقي تماماً سيّدي أنّي أقوم بواجبي بالضبط كما أمرتني.. لكن.... هل من السيّئ إن حوّلنا المزحة لحقيقة؟!.... أعني.... ماذا لو أنّني وفريد وبكامل إخلاصنا للمنظمة S قد سمحنا لعواطفنا الفطرية بالتّجاذب... هل من مشكلة؟!
- جحظت عينا جنيفر الصغيرتان فبدتا مرعبتين عندما قالت محدّرةً بصوتٍ خفيض:
- إيّاك!... أعتى الخطط وأعقّدها وأدقّها... أفسدت بسبب هذا النوع من المشاعر التافهة!... احذري كاترين.... لا تخلقي نقاط ضعفٍ نحن بغنيّ عنها..!
- نهضت كاترين من مكانها ثمّ أحاطت جنيفر بذراعيها هامسةً بغنج:

- أرجوكِ أختي..... إنّه شخصٌ نادر.... رائع... عمليٌّ وظريف.... والأهمّ من ذلك... مخلصٌ لدرجةٍ لا يمكن تصوّرها.... إنّهُ الشخص الذي كنتُ أنتظره! أمسكت جنيفر بيد أختها الصغرى بقوةٍ ضاغطةٍ عليها فعصّت كاترين على شفتها لشدة الألم ثمّ همست:

- أفلتي يدي رجاءً...!

- لا أكثر! لذلك الساذج.... عليك أن تلتزمي بالتعليمات وحسب لنأمن شرّ أولئك الوحوش.... إنّ ارتباطك العاطفيّ هذا يعني ارتباطك المصيريّ به أيضاً!... وهو شخصٌ حياته على المحكّ.... حتى لو كنتِ تعبئين في أرجاء قلبه... فاحذري أن يتحوّل هذا العبث لحقيقة!... (ثمّ أفلتت يدها)... أنتِ أسوأ كثيراً من أن تمارسي الإغواء على شخصٍ لا يعجبك!... أخشى أن أكون قد أخطأت حين أوكلتُ إليك هذه المهمة.... لكنني لا أستطيع الوثوق بأحدٍ غيرك.... تَبّاً!

تأوّهت كاترين متألّمةً وهي تمسك بيدها الأخرى:

- حسناً.... ثقي بي.... لن أتجاوز تعليماتك.... أعذر.... لكن لماذا تكبّدتِ عناء قدومك إلى هنا؟!

- إنّ أحداً استخدم المصعد P في الليلة السابقة حين ذهبتِ برفقة فريد خارج المخروط.... لم تميّزه كاميرات المراقبة الموزّعة في قاعة الردهة.... والغريب في الأمر أنّه لم يفعل شيئاً سوى أنّه نزل بالمصعد، حيث ألقى نظرةً فقط من مكانه ثمّ صعد من جديد!

يبدو أنه تعمّد ذلك ليُعلمني أنّ شخصاً غريباً غير مرغوبٍ به قد اكتشف هذا المصعد السري الذي يؤدي إلى هنا.... أو أراد أن يُكمل اكتشافه يدفعه الفضول وحسب!... لذلك قرّرتُ إقفال باب المصعد P يدوياً... وبلاستناد إلى شكل الرجل الطويل المرتدي زياً أسود ويضع قبعة سوداء... نفيتُ أن يكون بيكا الذي لا يعلم أساساً بأمر المربع هذا كون المنظّمة قد بسطت سيطرتها على القسم الجنوبي من مبنى مركز الأبحاث النفسية... تشبّثت كاترين بتلابيت أختها الكبرى مذعورةً ثم قالت:

- لقد... اكتشف أمرنا

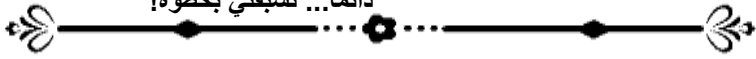
- اهدي... لم يبدو لي عدوّاً أو طفلاً واثياً... (ثم ابتسمت بمكر)... بدا لي شخصاً يرغب ببعض التسلية... وربّما عرفتُ من يكون... اسمعي كاترين... الحذرات واجبا... إياك أن يشعرَ فريدريك أنّنا أختان... - أمرك سيّدتي... من المستحيل أن يشكّ أحداً بقرابتنا!.. انظري لكتينا... إنّني أمريكيةٌ بيضاء وأنت أفريقيةٌ سمراء وفارق العمر ذي العقدين من الزمن دليلٌ آخر...

فُتح باب المختبر ثم خرج منه فريدريك صائحاً بحماس:

- عزيزتي كاترين... لقد انتهيت... (فوجئ بجنيفر فاستدرك مُرحباً بها)... سيّدتي... كيف حالك!؟

تساءلت جنيفر محدّقةً بوجه فريدريك المتورّم في نصفه الأيمن قائلةً:

- ما بك...!؟



تلمّس فريدريك خده قائلاً:

- إنه خراج.... وسأذهب إلى طبيب الأسنان اليوم ليعالجه.... قد أطلب منه قلعه نهائياً... فلقد سئمتُ أطباء الأسنان...

- والعمل!

- امم هلاً تفضّلتِ معي قليلاً من فضلك..؟

دخل الاثنان قاعة المختبر المكتظة بالأجهزة الطبية ومجموعاتٍ متنوّعةٍ من أدوات الفحص والتنقية وأنايب الاختبار الموزّعة في كلّ مكان... بدا المختبر لجنيفر قاعةً تعجّ بالفوضى المزعجة للناظر يعوزها النظام والترتيب... فرمقته متسائلةً عن سبب استدعائها إلى هنا...

إلا أن فريدريك اكتفى بنظرته اللامبالية ثم قال:

- سيّدتي.... يجبُ أن نحصل على المادة الرّابطة...

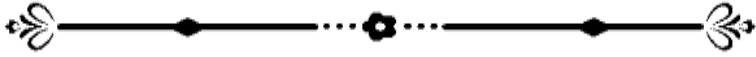
- عليك أن تبتكرها... إنّها مادّةٌ مبتكرة....

- هل قيل لك يوماً إنني مخترعٌ مثل هذه الأشياء؟!

أخرجت جنيفر من حزامها مسدّساً صغيراً ثمّ وجّهته نحو رأس فريدريك موضّحةً بصوتٍ خفيض:

- دعني أذكّر... إخلاصك لبنود التعاقد!... أو حياتك!

تنهّد فريدريك رافعاً يديه مهدّثاً من غضب جنيفر الخامد كهذا البركان.. لكنّه لا يعلمُ إن كان غضبها سيثور فتقتله أو يهدأ فتعفو عنه.. حاول أن يسيطر على الموقف الحساس هذا بكلمتين فقط:



- أريد المساعدة...

لَقِمت جنيفر المسدّس بحركةٍ واحدةٍ سريعةٍ وقربته من رأسه مبتسمةً
بوحشية:

- هل حان وقت استبدالك يا فريد؟!... هل تريد أن أفجّر رأسك قبل أن
يفجّر طبيب أسنانك هذا الخراج؟!
نمت عن فريدريك اتبسامةً غير متناظرةٍ بسبب وجهه المتورّم بدت خرقاء
لأسيما عندما ادّعى السذاجة قائلاً:

- هدّئي من روعك الذي يزداد عنفه في هذا المكان... لو أردتُ خيانتك
لفعلت ذلك منذ زمن!... أعرفك أذكى من ذلك يا جنيفر!... إنني مقتنعٌ
بعملي وأقدّسه أكثر من أيّ أحدٍ آخر تريدن استبداله بي!... دعينا
متعاونين تفهمين ما أعمله وأفهم دوافعك!... زوّديني ببعض المعلومات
والمواد الأولية فقط... المادة الرابطة مادةٌ دقيقةٌ التصنيع واحتاج بعض
الوقت لأتأكد من صحّة عملها بربط الشيفرة الوراثية مع جزيئات المادة
الكيميائية... هذا هو نوع المساعدة التي أحتاجها لا أكثر...

أخفضت جنيفر يدها وضغطت على زر الأمان في المسدّس ثمّ أعادته إلى
مكانه في الحزام مفكّرةً:

- سأرسل إلى هاتفك كلّ المعلومات... وسأبعثُ لك المواد المطلوبة... يجبُ
أن تنتهي من إعادة تصنيعها خلال عدّة أيام... هذا هو الوقت المستغرق

عادةً.... (ثم استدركت مبتسمةً بصوتٍ مرتعش).... احرص على سلامة أنظمة التحكم من الاختراق...

- أنت مجنونةٌ يا جنيفر... (ضحك عاليًا).... المربع تحت سيطرتي الكاملة.... لن يجرؤ أحدٌ على مجاراتي في عقلي الهندسي.... إنني.... سعيدٌ جدًا.... لاكتشاف الوعاء الذي يتسع لشغفي.... هل تدركين ذلك؟! رمقته جنيفر بعينين متراثنتين متممةً:

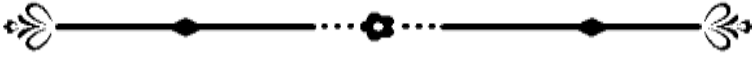
- تأكدتُ الآن من سبب اختيار لجنة التوظيف لك!.... (ثم تقهقرت متراجعةً للخلف).... أبداً... لن تتمكني مني يا فريد.... لن أسمح لك بتجاوز حدودك حتى لو سيطرت على كامل المخروط.... وليس على هذا المربع!....

أطرق فريدريك متسائلاً عن عدد المرات التي استحدثت فيها هذه المادة المتطورة!

ما تبين له أنها نتاج عملٍ مضمّنٍ وأبحاثٍ عظيمة... ترى كم استغرقت هذه الدراسات حتى توصل علماءها لابتداع تأثيرٍ منتقىٍ يستحيلُ كشفه!

راقب جنيفر وهي تغادر قاعة المختبر التي عمّتها الفوضى بسبب حثّه على الإنتاج بشكلٍ أكثر ممّا مضى!

فلم يعد يملكُ من الوقت ما قد يسمحُ له بالتراخي أو التقاعس.. تحسّس بيده خدّه المتوذّم الدافئ ما زاد من حدّة غضبه الدفين!



إنَّ سوء معالجة طبيب أسنانه و"تحضيره" فرض عليه معاناةً أخرى لم تكن في الحسبان!

بالتأكيد لن يسمح للطبيب بالتداخل مجدداً على هذا السن ونزع تعويضه الثابت، بل سيكتفي بالمعالجة الدوائية للأعراض المرافقة ثم تفجير جراحٍ خارجيٍّ بسيط عن طريق اللثة وحسب! الأمر لا يحتمل التشويش...

على فريدريك أن يكون دقيقاً للغاية...

آخر ما كان ينقصه الآن هو خراج صديديٍّ حادٍّ مؤلم، يترقب نضجه ليتم تفريغه دفعةً واحدة، لعلّ هذا الألم النابض الشرس يهدأ ما يساعده على التفكير في طريقةٍ يكمل بها ما بدأ..

ابتسم فريدريك في سرّه ممتناً لدقة عمله وإتقانه ما عدّه مهمّةً مستحيلة! حيث أنه لم يتخيل أنّ قدراته الهندسية قد فاقت توقّعاته ما أكّد له أنّ دماغه التوّاق لكسب التحديات لم يخذله في أعنى المواقف التي تتطلّب مهارةً عمليةً وذكاءً وقادراً!

على عمّته أن تفخر به..!

ليس بعد..!

لا يزال أمامه بعض الوقت....

عليه أن يختار الوقت المناسب ليُسدّد ضربته القاضية...

تنهّد فريدريك متسائلاً عن آخر مرّة ركب فيها الأمواج العالية على شاطئ "سُنست sunset"..
كان ذلك منذ عدّة أشهر قبل أن يوقّع عقد العمل مع المنظّمة!

أخذ نفساً عميقاً مستعيداً كل تلك الذكريات الماضية التي لم يعرف فيها همّاً أكبر من سعيه لإتقان الرياضات البحرية المثيرة!

فهل يعتبر حياته الجديدة هذه لا تتعدّى عن كونها ورطة؟!
إنّه لم يغفل عن أيّ احتمالٍ خطيرٍ قد تُمنى به حياته بسبب ما اتّخذه من قرارٍ مُرعب بعد اكتشافه العرق البشري المراد الارتقاء به من خلال طول سلسلة الشيفرة الوراثية الواجب ربطها مع المادّة الكيميائية المختارة!...
ماذا لو رفض كلّ شيءٍ في وقته بعد اختباره الأُمّني، فاعتذر عن متابعة العمل في وقتٍ لم يكن يدرك فيه فريدريك أيّاً من الخبايا والأسرار التي يكتنزها هذا المربّع!

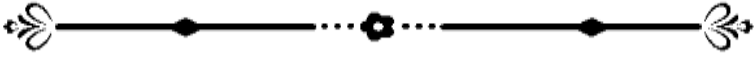
أيّاً يكن من أمر...

فلقد فات الأوان!..

عليه أن يكمل ما بدأه ملتزماً بكلّ خطوةٍ خطّط لها وبكلّ ساعةٍ رسم لها إنجازاً يجب أن ينتهي وعلى أكمل وجه!

حريصاً على أن يهدي عمّته هذا النجاح الصعب وأن يبرز اسم عائلة كالوا لامعاً عقب عناءٍ شاقٍّ وعصيب.

فإن لم يكن هو...



حتماً ستضيع "هاواي" في كارثةٍ عظمى...

إن لم يكن فريدي...

ستتلاشى فرصة الإنقاذ...

تمنى في أعماقه أن تصبر عمته حتى ذلك الحين!

وأن تفهم سام مغزى الحجر البركاني!

رفع فريديك رأسه للأعلى آملاً - كلّ الأمل - أن تسلمَ عمته من تأثير ابتعاد ابن أخيها عنها لفترةٍ من الزمن قد تطوّل أو تقصر! كان كلما تذكّرها استسلم للدقائق التي يسترجع فيها صوتها ونظراتها الحانية وضحكاتِها المشرقة..

لم تقصّر عمته نينا أبداً عندما حلّت محلّ أمّه الراحلة.. بل كانت له الأمّ والأب وكلّ شيءٍ لطيفٍ يدفعه للحياة والسعادة! لقد تاق فريديك لتذوّق طعامها ولاحتساء القهوة برفقتها، بل لرجائها - الذي كان مُملّاً إلى حدٍّ ما - بأن يتخلّى عن حياة الطيش واللهو..! ولو لم يكن مُراقباً في المرّة السابقة التي اجتمع بها، لارتى في أحضانها باكياً وهو يبثّها مشاعر اللوعة والحنين والاشتياق لها، ولتفاصيل يومه برفقتها، ولدفع قلبها وكلماتها ودفع ذلك البيت حيث الأمان والحبّ.. عليه أن يصبر ويتحمّل هذا الضغط الذي أكره نفسه عليه منذ البداية آملاً - كلا.. بل حتماً - أن ينال الغاية التي أرادها!

إذ أنه لم يتكفَّ عناء هذا الألم والإجهد النفسي والعصبي والجسدي
ليسمح للاحتِمالات أن تقرّر النهاية التي يجب قطعاً أن تكون كما يخطّط
لها!

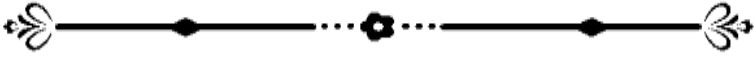
حيّاً أو ميتاً...

فريدريك فقط سيتمكّن من تسليم العصابة كاملاً إلى الجهات العليا!
أحسّ فجأةً بشعورٍ مُريعٍ عندما لاحت له فكرة الإخفاق واندحار كلّ شيء..
فتسلّل الفتور إلى ثنايا روحه الباردة وأناخ الندم كتلةً شائكةً على قلبه
المحظّم!

استند إلى الحائط خلفه ثم كوّر قبضتيه وجلس القرفصاء مستسلماً
لعرشة الذعر والهلع التي تملّكت أوصاله، وحدّق في الفراغ أمامه مطلقاً
العنان لاسترخائه الفكريّ المنصهر بأنين الوجع لسوداوية الطلعة
المستقبلية وإيقاع أيقونتها المروّعة!

لطالما أدرك فريدريك أنه ما إن يسمح لعقله أن يستلذّ باستنامته إلى وثير
الأمانى ووردية الأحلام، فسرعان ما تتغلغل مشاعر الكرب العميق
والحسرة لتُحكم حبالها الغليظة خانقةً بها كلّ خليةٍ من خلايا قلبه
المنحور!

لذلك كان يسعى بكلّ ما يملك من جهدٍ و طاقة أن يصرف فكره - سهل
الانجذاب - عن تلك الزاوية سوداء الأحداث والتفاصيل إلى حتمية نجاحه



ونيله ما يبذل من أجله ثمناً لا يجاريه ثمن... وهو حياته وحياة عمته
وحياة سام!

أحاط رأسه بكفّيه ثم فتح فمه متجاهلاً ألم الؤذمة ورفع حاجز الصمت
الساکن عن حباله الصوتية مفجراً دفعةً قويّةً من الهواء المنبعث من رئتيه
فانبثق صراخٌ مدوّ كاد يكسر أنابيب الاختبار الرقيقة وتهتزّ له الألياف
الخيطة الشعرية المجدولة، متطلّعاً بذلك لنفث كل ما ترسّب والتصق
بخلايا دماغه من بواعث التعاسة وشرّ الطالع!

يجبُ عليه أن يهدأ هدوءاً عقلانياً يريجه ويتفاءل به أو فليصرخ هكذا
ممسكاً بتلابيب نفسه العميقة المتملّصة من إحكام سيطرته وهو يوسعها
ضرباً وتعنيفاً ناهشاً بأسنانه كلّ ما نجم عنها من أحاسيس قاسية طاحنة ما
تبقى من أشلاء آماله وبقايا أحلامه...

لا خيار أمامه إلا متابعة ما بدأه!

نهض من مكانه ماسحاً ما جادت به عيناه من دموعٍ مثقلةٍ قليلةٍ ثم
غادر.....

الفصل الرابع عشر

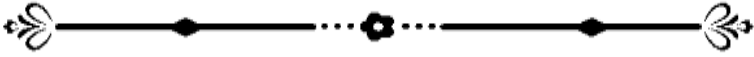
(مشفى الملكة)

ارتدى أسامة زيّه الجراحيّ ثمّ وضع القناع الطّبيّ وغطاء الرأس وتوجّه نحو غرفة تعقيم الجراحين حيث فتح صنبور المياه ومرّر قطعة صابون "التريكلوسان" المطهرة على كامل ذراعيه وكفّيه..

فطن أسامة لحركته السريعة في تطهير يديه ما عزا ذلك لدفقات هرمون الأدرينالين في عروقه باعثة الحماس والاندفاع في كامل جسده.. ابتسم في سرّه إذ لم يستطع احتواء هذه المشاعر الوقّادة فأسلمها للظهور على صفحات وجهه المختبئة أغلبها خلف الكمامة الجراحية وفي حركات جسده المنفعلة...

حيثُ سُمح له بخوض تجربة جديدة من خلال مشاركته في عملية غرس زرعة الجزء الداخليّ الأوّل للذراع الالكترونية الذكية "جاكو JAKO" في الطرف المبتور لمريضه "ليكو لي" الذي لازمه طوال فترة إقامته في المشفى منذ لحظة اتّخاذ الأطباء الاختصاصيين قرارهم في البتر بسبب الأذية الهرسية غير الردودة التي أصابت ذراعه اليمنى نتيجة سقوط كتلة المعادن عليها..

وحيث أنّ المريض قد جاء بقصة إسعافٍ إلى قسم الطوارئ في أثناء مناوبة



أسامة الليّية، وبعد إجراء الصورة الشعاعية لكامل الإصابة فلقد أُدخل المريض غرفة العمليّات دون حصوله على وعدٍ من الأطباء بالمحافظة على ذراعه المصابة إصابةً بليغة هُشّمت بسببها عظام الرسغ والأمشاط والثلث الأوّل من عظمي الزند والكعبرة!

حاول أسامة جاهداً إقناع اختصاصيّ جراحة العظام المناوب بوصل العظام المتفتّنة بأسياخ التيتانيوم علّها تستعيد ولو جزءاً يسيراً من وظيفتها في المستقبل!

إلا أنّ أطباء الأوعية ومن خلال فحصهم للوريد والشريان المغذّيين للطرف المصاب فلقد تمّ نفي أي احتمالٍ للنجاة.. رغم ذلك..

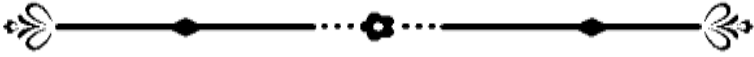
رفض أسامة عمليّة البتر، ولم ييئس من ابتكار أفكارٍ طبّيةٍ قد تُفيد المريض الشاب المستلقي على طاولة العمليات وجزيئات غاز التخدير تجري في عروقه..

لكنّه جوبه بالرفض والتوبيخ من قبل المقيم الأعلى والاختصاصيّ المشرف واستسلم للواقع الحزين حين عُرض عليه صوراً فوتوغرافيةً لمرضى رفضوا عمليّة البتر دافعين ثمن مواصلة حياتهم مجسّد متّصلٍ بكتلةٍ ضامرةٍ مشوّهةٍ من بقايا عظمية وشرائح عضليّة هزيلة يغلفها جلدٌ متندّبٌ بالكامل، قد أفقرت تماماً من الأعصاب (الحركيّة والحسيّة) تخضع لقوّي السحب والرفع بمساعدة العضلات العليا السليمة لا أكثر! ما اضطرّهم في

النهاية للخضوع لعملية البتر راجين التخلص من عائقٍ أضحى نقمةً ميتةً تلازمهم متصلةً بهم مقوضةً حياتهم بوجودها أكثر من تحلّهم عنها! كان قرار البتر صعباً وقاسياً، لكنّه في النهاية علاجٌ طبيٌّ وحياتيٌّ واجتماعيٌّ! أدرك أسامة في نهاية المطاف أنّ الاستسلام للعواطف دون التفكير بعواقب القرار ودراسة نتائجها بشكلٍ دقيقٍ لن يمنح النتيجة المرجوة للمريض البعيد جداً عن مسؤولية اتخاذ القرار..

انطلاقاً من ذلك الموقف الحساس الذي يتطلّب جرأةً وسرعةً ودقّةً في التصرف، فلقد تبنّى أسامة كلمته "ضربة رجلٍ واحد" حين وقرّ على المريض عواقب تجربة المحافظة على يدٍ مسحوقَةٍ لن تعفيه من خضوعه مرّةً أخرى لعمليةٍ جراحيةٍ وتخديرٍ عامٍ بقصد البتر وما يتبعه من رضٍّ نفسيٍّ قاسٍ هو بغنى عنه!

فشارك في عملية البتر وانبهر بمهارة الأطباء وهم يعيدون وصل الأعصاب المحركة المتبقية مع عضلاتٍ أخرى فوق الجزء المبتور من الساعد استعداداً للمرحلة الجراحية التالية لاستقبال الطرف الصناعي ذي الأقطاب (حساسات الحركة) والتي يتم وضعها على ذات العضلات، حيث تعمل هذه الأقطاب الالكترونية كمضخّات بيولوجيةٍ للإشارات الحركية العصبية تساعد المريض على التحكّم بطرفه الصناعي المندمج بجسده لاحقاً... والآن..



وبفضل تطوّر العلم والطب وتسخير خدماته للوصول للمريض إلى برّ الراحة والأمان من خلال الاندماج الاجتماعيّ الصحي واستعادة ما فقدّه من مزايا بنيويّة ووظيفيّة، فلقد قلّل ذلك إلى حدٍّ ما من حجم الإحباط والخيبة ورَفَعَ من مستوى التفاؤل والأمل لدى المرضى والأطباء على حدٍّ سواء...

مرّر أسامة ذراعيه حتّى كفيّه تحت صنوبر المياه الجارية لغسل آثار الصابون المطهرّ ثم ضغط بقدمه على "دوّاسةٍ خاصّة" أسفل الحوض لإغلاق المياه محافِظاً على يديه مرفوعتين للأعلى..

بعد ذلك توجّه نحو غرفة العمليّات وضغط بقدمه مرّةً أخرى على "دوّاسةٍ" بجانب الحافّة السفلية للباب ليفتح..

فدخل وضمّ يديه ضمن أكمام الرداء الجراحيّ الأخضر، الذي بسَطّته الممرّضة رافعة الرداء أمام أسامة ثم شرعت بإحكام أربطته خلف ظهر المقيم...

كان طبيب التخدير يطلبُ من المريض الشاب المستلقي على طاولة العمليات أخذ نفيس عميقٍ من خلال القناع المغطّي لأنفه وفمه.. تقدّم أسامة مبتسماً نحو المريض قبل أن يغفوقائلاً له:

- لن نتأخّر... ستكون بخير يا ليكو... جاكوبانتظارك
ضحك الشاب ثم سرعان ما غَطّ في النوم...

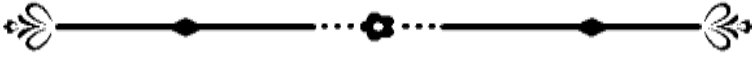
ومدّ طبيب التخدير أنبوباً من خلال فمه إلى رغامى المريض مُعلماً الطبيب المقيم أسامة أنّه جاهزٌ لإجراء العمل الجراحي..
لم تمضِ دقائق حتّى حضر المقيم الأعلى واختصاصيّ الجراحة العظمية المشرف ومعهما طبيبٌ مندوبٌ من شركة "ميغا" وفي حوزته حقيبةٌ معدنيّةٌ مغلقةٌ بقماشٍ أخضر معقّم..

وعلى الرغم من معرفة أسامة أنّ فرصة حصوله على قدرٍ معتبرٍ من مشاركته في الإجراء الجراحي المجري ضئيلةٌ، إلّا أنّه كان سعيداً لكونه مُراقباً وهو يستخدم المبعد الجراحيّ للطبيين ريثما يتمّ حفر سريرٍ داخل الجزء المتبقي من العظم واستقرار القطعة الداخلية المندمجة بجسد المريض داخله.. أفسح الأطباء المجال للجراح -مندوب شركة ميغا- الذي تولّى المهمة الأخيرة، وقام بشبك الغرسة مع سريرها المهيأ لاستقبالها، ثمّ وبمهارة التقط وعاءً دمويّاً وأوصله بحجرةٍ صغيرةٍ موصولةٍ بالغرسة من خلال مدخلٍ أنبوبيّ دقيقٍ ينتهي بصمّامٍ له شرفتان!

نظر أسامة بطرف عينه إلى الاختصاصيّ والمقيم الأعلى، فبانا له غير مكترئين للخطوة الأخيرة المجراة ما دفعه للسؤال قائلاً:

- ما المغزى من وصل الوريد مع الغرسة؟!

تجاهل الأطباء سؤاله وتابع المندوب عمله منتهياً بخياطة العضلات والجلد حول الغرسة، ثم خرج برفقة الاختصاصيّ المشرف بصمت دون أن ينبس ببنت شفة..



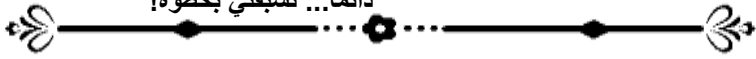
رمق أسامة المقيم الأعلى معيداً عليه السؤال، لكنّ المقيم أجابه باقتضاب:
- هذا سرٌّ تقنيٌّ من أسرار الشركة... ولا يجوز لنا التعمّق في التفاصيل!
- ما هذا السرّ الطبيّ الخطير ليتمّ إخفائه بلا أيّ مبرّر؟!... نحن نطلبُ
تفسيراً لإجراءٍ جراحيٍّ لا سبب له!... وليس شرحاً لتركيبها الإلكتروني
الخاص..! (ومن خلال ملاحظة ارتباك المقيم الأعلى ومحاولته التملّص من
الإجابة استدرك أسامة متابعاً)... أخبرني دكتور رجاء... لا بدّ أنّك تعلمُ
شيئاً!

أجاب المقيم مستجمعاً قواه:

- لا أعلم... وأنصحك تجاهل الأمر أنت أيضاً... لقد سأل هذا السؤال عدّة
أشخاصٍ قبلك فتمّ نفيهم لمتابعة اختصاصهم في جامعاتٍ لدولٍ أخرى دون
معرفة السبب... فإن كنت ترغبُ بمتابعة الدراسة هنا... عليك أن تعمل
كما يُملَى عليك تماماً ودون الإكثار من الأسئلة... والآن... ضمّد الجرح
قبل أن يصحو المريض من تأثير التخدير..

أمسك أسامة الشاش بلا وعيٍ منه غارقاً في غياهب أفكاره الكثيرة وغطّى
به موضع الغرز الجراحية وثبّته باللاصق الطبيّ ثمّ طلب إرساله إلى غرفته
في جناح مرضى الجراحة العظمية، وخلع رداءه الجراحيّ سريعاً وغادر غرفة
العمليات..

.....



- يجبُ أن نذهب لزيارة العمّة نينا...

(قالت سام لمايكل وسينا عندما كانوا جالسين على مقعدٍ في فسحة الحديقة المحيطة بمشفى الملكة)

- لماذا..؟!.... (قالت سينا)

- لأنني لا أريدها أن تبقى وحيدةً بعد أن غادرها فريد...

قال مايكل:

- هذا غريب!.. إن مرضى الصّحة السلوكيّة في ازدياد... انظروا هناك...

توجّهت أنظار سينا وسام نحو أسامة وهو يعتذر لتعثّره بأحد المرضى الذي لم يأبه له، بل تابع سيره سادراً بلا أيّ توجّه منطقيّ...

تقدّم أسامة نحو أصدقائه مشيراً بيديه إلى المريض باستغرابٍ قائلاً:

- يسير دون أدنى انتباه... أين مرافقه؟!

قال مايكل بصوتٍ حائر:

- حالته تشبه حالة جاري السيّد بيير... توقعتُ أن يكون مصاباً بأعراض

الزهايمر... إلّا أنّ نتائج الفحوصات والتحليل أثبتت غير ذلك... قال

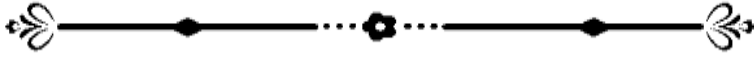
الطبيب عرفان إنّّه مصابٌ باضطرابٍ نفسيّ يشبه إلى حدٍّ ما أعراض

الذهيان التالي للجراحة لكنّه هذيانٌ مديد التأثير... أكثر المرضى بعد

مرورهم بتجربة التخدير العام وخضوعهم لعمليّة جراحية قد أُصيبوا بهذا

النوع من الاضطراب..

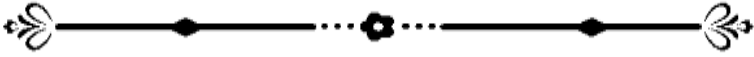
قالت سينا باهتمامٍ بالغ:



- هل لهاوي شعبٌ حسَّاسٌ يتأثر بمثل هذه الإجراءات الجراحية؟!
ضحك مايكل عالياً فرمقته سام بانزعاج مكثرةً ثم قال:
- تعدّ هاوي أكثر المناطق تنوعاً عرقياً... ولا وجود لعرقٍ بشريٍّ غالبٍ على الآخر... تضمّ هاوي أكثر من سبعة أعراقٍ بشريةٍ منهم العرق الهاوائي الأصلي... وكلّهم يعدّون أقليةً بالنسبة لغيرهم لتنوعهم على هذه الجزر!
- هل الطبيب عرفان هو من شخّص حالة المرضى المصابين بهذا النوع من الاضطراب الغريب؟!
- أظنّ ذلك... كما أنّه لا يُعدّ اضطراباً غريباً... بل هو شائع الحصول..
ابتسمت سينا بازدياء:
- بل هو اضطرابٌ غريبٌ كغرابة الشخص الذي شخّصه
أمسك أسامة بكتف مايكل ثمّ أداره بعنفٍ مواجهاً له قائلاً بغضبٍ مكبوت:
- هل سبق أن شاركت بعملية غرسه الذراع الالكترونية جاكو؟!
فوجئ مايكل من انفعال أسامة الذي نادراً ما يغضب فأوماً برأسه قائلاً:
- نعم... مرّة..
- ألم تنبّه لأيّ إجراءٍ غريب... كوصل الوريد مع الغرسة؟!
- بالتأكيد... لا تخبرني أنّك سألت الطبيب مندوب شركة ميغا عن ذلك!
- بالطبع... سألته... لكنّه تجاهل سؤالِي...
أبدت سينا اهتماماً لما قاله أسامة فعلّقت على الموضوع:

- ما من سببٍ واحدٍ يدفع الأطباء لإمداد الغرسة بدم المريض!... الأمر يشبه الغرسات السنّية... جميعها تتداخل بالعظم الفكيّ وحسب...
- لنقل إنّ التداخل على الأعصاب المحيطيّة المحرّكة مطلوبة كونها التي ستُرسل الأوامر بالتحريك إلى العضلات البديلة غير الوظيفيّة ومنها إلى أقطاب الذراع الالكترونية... أمّا عن الأوعية الدموية... فذلك شيءٌ آخر...
ويجبُ أن أعلم السبب!
قال مايكل محدّراً:

- لا تتدخّل بأسرار الشركة... ستكون أنت الخاسر..
- هذا ما زاد من حدّة استغرابي... لماذا تخلّصوا من الأطباء الذين تساءلوا عن هذا الموضوع الشائك؟!
- لم يتخلّصوا منهم يا رجل!!.... مابك... جعلت من الأمر قضيةً شائكة... الأمر ببساطة أنّ لميغا أسرارها التكنولوجيّة الخاصّة... ولا بدّ أنّك تعلم معاداتها للولايات المتحدة الأمريكيّة ونبذها لضمّها هاواي كولايةٍ لها!... لا شكّ أنّ خوفها من إفشاء خباياها العلميّة التي بذلت لأجلها الكثير من الجهد والمال والوقت دفعها للحرص على ما تراه سراً لا يجب أن يُكشف للعالم... وإنّ من بالغ في السؤال فيما لا يُفيد... أرسلته وزارة الصّحة الهاوائية لمتابعة الاختصاص في مشافٍ أخرى خارج هاواي وقد تبنت ميغا دفع كامل تكاليف السفر والإقامة والدراسة... وهذا مجدّ ذاته يعدّ فرصةً



ثمينة يتمناها أي طبيبٍ مقيمٍ هنا.... (ثمّ تحسّس ذقنه براحة يده مفكراً)...
ربما عليّ فرض السؤال على المندوب ذات يوم لبيعثوا بي إلى الخارج...
قالت سينا مبتسمةً باهتمام:

- بمعنى آخر... ربّما عليك إزعاجه

قال أسامة:

- تماماً...

قالت سام بقلبي وهي تمسك هاتفها المحمول:

- إنني أحاول الاتصال بها منذ الصباح... وليس من عاداتها تجاهل اتّصالي!
نهض مايكل مفكراً:

- ربما علينا الاطمئنان عليها... أخشى أن تحاول الانتحار مثل بعض
المجانين!

قالت سام محدّقةً في الأشخاص الموجودين في الحديقة وأولئك الجالسين على
مقاعد الانتظار في ردهة المشفى:

- بل المجانين هم هؤلاء.... انظروا إليهم.... وكأنّ مشفانا صار مصحّةً
عقلية!

أجال الأصدقاء أنظارهم باستغرابٍ شديدٍ وكأنّهم الوحيدون المتوازنون في
المنطقة، حيث بدا كلّ شخصٍ آخر عداهم غريب الأطوار يسير سادراً غائباً
عن محيطه تائهاً غير واعي تماماً للمكان والزمان!!... يتمّ توجيهه من قبل

مرافقه الذي يبدو حائراً وهو يُدلي بكامل المعلومات لموظفة الاستقبال في المشفى!

نهضت سينا من فورها قائلةً بصوتٍ مضطرب:

- يجبُ أن أذهب إلى قسم الصحة السلوكية لأعرف ما الذي يجري بالضبط... الأمر... مرعب!

تناهى إلى سمعهم صوتُ عرفان وهو يتقدّم ببطءٍ نحوهم مستعيناً بقدمه السليمة ما أمكنه وهو يقول مبتسماً:

- قسم الصحة السلوكية كلّه بين يديكِ أيتها العزيزة الغالية سينا

رمقته سينا بجمودٍ وهي تحاول إخفاء ذعرها الدفين ثم تمتمت:

- يجبُ أن تُصدقني القول....

من الذاكرة... قبل بضع سنوات

- ألو... (قالت سينا بصوتٍ ناعس)

- صباح الخير يا سينا...

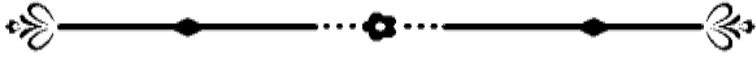
- أهلاً دكتور... صباح النور

- كيف حالكِ؟!

- بخير... وأنت؟

- في الواقع... إنني في مركز الليزر للعيون L.V... وأردتُ الاطمئنان على

عينك... هلاً جئتِ الآن؟



- كم ستبقى هناك؟
- نصف ساعة..
- ربّما لن أستطيع الوصول خلال هذا الوقت... لو أنّك أخبرتني البارحة...
(قالت ذلك بصوتٍ حاولت إخفاء غضبه)
- تعالي الآن.... سأنتظرك...
- قد أتأخّر... لنؤجّل الأمر...
- قلْتُ لكِ سأنتظرك.... تعالي...
- (صمتت قليلاً)... حسناً... أنا قادمة..
- أغلقت سينا الهاتف وهي تحصي عدد الأيام التي غابها عرفان عن ساحة التواصل!
- كانت قبل يومٍ فقط تحاول معرفة دافع حقيقيّ لانهيّار دموعها الهائلة!
- إنّ عرفان كثير الغياب!
- وغامض، وغموضه يخيفها...
- وإنّ سينا أضعفُ كثيراً من أن تحتملَ هذا النوع من الألم الذي بدا لها أنها تختبره لأوّل مرة!
- كان عرفان يتحدّث إلى هاتفه أمام باب مبنى مركز الليزر للعيون L.V
- عندما رأى سيارةً سوداء تقودها سينا مرتديةً معطفاً أخضر غامق اللون
- عند الرصيف المقابل للمركز..

رأته سينا وهي تطفئ محرّك السيارة قبل ترجّلها منها، وقد انبثقت ابتسامة مشرقة في وجهه وهو يقول لها مُرحباً:

- هل آت إليك لاستقبالك؟!

قالت سينا بصوتٍ بدا رسمياً مبتسمةً:

- شكراً لك.... (ثم تقدّمت نحوه).... صباح الخير...

- يا صباح النور...

حوّلت سينا نظرها عنه متجاهلةً عيونه المركّزة عليها وضحكته الشاردة قائلةً له:

- سأنتظرُ في الداخل..

جلست في غرفة الانتظار المزدحمة ثم أمسكت هاتفها المحمول محاولةً إخفاء غضبها الدفين، ومتخيّلةً سيناريوهاتٍ من الحوار التي كانت تحرص سينا على التزام موقفها الرسمي من خلاها القريب من الجفاء والتحفظ!

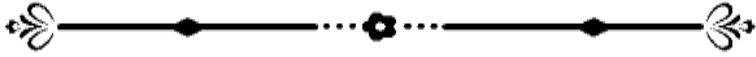
مضت بضع دقائق ثم ناداها عرفان طالباً منها دخول غرفة المعاينة.

جلست سينا على كرسيّ المريض مقابل كرسيّ الطبيب، هذا المقعد الذي كرهته وكرهت اللحظة التي تُذكرها بأيام العملية وما تبعها من اختلاطٍ ثم تحبّطاتٍ وعذابٍ نفسيٍّ كانت بغنى عن ذلك كلّهُ!

بحث عرفان عن زرّ تشغيل جهاز الفحص فلم يعثر عليه!

فقال للممرّضة:

- أين.... هذا.... كيف يعمل؟!



مدّت الممرضة يدها إلى أسفل الطاولة ثمّ ضغطت الزرّ، ووضعت سينا
ذقتها مكان حامل الذقن مُسلمةً عينها للفحص...
استغرق عرفان ثوانٍ فقط وهو يفحص العينين ثمّ أبعد الجهاز قائلاً بصوتٍ
جاد:

- حسناً... عينك اليمنى.... يجبُ العمل على رفع شريحة قرنيّتها وترطيب
أسفلها ثمّ إرجاعها بشكلٍ صحيح ومتناسق الأبعاد... هذا النوع من الشنّيات
لن يُشفى دون التداخل عليها...

كان صوت ضربات قلب سينا يدقّ في أذنيها عندما سألته بصوتٍ ثابت:
- حقّاً؟!

- للأسف... نعم...

- متى؟

- في الوقت الذي تشائين...

قالت بصوتها الرسمي الهادئ:

- دكتور... لقد ضقتُ ذرعاً بهذه المعاناة... مضى عليّ أكثر من ثلاثة أشهر...
نظر عرفان بعينه الحانيتين قائلاً بابتسامةٍ حزينة:

- سلامتك يا سينا...

- الأسبوع القادم؟

- نعم... ليكن الأسبوع القادم... استخدمى هذا النوع من القطرات
المرطّبة... ستُساعدني على رفع الشريحة...

كتب لها وصفةً طبيةً عليها اسم القطرة العينية ثم قال معذراً:

- آسف... لقد أيقظتك من نومك..

- لا بأس... كان وضع "عدم الإزعاج" مُفعلاً في هاتفي..

فوجئ عرفان بردة فعلها القاسية ثم قال لها:

- أعتذر... لتقصيري...

أخذت سينا الوصفة الطبية مبتسمةً بتصنّع فاضح ثم قالت:

- أنت طبيبٌ مشغول... وأنا مريضةٌ مزعجة...

قال عرفان وقد بدت الحيرة واضحةً في صوته:

- لا... لا تقولي هذا.... أنتِ على العين والرأس دائماً يا سينا...

نهضت سينا قائلةً:

- إذا... ننتهي الأسبوع القادم...

أوماً عرفان برأسه، فاستدركت سينا:

- شكراً لك.... إلى اللقاء...

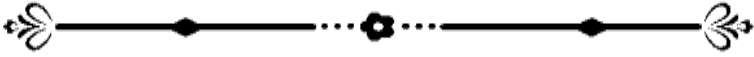
لم يوفر عرفان رسائله في ذات المساء إلا أن سينا بقيت محافظةً على موقفها

وقرارها في عدم تساهلها مع إهماله الغريب بعد الآن، إلا أن قلبها كان يسحّ

وينبض بالألم لعدم اعتياده على مقابلة أحدٍ بهذا الجفاء... خصوصاً...

عرفان... الطبيب اللطيف الهادئ الذي وقف إلى جانبها في أصعب أيّامها!

جاء اليوم المنتظر...



فاتّصلت مروّة بسينا صباح اليوم وهي تسألها عن الموعد الذي حدّده لها
عرفان لكنّ سينا قالت لها:

- لم يُحدّد لي الساعة!

- اتّصلي به..

- لن أفعل....

- (تنهّدت مروّة)... إذاً رسالة...!

كتبت له سينا:

- صباح الخير.... متى سيكون الموعد بالضبط!؟

أجاب عرفان برسالة صوتيّة مقتضبة:

- انتظري مكالمتي... لا يزال أُمامي عدّة مشافٍ عليّ المرور بها... ثمّ سيكون

مركز L.V

ذهبت سينا إلى عيادة مروّة السنية، وفي نيّتهما الانتظار هناك...

أخذت آخر رشفةٍ من فنجان قهوتها وهي تقول لمروّة:

- أشعرُ بالخوف... أخشى أن تُصيبني "فوبيا" من هذا النوع من العمليات

- لا تقلقي... إنّ الإجراء آمن... ما يهمّ هو استعادة قدرتك على الرؤية

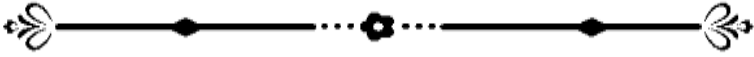
التامة...

- هل تظنّين أنني سأكون بخير!؟

- نعم... إن شاء الله

مرّت أربع ساعاتٍ دون أن يردّ سينا اتّصالاً من عرفان..

- فقلت مروة بهدوءٍ عقلائي:
- لماذا ترفضين الاتصال به أنتِ؟!
- لستُ أنا من سيتَّصلُ به!... (قالت سينا مؤكدةً على كلامها بإصرار)... هو من سيكلمني... لقد وعدني...
- تحدّثي إليه بصفتك مريضته لا شيء آخر... لذا لا بأس بإجراء اتّصالٍ تسألينه ببساطة عن موعد العملية...
- ابتسمت سينا بتحدٍّ غاضب:
- الآن بالضبط... لن أستطيع التصرّف كمريضةٍ عادية!... اسمعيني يا مروة... هذا الرجل... شريكٌ للوقت... سأكون شريكاً للوقت أنا أيضاً... وسأنتظرُ لأرى المدى الذي سيجتازه عرفان...
- أخذت مروة رشفةً من فنجان قهوتها ثم قدّمته لسينا قائلةً بهدوء:
- عزيزتي!... لو كنتِ تحبّين عرفان حقاً... لما ترددتِ في الاتصال به والسؤال عنه بين الحين والآخر كما يفعل!... في كلّ محادثاتكما... كان هو المبادر إلّا في القليل جدّاً حيثُ الاستشارات الطبية... إنك تعين له الكثير... ولا أظنّ أنّك تبادلينه شعوره!
- بل أبادله شعوره حقاً!
- إنّ غيرك من الفتيات... إن وقعت في حبّ أحدهم... لن توفر اتّصلاً تسأل فيه عن حاله... تطمئنّ عنه.. تعرف أخباره.. يا أختي تهتمّ به... (ثم قالت



باستنكار) أما أنتِ... تتحدّثين معه بشكلٍ رسميٍّ جافٍ!... لقد سمعتكِ مرّةً بأذني..!..

- هل قال لك أحدهم إنني وقعت في حبّه؟!...

- هذا ما أتحدّث عنه!

- إنّه ليس الوقت المناسب لأتحدّث معه بغنج الفتيات السخيفات!... (ثمّ

تشرب صوتها بعضُ الحزن).. فقط.. لو أنّه يعلمُ ما في قلبي له..!

- جميل... أعلميه إذاً!

- أنتِ محنونةٌ حقّاً...!... خسئُ أن يعلمَ شيئاً عن شعوري قبل أن يتقدّم

لخطبتي بشكلٍ رسميٍّ مرّةً أخرى!... أنتِ لا تعلمين مقدار حرصي على

الظهور بمظهر الطبيبة الناضجة المحترمة التي لا يُعييها أيّ نوعٍ من أنواع

الإعجاب خارج إطاره السليم... على الفتاة أن تكون ردّة الفعل.. وليس

الفعل!

- لا تتفلسفي!... اتبعي إحساسك... إنك تصعبين الأمور...

- هه... أنا لا أرى أيّاً من هذه الأمور يلوح في الأفق!... (ثمّ قالت بيأس)...

إنّ تصرّفاتهِ تخبرني أنّي لست بأمان!... وهذا ما لا أُحبّه!

تجاوزت الساعة الخامسة والنصف مساءً من ذلك اليوم عندما قررت سينا

العودة إلى عيادتها دون أن تستطيع السيطرة على مشاعر الغضب التي

اجتاحتها وألهبت قلبها بوابلٍ من الخواطر من بينها أنّ مكروهاً ما قد

أصاب الرجل ما جعله يمتنع عن الاتّصال بها على الأقل..!

كان المطر يهطلُ بغزارةٍ عندما ترجّلت من سيارتها وتوجّهت نحو العيادة..
سألتها الممرضة قلقاً:

- دكتورة... كيف حالك؟.... هل عينك بخير؟!

تجاهلتها سينا متوجّهةً نحو طاولة مكتبها ومفكّرةً بمدى انشغاله ما دفعه
لعدم قدرته على استغراق دقيقةٍ واحدةٍ فقط يخبرها أنّ عائقاً ما قد حال
دون وفائه بوعدده.... فلم تجذ سينا أيّ مبرّر سوى موته!

جلست على كرسيّها خلف طاولة مكتبها ثم أغلقت عينها اليسرى وهي
تحاول تمييز اسمها على إحدى الشهادات المعلقة على الحائط المقابل -
المقياس الذي تعتمده لدراسة مدى تحسّن رؤيتها في هذه العين - فتنهّدت
زافرةً كلّ ما يعتلجُ داخلها من ألمٍ وعذاب عندما لم تلاحظ تغييراً في
النتيجة!...

إذاً...

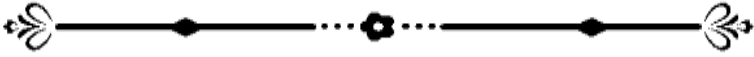
لا شفاء!

لقد تغيّر عرفان كثيراً..

تقلّباته ومحادثاته المقتضبة تختلف كثيراً عن سابقاتها!

لا تنكر سينا أنّ ذلك بات مزعجاً لها وباعثاً لنوعٍ من ذلك القلق الذي
يُنذرُ بجرّح وشيكٍ سيُصابُ به قلبها!

أمّا كان من السهل عليه التوضيح ثم الاعتذار بشكلٍ بسيط؟!...



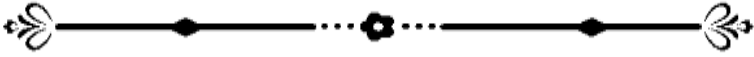
خصوصاً وأنّ سينا لم تكفّ عن إظهار نفسها بأنّها قَمَّةٌ في اليسر وسهولة التقبّل كونها لم تفتعل أيّ نوعٍ من التأثير السلبي عليه إن حصل وحاول الانسحاب كما فعل منذ بداية تعارفهما عندما أرغمه أبواه - حسب زعمه- على الارتباط بطبيبة الأسنان تلك، وقتها أشادت سينا بطريقته التوضيحية غير المباشرة، وشجّعته على الامتثال لأمر والدَيْه!
أمّا الآن...

ما الذي يمنعه بالضبط من الانسحاب والتوضيح إن لم يكن راغباً حقّاً بها شريكةً لحياته؟!
لا شيء... بتاتاً!

فكّرت سينا في تحديد موقفها الحالي - الثابت دون أيّ حراكٍ من قبلها تقدّماً كان أو انسحاباً- إن كان ذلك نابعاً من الخوف بل الرعب من الرفض الصريح أم كان ذلك حسن تصرّفٍ قد استعمله ذكاؤها عندما آثرت أن تحافظ على أعصابها فلا توحى لعرفان بأيّ شعورٍ قد ينمّ عن ضعفها أو يفضح سريرتها النابضة والمتعطّشة لأيّ تفسيرٍ حقيقيٍّ لما يُقدّم عليه أو ينسحبُ منه!

وربّما ببساطة لم يشأ أن يُشركها بمتاعبه الخاصّة وظروفه الحسّاسة! رنّ هاتفها أخيراً وحدّقت باسم عرفان مفكّرةً في عدم الإجابة، لكنّها فضّلت التصرّف بشكلٍ طبيعيٍّ...
- ألو...

- فوجئت بصوت عرفان الذي بدا متعباً شبه لاهث عندما قال:
- أنا... آسف... آسف جداً
- هل أنت بخير؟!
- آسف جداً.... لقد كان يوماً عصبياً والعمليات قَمَّةً في الصعوبة والتعسير.
- نعم...
- لقد أنجزتها بصعوبة... إنها حالاتٌ جراحيةٌ حرجة...
- أحسّت سينا بالخجل لظنّها السيء به فقالت له راجيةً:
- حسناً... هل تكلّلت بالنجاح؟!
- نعم... أخيراً...
- تنهّدت سينا ثمّ قالت:
- هذا هو الأهم الآن.... لا تفكّر بي إذا...
- صاح عرفان بصوتٍ مكبوت:
- كيف تطلبين مني ألا أفكّر بك؟! أنت الأهم... أنت الأولى... إنني خادمٌ لك وطوع أمرك...
- لا... لا.... (قالت سينا بعجل وقد احمرّت وجنتاها محرّجةً)... حسناً... عد
- الآن وارنّع جيّداً... لدينا ما يكفي من الوقت....
- سنتحدّث مساءً.... امم؟
- نعم..



أغلقت سينا الهاتف وشعورٌ بالراحة قد أطفأ الشعلة الملتهبة التي استعر لها قلبها، أو أنّها أجبرتها على الانطفاء، لا سيّما وأنّ عرفان قد راسلها مساء ذلك اليوم مُكرّراً اعتذاره وأسفه عمّا حصل مُذليلاً اعتذاره بالجملة التالية:

- كلامكِ مُريحٌ جدّاً بالنسبة لي يا سينا.. كلماتك غايةً في السحر والجمال أجابت سينا على الرغم من عدم إدراكها "مكمن السحر" هذا في كلامها العاديّ جدّاً:

- إنّ السرّ يكمنُ في التأثير... قد تؤثرُ فيّ كلماتك أكثر مما تؤثرُ فيكِ كلماتي!

- ماذا تقصدين؟! ..لم أفهم ..لا تُخيفيني! ..يستحيلُ أن أوثرَ عليكِ بحرفٍ واحد! ..لديّ سينا واحدةٌ فقط في حياتي ..ولها مكانها الخاص في قلبي ..

ضحكت سينا:

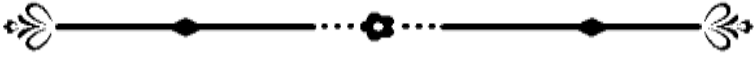
- رأيْتِ؟!.... هذا هو نوع التأثير الذي أتحدّثُ عنه!

أكتفت سينا بهذا النوع من التلميح مستنيرةً ببعض ما يُسلّط عليه عرفان الضوء من عباراتٍ لها من الأبعاد ما يعيها ويُدرِكها إدراك الرجل السويّ والطبيب الراشد..

أنهى الاثنان المحادثة دون أن يحدّد عرفان موعداً جديداً للعملية أو يأتي على ذكرها أساساً!

في صبيحة أحد الأيام التالية تلقت سينا من مروة اتصالاً تعبّر فيه عن امتنانها للقدر الذي منع سينا من تسليم عينها لعرفان!

- لا تفكّري أبداً بالعمل مع هذا الشخص.... لقد وَرَدَني خبرٌ سيِّئٌ عنه...
كاد يهوي قلب الفتاة وهي تتساءل:
- ما الذي حصل؟!
- بالمصادفة سألتُ أختي عن اسم عرفان طبيب الجراحة العينية في المشفى
الذي تعملُ فيه.... فأجابها أحدُ فتيّ التخدير أنّ عرفان لا يُجيدُ أيّاً من
الإجراءات الجراحية العينية.... إنّهُ طبيبٌ فاشل...
- ماذا؟!... (ثمّ قالت بغضب)... من هذا الذي قال عنه ذلك؟!... وهل هو
شخصٌ موثوق؟!
- أيّاً كان يا صديقتي.... المهم أن نُعفي عرفان من إرجاع الشريحة!
- هذا مستحيل.... إنّ مرضاه كُثُر... لقد رأيتهم بأمّ عيني في المشفى وفي
مركز L.V... ثمّ مَنْ طلب من أختك السؤال عنه؟!
- تردّدت مروّة قليلاً ثمّ قالت بهدوء:
- في الواقع... أنا...
- لماذا فعلتِ ذلك؟!... ماذا لو وَرَدَه خبر سؤالنا عنه؟!
- لأنّه يماطل والوقت ليس لصالحك!
- إنّني أثقُ به... لقد اخترتُ الثقة بقراره... إنّهُ على عِلْمٍ حتماً بإنذار هذا
التأخير.... يستحيلُ أن يؤذيني بهذه الطريقة... ثقي بي...
- يعني ما مصلحة فتيّ التخدير ليقولَ عنه ذلك إذ؟!



- إنَّ لعرفان أعداءٍ كثرٍ يريدون الإيقاع بشهرة اسمه ومهنيّته الرفيعة في العمل... يكادُ يكون الطبيب الوحيد الذي لا يَقْنَعُ لمرضاه بعمليّاتٍ تجريها أجهزة الليزر والمجاهر العينية البدائية في القرية... لهذا يأتي بهم إلى المدينة... هذا بالضبط ما يزعجُ الأطباء الآخرين لا سيّما وأنَّ أهل القرية مشهورون بثرواتهم متعدّدة المصادر... لهذا فإنَّ الطعن باسمه أمرٌ واردٌ جدّاً... (ثم ابتسمت بفخر)... لكلّ ناجح أعداء...

- نعم... هذا صحيح... متى تحدّث إليك؟

- منذ أسبوع....

- لقد تعنّت العذاب وصبر كثيراً!!... برأيي يا سينا... قومي بإنهاء الأمر بشكلٍ نهائيّ... لا لشيءٍ يخصّه... إنّه شخصٌ محبٌّ وواضح... إنّما لأجل قلبك فقط!...

- لا أستطيع...

- لماذا؟!... (قالت مروة بدهشة)... الأمر سهل...

- لقد تأخّرت... إن كان عليّ إنهاء كلّ شيء.. فقد وجب فعل ذلك منذ الأسبوع الأوّل... أمّا الآن... فلن أسمح له بعصفي بكلماتٍ تضعني موضع الضعف والانكسار عندما يعتذر بلباقته متذرّعاً بسوء الفهم..

- ماذا تقصدين؟!

- أعني أنّي سأواصلُ حتى النهاية... وعلى أساسها سأتصرّف... إنّ أيّاً ما سأقومُ به سيكون ضرباً من الانهزام أو الاستسلام... عليّ أن أنتظر...

خصوصاً وأنّ المدّة الزمنية الفاصلة بين المحادثات قد بدأت تطول!.... (ثمّ همست بصوتٍ حزين).... أخشى فقط أن أظلمه!

- سينا.... (قالت مروة بصوتٍ عميقٍ مفعمٍ بالعطف والحب)... إنّك تغامرین بقلبك وعينك معاً!... لقد عهدتُ بهما لعرفان!

- أغامر بقلبي.... هذا صحيح... أمّا عيني... فلستُ غبيّةً لأغامرَ بها إلى الحدّ الخطير... أفكرُ بزيارة الطبيب عمر... الطبيب الذي أرشدني إليه عرفان عندما عجز ذلك الغبي عن تشخيص حالتي مدّعياً غيابه عن المدينة بسبب خطورة الطريق آنذاك!...

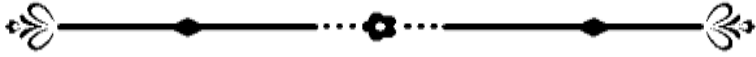
.....

أوما عرفان مؤكّداً:

- طبعاً... اسأليني فقط....

- ما الذي جاء بك إلى هنا؟!.... وإلى هذا الاختصاص بالتحديد...؟!.... هل لك علاقةٌ بهؤلاء المرضى غرباء الأطوار؟! قالت سام مؤنّبةً سينا لاتّهامها الصريح:

- ما الذي تقولينه يا سينا؟!.... إنّ للطبيب عرفان فضلاً كبيراً علينا.... بالإضافة لإنقاذه لك.... فهو من اكتشف هذا النوع من الاضطراب كما أنّه يقوم بعملٍ رائعٍ لبذله جهداً عظيماً في قسم الصحة السلوكية ومعالجة هؤلاء المرضى..



وجه أسامة سؤاله إلى عرفان مستفسراً:

- هل ثمة علاجٌ لهذا الاضطراب الذي شخّصته هدياناً؟!
- لم أشخّصه وحدي يا صديقي... لستُ إلّا طبيباً قيد الإقامة في عامي الأخير... إنّما قام الأطباء في مركز الأبحاث النفسيّة بدراسة عدّة حالاتٍ مرضيّةٍ ومتابعتها من خلال إجراء كافّة التحاليل والفحوصات السريريّة والشعاعية وتوصّلوا إلى هذا التشخيص... ثم اعتمدوا نوعاً واحداً من العلاج... وهو تزويد المريض بجرعةٍ يوميّةٍ من مثبّطات مادة "الكولين استيراز"... لا يزال الدواء قيد التجربة على الرغم من نتائج المدهشة...
- كيف توصّلوا لهذا النوع من العلاج بهذه السرعة؟!
- ما تقوله صحيح... الاضطراب حديث العهد بالنشوء... لقد كانت مثبّطات "الكولين استيراز" خطأً علاجياً أوّل لتأثيراته العلاجية المعروفة على مرضى الزهايمر... كون الأعراض متشابهةً إلى حدٍّ ما... بخلاف المسح الشعاعي الطبقي والرنين المغناطيسي للدماغ والتي أظهرت سلامة أدمغة المرضى تماماً من أيّ تنكّسٍ أو تحرُّبٍ ولو كان ضئيلاً... كما قلتُ لك... أظهر الدواء نتائج مذهلة... ومع ذلك لا يزال قيد التجربة...
- قال مايكل عندما تذكّر حادثة المرآب:
- تماماً كما حصل مع جارنا السيد بيير... (ثم ضحك مستسخفاً الموقف) لقد نجح الرجل في إرعابي... أقسم أنّه كاد يُغمي علي!..... سينا..... أأنتِ بخير؟؟!..... ما بك؟!

كانت سينا تحدّق في أبعد نقطة يصل إليها نظرها، ويدها اليمنى تعبث بشفتها السفلية ساححةً لخيالها التحليق عالياً جداً..!
فما يحدث هنا والآن، أمرٌ لا يمكن احتسابه من المسلّمات، ولا يجب الاستسلام لواقعه!

إنّ في الأمر سرّاً ما....

سرٌّ مرعب...

ولا شك أن عرفان إمّا أنّه يكذب، أو أنّه ضحيةٌ مسيرة، لكنّه حتماً ليس ذكياً كفايةً أو يملك أدنى المعلومات الطبيّة العلميّة ليكون طبيباً حقّاً... وليس المدبّر الرئيسي!

انتشلها صوتُ عرفان الهادئ وهو يضحك بلطفٍ بالغ مخاطباً إيّاها:

- تتعبين نفسك بالتفكير كالعادة!... اهدئي... ماذا أصابك؟!

أمسكت سام بيد سينا اليمنى معنفةً إيّاها:

- دعي شفتك وشأنها... انظري.. إنّها تنزف... (ثم مسحت بمنديلٍ نقطي

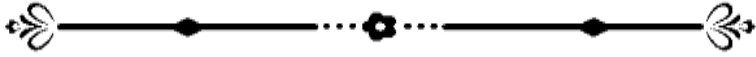
الدم النازفتين مستدركةً) ألا يُمكنك التفكير دون هذه العادة السيئة؟!

التقطت سينا المنديل وضغطته على شفتها ثم قالت وقد قررت البوح بما تعتقده أخيراً:

- في الواقع... ثمة ما يريب... بالنظر لهذه الأعداد المتزايدة يومياً... فالأمر

يتعدى كونه اضطراباً نفسياً سببه خضوع المريض لعملية جراحية!...

أعني... ماذا لو كان اعتلالاً مُدبراً؟!... أظنّ أنّ علينا معرفة ما إذا كان



مرضى مشفانا فقط المصابين بهذا الاضطراب أم أنّ جميع المرضى الخاضعين للجراحة في جميع مشافي جزر هاواي... وربّما في كامل ولايات أمريكا! قال أسامة مستفسراً:

- وماذا عن جاكو؟!

تساءل عرفان باهتمام:

- ما بها جاكو؟!

قالت سينا بلا مبالاة:

- مجرّد خطأ بسيط في وصل أقطاب الذراع الالكترونية... دعونا من جاكو الآن... ولنرکز هنا...

انتبهت سام وأسامة ومايكل لتعمّد سينا إخفاء موضوع تغذية الذراع الاصطناعية بدم المريض، ولحسن الحظّ أنّ عرفان لم يكتث لها على الرغم من تركيز سينا على ردود أفعاله الموحية دائماً بعكس ما تبدو عليه! تمّنّت في أعماقها أن يلتزم أصدقاؤها بما تسرده عليهم، وأن يصرفوا أنظارهم عمّا تريدهم لذلك!

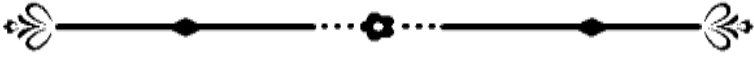
لا بدّ أنّهم أدركوا أنّ سبباً جوهرياً قد اضطرّ سينا للتعقيم عمّا يريب في تلك الذراع، والتركيز على موضوع الاضطراب النفسي المرافق للإجراء الجراحي!

لم ترغب سينا بإقحام عرفان في كلّ ما يحول بخاطرها من أسئلة واستفسارات على الرغم من الفائدة العظمى التي قد يقدّمها كونه عضواً

مهماً في مركز الأبحاث النفسيّة وباعتباره أوّل شخص وثق به فريدريك -
على حسب زعمه- حين أثمنه على حياة سام!
ولربّما هذا بالضبط ما زاد من هالة الغموض حول هذا الشخص الغريب
المدرّوس في آنٍ معاً!

إنّ سينا تعلمُ تماماً ماذا يكون عرفان!
ببساطة هو شخصٌ لا يؤتمن ولا يؤمن له جانب!
تغلبُ على تصرّفاتِه وأسباب اتّخاذه القرارات مصلحته العليا لا شيء آخر!
وحيثُ أنّه يبدو شابّاً هادئاً لطيفَ المعشر حسن النيةِ إلّا أنّه في أعماقه
حيث السجن الذي يحتجز فيه شخصه الحقيقيّ المدبّر لكلّ أموره..
كتلّة من الغموض الذي استحال مرّةً - شهدته فيها- خبثاً ومكرّاً غادراً!
إنّ ما زاد من التماس سينا حذرَها تجاه هذا الشخص المخادع، إصراره على
تبرئة نفسه التي وقعت ضحيّة سوء فهمٍ لا أكثر!
حتى هذه اللحظة...

كانت سينا متأكّدةً أنّه ينتظر اللحظة المناسبة ليُعرب فيها عن معاناته من
الظلم الذي مُني به ذات مرّة.. وربّما الكثير من المرات!
وأنّه حقّاً يعني ما يقول حين وصف نفسه بالشخص البسيط الذي يفصح
عن كلّ ما يعتلج في داخله من مشاعر وأحاسيس.. ولربّما هذا بالضبط ما
أوقعه في مشاكل عدّة جعلت بعض من حوله يظنّون به سوءاً!
لا تنكر سينا أنّ الإنسان في الحقيقة كتلة من المشاعر والأفكار المنسجمة



وتلك المتناقضة، وأنّ الإنسان العاقل السويّ حين يُفصح عن فكرةٍ أو يصف طبيعة إحساسٍ ما، فإنّه يحرصُ على تأطيرها بإطارٍ من الوضوح وتبسيط ضوء البيان على تفاصيلها لينجلي للمتلقّي المقصودُ والمطلوبُ انكشافه دون اللجوء لتلك العبارات الملعثة والكلمات المبهمة التي تحتملُ أكثر من احتمالين أو ثلاثة وربما أربعة أو أكثر... جميعها تتصارع في حلبة الحقيقة..

لا شكّ أن عرفان يستلذّ حين يشهد هذه الحرب الصامتة بين احتمالات وقع قراراته وكلماته على الآخرين ممّن يهّمه ممارسة تعذيبه النفسي عليه! لم تكن سينا لتصدق ذات يوم أنّه يملك من الدهاء الخبيث ما يجعله يسلك سلوكاً صبيانياً جباناً لا يليق بطبيبٍ شابٍّ طيّبٍ حسن السمعة إلى أن اختبرت بذات نفسها ورأت بأنّ عينها نهاية المطاف الذي سارت فيه برفقته!

حتماً لم يكن عرفان على درايةٍ كافيةٍ بسعة إدراك سينا وحده ذكائها كونها أخفت عنه كلّ ما يوحى بذلك حين بدت له فتاةً طيّبةً ساذجةً تتخذ من أكثر الاحتمالات أحسنها وأطيبها نيّةً في الوقت الذي يعتمد فيه عرفان أكثرها خبثاً وغدراً!

كانت تدرك تماماً كلّ ما كان يُقدم عليه من خطوةٍ دافعةٍ إلى الأمام أو تلك المتراجعة للخلف!

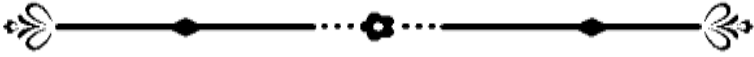
بل كانت واعيةً تماماً لكل المقاصد المحتملة المتراوحة بين الخير والشر،
وتلك بين النور والظلام!

وقد يكون الفضول وحده ما حثّها على الاستمرار وعدم الهرب من محيط
شخصٍ غامضٍ يستعطف الآخرين مؤكّداً لهم أنّه الإنسان الحزين المغتَم
ضحيةً من حوله من الأشخاص الحاسدين التي تحرص على إلحاق الأذى به
وإغراقه في مشاكل تسيء إلى سمعته بين الناس!
تماماً هي صفات الشخصية النرجسية..

ذلك الاضطراب النفسيّ النهم لإشباع غرائز ضحيّته الشرهة لعواطف
القبول والاكتفاء التي يسبقها شعور الانتصار على جميع فرائسه ممّن
يختارهم ويعدّهم من النخبة وصفوة المجتمع...
إنّ سينا لم تُكذّب عرفان عندما ادّعى حبّه لها..!

لكنّها تعلم أنّ ذلك الشعور إنّما هو شعوراً نابعاً من قلبٍ مريضٍ متوحّشٍ في
سبيل امتلاك كلّ ما يجذبه..

وللأسف.... كانت سينا - كما غيرها بالتأكيد - إحدى المُرادات اللاتي أوقع
بهنّ حين شنّ غزواته العاطفية ثمّ شَطَبَهُنَّ من اهتماماته العليلة..
ولو لم تكن قويّةً في حضوره غير آبهةٍ لكلّ النتائج ، لما عاد لاستعطافها
بهذه الطريقة المثيرة للشفقة!



حُتْمًا...

لن تسلمَ من العواقب لو أنّها استجابت له ومنَحَتْهُ الضوء الأخضر، رغم لطفه وإيماءات وجهه المريحة في ظاهرها كما تبدو للجميع... مثلما هو الآن تمامًا...

واقفٌ بين أصدقائها يتحدث بلباقةٍ وهدوءٍ ولطفٍ بالغ، يجيدُ تمثيل دور الطبيب المثالي المتواضع!

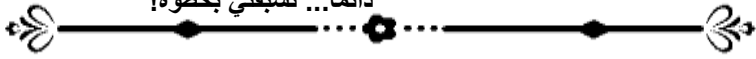
ابتسمت سينا بسرّها لإجاداته التمثيل ببراعة وحِرصه من خلال تواصله معها بكلّ عفوية وبساطة على إثبات براءته من كلّ ما يريب في الوقت الحالي وفي ذلك الماضي البعيد!

عليها الآن أن تُجيد التمثيل - الذي تكرهه - مجبرةً أمامه مثله تمامًا! وقد تتكرّر التجربة المشتركة من جديد!

عليها أن تحرص على تشتيته عن أفكارها الحقيقية بل ولفت انتباه أصدقائها لضرورة الحذر وعدم تسليم راية الأمان لهذا الشخص الطيّب الذي تُحرّكه أعتى القوى النرجسية وأكثرها احترافاً!

من الذاكرة... قبل بضع سنوات

كانت سينا ومروة جالستين في غرفة انتظار عيادة الطبيب عمر - صديق عرفان - كالمرّة السابقة منذ خمسة أشهر باستثناء أنّه كان عليهما الانتظار قرابة الساعة كونهما جاءتا اليوم بدون توصية!



همست سينا لمروة قائلةً باستياءٍ وغيظ:

- لقد علمتُ المتسبب الحقيقي في اختلاط عيني يا مروة...

- سمر... هي السبب...

- هاأ... ليست سمر..

- ماذا؟!.... مَنْ إذا؟!!

- إنه عصام... رئيس مركز الليزر للعيون L.V

- ماذا؟!... كيف علمتِ؟!!

- هه... الأخبار تأتيني من حيث لا أحتسب!... بالمصادفة اجتمعتُ مع أحد

أطباء الجراحة العينية في أثناء عملي مع الأطباء الشرعيين في الإشراف على

نقل أحد المقابر غير النظامية الحاوية على جثث مجهولة الهوية... أردتُ

استشارته فيما يخص عيني وقصصتُ عليه قصتي التي ما إن بدأتُ

بالحديث عنها حتى صاح ضاحكاً... "هل أنتِ طبيبة الأسنان التي أُصيبت

عينها بالاختلاط؟!... جميعُ الأطباء يناقشون قصتكِ فيما بينهم يا

دكتورة... فذهشتُ لسرعة تناقل الأخبار بين مجتمع الأطباء... لقد أئتمني

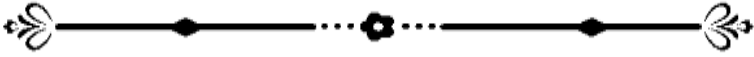
على عدم البوح لأحد (ثم ابتسمت بغيظ)... إن سمر لم تستطع التداخل على

القرنية ورفع الشريحة منها... خشيتُ إصابتي بمكروه فاستدعتُ عصام

وتصرف بمعرفته...!

- كيف استطاعوا التكتّم على الحقيقة؟!... ولماذا لم تقلّ لكِ سمر شيئاً تبرّر

به موقفها؟!.... لماذا آثرت أن تكون المتهمة بهذا الاختلاط؟!!



- ستكون مذنباً أكثر إن أخبرتني الحقيقة!... ماذا ستقول لي؟! آسفٌ يا
سينا... لستُ خبيرةً بعمليات الليزك فطلبتُ من عصام الخبير أن يكمل
عني العملية!!"... (ثم أطرقت مستسلمةً)... إنه قدري يا مروة... سمر كانت
أو عصام... على الأقل... سعدت لعدم مجازفة صديقتي بعيني...

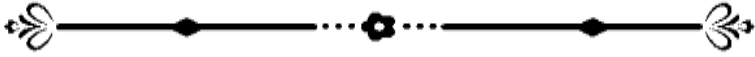
- ألم تشعرني في ذلك الوقت بأنّ أحداً آخر يعمل على عينك؟!... ألم تنبهي
أنّ عصام فوق رأسك؟!

- هه... أبداً... عيني تحت ضوء المجهر... وعيني الأخرى مغلقة بقوة متأثرةً
بتهيج عيني الأولى!... لم أشعر بخطوات عصام في الغرفة أو بأي همس فوق
رأسي!... (ثم ركزت عينيها محدقةً بمروة)... الأمر الأهم الآن... لماذا لم
يخبرني عرفان بذلك؟!... لماذا آثر بثّ كراهية سمر في نفسي؟!... لقد قال لي
ذلك الطبيب إنّ قصتي انتشرت بين جميع الأطباء... ما يعني أنّ عرفان على
علمٍ بالحقيقة!... في كلّ مرةٍ نأتي على ذكر سمر يصمّم على اتّهامها بارتكابها
هذا الخطأ، ويتّهمها بالغرور إذ لم تطلب حينها مساعدةً من أحداً... بل
ويحدّرني من العودة إليها!

- أنا أحدرك أيضاً..!

- لقد استغرب ذلك الطبيب - الذي أخبرني الحقيقة - من اختياري
عرفان طبيباً لعيني!! لقد حدّرني بطريقةٍ غير مباشرة.. حاولتُ كثيراً أن
أسحبَ منه أيّ معلومةٍ مهنيّةٍ تخصّ عرفان... لكنّه رفض وقال إنّّه لا يعلمُ
عنه شيئاً يُذكر... وفضّل متابعتي عند سمر!

- انسي سمر الآن... متى تحدث إليك عرفان؟!
- منذ قرابة عشرين يوماً
- اممم... لا يريد أن يخطو خطوة واحدة غير متمكّن منها!.. لا يزال يخوض معركته المهدّبة مع والديه..
- مروة... لا أشعر أنّ والديه السبب في غياباته الطويلة عني...
- أنتِ لا تعلمين عن أهل القرى شيئاً... لقد أرغمه والداه مرّة على خطبة إحدى فتيات القرية... لقد تأكدنا من هذا!..
- نعم.. تأكدت من هذا....
- هذا يُثبت صدقه..
- بالمناسبة... هل تعلمين أنّ عرفان غير حائزٍ على شهادة الاختصاص!
- حدّقت مروة بسينا غير مصدّقةٍ ثمّ قالت:
- ألم يخبرك أنّه تخرّج؟!..
- لقد اجتاز الامتحان الكتابي فقط... أمّا المقابلة الشفهية... عبثاً حاول مراراً اجتيازها!
- نادت الممرضة:
- سيناء... تفضلي من هنا...
- عرّفت المريضة عن نفسها وقد لاحظت تظاهر الطبيب عمر بعدم تذّكره لها ونسيان حالتها أوّل الأمر ثمّ قال بحماس:
- آآآه... تذكّرتك!.. لقد عاينتكِ منذ أربعة أشهر..



جلست سينا في مكانها المعتاد على كرسيّ الفحص منتظرةً ما سيقوله الطبيب الذي فاجأها بسؤاله:

- هل ما زلتِ تعانين من التشويش كما في السابق؟!... أعني هل هذا التشويش يضايقك كثيراً؟!!

- في الواقع أشعرُ أنني اعتدتُ عليها بخلاف شفائها التام! - هو ذا!... إنّ دماغك يعمل على خلق توازنٍ بين العينين.. هذا ما يُفسّرُ اعتيادك وتأقلمك مع الوضع..

- هل... تعني أنّ رؤيتي باتت تعتمدُ على عيني اليسرى أيّها الطبيب؟!... تعني أنّ عيني اليمنى لم تتحسن على الإطلاق؟! أو ما الطبيب بأسفٍ وهو يقول:

- لقد تأخرتِ يا دكتورة!... على الرغم من إخباري عرفان بضرورة التداخل السريع وأنّ التأخر ليس في صالحك!... إنّ الشنّيات قد دخلت في طور ثبات الشكل..

قالت سينا محاولةً الهدوء ما أمكنها:

- دكتور... لستُ مرتاحةً برؤيتي!... إنّ تأقلمي لا يعني استعادة صفاء رؤيتي قبل أن أخضع لعملية الليزك تلك!

- يمكننا إجراء عمليةٍ صغيرةٍ تعتمدُ على حقن محلولٍ يعمل على انتباج ما تبقى من الشريحة غير المرّمة على أمل أن نخفف من تأثير هذه الشنّيات ما أمكننا ذلك...

- هل... تعني....

قالت مروة:

- دكتور... ما من أملٍ أبداً أن تُشفى هذه التجميعات بشكلٍ نهائي؟!

- للأسف.... إلا بإجراء عملٍ جراحيٍّ معقّد... وأنا شخصياً لا أنصح به...

أطرقت سينا ذاهلةً متسائلةً سؤالها الأخير:

- إن حقن المحلول هو ذات الإجراء الذي كانت سمر ستقومُ به قبل عدّة

أشهر، هل كان من الممكن أن تُشفى عيني بشكلٍ تام لو خضعتُ لها؟!

- نعم....

- أبداً... لا أمل الآن؟...

- قلتُ لك.... شفاءً ضئيل...

قالت مروة:

- حسناً أيّها الطبيب... سنعملُ بما تنصحنا به...

- إذا هيئِي نفسكِ للعمليّةِ دكتورة سينا... الأسبوع القادم...

غادرت الاثنتان العيادة صامتتين، وقد حاولت مروة عدم إثارة موضوع

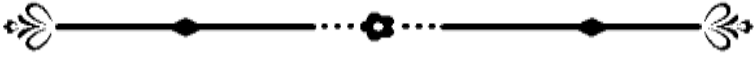
عرفان لكون سينا تفكّر به الآن بلا وعيٍ منها أكثر من عينها المصابة، إذ

أدركت تماماً عاقبة قرارها في الثقة به!

تمتّت سينا وهي تسيرُ ببطء:

- ما الذي كان يفكّر فيه؟!... إلّا ما كان يهدف؟!... لماذا آثر التأخير وهو خيرُ

من يعلم أن التأخير سيؤذيّني؟!



أَحسَّت سينا بالدوار فاستندت إلى الحائط المجاور وهي تحاول التماسك لكن عاصفةً من الأفكار والمشاعر قد منعتها من الثبات فأدارت وجهها وحاولت مقاومة ألم معدتها التي اضطرت باضطراب لواعجها وبدأت تستفرغ مسندةً يديها على الجدار غير قادرةٍ على حمل رأسها الذي أثقله اجتماع بعض الحقائق التي لم تستطع التنبؤ بها في وقتها الصحيح...
- يا إلهي... ما بك؟!.... سينا...

(صاحت مروة)

كانت دموع الفتاة تنسكب من عينيها بحرقٍ لفظاعة ما أدركته لتوها! قالت وقد بدا أنها تحدث نفسها:

- ما الفائدة من العمل الآن إن كانت النتيجة غير مضمونة؟!... لماذا كنت أنتظر كل هذه المدة إذا؟!.... إنها مغامرةٌ في كلا الحالتين!... إنما الأوان قد فات!... لقد كان عرفان يحدّرني ويسكنّ آلامي وحسب!... لم ينو علاجي أبداً.... أنا السبب... أنا التي طلبتُ استشارته!

- اهدي... اسمعيني جيداً... (أمسكت مروة منديلاً وبدأت تمسح به دموع صديقتها)... لن نغامر... لن نقوم بأيّ عمل قبل العودة للطبيب مروان.. الطبيب الأول..

نظرت سينا نحو مروة بعينيها المحتقنتين قائلةً لها بصوتٍ عالٍ متقطع:
- لماذا؟!... ماذا سيقول لي سوى عبارات اللوم لعدم عملي بنصيحتة؟!... إنه أصلاً لم يشأ علاجي!.. لو أنّه وافق على فرد هذه الشريحة اللعينة لما وصلت

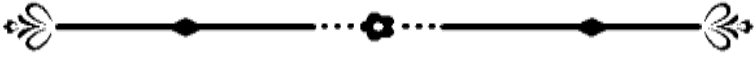
إلى هذه المرحلة المتقدمة من التعقيد! لم تكن درجات الانحسار تتجاوز الدرجة والنصف!... كان الأجدرُ بي أن أصغي لأُمِّي وألا أجري عملية الليزك تلك!... أنا السبب!... لقد تشوّقتُ للرؤية المثالية!... لقد بحثتُ عن الكمال!...

قالت مروة بلطف:

- صديقي... إنّه القدر... وللقدر حكمته... حتى لو أراد الطبيب مروان مساعدتك... فإنّ حديث عرفان معك في اليوم التالي سيدفعك بلا أيّ شك لإلغاء موعد العملية... إنّ عرفان قدرك يا سينا... وما يحدث الآن هو عينُ القدر...

- إنّه قدرِي السيئ... (ثمّ أجالت نظرها مفكّرةً)... لا أعلمُ سبب ما يحدث!... لا أستطيعُ التنبؤ بأيّ شيءٍ يخصّ هذا الشخص... لقد ذهبتُ إليه بقَدَمَيّ...

- لأنّه القدر... (ضحكت مروة بهدوء)... لا تحكمي عليه هكذا!... إنّه يحبّك يا سينا... بغضّ النظر عن ظروفه الخاصة وظروف عمله... كلّ كلمةٍ يقولها لك... كلّ صوتٍ أرسله إليك أجده مضغوطاً بمشاعر الحب.. (ثمّ فكرت قليلاً).. لكن... يبدو أنّه خائفٌ من المجازفة بعينك يا صديقتي!... إنّه يخشى أن تصابي بمكروهٍ على يده أو يد غيره من الأطباء... إنّ تدبير الاختلاط ليس بالأمر السهل.. ولا أظنّه مُطمئنّاً لأيّ إجراءٍ يُعدّه مغامرةً



قد تودي بعينك إلى اختلاطٍ ذي تأثيرٍ أسوأ على رؤيتك!... على كلّ حال...
غداً سنذهب إلى الطبيب مروان... طبيبنا الأول... لنرى ماذا سيقرّح
علينا...

كانت سينا - في غرفة المعاينة مقابل الطبيب مروان - تحصي عدد المرات
التي جلست فيها على مقعد المريض بمواجهة جهاز فحص العينين مفكّرةً
بما يمنعُ عرفان من التواصل معها والاستفسار عن عينها على الأقل!
ألم يفكر أنّها ومن حرصها على احترامه كطبيبٍ لعينها، لن تتجاوزه أو
تقوم بأيّ خطوةٍ علاجيةٍ على يد طبيبٍ آخر؟!.. لا سيّما وأنّه وعدها ذات
مرّةٍ لإصلاح المشكلة ولم تشأ الظروف أن يتمّ الأمر!

وما الغاية من هذا الاختفاء المريع؟!

- افتحي عينيك جيّداً..

أذعنت سينا لما يطلبه الطبيب مروان وهي تتذكّر الأيام الأولى المشحونة
بالعاطفة وكلمة عرفان التأكديّة وهو يطلبُ منها الانتظار وعدم
الاستعجال على عينها!

- هيا أغلقي عينك اليسرى... وأجبي عن اتّجاه الإشارات التالية..

كانت سينا تُجيبُ بشكلٍ آلي وهي تفكرُ بمدى حاجتها لطمأنينةٍ ما من عرفان
أو أيّ كلمةٍ منه!... أيّ توضيح!... (ثمّ تنهّدت من أعماقها بألم)... أيّ لهفةٍ
منه تُنسيها هذا العذاب!

إنّها تكذبُ على نفسها إن لم تعترف بمدى الاشتياق والحنين لصوته!
لكنّه تجاهلها!

وربّما هو على وشك الانسحاب النهائي!

لماذا يجدُ صعوبةً بالغةً في توضيح موقفه إن أراد الانسحاب؟!
بدأت سينا تتخيّل "سيناريوها" تلو الآخر يعبرُ فيه عرفان عن اعتذاره
متدريجاً بحجةٍ ما - أيّ حجةٍ - لن تعارضها سينا على وجه الإطلاق! وهو
يعلمُ ذلك تماماً!

لقد كانت سينا متأكّدةً من أنّه على معرفةٍ تامّةٍ بأنّها أبعدُ ما يكون عن
التأثير بقراره أيّاً كان!

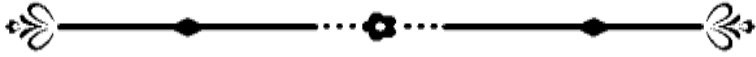
وبما أنّه شخصٌ يعرفُ القراءة - على الأقلّ - فلا بدّ أن يدرك مدى ما ترمي
إليه سينا في كلّ كلمةٍ تكتبها له، تنبّهه وتلفتُ نظره لما يجبُ أن يؤدي إليه
هذا النوع من التواصل المشحون بالعواطف الرقيقة حتّى لو كانت قمّةً في
الرقى والتهذيب!

إنّ لكلّ حرفٍ تكتبه فمٌ ينطق بكلّ وضوحٍ وشفافيةٍ، حتّى لو لم تكن
تكتب المعنى الحرفي!

تماماً كعرفان... كلّ حرفٍ ينطقه له فمٌ ينطق، حتّى لو لم يكن يكتب
المعنى الحرفي!

يا لدهاء هذا الرجل...!!

- هيا... انهضي... أنتِ بخير...



قالت مروءة بصوتٍ حماسيٍّ وسعيد:

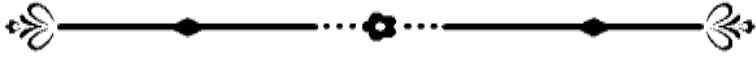
- لا أصدّق... لقد ميّزت عينها جميع الإشارات!
حدّقت سينا بمروءة لوهلةٍ متسائلةً عمّا تعنيه لكنّها سرعان ما أدركت
الأمر فقالت للطبيب وهي تغلق عينها اليسرى مجدّداً:
- دكتور... هل هذه الإشارات أصغرها؟!.. أرجوك... هلاًّ أعدت لي الفحص؟
غيّر الطبيب أشكال الإشارات بواسطة جهاز التحكم عن بعد ضاحكاً
بازدراء غير مكترثٍ لسينا التي كانت تُجيبُ بتلقائيةٍ وسرعة:
- يمين... أعلى... أسفل... يمين... يمين... يسار... لكن... (ثمّ أغلقت عينها
اليمنى وفتحت اليسرى)... ثمّة بعض الضباية يا دكتور... تختلف عن هذه
العين!

ابتسم الطبيب بمكر:

- أنت بخير... عينك على خير ما يرام...
جلست سينا على الكرسيّ المقابل لكرسيّ مروءة التي كانت تخبره بكلّ ما
كان قد تمّ تخطيطه وهو الخضوع لعملية حقن المحلول تحت شريحة
القرنية بهدف انتباجهها فقال الطبيب مستنكراً:
- كفى هراء... مجرد تجربةٍ ولن تُفيدك بشيء!
تساءلت سينا سريعاً:

- دكتور... تعني أنّي قد سُفيت؟!... بماذا تفسّر هذا الشفاء التلقائي وقد
قلت لنا سابقاً أنّه يجب رفع الشريحة بالسرعة القصوى؟

- فكر الطبيب وهو يشعل سيجارته قائلاً:
- التفسيرُ الوحيد هو أنَّك منحتِ الوقتَ اللازمَ لزوال الارتكاس الالتهابي
أسفل الشريحة المقتطعة من القرنية.. أضيفي لذلك هو اعتماد دماغك في
الرؤية على العين السليمة...
- يعني... لستُ بحاجة لأيِّ عمليةٍ تصحيحٍ أخرى؟!
- ما دمتُ حيًّا... لن أسمح لك بالعبث في عينك يا ابنتي... هيا هيا...
تجاهليها وحسب...
- لكنّ عملي... يُرهق رؤيتي!
- عليك أن تعتادي وستصبحُ رؤيتك أفضل بمرور الوقت...
كان عناق مروءة لسينا قويًّا!
- كانت سعادتها تفوقُ سعادة الناس كلهم!
- تنهّدت سينا وهي تفكرُ بالمعنى العميق لقول مروءة بأنَّ عرفان هو قَدَرها!
فابتسمت ضاحكةً وهي تقولُ لمروءة:
- أظنّ أنّي ظلمتُ عرفان!... لاشكَّ أنّه كان حريصاً على عدم المخاطرة
وبأنّه متيقنٌ إلى حدٍّ ما أنّ الشفاء قد يحصل بمرور الوقت
قالت مروءة مبتسمةً باستغراب:
- على الرغم من غموضه وكتمانه المبالغ به... إلّا أنّي أثقُ بالأقدار يا سينا!..
ربّما كان تملّصه من العملية في ذلك الوقت كان متعمّداً!



توقّفت سينا وهي تنظرُ نحو مروة مستعطفةً ومستجديةً أيّ شيءٍ قد يروي
ظماً قلبها عندما قالت:

- برأيك... هل يحبّني عرفان حقاً؟!

- ألم يقلها لك؟!

- حرفياً... لا...

- لكنّه قال ما يعني أكثر من ذلك... علينا أن ندرك شيئاً مهماً يا سينا...
وجود عرفان في حياتك ليس عبثاً... عليك أن تؤمّني بحكمة القدر... أيّاً
كانت النتيجة...

تحسّست سينا نبضات قلبها وهي تهمس:

- النتيجة... ترعّبني... أخشاها كثيراً يا مروة!

- انسيه الآن... يجدرُ بنا الاحتفال...

كان مساء ذلك اليوم الربيعي دافئاً عندما أزاحت سينا عن كاهلها ما
يؤرّقها منذ أشهرٍ طويلة!

أغلقت عينها اليسرى لثوانٍ ثم اليمنى لثوانٍ أخرى وهي تقارن مدى دقّة
الرؤية بين العينين..

ثمّة اختلافٌ واضح.. لكنّ التحسّن كان ملموساً وملحوظاً بل ومُثبتاً من
خلال الفحص عند الطبيب، عليها ربّما تجاهل الأمر برمّته والسماح
لدهاغها بإتمام عمليّة التأقلم وتحقيق التوازن...

أجفلت سينا لدى سماعها إشعار الرسائل الخاص بعرفان ثم خفق قلبها وهي تقرأ تحيته المسائية والمذيّلة بعتابٍ حزين:

- قلبك غاضبٌ عليّ كثيراً!.. أشعرُ بذلك.. لماذا أنتِ مستاءةٌ يا سينا؟!

على الرغم من سعادتها الآنية وهي تقرأ رسالته إلا أنّها رمقت الكلمات مليّاً وعواصف من الأفكار من بينها المصادفة الغريبة غير المعقولة كونه راسلها في يوم عودتها من عيادة الطبيب مروان..

انتظرت سينا لثوانٍ ثم كتبت باقتضاب:

- أهلاً دكتور... مساء الخير..

تأخر عرفان في الردّ لثوانٍ ثم أجاب:

- كيف حالكِ؟.. أنتِ بخير؟..

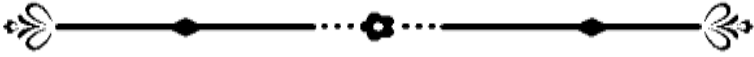
- نعم.. شكراً لك..

- أنا أسفٌ.. أحبُّ أن أطمئنّ عنكِ.. لكن لا أحبّ إزعاجك..

تجاهلت سينا رسالته وأغلقت الهاتف مفكّرةً باحتمال أنّ الطبيب عمر - صديق عرفان - قد أخبره بزيارتها للعيادة وبأنّها قرّرت إجراء العملية ما دفع عرفان للتواصل معها في محاولةٍ منه لثنيها عن ذلك!

لم تعد تشعرُ بالاطمئنان أو الشغف تجاه هذا الشخص!

لكنّه وبسبب مماطلته - المقصودة كانت أو غير المقصودة - قد تمّ إنقاذها من أيّ نوعٍ من التجربة والمخاطرة بعينها!



هل من الممكن أن يكون عرفان قد تعمّد مواصلة اختفائه عن ساحة التواصل معها وفي نيّته إرغامها على الانتظار ريثما يتحقّق الشفاء لعينها! إنّ عرفان هو الطبيب الوحيد الذي اهتدى لضرورة التريث وإمكانية حمايتها من الرضّ النفسي وما يسبقه من ألم قد تُمنى به عينها هي بغنى عنه!

جميع الأطباء - سمر، مروان، وعمر- قد أصرّوا على ضرورة فرد الشريحة وبأسرع ما يمكن... إلّا عرفان!
كان على سينا معرفة الحقيقة.. ولن تعرفها إلّا منه!
أرسلت له:

- هل أردتَ الاطمئنان عني حقاً؟
ردّ عرفان سريعاً:

- بالتأكيد .. أنتِ شخصٌ يهمني أمره كثيراً ..
- هل اتّصل بك الطبيب عمر؟
- أبداً .. ماذا حصل ..؟

أخبرته سينا بكلّ ما حدث وبأنّها إنّما ذهبت إلى العيادة لتأثّرها الشديد بغيابه الطويل عنها كونها في أمس الحاجة إليه.

لقد اضطرّتها الحيرة والقلق من التأخّر في العلاج المعاكس لرأي عرفان الذي دخل في طور الانسحاب من مسؤوليته تجاه عينها - كونه من تولّى أمرها دون أن يوكلها لأيّ طبيبٍ آخر - للتصرّف بمفردها دون سؤاله..

لقد كانت سينا تحترمه كثيراً وتحرص على عدم الطعن في أمانته وصدقه وجدارته بالثقة، بل إنها اختارت ائتمانه على عينها وقلبها معاً، كونه الشخص الوحيد الذي ساعدها في أقسى أيامها الأولى بعد ابتلائها بذلك الخطأ الطبي القاسي، لقد هَوَّن عليها جُل ما تشعرُ به وبثَّ في نفسها الطمأنينة بأنَّها تستطيع تجاوز محنتها وستكون على خير ما يرام! لقد صدق عرفان عندما قال لها في بداية كلامه إنَّ قلبها غاضبٌ عليه!

- سينا.. لماذا لم تُعلميني بأنَّكِ حُجزتِ موعداً عند عمر؟! ..إنَّكَ تعلمين مدى حرصي عليك وإحساسي بك! ..

- قل غير ذلك!... أنا فقط أشعرُ بالحيرة تجاهك!... غيابك عني مخيف.. وأنا أرغبُ بالتوضيح لا أكثر...

- اهدي.. ماذا أصابك؟

- أجبني... هل الطريق مسدود؟!... أريدُ منك توضيحاً فقط...

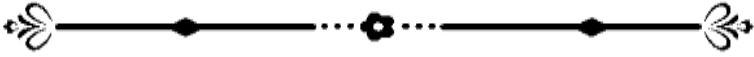
- لماذا تقولين ذلك؟! ..هل أزعجتكِ بكلمة؟! ..هل يضاقكِ اطمئناني عنكِ؟

- أبدأ... على العكس... لكنني خائفةٌ يا عرفان

- لقد فاجئتني! ..مِمَّ أنتِ خائفة؟! ..

- حسناً... اسمعني... إنني أحترمُ أيَّ قرارٍ تتخذه!...

- وأنا أحترمكِ كثيراً يا سينا.. وأحترمُ عائلتك! .. الاحترام والتقدير هو كل ما أفكرُ به عندما أكتبُ لك ..



حدّقت سينا بهدوءٍ للكلمات وهي تحاول استشفاف أيّ شيءٍ يحركُ الوحش القابع في داخلها لينهش هذا الشخص الغريب! لكنّها لم تجدْ مثقال حصاةٍ صغيرة تدفعها لذلك!

- أتعلمُ أمراً؟... بفضل تربيّتك ربّما ووثوقي بحكمتك... تجاوزتُ محنة الاختلاط..

- يا قلبي.. أنت في عيوني يا سينا.. لن تصدّقني اليوم.. لقد رأيتُ فتاةً تشبهك إلى حدٍّ بعيدٍ جداً تسيرُ في الشارع بجانب عيادتي في القرية.. ظننتُها أنتِ لوهلة.. إلى أن اقتربت من مجال رؤيتي الواضحة وانتبهتُ لصديقي الذي كان يسيرُ بجانبها.. فسلم عليّ وعرفني بزوجته..

- حقّاً؟!... أفكرُ في المدة التي أطلتَ خلالها النظر وأنتَ تتمعّنُها لتستنتج في النهاية هذا الاستنتاج العظيم؟!

- سينا.. مابك؟!

- متى ستخبرني بظروفك ومسببات حزنك التي تورّقك في كلّ مرّة تكتب لي فيها؟؟

- أعدك أنّي سأخبرك بكلّ شيء.. لكن عندما نلتقي وجهاً لوجه..

- (صمتت سينا قليلاً) لقد... طال غيابك... واشتقتُ إليك... إنّ ما لا تعلمه عني يا عرفان هو قلبي الضعيف جداً... أثقُ بك كثيراً... وأثقُ بكلّ كلمةٍ تكتبها لي... أدعوك من كلّ قلبي أن تسيرَ أمورك على خير ما يُرام... ثق تماماً أنّ أيّاً ما سيكون من أمر... سأحترمه وأتقبّله... أريدُ منك فقط

أن توضح لي وتخبرني فيما يستجد من أمرنا معاً عندما يحين الوقت... إنني أحترمك يا عرفان... وأحترم حضورك وغيابك... لا تنم كلماتك إلا عن شخصية ناضجة تعي تماماً حدود الأدب والدمائة... إن تجاوزي لمحنة اختلاط عيني لم يكن إلا قدراً تخللته الألفاظ... وأنت كنت أحد هذه الألفاظ... (ثم أرسلت صورة وردة حمراء)

- وردة فقط يا سينا؟ (وأرسل لها قلوباً ملونة!).. أنت في عيوني.. شعوري نحوك أكثر بكثير.. لا تعلمين مقدار احترامي وتقديري لك كذلك..

....

قطعت سام سلسلة أفكار سينا قائلة بقلق:

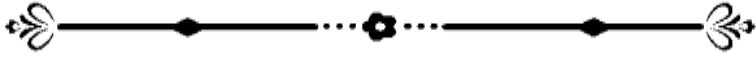
- علينا زيارة العمّة نينا... إنه اتّصالي الثامن... ولا إجابة!
قال مايكل:

- هيا بنا

اعتذر عرفان من مرافقتهم لضرورة العمل في قسم الصحة السلوكية المكتظ بالمرضى وغادر المجموعة...

انطلق مايكل بسيّارته برفقة أسامة الجالس إلى جانبه وفي الخلف سينا وسام التي لم تكف عن محاولات الاتّصال...

- كما قلت لكم.... لا أثق به وحسب... (قالت سينا وهي تنظر من خلال النافذة مراقبة الطريق ثم استدركت)... إن وجوده هنا في هاواي المتزامن مع



اكتشاف هذا الاضطراب النفسي الغريب... فقط هذا هو الأمر... أصلاً
أستغرب هذا التعقيم الإعلامي عن ذلك...
قال أسامة:

- لن يطول الإعلان عن ذلك إن استمرّ الاضطراب في التصاعد...!
قال مايكل:

- أرى أنّ عرفان شخصٍ جيّدٍ وجديرٍ بالاحترام... وربما هو أكثر الأشخاص
إحاطةً بما لا نعلم نحن كونه الطبيب الوحيد المسؤول عن قسم الصحة
السلوكية في المشفى... وهو من منحنا الإجابة العلميّة والطبيّة عن حقيقة
ما يحدث..

قالت سينا مؤكّدةً:

- مَنَحنا الإجابة التي يريدها هو أن نحصل عليها... لا الإجابة الحقيقيّة...
ولمَنَحْهُ ما نريدُ نحن أن يعرفه عنّا!
- يا إلهي... ما مقدارُ سوء ظنّك به؟!
- سعة هذا المحيط...

ابتسم أسامة مؤمناً على كلامها ثمّ قال:

- أوافقك الرأي.. شعوري نحو ذلك الرجل لا يُريحني!
توقّفت السيارة أمام حديقة المنزل المحاطة بسيارات الشرطة الجنائية، وقد
أحيط المنزل بشريطٍ أصفر كُتب عليه:
"مسرّح جريمة لا تعبر"

تصلّب الأصدقاء في مكانهم مستفسرين عما يحدث، ثم عبرت سينا قائلةً للشرطي:

- اسمي سينا... هذه بطاقتي... مقيمة طب أسنانٍ شرعي...
قال الشرطي متفحّصاً البطاقة:

- تفضّلي بالدخول...

- ونحن أطباء مقيمون في مشفى الملكة... (قال أسامة)
فحص الشرطيّ بطاقتهم وسمح لهم بالدخول.

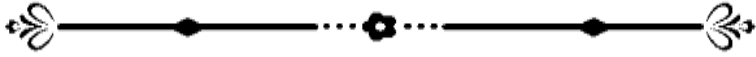
كان الطبيب الشرعيّ يفحص جثة المرأة بعد إنزالها وقطع سلك الكهرباء
الغليظ المستخدم في عمليّة الشنق أعلى العقدة بحوالي شهرين¹⁵
صرخت سام بهستيرية عندما وقعت عينها على منظر جثة العمة:
- عمّتي.... لا!....

طلب أسامة من مايكل أن يذهب بسام خارج المكان حالاً كونها أقرب
الأشخاص
إلى الضحية...

حاولت سام المقاومة وهي تصرخ:

- دعني.... عمّتي.... (ثم بكّت عالياً)... يا إلهي.... عمّتي نينا....
وبصعوبة غادر مايكل مصطحباً سام..

¹⁵ يجب قطع الحبل المستخدم في الشنق فوق العقدة بمسافةٍ أقرب للشبرين لدراسة طريقة ربط العقدة جنائياً وشرعياً..



كان المصوّر الفوتوغرافي يلتقط صوراً عدّة للجثة المستلقية على الأرض
بوجهٍ شاحب...

خلا المكان من كلّ ما يريب إلّا من كرسيّ خشبيٍّ مرميٍّ جانباً يعلوه سلكٌ
كهربائيٌّ غليظٌ معلقٌ في عارضةٍ خشبيّةٍ تتوسّط سقف المطبخ تمّ قطعه
بسكين من قبل رجال الشرطة...

رَمَقَ المحقق سينا وأسامة متسائلاً فعاجله الطبيب الشرعيّ الفاحص:
- إنهما طبيبان... والدكتورة هنا مقيمةٌ للاختصاص... تعالَي سينا إلى هنا...
وانظري...

اقتربت الفتاة ممعنةً النظر في وجه نينا الشاحب ثم قالت:
- لقد ماتت سريعاً إمّا بسبب تنبيه منعكس توقّف القلب في منطقة
الجيب السباتي!¹⁶ أو بسبب انسداد الشرايين السباتية... لكن... هل كان
ذلك انتحاراً؟!

قال الطبيب الشرعي متفحّصاً الأطراف السفلية حيث تشكّلت الزرقّة
الرميّة¹⁷ بفعل الجاذبية الأرضيّة للجثة المعلقة:
- مبدئياً وإلى الآن... لم نجد سبباً جنائياً... مسرحُ الجريمة خالٍ من أيّ
تدخّلٍ خارجيّ... الكرسي هو بمثابة الدعامة التي حملت الضحية ريثما تعلق

¹⁶ الجيب السباتي: منطقة من الشريان السباتي الأصلي الموجود في العنق يحوي على مستقبلات الضغط التي يؤدي تحفيزها إلى تنشيط عمل القلب

¹⁷ الزرقّة الرميّة: علامة مويّة على شكل كدمات زرقاء تشير إلى ركود الدم بعد الموت واستقراره بفعل الجاذبية الأرضية، تبدأ بالظهور بعد قرابة ساعتين من الوفاة وتكتمل بعد مرور اثنتي عشرة ساعة.

رأسها بالسلك المرتفع نسبياً عن الأرض... ثلّم الشنق المحيط بكامل العنق ابتداءً من الحافة تحت ذقن الضحية والمتوجّه للخلف والأعلى حتى العقدة المنزلة¹⁸ هو الكدمة الوحيدة على الجسد... واللسان البارز بسبب دفع قاعدة اللسان نحو الأعلى نتيجة الانضغاط..

قال المحقق وهو يتجول في أركان المكان:

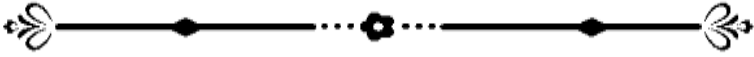
- والأهمّ من كلّ ذلك... هو وجود رسالةٍ على الطاولة في المطبخ.. كُتب فيها: "لم أصلح للحياة عندما فقدت ابن أخي" ثمّ قلب الورقة مستدرّكاً:

- إنّها ورقةٌ من تقويم سنويٍّ مُعلّقٍ على باب الشلاجة، يبدو أنّ الضحية قد اقتطعتها وكتبت على الطرف الآخر الفارغ رسالتها قبل أن تنتحر! انتشل أسامة الورقة بلطفٍ من يد المحقق متمعنّاً في كلمات الرسالة المكتوبة باللغة الإنكليزية ثمّ قلب الورقة فوجدها ورقةً لأيّام شهر آب 2023 وقد أُحيط بمرّيعٍ حول خمسة أيّامٍ متفرّقة من الشهر هي...

شهر آب

السبت	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد
5	4	3	2	1	7	6
12	11	10	9	8	15	14
19	18	17	16	15	22	21
26	25	24	23	22	29	28
						27

¹⁸ العقدة المنزلة: أو العقدة المتحرّكة هي طريقة يُعقد فيها الحبل المستخدم في الشنق لتتزلزل بفعل ثقل جسم الضحية فتضغط كامل حلقة الحبل على عنق الضحية مشكلةً ثلماً مستمراً على كامل محيط العنق، وتختلف عن العقدة الثابتة التي لا تتحرّك بفعل ثقل الضحية فيكون ثلّم الشنق هنا غائباً مكان العقدة.



التقط أسامة صورةً للورقة من الجهتين - جهة الرسالة وجهة أيام شهر آب
فدوى صوت المحقق معنفاً أسامة:

- كيف تجرؤ على تصويرها دون إذن!!؟

أجاب أسامة وهو يسلم الورقة للمحقق معذراً بسذاجة:

- آسف..

ثم ذهب وانتزع التقويم السنوي المعلق على باب الشلاجة مقلّباً الدفتر ذا
النابز وهو يتفحص أوراق الأشهر الأحد عشر لسنة 2023 قائلاً:

- هذا غريب... (ثم أعاده إلى مكانه)

رمقه المحقق وشرارات الغضب تتطاير من عينيه فسأله أسامة ببراءةٍ
وهدوء:

- سيدي... أين هاتف الضحية؟!... لقد كانت زميلتنا سام تتصل بها مراراً
منذ الصباح... ألا يجب أن يجيب أحدٌ من عناصر الشرطة على الأقل طالما تمّ
اكتشاف الجثة منذ الصباح؟!؟

حدّق المحقق بعناصر الشرطة المنتشرة في المكان صائحاً:

- أين هاتف الضحية..؟!؟

- إنّه هنا... في جيب ثوبها... (قال الطبيب الشرعي وهو يُخرج الهاتف ومعه
مفتاح صغيرٍ أخذته سينا ممعنة النظر فيه)

أمسك المحقق الهاتف ثم استخدم بصمة يد نينا لفتح قفله وبدأ بالاطّلاع
على أسماء وأرقام المكالمات الواردة والصادرة، فوجد آخر ستّ مكالماتٍ من

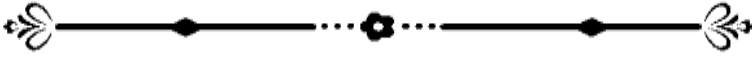
سام وما قبلها مكلماتٌ في اليوم السابق فقط كانت من أسماء غريبةٍ أخرى..
أوضح الشرطي أنها أسماء جيرانها في الحي...
نهض الطبيب الشرعي طالباً من الشرطة حمل الجثة إلى الطابة لتشيحها
واستكمال الفحص فقال المحقق معقّباً:
- ابن أخيها... أين يمكننا إيجاداه؟!
أجابت سينا:

- إنه موظفٌ في المنظمة الأمنية S على فوهة مخروط "دايموند هيد"
- يجب أن نستدعيه للتحقيق... وعلى جميع من كانت معهم على اتصال أن
يخضعوا للاستجواب..

....

استغرق التحقيق عدّة ساعاتٍ في قسم شرطة "هونولولو" لمكافحة الجرائم
حيث أجمع جميع المستدعين على أن الضحية مسالمةٌ إلى أبعد الحدود ولا
أعداء لديها..!

والتفسير الوحيد لإقدامها على الانتحار أن إحساسها بخسارة ابن أخيها هو
ما دفعها لإنهاء حياتها لا سيّما عندما أثبتت نتيجة تشريح الجثة أن الوفاة
ناجمةٌ عن انسداد الشرايين السباتية وانقطاع التروية الدموية عن الدماغ
بالاشتراك ربّما مع تنبيه منعكس العصب المبهم بسبب ضغط السلك
المستخدم في الشنق على مستقبلات الضغط في الغمد السباتي ما أدى
للتوقّف المفاجئ للقلب..



إنّ ما أثار بعض الشكوك حول ظروف الحادثة، هو صدمة جميع معارف الضحية حين فُجِعوا بخبر وفاتها بهذه الطريقة المريعة لا سيّما وأنّها المرأة المشرقة المحبّة للحياة غير المكترثة لمنقّصاتها!

- حتى لو كان فريدريك ابن أخيها الوحيد؟؟!...

(قالت سينا سائلةً سام الجالسة على حافة السرير في بيت صديقتها تُكفكف دموعها الآبية أن تتوقّف... فاستدركت الصديقة مفكرةً وهي تُسلم فنجان القهوة الساخن لها..) أعني.... لنفترض أنّ أحداً أقدم على قتلها.. مَنْ المستفيد في التخلص منها بطريقة تبدو انتحارية؟؟!... إنّها ربّة منزل ولا عمل لها... جلّ وقتها في البيت... هذا يثبتُ تأثيرها العميق بغياب فريدريك المتعلّقة به حدّ الموت.... للأسف...!

قالت سام بصوتٍ متقطّع بفعل البكاء:

- هل تقصدين أنّها انتحرت حقاً؟!... (ثمّ رمت الفنجان بقوة فتناثرت شظاياها مع القهوة المراقبة على الأرض وصرخت بصوتٍ مهتاج) نينا لا تنتحري!... نينا... لا يمكن أن تموت بهذه الطريقة... تَبّاً لك يا فريد... أنت السبب في كلّ ذلك.... لن أسامحك ما حييت!

.....

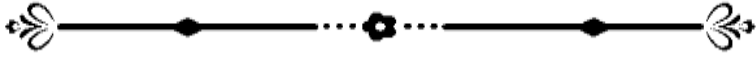
كان مايكل يدخّن سيجارته بعصبية في بيت أسامة وهو يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً رامياً برماد السيجارة على الأرض ما جعله عرضةً لتوبيخ صديقه الذي لم يرفع عينيه عن الصورتين الملتقطتين لورقة الرسالة وهو

جالسٌ إلى طاولة مكتبه يعيد كتابة الأرقام المدوّنة على صفحة التقويم إلى أوراقٍ أخرى متمتماً:

- هذا غريب!
- هل يُعقل أنّ التحقيق قد أُغلق بهذه البساطة؟!... انتحار؟!؟!...
ونينا؟!؟!... لا أصدق أنّها انتحرت.. مستحيلٌ يا أسامة... هذه المرأة لا يمكن...

- هلاً سكّت قليلاً...!
- كيف سأقنع المحقّق أن يعيد النظر في القضية؟!
ابتسم أسامة هامساً:
- قريباً... قريباً... سيعيدُ النظر... فقط اصبر..
اقترب مايكل من صديقه وهو يراقب ما يفعل قائلاً:
- ماذا تقصد...؟!

رفع أسامة رأسه عن الأوراق باهتمامٍ بالغ وهو يقول:
- أظنّ أن نينا وجهت إلينا رسالة...
- رسالة انتحارها... نعم..
- بل رسالةً أخرى... وعلينا اكتشافها!



الفصل الخامس عشر

(دايموند هيد)

- "الهديان المديد التالي للجراحة"

هذا هو التشخيص النهائي الذي اعتمده مركز الأبحاث النفسية لهذه الحالة النفسية العصبية الغريبة التي أصابت كل شخص خضع لعملية جراحية صغرى كانت أو كبرى..

قالت جنيفر مبتسمةً وهي تقرأ التقرير الذي وُضع على طاولتها، ثم شغلت الشاشة التلفزيونية المسطحة المتصدرة جدار صالة مكتبها في مبنى المنظمة الأمنية S وشعور الحماس يدفعها لمعرفة ما ستدلي به الأخبار الإعلامية التي لم تغفل حتماً عن هذا التصاعد الهائل في أعداد المصابين بهذا المرض النفسي العصبي..

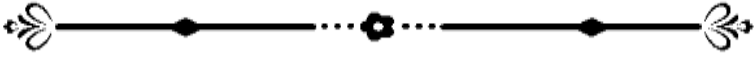
رفعت جنيفر الصوت عالياً فصاح صوت المذيعة وهي ترحّب بالمستمعين ثم متابعة:

- وإلى ما أعلنه مركز الأبحاث النفسية.. حيث أعرب الطبيب بيكا رئيس المركز عن أسفه لتأكيد إصابة أغلب المرضى الخاضعين لعمليات جراحية - في جميع المشافي والمراكز الطبية على جزر هاواي المأهولة - بالاضطراب النفسي العصبي والذي اعتمد تشخيصه أعضاء مركز الأبحاث على أنه

لهذين المديد التالي للجراحة، وبدوره أكد على ضرورة تشكيل لجان لفحص معدّات التخدير من أجهزة وأدوية وريديّة لكشف السبب الكامن خلف ما عدّه ظاهرة غريبةً ومتفاقمةً لهذين الشائع التالي للجراحة والذي يؤثّر بشكلٍ ملحوظٍ على سلوك المريض وتفكيره من خلال فقدانه التوجّه المكانيّ والزمني وإصابته بتوهانٍ ذهنيّ وتشوّشٍ في التركيز واضطراباتٍ في الذاكرة... (ثمّ عرضت كاميرا التصوير قسم الصحة السلوكية المكتظ بالمراجعين في مشفى الملكة حيث تابعت المذيعة التلفزيونية تقريرها) وحيث أنّ سكان الجزيرة قد أبدوا قلقهم من أن يكون الاضطراب وباءً مُعدياً قد تمّ التسترّ عليه إلّا أنّ الطبيب بيكا أكد أن الاضطراب مجرّد خللٍ بسيطٍ في مستويات إنزيم الأستيل كولين¹⁹ والأستيل كولين إستيراز²⁰ باعثاً الطمأنينة في نفوس السكان لا سيّما وأنّ الحالات المرضية قد أبدت تراجعاً ملحوظاً لدى تزويد المريض بجرعاتٍ مدروسةٍ من العقّار المعدّل لمثبطات الأستيل كولين إستيراز.. نافياً بذلك أيّ تدخّل فيروسيّ أو جرثوميّ على المنظومة الحيويّة البشرية.. ومن جهته قرّرت لجنة أعضاء مركز الأبحاث النفسية توزيع كادرٍ مدربٍ على كافة المشافي والنقاط الطبية الحكومية والخاصة لإدارة أقسام الصحة السلوكية، وتزويد المراجعين بالدواء اللازم الذي تمّ تركيبه بشكلٍ خاصٍ ليُشابه بتأثيره إلى حدّ

¹⁹ الأستيل كولين: نواقل عصبية في الجسم تحافظ على حالة الانتباه للإنسان وسلامة الذاكرة

²⁰ الأستيل كولين إستيراز: إنزيم يعمل على تفكيك الأستيل كولين



ما تأثير العقارات المثبّطة للأستيل كولين إستيراز المستخدمة لعلاج الزهايمر.

ثمّ عرضت كاميرا التصوير مقابلةً تلفزيونيّةً مباشرةً مع رئيس مركز الأبحاث النفسية وقد أعلن عن اسمه أسفل الشاشة - الطبيب بيكا- حيث قال:

- لا يمكننا تشبيه هذا الاضطراب بمرض الزهايمر حتّى لو كانت الأعراض متشابهةً إلى حدٍّ ما... فالزهايمر يمكن تشخيصه بسهولةٍ أكبر عن هذا الاضطراب من خلال الفحص الشعاعي الطبقي المحوري الدقيق والرنين المغناطيسي للدماغ والذي يظهر على شكل تنكّس أو تغيّر يشبه تلفاً في الخلايا الدماغية.. إنّ الهذيان المديد التالي للجراحة ²¹PPOD هو الاسم العلميّ الأقرب لما نراه في الواقع على المرضى الخاضعين حتى فترةٍ قريبةٍ لأيّ عملٍ جراحيّ يسبقه تعرّضهم لمواد التخدير.... حسناً... ليس طبيعة الاضطراب هي ما أثارت قلقنا.. فالهذيان التالي للجراحة ²²POD شائع الحدوث إلّا أنّ زيادة أعداد المصابين باختلاف أعمارهم وطول الفترة المرضية مع ضرورة التداخل الدوائيّ قد دفعنا للبحث الجديّ خلف هذا التفافم في الأعراض والفترة المرضية الطويلة... مع ذلك.... لا تزال الدراسات العلميّة قائمةً من خلال متابعتنا الحثيثة للمرضى وتحليل أعراض

²¹ PPOD: Prolonged postoperative delirium الهذيان المديد التالي للجراحة

²² POD: postoperative delirium الهذيان التالي للجراحة

وعلامات الاضطراب عليهم ومراقبة تأثير العقار المستخدم والذي لا يزال قيد التجربة على الرغم من نتائج تأثيراته الملحوظة في الشفاء ولو كان شفاءً ضئيلاً... لكنه يؤخذ بعين الاعتبار...

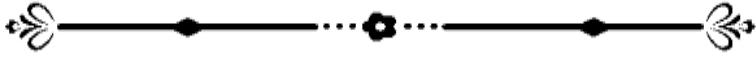
- سيدي... لقد لوحظ انخفاض أعداد العمليات الجراحية المجرة في المشافي بشكل كبير... فهل من توصياتٍ لمرضى الجراحة الذين باتوا يخشون مرورهم بهذه التجربة تحت شعارٍ تم تبنيه من قبلهم...

ثم عرضت كاميرا التصوير بعض السكان وهم يرفعون لافتاتٍ في الشوارع القريبة من النقاط الطبية كتب عليها:

"أموت عاقلاً خيرٌ لي من العيش مجنوناً"

فأجاب الطبيب مبتسماً:

- بالتأكيد... إنهم على حق لا سيما وأن معظم المرضى المصابين قد فقدوا القدرة على التواصل المتوازن مع محيطهم... والأغلبية إن لم يكن جميعهم قد فقدوا وظائفهم لضعف قدرتهم على ممارسة مهنتهم وأعمالهم.. لكن يجب أن ننوّه بضرورة استكمال العلاج الطبي ولو كان جراحياً لأولئك الذين لا بدّ من خضوعهم للجراحة حفاظاً على سلامتهم العضوية الجسدية... حيث أنّ العقار المستخدم سيتمّ تطويره بلا شكّ من خلال أبحاثنا ليلغي حتّى وقتٍ قريب جميع الأعراض الذهنية والسلوكية المذكورة... كما أنّ من واجبنا بثّ الطمأنينة الحقيقية من خلال التأكيد على أنّ أعراض هذا الاضطراب النفسي العصبي تختفي كلياً بعد قرابة شهرين مع هامش ارتياب



عدّة أيامٍ أقلّ أو أكثر حسب ما سجّلته دراساتنا المتابعة للحالات المرضية...

- هل من تفسيرٍ لهذا الشفاء..؟!

- لم نعلم بعد الآليّة الحقيقية المفسّرة لهذا الشفاء.. ولا يمكننا الإعلان عن أيّ معلومةٍ قبل التأكد من صحتّها وإثباتها علمياً، لكننا نعمل بكلّ تأكيد دون أن نوقّر أدنى جهدٍ في سبيل التوصل لكلّ ما هو جديد...
- سيدي....

- هذا يكفي... (أشار الطبيب بيكا لكاميرا التصوير بالتوقّف ثم نهض عن كرسيّه في مكتبه مغادراً المكان...)
فلحقت به المراسلة قائلةً بعجلة:
- دكتور... أيّها الطبيب... انتظر...
توقّف الطبيب بيكا وحدّق بها بغضب:
- ما الذي تريدونه؟!... لقد قلت لكم ما لديّ... والآن... أطلبُ منكم المغادرة..!

- سيّدي... لم تذكر أعداد المرضى المصابين بهذا الاضطراب كما اتّفقنا!
صرخ بيكا غاضباً:
- هل تريدان منّي أن أبثّ الذعر في الناس فضلاً عن ذعرهم الحالي؟!.. أنتِ كمنذّيةٍ مثقّفةٍ يجبُ أن تعي تأثير الإعلام على الناس..
قالت المذيعة بإصرارٍ هادئٍ:

- بل يجب أن يكونوا على علمٍ بكامل الحقيقة لكي يأخذوا حذرهم...
ويتصرفوا بما يناسبهم...

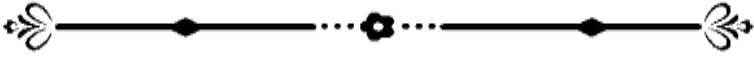
- كم عمرك يا ابنتي؟!... (قال الطبيب والصدمة جليّةً على طلعته ثم تابع)
يبدو أنك حديثة العهد بالعمل لدى الإذاعة... لا تلاميذ يا آنسة... الملام
هو من وظّفك لأداء هذه المهمة الحساسة...

- كنتُ أريد أن أطرح عليك سؤالاً آخر عن توقّعاتك حول المسبّب
الحقيقي لهذا الهذيان الغريب...

اندفع الطبيب نحوها وشرارات الغيظ تتطاير من عينيه ثم همس بحنق:
- ليس غريباً هذا الهذيان... واضح؟!... كما أنني لا أعلم شيئاً عن هدفك يا
آنسة!... هل تعمدين إلى نشر الفوضى وإنزال الجحيم بالناس من خلال بثّك
للتوقّعات والاقتراحات الخياليّة المخيفة لتحقيق مأربك الخفيّ وهو نجاحك
وعلوّك على أنقاض دمار الجزيرة بسكّانها؟!..

أشرق وجه المراسلة ولمعت عيناها ثم تساءلت ضاحكة:

- أيّ دمارٍ وأيّ جحيمٍ وأيّ نجاح؟!... لم أقصد أبداً أن يكون السبب بشريّاً
له يدٌ طالت هذا المرض النفسيّ وساهمت بتفشّيه بين الناس... لم أتوقّع أبداً
هذا الردّ منك أيّها الطبيب.. توقّعتُ أن تحومَ أفكارك حول عملية التخدير
أو أيّ ردّ فعلٍ التهابيّ تحسّسيّ أصاب مراكز الإدراك في الدماغ أو ماشابه
ذلك، قد أدّى في النهاية إلى هذه النتيجة النفسيّة الغامضة... أمّا... (ثمّ
وضعت يدها تحت ذقنها مفكّرةً)... أمّا أن يكون السبب عصابة؟!.. فتلك



فكرةً جديرةً بأخذها في عين الاعتبار... (ثم قوّست عينيها محدّقةً بالطبيب نهمةً لكلّ تفصيلٍ خارقٍ خارجٍ عن المألوف وأردفت)... دعنا نخبر الناس أنّ ثمة شكّاً بأنّ أحداً خلف كلّ هذه المعضلة... وطالما أنّه شكّ... فإننا في فسحةٍ من الأمان.... سيّدي... هل تمنع إن صغْتُ خبراً إعلامياً بطريقةٍ مشوّقة ثم دقّقته لي علمياً وقمنا بالإعلان عنه؟!.... صدّقني... لن تتخيّل حجم الثورة والشهرة التي سنحظى بها...

- تريدن منّا إذاعة خبرٍ عارٍ عن الصّحة؟!
- ليكن في علمك أيّها الطبيب... إن لم تستغلّ الفرصة فستسبقنا قناةٌ إعلاميةٌ أخرى... لا بدّ من ذلك.... وإن طال الأمر... (ثم غمزت بعينها).. لن يلبث سكان الجزيرة أن يفقدوا صوابهم ويخرجوا بمظاهراتٍ ناشرين شائعاتٍ شتّى حول الأسباب الكثيرة الغامضة لإصابة المرضى الخاضعين للجراحة... فكّر معي قليلاً... لو لم يكن داءٌ مرتبطاً بالجراحة... لكان الأمر أخفّ وطأةً على الناس.. فالجراحةُ بحدّ ذاتها إجراءٌ لا بدّ منه بالنسبة للمرضى المضطرين لها... إذاً هم بين خيارين أحلاهما مرّ.... إمّا الجراحة وما يليها من جنونٍ وهذيانٍ طويلٍ أشبه بالزهايمر... أو عواقب التنازل عن الخضوع للعملية الجراحية من مضاعفاتٍ وإنذاراتٍ سيّئةٍ قد تؤدي أسوأها للموت...

كان الطبيب يركّز في كلّ كلمةٍ تقولها هذه الفتاة الأمريكية المتطوّلة مندهشاً من سعة خيالها وتوسّع مداركها التي لا بدّ أنها نتاج اطلاعٍ عميقٍ

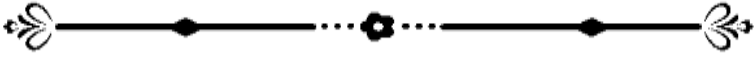
وواسع على التاريخ الإعلامي وتأثيراته المريعة على البشر..
فالناس بطبعها البشري الفطري شرهةً لأخبارٍ جديدةٍ وغامضة، بل
وأكثرها إبهاماً والتباساً حتى لو عني ذلك النهاية الوشيكة للمجتمع
والشعب!

كثيراً ما فكّر الطبيب بيكا في حقيقة هذا الإنسان الغريب المتقلب الذي لا
يكفّ عن ملاحقة ما قد يكون فيه هلاكه!

ولو لم يكن بيكا إنساناً مثل هؤلاء... لنبذ جميع الناس وأنزل عليهم كلّ ما
لديه من عبارات القذف والذمّ لمساهمتهم الوحشية الساذجة في تحريك
مراوح التقطيع التي ستنهش في النهاية حياتهم وتبيدهم عن بكرة أبيهم،
لجودهم بشيءٍ من غبائهم واستهتارهم من خلال تطفّلهم وتدخّلهم بل
والعمل على حرّف عجلة العقلانية والتوازن الجماعي ما سيودي بها إلى
دهسهم بلا شك!

ولو أنّ كلّ شخصٍ قد التزم بما يمليه عليه الواجب الجماعي من إخفاءٍ ما
قد يريب والحذر من اختلاق أسبابٍ وأنباءٍ هدفها الحقيقي إثارة القلق
والفوضى وبثّ الفرع بين الآخرين، لعمّ السلام واستقرّت النفوس دون
أدنى درجةٍ من الخوف والوهم الذي قد لا يكون له أيّ أساسٍ من الصحة
أو الحقيقة!

من السهل التعامل مع شخصٍ أو اثنين..



يبقى ذلك أسهل كثيراً من مجابهة أربعة أو عشرة أشخاص! فكيف بمئات الألوف المُغيّبين عن ضرورة تحليّهم بالصبر والحكمة؟! مئات الألوف من الأشخاص الأغبياء تُحرّكهم دوافعهم الغريزيّة وفرط إحساس الرأي العام تشعله النشوة الجماعية مكتسحة كلّ ما طالته! إنّ هؤلاء إنّ وحدتهم عاطفةٌ ما... فسيُشكّلون جسداً اجتماعياً متحداً يحركه الغضب الجامح المشتعل حماساً نافثاً من خلال تجمّعه طاقة هائلة تهدّد الأمن والاستقرار هادمة السلم الاجتماعي دافعةً بذلك ما تمّ العمل على تطوّره لسنوات إلى الحضيض... إلى ما تحت الصفر!

لم يعد بيكا يركّز كثيراً فيما تقوله المراسلة..

ربّما بسبب دفعها له للتفكير جدياً بالعواقب الحقيقية لتفشّي هذا الاضطراب غير المعدي!

تمنّى بيكا في أعماقه لو كان وباءً معدياً شبيهاً بالكوفيد 19.. حينها سيُرغم الناس على الالتزام بإجراءات الوقاية التي تفرضها الحكومة عليهم!

كان كوفيد 19 وباءً ذكياً جداً بغضّ النظر عن ظروف ظهوره وتفشّيه الغامضة..

فلقد أبدى نجاحاً عظيماً حين استهدف أوّل ما استهدفه قدرة البشر على التكتّل ومنعهم من تشكيل أيّ تجمهرٍ - لا بدّ وأنّه حاصلٌ - تلو هذه الفاجعة المخيفة..

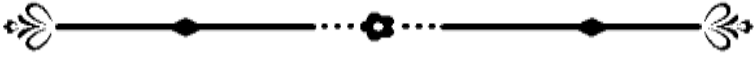
إذ اضطرت الحكومات العالمية والجهات المختصة لفرض حظرٍ فرديٍّ وجماعيٍّ للأشخاص والعائلات المصابة وغير المصابة.. فكم تمّ التسرّب بواسطة ذلك على حقائق وفواجع كانت ستودي بالعالم إلى الهاوية لو أنّها انتشرت بين الناس في وقتها الحساس ذاك! وكم من عمليّاتٍ مشبوهةٍ ما كانت لتتمّ في غياب ما فرضه هذا الوباء من تفكّكٍ جماهيريٍّ وتقوُّجٍ فرديٍّ كلّ في بيته، حينها فقط تمّ كلّ ما أريد له أن يتم وأنجز على أكمل وجه، لغياب الرقابة الجماعيّة وفرض الحظر الوقائيّ على السكان من خلال بثّ الخوف من مجرّد لمس مقبض الباب دون تعقيم "شكليّ" للقبضة واليد القابضة...

في ذلك الوقت..

امتنعت الزيارات والحفلات والندوات، وأغلقت المدارس والدوائر الحكومية وامتنع أكثر الأطباء عن استقبال المرضى حين أغلقوا عياداتهم الموبوءة والتزموا منازلهم خائفين من أيّ تلامسٍ لذرات الهواء المختلطة بأنفاس الآخرين!

الإعلام وحده كان المسيطر في تلك الفترة الزمنية العصبية! بل الإعلام المُصرّح له فقط بممارسة عمله وليس كلّ القنوات الإعلامية الأخرى!

فالوباء الجائع لا يطيق الأعداد البشرية المتزايدة في أيّ اختصاصٍ مهنيٍّ كان..



أصلاً لو كان الهذيان المديد التالي للجراحة وباءً ككوفيد 19، لما تجرأت هذه المراسلة المزعجة على القدوم إلى مركز الأبحاث على فوهة "دايموند هيد" واكتفت بأداء عملها في بيتها بواسطة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي قانعةً بما تُلقّن من معلوماتٍ يُرادُ إذاعتها دون أخرى متواريةٍ بهدوءٍ وسلام، ومحفوظةٍ من أن يطاله فضول المراسلين وإصرارهم العنيد بغية تكشّفها للعالم أجمع..!

فكر بيكا بمقدار الراحة والاسترخاء لدى تقويض المجتمعات البشرية بطرق ذكية تستهدف عقولهم وقلوبهم قبل أجسادهم! إذ أنّ السيطرة على العقل تعني السيطرة على كامل المنظومة البشرية.. والاستيلاء على القلب أقوى...

فالخوف الذي يتملّك القلب.. أقدرُ على السلطة من فكرة تقنع العقل...! والقلب يبسط بأوهامه الشعورية المضخّمة نفوذه على العقل حين يجبره على توجيه أفكاره نحو احتمالاتٍ معيّنة ورؤىٍ خاصّة خلقتها عواطف القلب المتأثرة بالطريقة التي تُلَقّى بها الخبر... وليس بالخبر نفسه!

- سيدي... أيها الطبيب.... ما رأيك؟!

قال بيكا بهدوءٍ ونفاد صبر:

- دعيني أفكر.... أريد بعض الوقت

- طيّب.... حتّى ذلك الوقت..... (ثمّ ابتسمت بغنج).... هلاً سمحت لنا

بمقابلةٍ أخرى محورها الذراع الالكترونيّة "جاكو JAKO"

أشار بيكا بإصبعه نحو مبنى شركة ميغا قائلاً بلا مبالاة:
- ذاك ماكاني رئيس الشركة الطبية... منبع جاكو JAKO من هناك...
وليس هنا..

- أريد أن أصنع مادة إعلامية عن الحالة النفسية لمريض البتر قبل وبعد
تزويده بالذراع... مثلاً نراقب مريضاً وتابعه منذ لحظة البتر حتى لحظة
سيطرته التامة وتمكّنه من كلّ صلاحيات اليد الاصطناعية... سيكون
تقريراً مفصلاً رائعاً... ولا بدّ أن ميغا ستُسّر لذلك...
علا صوت بيكا محدّراً:

- لا وقت لدينا لجاكو الآن!... إنّ الهذيان المديد التالي للجراحة قد استولى
على جميع عناوين الأخبار لديكم... غادري المكان... يجب أن نعمل!
تراجعت المراسلة خائبةً مغادرةً غرفة المكتب.. ثمّ توقّفت فجأةً وقالت له
راجيةً:

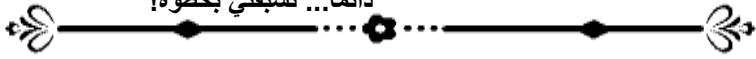
- أرجوك يا سيّدي... تعلم أنّ وجودنا على "دايموند هيد" ليس سهلاً... هلاً
ساعدتنا قليلاً لنغطّي شيئاً من فعاليات المنظمة الأمنية S... لا بدّ أنّ
الناس متعطّشون لأيّ نبأٍ عنها... (ثم غمزته بعينها ساعيةً لإغرائه بما
تخطّط له)... مثلاً... ألا ترى أنّها فرصة مناسبة لنشر ما يُشاع عنها أنّها
منظمة متعسّفة بقراراتها وإجراءاتها الأمنية غير المدروسة...؟!.. ألا توافقني
الرأي في ضرورة الضغط عليها إعلامياً لتخفّف من مضايقاتها لأفضل

شركة طبيّة ومركز أبحاث نفسي هاوائيّ الأصل؟!... فكّر معي قليلاً بعنوانٍ يشدّ المستمعين ويجذب انتباههم كـ..
"المنظمة الأمنية الأمريكية تسيء للطبّ الهاوائي"
أو..

"S الأمريكية VS M و P الهاوائية!"
ضرب الطبيب بيكا بكفّه على الطاولة صائحاً:
- هل تلعبين معي أيتها الشقيّة؟!... (ثمّ أمسك سماعة الهاتف وضغط على
عدّة أرقامٍ مستدرّكاً)... سأستدعي موظّفي الأمن لطردهما...
تراجعت المراسلة مبتسمةً بأسف:

- حاضر... (ثمّ خاطبت الموظّف الحامل للكاميرا) هيا بنا... (وعندما غادر
الموظّف عادت المراسلة إلى الطبيب بعد إغلاقها الباب قائلةً له بتحدّ
مبتسمةً)... سيّدي... لن أستملم... سأفجّر أحد الأخبار الثلاثة....
الهذيان.. أو جاكو... أو واقع "دايموند هيد".. تبقى لك حرية المشاركة...
رمقها الطبيب بيكا مندهشاً لوقاحتها ثمّ قال بتردد:
- من تكونين أنتِ..؟!...

- ليس المهم من أكون.... المهم أن أوّكد لك أن جميع الاحتمالات السابق
ذكرها واردة!... وأنّ للمواد الإعلامية الثلاث أسراراً يجب أن تُكشف! فإن
لم تخبرني الحقيقة... سأذيع الاحتمالات بنفسني... وعلى الناس اختيار
أكثرها إثارة!



لأول مرة راع بيكا كلام المراسلة فقال بتوجس هادي:

- من قال لك إن لجاكو سرّاً؟!

- هل تعتقد أن السيد ماكافي رئيس الشركة الطبية ميغا على علم بامرّها؟!

- تحتلقين الفوضى ثمّ تصدّقينها وتنسبين ما توهمته لمالك شركة ميغا

وتريدين منّي مجارة كذبك ومبالغاتك لتمكّني من بلوغك قمةً على

حيوات البشر!!... (ثمّ اندفع نحوها محكماً قبضته القويّة على ياقة قميصها

مستغلاً فرصة انفرادهما وتابع مستدرّكاً).. اسمعي يا هذه... مثلك

وبوقاحتك لم أجد مثيلاً لها في حياتي كلّها... (ثمّ ابتسم بمكر).. لقد حِزّت

على إعجابي أيتها المحتالة...

حاولت المراسلة التملّص منه لكنّه أحكم قبضته ما جعلها تتنفس

بصعوبة وتابع بيكا كلامه قائلاً:

- ستندمين أشدّ الندم لتجرّوك الصعود إلى دايموند هيد... وسأجعلك عبرةً

لمن يفكر فقط أن يخطو إلى هنا..

- دعني... أرجوك... لا أستطيع...

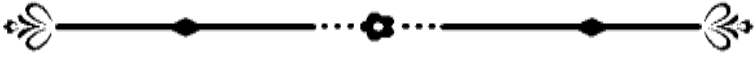
- دعني أرجوك؟!... (وتابع ضاغطاً بعنفٍ أكبر).. أفكر بجعلك مادّة

إعلاميّة للجماهير.... "فضول المراسلة وزميلها لكشف المستور على دايموند

هيد أودى بهما إلى الهاوية" أو... "شغف المراسلة المسكينة قادها للموت من

شاهق المخروط.. فإن نجوت اضطررت حتماً لخضوعك لأقلّ عملية

جراحية يليها هذيانٌ مديدٌ يبدّل شخصيتك الوقحة بأخرى أكثر لطفاً



وذكاء... فالغباء في حد ذاته هو ذكاءٌ أحياناً... هنا ستكتشفين السر الحقيقي لدايموند هيد... إليك هذا السر... إننا لا نملك الأرض فقط على فوهة المخروط!! بل تخضع لنا حيوات جميع الناس هنا... نتخلص ممّن نريد دون أن نتعرّض للمساءلة... لأنّنا... (ثم أنزل النافذة الجنوبية العملاقة خلفه بواسطة جهاز التحكم بيده الأخرى فهبّ نسيم المحيط القويّ مُبعثراً ما تمكّن منه في المكتب.. ثم سحب بيكا المراسلة جاذباً إيّاها من تلابيبها بيديه نحو النافذة المفتوحة التي لم تعد تحول دون سقوطها إلى السفح سوى مسافة شبرٍ واحدٍ مرتفعٍ منها).. لأنّنا... لا نخشى الإعلام ولا نخشى البشر..!

ثمّ دفعها بكلتا يديه بقوة نحو النافذة المفتوحة لتهوي باتجاه السفح مراقباً هذا السقوط شامتاً لفقدان ضحيّته كلّ حيلةٍ لها ونيلها ما تستحق! حقاً إن غباءها أودى بها إلى تلك النهاية الوخيمة، كيف لها وهي في موضع ضعيف وفي مكانٍ غريبٍ عنها وبين أشخاصٍ لا يؤمن لهم جانب أن تمارس سلطتها الإعلامية الفارغة، وتفرض قوّتها الخاوية حين اتّخذت من الاستفزاز والإغاظة سلاحاً ليس إلا لعبة أطفالٍ في أيدي عابثة!

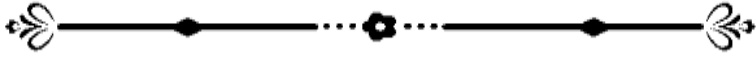
أغلق النافذة بهدوء عندما تأكّد من اختفائها تماماً في المكان الذي رماها إليه مسلماً بأنّها يجب أن تتحمّل نتيجة خطئها وتهديداتها الحمقاء، إذ لم تفكّر ولو لوهلة أنّها قد تخسر حياتها حين لم تعمل جاهدة لإخفاء شكوكها باحثةً بسريّة تامة عمّا تشكّ به... وليس بهذه الطريقة المبتذلة التي لو لم

يكن بيكا لكان حقاً عليها الموت منذ اللحظة الاولى لاستفزازاتها!
طرق موظف التصوير الباب بهدوء ثم فتحه متسائلاً عن زميلته فقال له
الطبيب بهدوء:

- اغرب عن وجهي... صارت صديقتك على سفح الجبل..

- حقاً..؟؟!!! كيف نزلت إلى هناك؟!

دخل رجلٌ من موظفي مركز الأبحاث طالباً من المصور أن يذهب برفقته...
فغادر معه دون أن يعلم شيئاً عن حقيقة ما حصل...



الفصل السادس عشر

(مشفى الملكة)

كانت سام تسيرُ ببطءٍ مشتتةً يغمر أعماقها الحزن لموت العمّة نينا.. تلك المرأة اللطيفة المتفانية لإسعاد من حولها ومشاركتهم تفاؤلها لها وحبّها للحياة دون أن تغادرها ابتسامتها المشرقة، التي اختفت منذ رحيل فريدريك وتخلّيه عنها وحلّ محلّها الوجوم والأسى...

حاولت سينا إخراج صديقتها المكبوتة من جوّ الاكتئاب الطاغى عليها عبثاً..

أحسّت نحوها بالعطف والرّثاء، وتأثّرت بما اختبرته من آلامٍ وانكساراتٍ الواحدة تلو الأخرى دون أن تتمكّن سينا من مساعدتها إلّا ببضع كلماتٍ لم تكن ذات نفعٍ تعودُ به عليها!

إنّها صديقتها الوحيدة في هاواي، لكنّها عاجزةٌ عن تقديم ما يعينها على هذه المحن..

مضى على انتحار نينا أسبوعان دون أن يكفّ فريدريك نفسه عناء التعبير عن أساه لفقدان عمّته، ما زاد سام كرهاً له ونبذاً لذكر اسمه! لم يسأل عن ظروف موتها إلّا حين استدعي للتحقيق الروتيني وأثبت

للمحقق أنّه كان يعمل على قَمّة "دايموند هيد" حيث لم يطأ "وايكيكي" -
الحَيّ الذي تسكنه عمته- طيلة الأسبوع السابق لوفاتها..
وعندما رآته سام خارجاً بهدوءٍ وفتورٍ من قسم شرطة مكافحة الجرائم في
"هونولولو" غير مكترثٍ لما أصاب مَنْ كانت بمثابة والدته الراحلة، لم تحتل
بروده القاتل فاندفعت نحوه صارخةً في وجهه منددةً بموات روحه وقلبه!
لقد انقلبت حياة سام منذ لحظة تحلّي خاطبها عنها، وتحوّلت لجحيمٍ
عندما انتحرت العمّة غير مصدّقةٍ أنّ فريد قد يواجه أمر موتها بهذه
اللامبالاة القاتلة...

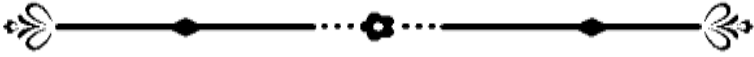
اكتفى فريد في ذلك اليوم بنظراته الفارغة، وسمح لسام بضربه وتعنيفه إلى
أن خارت قواها عندما لم تحصل على أيّ ردّة فعلٍ منه، وغادر دون أن ينبس
ببنت شفة برفقة موظّف الأمن إلى فوهة "دايموند هيد" ذلك المخروط
اللعين!

لم تشكّ سينا أن سبباً خطيراً يكمن خلف انتحار العمّة، لكنّها عجزت
عن تخيّل والتنبؤ به..

الانتحار أكيد... ولا يدّ للجريمة فيه..

أصلاً ليس لدينا الكثير من المعارف أو شخصٍ واحدٍ قد يكنّ لها بغضاً
يدفعه لقتلها..

جميع الأدلّة أشارت لانتحارها..



كانت سينا جالسةً على المقعد في فسحة حديقة المشفى تتابع سام بعينيهما وهي تسيّر ببطء تشبه أولئك المرضى المصابين بالهذيان المديد..
هذا الهذيان الذي لم يُقنع سينا بأي شكلٍ من الأشكال...

إذ أنّ بعض الخاضعين للجراحة لم يصبهم مكروه بعد استيقاظهم وانسحاب جرعة المخدر من أجسادهم بعدة أيام، كما أصاب غيرهم! أخرجت سينا المفتاح الصغير من جيب رداثها الأبيض الذي ارتدته فوق زيتها الجراحيّ الأزرق، إذ احتفظت به عندما لم يُبدِ المحقق اهتماماً عظيماً بمسرح الجريمة الذي شهد عملية انتحارٍ دون أي دليلٍ على أي تدخلٍ خارجيٍّ جرمي!

وعندما سألت سام عما يمكنه أن يفتح هذا المفتاح، لم تُبدِ اهتماماً عندما لم تفكر أساساً به، فأهملت سينا الموضوع وتركته في جيب رداثها، وهي الآن تقلّبه بين يديها حائرةً ومستسلمة...
أصلاً عليها ألا تفكر كثيراً إلا في دراستها وعملها والتسلية ما أمكنها عن صديقتها المسكينة..

هذيانٌ مديد؟!...

ما لها وهذا العَرَض!..

تزويد ذراع "جاكو" بالدم؟!..

ما علاقتها بالجراحة العظمية وفي "هاواي"؟!..

خاطبُ سام وانتحار عمّته؟!..

مشاكل عائليةً تحصلُ كثيراً..!

ما يهمّ الآن... هو سام...

بأنّ أسامة ومايكل من بعيد وهما يتوجّهان نحوها بزيّهما الجراحي الأخضر فابتسمت لهما مرحبةً.. فجلسا على المقعد بجانبها مُراقِبَيْن سام التي تسيرُ مفكرةً حزينّةً ومستسلمةً تمسح دمعها كلّ عدة دقائق...

- ما هذا؟!.. (سأل أسامة سينا)

- مفتاحٌ كان في جيب ثوب نينا...

- هل تركتُ لنا مفتاحاً أيضاً؟!

حدّقت سينا بأسامة متسائلةً عمّا تركته مع المفتاح، فابتسم ضاحكاً ثمّ قال:

- أقسم أنّها امرأةٌ ذكيّةٌ... البارحة فقط تمكّنت من معرفة ما أرادت لنا أن نعرفه

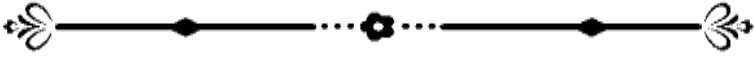
خفق قلبُ سينا عندما علمت أنّ إحساسها الخفيّ الذي كانت تحاول كبتّه من الممكن أن يصيب ولو مرّة.. وأنّ التباساً ما يكمن خلف موت العمّة... فتساءلت بهدوء:

- ماذا أرادت لنا أن نعرف؟!!

- لستُ متأكّداً بعد... لكنّه أغلب الظنّ... اسم المجرم..!

صرخت سام مندفعةً نحوهم:

- مجرم؟!.... قلتُ مجرم؟!!!



- أطبقت سينا بيدها على فم سام قائلةً:
- اسكتي... أخفضي صوتك... يجب ألا يسمعنا أحد..
- بكت سام مومئةً بأنها ستلزم الصمت ثم قالت بصوتٍ متقطع:
- من... من هذا السافل؟!!
- تماسكي... (ثم نظرت نحو أسامة محدقةً به ومبتسمةً يكاد الفضول يحرق أعصابها وهي تحثه على الكلام...)
- فهذا أسامة من روع الجميع وقال:
- أذكرون رسالة الانتحار التي تركتها نينا ذلك اليوم؟!!
- نعم... كانت مكتوبةً على الوجه الآخر لورقةٍ مُقتطعةٍ من تقويمٍ سنويٍّ..
- صحيح... إنها الورقة المدوّنة عليها أيام شهر آب..... لقد لفت انتباهي أمران... أولهما أنّ ثمة علاماتٍ حول أيّامٍ معيّنةٍ من الشهر... ومن خلال مقارنة لها مع أيّام الأشهر السابقة على التقويم المعلق على باب الشلاجة... فلم أجد أيّ يوم... من أيّ شهر عليه علامة... وما زاد من غرابة الأمر أنّ يوميّ الرابع عشر والثامن عشر من الشهر الحالي قد أُحيطا بعلامتين... وبما أنّ يوم وفاة الضحية قد صادف اليوم الحادي عشر، فقد تساءلتُ عن سبب إحاطة اليومين -الرابع عشر والثامن عشر- بعلامة..... لكنني افترضت جدلاً أنّ نينا تنتظر حدثاً مهماً في هذين اليومين ما جعلها تضع عليهما إشارة.... إلّا أنّ الشيء الأخير وهو السهم المنحني فوق اليوم الخامس من الشهر وفوقه رقم 2 قد أكّد لي أنّ الأمر يستحقّ المحاولة لفك شيفرة

رسالة ما.. فالتقطت صورةً لَوَجْهِي ورقة رسالة الانتحار وبدأت بالعمل على حلّها... ببساطة.... أرقام أيام الشهر تشيرُ بدلالاتها حسب الترتيب إلى الأحرف الأبجدية اللاتينية...

فالיום الأوّل من الشهر يشير لحرف A

واليوم الخامس يشيرُ لحرف E

واليوم السادس يشيرُ بحرف F

واليوم الرابع عشر يشيرُ لحرف N

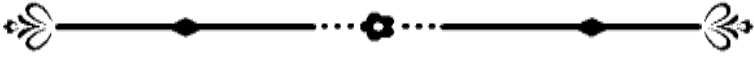
واليوم الثامن عشر يشيرُ لحرف R

وبضمّها معاً... نحصل على الكلمة AEFNR... وهي بالتأكيد كلمةٌ غير مفيدة يتطلّب حلّها...

مفتاح حلّها يكمن في رقم الحرف المرسوم فوقه سهم منحنيّ مع رقم 2 هذا المفتاح الذي استغرق من وقتي أياماً حتّى قادني للحلّ الأخير.. الحرف ذو السهم هو حرف e ومنه سنبدأ بتشكيل الكلمة... (ثمّ أخرج دفترًا صغيراً وقلماً وكتب...) تخيلوا معي

²
A E F N R

السهم المنحني ورقم 2 ببساطة يعني أنّ الكلمة تبدأ بحرف e ثمّ نتجاوز حرفين ونكتب الثاني هكذا er... ثمّ نتجاوز حرف r بحرفين ونكتب



الثالث ليصبح لدينا erf ونتجاوز حرفين ونكتب الرابع erfa ونتجاوز حرفين وأخيراً نكتب الخامس والأخير فتصبح الكلمة erfana فغرت سينا فاها وارتعدت أوصالها هامسةً:

- عرفان...؟!... يا إلهي....

قالت سام والغضب ينبعثُ من أنفاسها:

- أخبرتكم... أن نينا... لا تنتحرن... (ثم كوّرت قبضتها متممةً)..
سأدمره... سأبيده...

قال مايكل مستنكراً:

- هذا... مستحيل... لا أصدق... لا يمكن أن يفعلها عرفان!

قال أسامة مؤنباً:

- انتظروا لحظة... علينا أن نعرف قبل كلّ شيء الطريقة التي قتلها بها!...
المرأة انتحرت.. من يدري؟! ربّما أرادت نينا أن تلبسه التهمة لدى الإشارة
لاسمة...

كادت سام أن تضرب أسامة لكن سينا أشارت بيدها لتسكتها قائلةً:

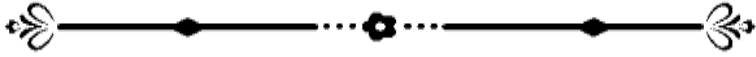
- لو أنها أرادت أن تلبسه تهمة انتحارها لأشارت لاسمه بطريقة أكثر
وضوحاً... دون حاجتك لفك شيفرة رسالتها الخفية... وربّما رأينا اسم
عرفان يملأ أبواب وجدران المنزل كلّهُ!

فكر أسامة مقتنعاً:

- هذا صحيح.... لكن كيف قتلها وما هو السبب الذي قد يدفعه لقتلها؟!
أشارت سينا للمفتاح الصغير القابع في يدها ثم قالت:
- هذا المفتاح الذي كان مع هاتفها المحمول... أظنه سيقودنا لأمرٍ ما... لا بدّ
أنّها تعمّدت وضعه مع هاتفها كما تعمّدت وضع اسم القاتل على الوجه
الآخر لرسالتها... هذا يعني... أنّ الهاتف أيضاً قد نجد فيه شيئاً مهماً... لكن
لا أظنّ أننا نستطيع الحصول عليه من قسم الشرطة... كيف سنحصل
عليه؟!

قال مايكل:

- مبدئياً لنركّز على المفتاح.... مفتاحٌ ماذا قد يكون؟!
أجابت سام باستعجالٍ وشى بتوتّرها وانفعلها الدفين:
- أوّكد لكم أنّ هذا المفتاح لا يخصّ خزانةً أو باباً لأيّ شيءٍ آخر في بيتها...
أصلاً.. أستغرب وجوده في جيبها كونها أبداً ما كانت تضع فيه شيئاً!... إنّ ما
أقوله لكم هو نتاج ملاحظاتي لها بما أنّي أعرفها وفريد منذ أيام الطفولة..
طلب مايكل رؤية المفتاح متمّعناً إيّاه ثمّ تساءل:
- هل من الممكن أنّه مفتاحٌ لخزانة أماناتٍ في أحد البنوك؟!



انتشلت سام المفتاح بقوة من يد مايكل ثم تفحصته جيداً محاولة التذكر وهي تمت:

- أين رأيت مثله؟!... أين يا مايكل؟!... تذكر معي... ما كان اسم صندوق الأمانات في البنك القريب من وايككي؟!!

- هل تقصدين بنك "بيرل هاواي"؟!!

- نعم... نعم... (صرخت سام)... هذا هو!... هيا بنا....

- لكن بصفتنا من سنطالب بفتح الخزانة...؟!!

- لنسأل وحسب... لن نخسر شيئاً...

- وإن لم يكن البنك الصحيح؟!!

- سأجوب جميع بنوك جزيرة "أواهو"... بل جزر هاواي كلها... سأنتقم لدينا... وسأدمر عرفان... وسأحرق فريد...

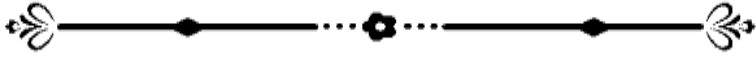
نهضت سينا من فورها قائلة:

- هيا بنا إلى "بيرل هاواي"... يجب أن نبدأ... وإن لم يُسمح لنا بفتح خزانة المغدورة... سنطالب المحقق في قضية انتحارها، العمل على ذلك..

قاد مايكل سيارته "كيا نيرو" برفقة أصدقائه حيث وصلوا إلى بنك "بيرل هاواي" الاتسماني، ونزلت سام ومايكل من السيارة، في حين بقيت سينا وأسامة في الخارج لكي لا يثيروا الشبهات بكثرة عددهم..

رحبت موظفة الاستقبال بالزبونين سائلة أن تمّد لهما يد المساعدة..
فقدّمت سام المفتاح الصغير إليها قائلة:

- هذا المفتاح لخزانة أماناتٍ لديكم صحيح؟!
- أخذت الموظفة المفتاح ثم قالت مومئةً برأسها:
- هذا صحيح.... أريد رقم الخزانة والهوية الشخصي
- ارتجف صوت سام فتابع مايكل قائلاً:
- حسناً... يؤسفني القول إنّ المفتاح خاصٌّ بامرأةٍ قد توفيت منذ قرابة أسبوعين..!
- حدّقت الموظفة بهما بنظراتٍ متسائلةٍ فاستدرك مايكل:
- أعني.... هل يمكننا معرفة ما إذا كانت المتوفاة قد تركت لديكم اسماً لأحد المصّرّحين لهم بفتح الخزانة...؟!
- حسناً.... أريد اسم مالكة المفتاح...
- نينا كالوا...
- أدخلت الموظفة الاسم على جهاز الحاسوب ثم قالت دون أن ترفع ناظرها عن الشاشة:
- لقد أوصت فعلاً باسمٍ واحدٍ في حال أصابها مكروه.... لكنني لا أستطيع الإفصاح عنه... على صاحب الاسم أن يأتي إلى هنا مع بطاقته الشخصية..
- اسمي مايكل كاهالي
- أسفة.... ليس هو الاسم المطلوب
- قالت سام:
- أنا سام أكانو



حرّكت الموظّفة خصلة شعرها إلى خلف أذنها وهي تنظر لشاشة الحاسوب
ثمّ قالت:

- البطاقة الشخصية لو سمحت!

- حالاً... فوراً...

ثم سلّمت سام بطاقتها الشخصية للموظّفة التي أدخلت المعلومات إلى
النظام الرقمي حيث فتح كامل المعلومات عن رقم الخزانة ومحتواها
والتصريح بفتحها..

.....

كان أسامة وسينا واقفين بُعيد عدّة أمتارٍ عن مبنى بنك "بيرل هاواي" إلى
جانب السيّارة منتظرين صديقيهما..
أحسّ أسامة ببعض الارتباك وهو يسترّق النظرَ إلى سينا التي بدت له غارقةً
في التفكير...

كان هذا الشعور يزعجه كلّما أراد مُفاتّحتها بموضوع إعجابه الدفين بها، ما
يجعله يعيدُ التفكيرَ ويحصي الأسباب التي قد تمنعها عن مبادلتها الشعور!
لكنّه تأكّد فعلاً من نفي احتمال إعجابها بعرفان، بل واستنكار شخصه
الغريب..

هذا رائع كخطوةٍ أولى...

عليه أن يستغلّ هذه اللحظة - حيث هما بمفردهما الآن - ويستجمع قوَى كبريائه الرجولي، ثم يتحدّث إليها بصوتٍ ثابتٍ وحازم، فتخيّل نفسه وهو يقولُ لها:

"أنتِ فتاةٌ رائعةٌ يا سينا"

كلا... ليست هذه الجملة المناسبة..!

"سينا... أنا أحبك"

مستحيل... إنّها عبارةٌ شبه وقحة!... تستحقّ سينا عبارةً أكثر احتراماً..
فاختار صيغة السؤال حين صاغ جملته:

"سينا... أنا معجبٌ بك... فما رأيكِ بي؟!"

لا.... لا.... إنّهُ سؤالٌ قديمٌ وصبيانِيٌّ نوعاً ما...
تري...

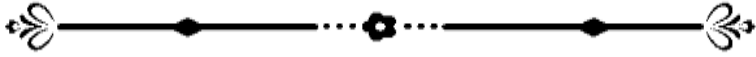
ماذا تفضّل سينا؟!

أعاد أسامة النظر إليها مُستشفّاً الطريقة التي عليه اتّخاذها والكلمات المناسبة التي ستُسعِف موقفه قبل أن يُداهمه الوقت فيعود مايكل الفضولي وتضيع الفرصة..

- أسامة.... ما بك؟!

لم ينتبه أسامة لسؤال سينا حين بدا تائهاً في غياهب الفراغ المحيط بها...
فأعادت سينا السؤال بصوتٍ أعلى:

- أسامة.... هل أنت بخير؟!.... فيم تفكّر؟!



امتقع وجه أسامة فواراه عنها متمماً:

- لا.... لا شيء....
- قل لي الحقيقة.... ما الأمر؟!
- كنتُ.... أفكرُ.... في الأسباب التي تزيد من معدل ضربات القلب...
ثم حدّق بها منتظراً ما ستقوله... ففوجئ بها عندما سألته قائلةً:
- هل قلبك بخير؟!...
- (صمت أسامة قليلاً ثم قال).... لا... أعلم...
- منذ متى بدأت تعاني من هذه الأعراض؟!
- لا أعتقد أنّها أعراض مَرَضِيَّة....
- حسناً... ربّما بسبب حرّ الصيف... عليك أن تكون حذراً من أن تُصاب بضربة شمس...
- ابتسم أسامة ضاحكاً ثم قال لها:
- قلبي أقوى من ضربة الشمس تلك... لكنّه... ضعيفٌ جداً بحضورك...
- حضوري.... أنا؟!... (ثم تراجعت محدّقة به بنظراتٍ مرتابةٍ ومرتاعةٍ)....
- هذه.. البدايات.... كلّها أسامة.... إيّاك....
- دُهِش أسامة من ردّة فعلها الغريبة ما جعله يقول لها بمجديةٍ بالغة:
- آية بدايات..؟!

حاولت سينا التماسك والاستناد على هيكل سيارة مايكل مُتذكّرةً هذا النوع من الكلام المعسول المسموم في آنٍ معاً... ثمّ أسندت رأسها على يدها

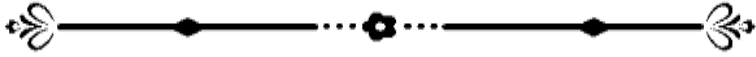
الأخرى في محاولةٍ منها الاتّزان خشيةً انهيارها تحت تأثير هذا النوع من المشاعر غامضة المضمون...

من الذاكرة... قبل بضع سنوات

كانت سينا تحدّق في تلك الليلة بذهولٍ إلى شاشة هاتفها حيث الصورة التي حدّثها عرفان لدى رقمه غير متأكّدةٍ من تفاصيل هاتين الدائرتين بسبب تأثر صفاء رؤيتها، إلى أن ضغطت على الصورة لتكبيرها حيث تبين لها بشكلٍ صاعق خاتمي خطوبة!!
لقد خطب عرفان!

لقد غدر بها! وأطاح بثقتها العميقة به!
بهدوءٍ غريب بدأت تشهد المعركة الحامية والصراع الشرس الذي بدأه قلبها وعقلها..

- تستحقّين... لقد منحتهُ فرصاً كثيرة!
- كنتُ أنتظرُ فقط...
- كان عليكِ زجره ورفضهُ بشكلٍ صارخ
- لم... أجدُ ما يدفعني لذلك!...
- هه... هل كان عليكِ انتظار غدره الصريح؟!
- كنتُ أذكّره دائماً وأعودُ به إلى جادة الصواب... لقد وعدني!
- لم يعدكِ بشيء!



- الإيحاء بالوعد.. وعد!... جميع رسائله كانت إيحاءات واضحة بالوعد..
- وثقت بإيحاءات شخص سيء... الشخص الصحيح يتكلم بشكل مباشر وصریح جداً..
- لقد كان طبيب عيني.. أنقذني..
- لقد استغلّ ضعفك بعينك!...هه... طبيب فاشل... إنّ أحداً علم بإشرافه على عينك لم يُخفِ استنكاره!
- إنهم يحسدونه... مغتاظون منه وحسب!.... هكذا... قال!
- ضحك عقلها كثيراً عندما قال ما قاله هذا القلب العاق - العضو الذي يستحقّ السحق والإبادة - ثم ابتسم شامتاً كمن يصبّ الزيت على النار عندما قال:
- مشكلتك أنّك صدّفته... وهو أكذب من أكذب الكذّابين!... (ثم فكّر برويّة).. ما يهمّ الآن.....
- أمسكت سينا هاتفها وبدأت تكتب رسالتها الأخيرة وفي نيتها عدم الانسحاب ببساطة الساذجين وتذكيره بحجم دناءة سلوكه الذي لا ينم إلا عن مرض نفسيّ يجب أن يُدركه!
- "مبارك لك يا دكتور..
- منذ زمنٍ بعيد وقد طغت الغرابة على أسلوب حديثك!.. حاولت بشقّي الطرق أن يكون كلانا على بيّنة من الأمر لتجاوز هذا الموضوع الحساس دون أن تطرأ أيّ مشاعر سلبية عليك أو عليّ أنا!

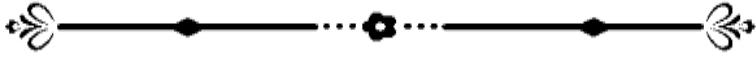
لكن للأسف... تمّ خداعي ببضع كلماتٍ قَلَّتْهَا... لم أضع في الحسبان أنّك تقولها لجميع زميلاتك الطبيبات بعد التقدّم لخطبتهن مثلي!... أو أنّك تقولها لكنّ قلبك لا يشعرُ بحرفٍ منها!

لقد كنتُ أنتظرُ منك كلمةً واحدةً فقط تُنهي بها هذا النوع من التواصل الغريب الذي كان كلّ ثقتي به أنّك طبيبٌ ناضجٌ وواعٍ ومضرب المثل وبالنسبة لي.. فقد كنتُ غايةً في اليسر والسهولة إذ حاولتُ أن أضع حدّاً لتواصلنا لكنّك كنتَ ترفض وتكتب لي شيئاً من هذه الكلمات: ماهذا الكلام؟!... ولماذا تقولين ذلك؟؟ وأرجوك لا تقولي كلاماً يصيبُ قلبي في مقتله!...

يبدو أنّي وضعتُ ثقتي في غير مكانها..
لقد كسرتَ قلبي مرّتين يا دكتور...

إذ بسبب صفاء نيتي ونقاء قلبي لم أستفد من درسي الأوّل، فكان الدرس الثاني ضرورياً لأعي أنني بعيدةٌ كلّ البعد عن فهمك وفهم أسلوبك المشوّش غير الواضح وغير البسيط وغير المسؤول والمنسلخ تماماً عن المبادئ والقيم والأخلاق حيث كنتَ تضعُ نفسك فيها دائماً يا حضرة الطبيب... إنّ حظّي رائع كون القدر قد اختار إبعادك عني..

لكن خذ بنصيحتي.. إنّ أيّ كلمةٍ تقولها يا دكتور لها ثقلها ومكانها الذي تصبّ فيه.. أهيبُ بك أن تكون حذراً بانتقاء الكلمات إن أردتَ فعلاً أن تكون واضحاً وبسيطاً كما كنتَ تصف نفسك دائماً...



مع تمنياتي لك بالتوفيق حضرة الطبيب المحترم"
مضت عدة ساعات وما تزال أفكار سينا تتصارع مع مشاعرها وقلبها
الجريح، وقد كان كل ما يشغلها هو سبب امتناعه الصارخ عن التوضيح!!
كانت مروءة تنظر لسينا حزينة لمصاب قلبها البريء!
- انتظري قليلاً... لنرَ بماذا سيرد على رسالتك الأخيرة
- لقد حظرت رقمه... لا أريد أن أرى أي شيء منه... أنا الغبية التي لم
تستطع قراءته...

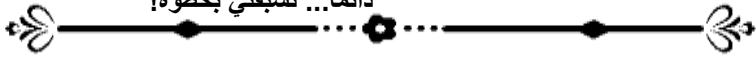
رن هاتف سينا منذراً بإشعار رسالة واردة..

حدقت بالرقم وهي تتمتم:

- كيف... استطاع رفع حظري عنه؟! (ثم قرأت رسالته)
"وحظرت رقمي أيضاً؟!"

"مساء الخير.. لم أكن غريباً أبداً بسلوكي وقد أخبرتك منذ زمن أنني أردت
الارتباط بطبيبة في الطب البشري ولست راغباً بطبيبة أسنان!.. لا أظن
أنني تخطيت حدود الاحترام والتقدير إذ كنا لا نتحدث إلا في المناسبات!
..مع ذلك.. شكراً لرسالتك..!"

لست منحطاً أو قذراً لأستخدم أسلوباً مشوشاً وغير واضح!
لست وغداً وذا تربية وضعية لأتحدث إلى كل الطبيبات بهذه الكلمات!
على كل حال.. شكراً لك.. وأتمنى لك شخصاً أفضل مني..
وداعاً"



ابتسمت سينا وشرارات الغضب تتطايرُ من عينيها فكتبت له:

- أطلبُ منك التوضيح فتخاطبني ب "يا قلبي"؟!

قرأها ثم حذر رقمها!

كانت مروة تراقب صديقتها الباكية غير مصدّقة لما حدث منذ لحظة

مراسلته لها إلى هذه اللحظة!... أي منذ تسعة أشهر!

ثمّة شيء غريب..!

غير منطقي!

كفكت سينا دموعها وهي تستمع لمروة التي قالت وكأنّ على رأسها الطير:

- في النهاية تغلّب قرار أهله عليه...

- (صرخت بهستيرية) إنّ التي خطبها طبيبةٌ في المدينة وليست من اختيار

أهله كما كان يدّعي يا مروة... أهله بريئون من شخصه المخادع!

- كيف علمتِ؟

- قلتُ لك إنّ الأخبار تأتيني من حيث لا أحسب!... انظري هنا... (ثمّ

قرّبت هاتفها المحمول من صديقتها ضاحكةً بغيط)... إنّ جميع وسائل

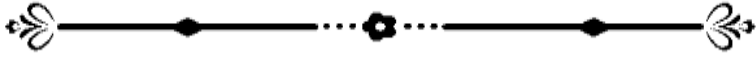
التواصل لديه ذات ميزاتٍ مريبةٍ كشخصه!... لقد رفعَ حظري عن رقمه...

إنّنا نحن الفتيات لا نكثرُ لهذا النوع من البرامج التي توفّر لصاحبها

مؤارةً جبانةً ورخيصة!... كيف به كرجل؟! كطبيب؟!... تخيّل مقدار

الأعباء السخيفة حتّى يستخدم هذا النوع من وسائل التواصل... ومعى

أنا؟!!!



- هذا صحيح... لكن... ربّما احتاجه للتخلّص من إزعاج المرضى المبالغ به!

- كلا... إنّ عرفان يملك من الأرقام الكثيرة جدّاً!... هذا رقمه الخاص! (ثمّ عصّت شفّتها السفلى بغيط)... لقد كنت ألاحظ ذلك منذ زمن... لكنني اخترتُ ثقّتي وإحسان ظنّي به!

- لا يهمني كلّ ذلك... أفكر فقط في سببٍ منعه من التوضيح أو الاعتذار!... قالت سينا بازدراء:

- أما زلتِ تفكرين؟!... بالله عليكِ فكّري في سببٍ واحدٍ فقط وسأجيبك أنا!

فكرت مروة قليلاً ثمّ قالت بذهول:

- في الحقيقة... لا أعلم... ما زلتُ تحت تأثير الصدمة... لم يعتذر ربّما لأنّ كلماتك المبطنّة بالتوبيخ والإهانة قد استفزّته فلم يجد بُدّاً من الردّ بهذه الطريقة الحمقاء المُبتذلة مقارنةً بكلماتك العميقة العاصفة جدّاً... سينا... أظنّ أنّه كان يكتب رسالته التي نفى فيها عن نفسه صفات القذارة والدناءة وهو يرتجف... ربّما توقع أن يلمس من كلامك التأثير والانكسار! هه... لكنك خيّبت ظنّه تماماً!

- لماذا لم يبرّر لي ولو كان تبريراً كاذباً؟!

- (حركت مروة رأسها مفكّرةً بعمق)... لا أعلم... أبداً...

ابتسمت سينا ابتسامتها الماكرة رغم احتقان عينيها المتورّمتين ثمّ قالت:

- لأنّه يَحْطُطُ للعودة... إنّ تبرير خطبته المفاجئة والتي سببها الكاذب أهله الرجعيّون يعني أنّه أنهى الأمر تماماً معي... هذا الرجل... لا يريد أن يُنهي الأمر... وله عودة...

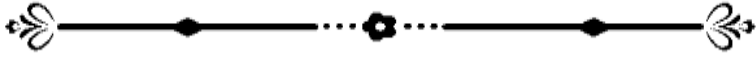
صاحت مروة:

- هذا مستحيل... ماذا ستفعلين؟!

- دعي ذلك للوقت... لقد بدأتُ أعي ماذا يكون عرفان... أقسمُ أنّه كان يَحْطُطُ لأذية عيني أيضاً... أراهنُ أنّه لم يوفّر لحظةً أعرب فيها عن شماتته الصريحة بعصام وسمر كونهما تسبّيا بالاختلاط!.. ربّما لو لم أكرّث له... لخضعتُ لإجراء سمر الأخير وكانت رؤيتي في حالٍ أفضل!... لكنني احترمتها!.. قدرته كطبيبٍ قبل كلّ شيء!.. لقد أرادَ أن يرافقني أثر الاختلاط طوال عمري... وأن يستغلّ ذلك في الإساءة لعصام وصديقتي بإلحاق اللوم الدائم بهما.... (ثمّ تابعت بذعرٍ ممتزج بالارتياح) لكنّ القَدَرَ كان ألطفَ حين زال أثر الاختلاط الأكبر بمرور الوقت..... يا لشروور نفسه العليلة البغيضة!

- هل من الممكن أنّه كذب عليكِ بشأن صعوبة يوم العمليات ذاك حين امتنع عن الوفاء بوعدته في إجراء العملية؟!

- بالتأكيد!... (صاحت سينا بغضب)... كلّ كلمةٍ قالها كانت كذباً باستثناء خطبته تلك على فتاة القرية... ذلك الخبر الذي صدّق به وكان سلاحه في كسب ثقتي بصدقه!.... (ثمّ تمتمت بألم)... وقد كان له ذلك!



أطلقت سينا تنهيدةً طويلةً يتخللها زفيرٌ متقطع ثم تحسست قلبها الجريح وهي تهمس له:

- هذا السبب... قلبي هو السبب... لن أبرح حياتي حتى أردّ له الدين... سأحرق عرفان... لك مَنّي ذلك يا قلبي... (ثم خاطبت مروة باكيةً)... على الرغم من أنّ عقلي كان حاضراً يفكر ويحلّل... لكنني اخترت قلبي... لن أسمح لقلبي أبداً أن يقود أيّ تجربةٍ منذ اليوم... إنّه عضوٌ عاقٌّ لا يؤخذُ بشعوره!

.....

هُرَع إليها أسامة فرعاً:

- ما الذي أصابك؟!... أنا.. آسف.... حسناً؟!..... انسي ما قتلته... يا إلهي... لكتّنها صاحت به:

- ابقى مكانك..... لا تقترب....

أحسّ أسامة بالخوف وهو يرى سينا على هذه الحال الغريبة تلك لأوّل مرة..!

ثمّة ما يريب!!

إنّها ليست بخير!

لقد فقدت عقلها هذه الفتاة...

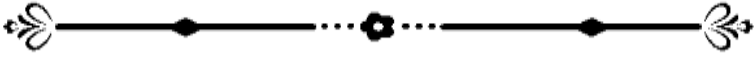
لكن لماذا؟!!

ما الذي حدث لها بالضبط؟!!

سَمِعَهَا تهذي ببضع كلماتٍ وهي ترتعش قائلةً:
- اهديني... إِنَّه ليس هو.... أَنْتِ بخير... إِنَّه بعيدٌ عن هنا... (ثم أحاطت
رأسها بيديها خائفةً).... لكِنِّي رأيته... هنا على ذات الجزيرة!....
لم تشعرُ بيدي أسامة وهو يمسكُ بكتفِها يهزّها بعنفٍ صائحاً بها علّها
تستعيدُ رشدها:

- سينا... اهديني... لا تُقلِّبيني عليكِ....
صرخت به سينا بصوتٍ عدوانيٍّ مخيف:
- من تكونُ أَنْتِ لتقلقِ علي؟!.... لا يحقُّ لكِ القلقِ علي!.... لا يحقُّ لكِ
السؤال عَنِّي!.... لا.... يحقُّ لكِ تجاوزِ حدودكِ معي.... لن أسمحُ أبداً.... بأن
تطلي أكاذيبكِ القدرة علي....
أدركُ أسامة شيئاً ممّا تهذي به سينا فسألها باهتمامٍ وصوتٍ ثابتٍ مُتجاهلاً
حالتها المحتاجة:

- أَنْتِ تقصدين عرفان... أليس كذلك؟!.... ذلك السافل...
رمقته سينا بنظراتٍ مرييةٍ وهي تحاول استعادة توازنها العقلي والعاطفي
المتحكّم به قلبها الضعيف الشرس في آنٍ معاً...
فاستكانت وهدأت لواعجها المضطربة ما جعل أسامة يبعد يديه عن
كتفّيهما عندما لمسَ في عينيها نظراتٍ واعيةٍ ومتوازنة...
استدارات سينا مواريةً قسّامات وجهها التي سرعان ما وَشَتْ بارتباكها
وحزنها الدفين فقال لها أسامة معتذراً:



- أنا آسف.... لقد أخطأت صياغة الكلام....
- أنتَ لم تخطئ.... (ثم كفكفت دموعها الهائلة متابعَةً بصوتٍ مرتعشٍ وحزين)... لكنني هشةٌ جداً حيال هذا النوع من المواقف!... وما زلتُ أجهلُ التعاملَ معها...
- سينا....
- استدارت سينا نحوه فتضعزت روحه عندما شهدَ هاتين العينين الباكيتين اللتين استحالتا لؤلؤتين تلتمعان متكئتين على وسادتيهما البيضاوين المحمرّتين...
- أحسَّ برغبةٍ عميقةٍ في احتضان هذا القلب البريء وضمّه إلى قلبه هو الآخر ثم سحَقَ كُلَّ من يتسبَّبُ بإلحاق الأذى بهذه الفتاة الرقيقة حساسة العواطف...
- فابتسم مُدارياً الموقف ما أمكنه وقال بحذر:
- لا تبكي.... لقد انتهى كلُّ شيء....
- أطرقت سينا بحزنٍ عميقٍ... ثم تابع...
- انتظريني قليلاً.... ريثما أبتاع عصيراً منعشاً من محلِّ العصير ذاك...
- وما هي إلا دقائق حتّى عاد بكأسين من عصير الليمون المثلج..
- أخذت سينا رشفةً من العصير منتعشةً بنكهته الطازجة قائلةً:
- إنّ حموضته لذيدة....
- ومهدئٌ ممتاز...

ضحكت سينا قائلةً:

- سأكون هادئةً حتى لو لم تشتري لي العصير....
- هذا واضح.... (ثم ضحك مندهشاً من سرعتها في تناسي ما أصابها من
ذعرٍ واضطراب، ما أكد له أنها فتاةٌ عفويةٌ وبسيطةٌ فعلاً على عكس ما
تبدو للغرباء عنها!... فاستدرك قائلاً)... لماذا تكنين لعرفان كل هذا
البغض؟!

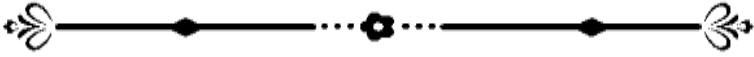
فوجئت سينا من سؤاله المباغت ثم قالت له وقد انكشمت ملامح وجهها
بفعل حموضة الليمون:

- عادةً ما أبني شعوري على وقائع حقيقية أعرفها.... في الواقع أعرف كل
شيءٍ عن هذا الشخص!... فهو فردٌ من أفراد بلدي ومسقط رأسي.. بل ومن
قريةٍ قريبةٍ جداً من مدينتي.... وبما أننا نعملُ وندرس في مجالٍ طبيٍّ.... فلا
بدّ من احتكاكٍ وتعاملٍ أجبرني على الخوض معه في بعض أماكن العمل...
أخبرني أنت أولاً.... لماذا أحسست بشيءٍ من عدم الاطمئنان إليه؟!
ضحك أسامة ثم فكر قليلاً وقال:

- لا أعرف كيف أصف لك شعوري.... إنني أشعرُ بالإنسان الصادق كما
أشعرُ بالكاذب...

- كيف...؟؟!

- لنفترض أنّ الاثنين يلتزمان حدود الأدب واللفظ والدمائة... سرعان ما
سيشي التصنع بمن يتكلفه...



- لكنَّ عرفان يتقن الكذب... وربّما يجري في عروقه مجرى الدم...
- تماماً... هذا ما أرمي إليه... إتقانه الكذب هو ما جعلني أفقدُ ثقتي به...
فالإنسان الصادق يختلفُ تماماً عن محترف الكذب إذ أنّه مهما كان صادقاً... لا بدّ أن تخونه بعض مشاعره المتقلّبة فيغيّر شيئاً من طريقة حديثه ويُعيد حساباته ويبيّن وجهات نظرٍ جديدةٍ تلغي السابقة وذلك تأثراً بتجارب الحياة التي تنحط وتصلُّ من شخصيّته... فالمبدأ الجوهري لا يتغيّر حتماً... لكنّ طريقة التعامل بما يتناسب مع هذا المبدأ هي التي تميز بين الصادق ومحترف الكذب...

ابتسمت سينا مندهشةً فقالت:

- لم أفهم تماماً...
- حسناً... إليك هذا المثال الحيّ... أتذكرين عندما سحبتكِ الأمواج وكدتِ تغرقين... لماذا برأيكِ هُرع عرفان لإنقاذك ولم يدع أمر ذلك لي؟!... لو كان شخصاً صادقاً لا تشوبُ نيّته الصافية شائبة... لهبَّ إليك فوراً خوضك المحيط في جوٍّ عاصفٍ خشية تعرّضك لأقلّ معاناةٍ من عذابات مصارعة الأمواج المتلاطمة ثم الغرق... لكنّه انتظر إلى أن فقدتِ السيطرة وكدتِ تغرقين... عندها فقط تحرّك للقيام بواجبه... برأيكِ لماذا فعل ذلك؟!
- قلتُ لك إنّّه كان يراقب سام... ولم يشأ أن يفتضح أمره إلى أن صارت حياتي على المحكّ...

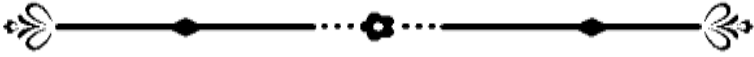
ابتسم أسامة قائلاً:

- حتى لو كان يراقبها ملتزماً بخطّةٍ ما أو أيّ كان... أصلاً لا دور لسام هنا في كامل حديثي.... أعني أنّه لو كان يكنّ لكِ مشاعر حقيقيةٍ كما يدّعي... لحظة... كيف عرفتَ ذلك....

- نظراته وإيجاءاته الكلامية توحى بذلك بلا أيّ شك... دعيني أكمل ولا تقاطعيني.... حتى لو كان عرفان يحبّكِ فعلاً... لما انتظر كما قلتُ لك... بل اندفع إليك مصمّماً على إقناعكِ على عدم الخوض في غياهب الأمواج المتلاطمة التي قد تغرقكِ حتى لو قرّر إنقاذك هو السباح الماهر!... لقد أراد فقط أن يستعيد ثقّتك الضائعة به كونه أنقذك وانتشلك من الموت... ذلك أقوى برهاناً وأجلّه على أنّ غايته الحقيقية من ذلك تختلف تماماً عما أراد أن يثبتته لك من عاطفةٍ دفعته لإنقاذك.... أراد أن تُحبّيه وتثقي به.... لا أنّه يُحبّكِ حقاً... هذا تماماً ما أقصده عن اعتراف الكذب... لقد اختار الوقت المناسب الذي يضخّم فيه شعوره "الزائف" نخوك.... فإنقاذ الإنسان من الموت المحتم... أعظمُ عملاً في نظر الآخرين من مجرد كلماتٍ يستخدمها للإقناع عن الرجوع عن الخطوة الأولى للموت!.. من هذا الموقف... علمتُ أنّه شخصٌ محترّف في الخداع وماكرٌ في التخطيط!..

قالت سينا مفكّرةً بعمق:

- هذا صحيح.... ربّما لو لم نلتقي قبل ذلك الوقت في الحديقة حيث لقائنا الأول في هاواي - وقتها أبديتُ بعض القسوة التي وشت ببغضي له - لما



هُرَعُ أساساً لِإِنْقَازِي... بل اسْتَغَلَّ ذَلِكَ رَبِّمَا لِلتَّخَلُّصِ مِنِّي إِذْ أَنَّهُ لَمْ يُمَنَّ بِلِقَاءٍ مَعِي يَكْشِفُ لَهُ انْطِبَاعِي وَشُعُورِي نَحْوَهُ!... إِلَّا أَنَّهُ وَبَعْدَ أَنْ رَأَى مِنِّي مَا رَأَى مِنْ نَفُورٍ وَضَغِينَةٍ... خَافَ أَنْ تَنْقُذَنِي أَنْتِ وَتَتَفَلَّتْ مِنْ يَدِهِ فَرَصَةً ثَمِينَةً يُثَبِّتُ لِي مِنْ خِلَالِهَا نَيْتَهُ الْحَسَنَةَ حَيْثُ أَنَّهُ لَرَبِّمَا تَجْمَعُنَا الْمَصَادِفَاتُ وَبَعْضُ الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ يَحْتَاجُ فِيهَا دَعْمًا مِنِّي... لِذَا كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِعَمَلِيَّةِ الْإِنْقَازِ تِلْكَ... تَمَامًا كَمَا قُلْتُ... شُعُورُهُ الزَّائِفُ الْمُضْخَمُ... يَاااه... أَجْدُ نَفْسِي دَائِمًا... مُنْبَهَرَةً فِي حِجْمِ حَيْلِهِ النَّفْسِيَّةِ الْبَغِيضَةِ!!... ذَلِكَ الزَّرْجَسِيُّ الْمُحْتَالُ!

- وَالْآنَ... أَخْبِرْنِي أَنْتِ عَمَّا تَعْلَمِينَ عَنْهُ...

- عَدَنِي إِلَّا تَضْحَكُ....

- بِشَرَطِ إِلَّا تُضْحِكُنِي....

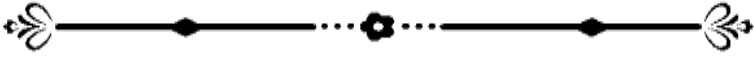
- كَانَ عُرْفَانُ طَبِيبًا فِي قِسْمِ الْجِرَاحَةِ الْعَيْنِيَّةِ... عُرِفَ عُرْفَانُ فِي مُسْتَشْفَيَاتِ الْمَدِينَةِ أَنَّهُ طَبِيبٌ سَيِّئٌ حَيْثُ لَمْ يَنْجَحْ فِي آيَةِ فَرَصَةٍ حَقَّ لَهُ التَّقَدُّمُ فِيهَا لِلَامْتِحَانِ النَّهَائِيِّ... فَقَرَّرَ الْعَمَلَ فِي قَرْيَتِهِ النَّائِيَةِ حَيْثُ يَمْتَلِكُ أَهْلُهَا مِنَ الثَّرَوَاتِ مَا يَدْرٍ عَلَيْهِمْ نَقُودًا فَاحِشَةً إِذْ اسْتَحْدَثَ عِيَادَةً وَاضِعًا فَوْقَ بَابِهَا لَوْحَةً عَظِيمَةً عَلَيْهَا اسْمُهُ وَاخْتِصَاصُهُ - غَيْرِ الْمَنْجَزِ بِالتَّأَكِيدِ - وَقَامَ الْمَرْضَى الْبَدَائِيُّونَ بِالتَّهَافُتِ إِلَيْهِ.... حَيْثُ سَاعَدَ أُسْلُوبُهُ اللَّطِيفُ وَثَقَّتْهُ الْعَالِيَةُ عَلَى جَذْبِهِمْ بِقَصْدِ الْعِلَاجِ...

- لكن... كيف كان يجري عمليّاته الجراحية عليهم دون خبرة أو معرفة؟! أبلغت به الجرأة أن يغامر بأعين الناس؟... ماذا لو أُصيب أحدهم بفقدان البصر؟!

ضحكت سينا ثم قالت بعد أن رُشفت آخر ما تبقى من العصير:
- ما تقوله صحيح... إنّ عرفان أخبثُ من أن يجازف بسمعته المهنية بهذه الطريقة... لا سيّما وأنّه الطبيب غير الحائز على شهادة الاختصاص... لقد كان يذهب بمرضى الجراحة ويسافر بهم إلى المدينة حيث كانوا يقدرّون تفانيه وحرصه على إنجاز عمليّاتهم في مشافٍ متقدّمة وأجهزة متطورة كثيراً عما هو متوقّـر في القرية التي يعمل فيها... الخطأ الوحيد الذي يسمح لنفسه بارتكابه هو الخطأ في التشخيص.. الذي سرعان ما يمكن تصحيحه بتغيير نوع القطرات العينية والأدوية بعد استشارة طبيبٍ آخر... أصلاً أكثر العمليات تُنجز بواسطة أجهزة الليزر المحدّثة وما شابهها.
- لا أقصد الأجهزة والأدوات... أعني... حتى الجهاز المتطور يتطلّب معرفةً وأيدٍ خبيرة...

- اممم... صحيح... في الواقع.. كان عرفان يوهم المريض أنّه الطبيب الذي يُجري العملية الجراحية... لكنّ أحداً آخر كان يقوم بهذه المهمّة... ضحك أسامة لشدة ذهوله قائلاً:

- كيف ذلك وأغلبُ المرضى يتمّ تخدير أعينهم موضعياً...؟!



- الأمر بسيط جداً.... تخيل معي.... المريض مستلقٍ وإحدى عينيه مغطاةً بشاشةٍ جراحيةٍ تكشف فقط العين التي سيتم إجراء العملية عليها... هذه العين مفتوحة الجفنين قسرياً بواسطة أداة فتح الأجفان وعلى المريض أن يركّز على نقطة الضوء فوقه دون أي حركة.. فمن أين له أن يعرف الشخص الحقيقي الذي يعمل على عينه؟!... لقد كان عرفان يجري صفقاتٍ مع أشخاص آخرين متمكنين من الجراحة العينية كالفنيين وأصحاب مراكز جراحة الليزر الخبراء في بعض الإجراءات الجراحية... وربما بعض الأطباء الذين لا يكثرثون لأسلوبٍ مشبوهٍ طالما أنّ المريض يحظى في النهاية بنتيجة مرضية.... فالمصالح المشتركة محققة في النهاية دون أي خللٍ في مصلحة أحد على حساب أحدٍ آخر.... المهم هو تحصيل ثرواتٍ طائلة من مرضى تلك القرية مسقط رأس عرفان...

- يا له من شخص!... ألم يحرض أحد الجهات المسؤولة عن ذلك على طريقه الملتوية التي يسلكها؟!

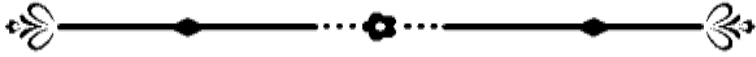
- قل لي.... من سيُحرض عليه؟!... الأمر لا يتوقف على عرفان وحسب... بل على جميع من يتواطأ معه من أطباء وفنيين حتى أولئك الأطباء النزيهون... على الرغم من عدم تقبلهم مثل هذه الأساليب... لن يصبّ في مصلحتهم إيقاع البغضاء والمشاحنة بينهم وبين زملائهم - المتواطئين - مكتفين فقط ببعض عبارات التندر والاستهزاء محورها عرفان نفسه وليس من يداريه.... لكن.... يبدو أنّه وقع في النهاية ما جعلني أصادفه هنا...

- لهذا السبب كنت تستغربين اختصاصه المختلف تماماً عن اختصاصه السابق!

- أريد أن أعرف فقط سبب اختياره الصحة السلوكية وعلم النفس! لفتت الشاشة العملاقة القابعة على زاوية الشارع انتباه أسامة وسينا حين أعلنت المذيعة فيها عن أخبار الساعة قائلةً بعد إلقاء تحية المساء:

- ويؤسفني أن أعلن لكم خبر وفاة رئيس المحكمة العليا في هاواي السيد مارك براون بعد صراعٍ مع المرض نتيجة رفضه البات خضوعه للعمل الجراحي الضروري لإنقاذ رئته المصابة بكتلةٍ سرطانيةٍ حيث نوّه الأطباء بأنه كان من الممكن أن يعيش وبصحةٍ جيدة لو أنه خضع لها... إلا أنّ خشية إصابته بالهذيان المديد التالي للجراحة... حال دون ذلك.. فكانت حياته الثمن.... وإلى أن يتمّ تعيين قاضٍ بديلٍ فقد ناب السيّد كيانو كما عنه مستلماً مهامه وصلاحيّاته ابتداءً من صباح اليوم... قال أسامة مستغرباً:

- هذا الرجل كيانو كما... إنّه مريضٌ مقيمي الأعلى... قام بإجراء عمليةٍ جراحيةٍ في ساقه اليسرى... منذ أقلّ من شهر.. تابعت سينا الشاشة العملاقة وهي تعرضُ الرجل الذي يستعدّ لتوليّ منصبه محاطاً بكاميرات التصوير ورجال الإعلام والصحافة ثم قالت:



- إنه بخير تماماً... وإع وصاح للزمان والمكان... ببساطة لم يُصب بالهذيان
المديد التالي للجراحة.... (ثم نظرت نحو أسامة باهتمام).. كيف تفسّر
ذلك؟!

حرك أسامة رأسه يمنة ويسرة عاجزاً عن التفسير... ثم قال متردداً:
- إنه من المرضى القلائل الناجين من هذا الاضطراب... هل يُعقل أن
جسده استجاب للدواء المثبط للأستيل كولين إستيراز المعدّل بهذه المثالية
الفائقة؟!

- هذا مستحيل.... لم يسجل الدواء فعاليةً مثاليةً على المرضى... بل خفف
إلى حدٍّ ما من أعراض الهذيان المديد.... إنَّ أفضلَ المرضى المعالجين بهذا
العقار لن يستطيع أن يواصل العمل بمهنيةٍ كما كان قبلاً... هذا الرجل... لم
يُصبْ بالهذيان أبداً....!...إنَّه من المرضى الناجين الذين سجّلهم مركز
الأبحاث النفسية.... حيث أكّد على أنَّ أغلب المعرّضين للجراحة قد أُصيبوا
بهذا الاضطراب... وليس جميعهم.... لكن... ما التفسير؟!

- ها هما مايكل وسام...
كانت سام تمشي بخطواتٍ سريعةٍ برفقة مايكل وهما يتوجّهان نحو
الصديقين، فتساءلت سينا مستفسرةً عن ابتسامة سام المتّقدة ونظراتها
الملتّهية:

- ما الأخبار؟!

قالت سام بصوتٍ متوتر:

- لقد كان المفتاح لأحد صناديق الأمانات في بنك بيرل هاواي.... وسمحت
نينا لي فقط بتولي أمر ما بداخله إن حصل ما يمنعها عن ذلك!
- حسناً...

- هاتفها... ها هو ذا...

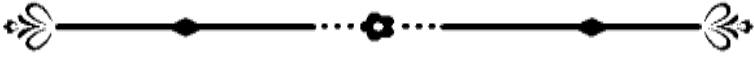
تبادل أسامة وسينا نظراتهما عندما أگدا أنّ هاتفها كان موجوداً في جيب
ثوبها في أثناء فحص مسرح الجريمة فقال مايكل مصحّحاً لهما:
- كلا... هذا هو هاتفها... إنها تستخدمه منذ فترةٍ طويلة...
قال أسامة:

- هذا يعني أنّها استبدلت هاتفها الجديد بهذا لتخفيه عمّن قد يحصل عليه
باستثناء سام... لهذا وجد المحقق مكالماتٍ في آخر يومين فقط.... والآن
دعونا نر ما بداخله...

أعادت سام تشغيل الهاتف المغلق، وبدأت بالبحث داخله عمّا يفيد فطلبت
سينا أن تفتح ملف الملاحظات عسى أن تكون نينا قد تركت فيه مدوّنةً
ما...

فخفق قلبُ سام لدى رؤيتها عنواناً لآخر مدوّنة...

"إلى سام... وبما أنّك قد اطلعتِ على رسالتي هذه فهذا يعني أنّي فقدت
حياتي التي بتّ لا أهتم لها بقدر اهتمامي بما اطلعتُ عليه في مركز الأبحاث
النفسية على فوهة مخروط "دايموند هيد"



تَوَقَّعتُ من عرفان أن يقضي عليّ فور معرفته بأمر افتضاح شيءٍ من الأسرار الكارثية... وحتى هذه اللحظة لا أعرف ما يضمّره في الحقيقة تجاهي... إنّه يحومُ حولي كثيراً ويتودّدُ إليّ... وحاول إقناعي بأشياء لما رأيته في تقارير مركز الأبحاث لكنني لم أصدق شيئاً مما قال... بل أوهمته باقتناعي التام... ولا أعلم إن صدّقني أو لا...

في هذا الهاتف عدّة صورٍ لتقارير كانت في مصنّفٍ خاصٍّ بالذراع الالكترونية جاكو في مكتب عرفان... اضطررت لإخفائه بعد أن أصرّ عرفان على ضرورة إتلاف الصور خشية أن يكون انتشارها ذا تأثيرٍ سيئٍ على المجتمع...! وبالتأكيد... لم أصدق ذلك... لكنني أكدت له أنني ألتفت الهاتف مع الصور دفعني لذلك حرصي على سلامة سكان الجزيرة... لقد زرتُ مخروط "دايموند هيد" كما تعلمين للاطمئنان على فُريد... وليتني لم أفعل... لكن لا بأس في التضحية بحياتي مقابل إنقاذ مئات الألوف من البشر!

على فوّهة ذاك المخروط ثلاثة مبانٍ سريةٍ مرعبة... وفي زيارتي القصيرة تلك... استنتجتُ أنّ ثمة ما يحاك هناك... لكنني لم أستطع الحصول على ما يكفي من الأدلّة إلا بضعة صورٍ لتقارير عن الذراع جاكو موجودةٍ في معرض الصور على هذا الهاتف... إنّ لجاكو قوًى خارقةً قادرةً على سحق العظام البشرية وتهشيم مواد قاسية جداً... هذا فقط ما استطعتُ الحصول عليه من معلومات... لربّما تحوي التقارير على معلوماتٍ تفصيليّةٍ أكثر.....

أرجو ألا يضطرّ أحدٌ غيري لاسترجاع هذا الهاتف... انتهى... وداعاً عزيزتي سام"

وضعت سام يدها على فمها محاولةً إسكات صوت بكائها المرتفع ثم قالت بصوتٍ متقطع:

- كانت... تخشى الموت... لقد ضحّت بحياتها... مقابل بضعة صور

قال مايكل بحزنٍ بالغ:

- إنّ ما قامت به عملٌ عظيم.... يا لقسوة الموقف!

قالت سينا بنفاد صبر:

- افتحي لنا معرض الصور يا سام....

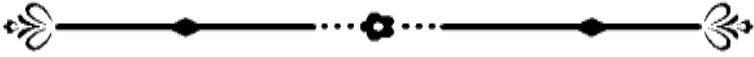
سلّمت سام الهاتف باكيةً لسينا غير قادرةٍ على التماسك فطلب منها مايكل الجلوس في السيارة، وبقي الثلاثة واقفين يطلعون على خمس صورٍ لخمسة تقارير، أربعةٌ منها تصف مقدار القوّة المستخدمة من قبل صاحب الذراع والمادة التي طُبّقت عليه القوة... ثمّ وفي نهاية التقرير تمّ وصف حالة الصمام الوريدي...

صاح أسامة بصوتٍ مكبوتٍ ضارباً بكفّه على السيّارة:

- أخبرتكم... قلتُ لكم إنّ ثمة ما يريب لدى تغذية الذراع بدم المريض...

صاح مايكل غاضباً:

- أبعد يدك عن سيّارتي...



لكنّ سينا بدت حائرة ومتوتّرة إذ فكّرت قائلةً بصوتٍ عميق:

- هذا مرعب.... لقد أوقعتنا نينا ببئرٍ عميقٍ من المسائل المعقّدة!... ماذا علينا أن نفعل؟!... هل نخبر المحقق المسؤول عن قضية الانتحار ونسلّم الأمر برمّته لقسم شرطة "هونولولو"؟

قال أسامة نافياً:

- لن يصدّقوننا.... فما أسهل اختلاق صورٍ لتقارير كهذه الصور باستخدام أقلّ البرامج الحاسوبية بدائيةً... إنّ نينا نفسها فكّرت في ذلك... اقترح مايكل:

- ماذا لو لجأنا للإعلام؟... ربّما لو أثّرنا ضجّةً إعلاميّةً ستُجبر الجهات المختصة على التحقيق في الأمر..

ابتسمت سينا:

- الإعلام؟!.... فكرةٌ جيّدةٌ لو لم تلقِ المراسلة سارة مصرعها مع زميلها لسقوطهما على سفح مخروط "دايموند هيد" دون أن يُعثر على جُثّتيهما بعد!... لن يغامر أحدٌ من العاملين في مجال الإعلام لتغطية ما يحدث هناك بعدما حصل للمراسلين!... لقد قالت نينا في رسالتها إنّ ثمة ما يُحاك هناك.... هذا يعني أنّ موت المراسلة أمرٌ مشكوكٌ فيه.... ربّما اكتشفت سرّاً خطيراً فتّم التخلص منها بطريقة أشبه ما يكون بتردّ عَرَضِيٍّ كانزلاق قدمها مثلاً على أحد منحدرات المخروط القاسية...

تنقلت نظرات سينا التائهة بين الناس السائرين في الشارع والشاشة العملاقة التي عرضت آخر الأخبار عما يثبت أن بعضاً من البشر لم يتأثروا بالهذيان المديد.. ثم أعادت النظر في هاتف نينا الحاوي على معلومات خطيرة جداً عن الذراع جاكو... معيدة التفكير في طريقة قتلها لتبدو بطريقة انتحارية احترافية!

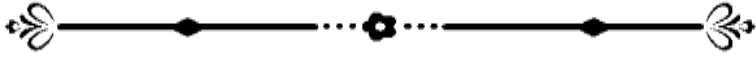
أسبلت سينا يدها بيأس ناظرةً إلى سام بطرف عينيها من خلال نافذة السيارة متأثرةً بما أصابها من حالة انهيار تام نتيجة الصدمات القوية التي منيت بها في الآونة الأخيرة...

تنهدت سينا بعمق زافرةً كل ما ترسب في أعماقها من ضيق وقلق.. الأمر صعب...! إن لم يكن مستحيلاً... من تكون سينا لتستطيع فكّ كل هذه العقد المرعبة؟!

لم يبد لها أسامة غير مكترث -كعاداته- بكامل القضية! ومايكل بدا عازماً على الأخذ بثأر نينا وسام..

أما سينا... فلم تعلم بعد الدافع الذي يقودها للمخاطرة.. انتشلها صوت أسامة من دوامة أفكارها قائلاً:

- ألا ترين أنها الفرصة المناسبة للإيقاع بعرفان؟!



- كيف سنوقع به؟!.... ومن أين سنبدأ؟!... لا تنس أننا نواجه منظماتٍ سفّاحة... الأمر مخيف..! (ثم حرّكت رأسها بنفي متراجعة...) لن... نستطيع...!

ابتسم أسامة:

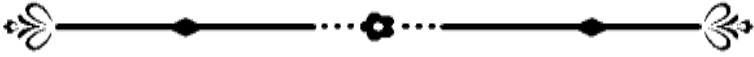
- أظن أن معدّل ذكائك يسمح بالمجازفة... كما أنني لا أقلّ ذكاءً منك.. لنعمل معاً على كشف ثغراتهم واستغلالها... قال مايكل بصوتٍ حائق:

- بغضّ النظر عن موضوع الذكاء هذا... لكنني لن يغمر لي جفنٌ حتّى أذيق عرفان ما أذاقه لدينا العزيزة... أوأما أسامة برأسه مجيباً:

- تماماً... طرف الخيط الذي سنبدأ به هو عرفان... قالت سينا وقد حزمت أمرها:

- لا أصدّق أنّ الأمر قد وصل به إلى حدّ القتل... عليه أن يدفع ثمن فعلته..... اسمعوني يا أصدقاء... أولاً وقبل كلّ شيء... علينا أن نجتمع في مكانٍ بعيدٍ قليلاً عن محطّ أنظاره الخبيثة... وليكن مثلاً في مركز طبابة هونولولو... أستطيع الحصول على غرفةٍ لأحد الأطباء الشرعيّين هناك... إنّ الطبابة لا تبعدُ كثيراً عن المشفى... عشر دقائق فقط سيراً على الأقدام... هذا أولاً... ثانياً... (ثم فتحت باب السيارة مخاطبةً سام الباكية) دموعكِ لن تفيد نينا في شيء... معكِ يومٌ واحدٌ فقط... انهاري به كيفما تشائين.... (ثمّ

جلست بجانبها حاضنةً رأسها)... بعد ذلك عليك أن تتماسكي وتفكرى
معنا جيداً بخطةٍ لإكمال ما بدأته نينا... أقسم أنني سأنتقم لك وللعمة...
أقسم أنني لن أخرج من هذه الجزيرة قبل قضائي على عرفان واكتشافي كل
شيء...



الفصل السابع عشر

(دايموند هيد)

كان عرفان واقفاً أمام المرأة الطويلة متفحّصاً شكله بعد ارتدائه ثياب العمل الرسمية، وهو يقوم بزرّ أزرار كُتي قميصه الأبيض في بيته الذي ساده نظام البيوت الهاوائية العريقة الواقع في حيّ "كاهالا Kahala" الفاخر قريباً من مخروط "دايموند هيد"..

ابتسم متفحّصاً وجهه ذي الملامح العفوية المريحة والتي أتقنت دورها في إبراز شخصية رزينة ولبقة تبعث على الاطمئنان لدى أيّ شخص يصادفه... إنّ شكله هكذا وهو واقف جامد، يمنح المثالية شرفاً عندما يصفُ بها نفسه - في نظره على الأقل -... لكنها سرعان ما تتلاشى عنه عندما يخطو خطوة واحدة فقط بقدميه المختلفتين في الطول... فتحلّ محلّها مشاعر السخط والخذلان، تدفعه لتحقيق المزيد من إنجازاته مفكراً بخطط ذكيّة تصبّ في مصلحته الشخصية هو... وليس أيّ أحدٍ آخر!!

لم يكن قدومه لهاواي مجرد مصادفة... ولم يكن اختياره اختصاص الصحة النفسية عبثاً... فقد مضى على وجوده على جزيرة "أواهو" عدّة سنوات استغرق أولها في إجادة اللغة الهاوائية الأصلية والتمكّن من مخالطة شعبها الأصلي دون أيّ عرقٍ آخر على الجزيرة.. فاستهوته فكرة استنكار بعض

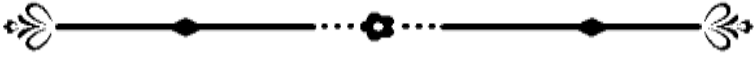
الهاوائيين للولايات المتحدة الأمريكية واتخاذ أرخبيل "هاواي" مكاناً مثالياً للسياحة يقصده السياح من جميع أنحاء العالم غير مكترئين لقدسيّة بعض الأماكن وأهميّتها العظمى لدى شعب "هاواي" الأصلي ذي الأرض المستحلّة والحكم الملكي المطاح به!

تمسّ عرفان لهذا الشرخ السياسيّ الشعبي العميق الذي ولّد لدى الهاوائيين حقداً دفيناً عدّه عرفان فتيلاً مشبّعاً بالبززين يحتاج إلى من يقدحه بشرارة..

وعلى عرفان أن يساهم بقدح هذه الشرارة متناسياً حالة قدمه التي قصد من أجلها هاواي وشركة ميغا المتطورة - تحديداً - لتدبير علاج مهنيّ دائم تخلّصه من عقدة النقص التي مُني بها وحالت دون قدرته على العيش بسلامٍ داخليٍّ وأمانٍ عميقٍ هانئٍ يُسلمه لحالة التصالح مع الذات قبل أن يتصالح حقيقةً في علاقته الدفينة مع الآخرين....

لا ينكر عرفان شخصيّته النرجسية المتأصلة بأنواعها في داخله... ولم يسعّ أساساً للتخلّص من طباعها الأنانيّة المؤذية إذ عدّها سلاحه الخفيّ يعاجل به الآخرين قبل أن يوجّهوا إليه ضرباتهم المتمثلة بنظراتهم اللاذعة وتعاطفهم الكاذب..

فما أجمل من بثّهم ما ينشغلون به في شخصيّته صارفين نظره بعيداً عن عاهته مركّزين على الجوانب الأخرى التي يريد - هو - أن يركّزوا عليها



كطفه وجاذبيته وأسلوب كلامه الذي المشبع بالإقناع والحبّ والعطف المتقن بزيفه...

تماماً كما فعل مع نينا التي لم تجد سوى الانتحار طريقةً تخلصها من عذاب قلبها وجلد ضميرها من خلال تأثرها بكلام "صديقها عرفان" الذي سمّم به روحها..

فما أسهل ولا أحلى من تنمية عقدة الذنب لديها حين لم تستطع حماية ابن أخيها الوحيد من التورط في عملٍ مشبوهٍ في مكانٍ خطيرٍ كفوهة "دايموند هيد" حيث وافقها في عملية إخفاء هاتفها في أحد صناديق الودائع في بنك "بيرل هاواي" وفي داخله الصور التي التقطتها لتقارير مصنف ذراع "جاكو JAKO" في مكتبه..

لم تستطع نينا في ذلك الوقت إخفاء دهشتها واستغرابها من إملائه ما عليها كتابته في مدوّنة الملاحظات والتصريح بأنّ عرفان لديه ما يخفيه من محظّطٍ لا تعلم عن حقيقته شيئاً...!

لكنّها في النهاية سلّمت بأنّها لن تصلح للعيش على هذه الحال، إذ لم تحتمل الحياة بعيداً عن فريدريك بأيّ شكلٍ من الأشكال، لما يسرّب إليها عرفان من معلوماتٍ تفيد بتوغّل ابن أخيها في المنظّمة أكثر مما سبق.. ما يؤكّد أنّه لا يعزم أبداً على العودة لحياته السابقة..

وعرفان سيتولّى متابعة أمر جاكو من بعدها...! في حال أصابها شكٌّ ضئيلٌ بأنّ ثمة مأربٍ خفيٍّ لعرفان سيحقّقه انتحارها..

ابتسم عرفان ضاحكاً فأعجب بضحكته المنعكسة على صفحة المرأة الطويلة حيث تذكّر كم السهولة التي استطاع فيها إزهاق روح نينا دون حاجته لتلوّث يديه بدمها بطريقةٍ يعجز عنها الكثيرون! رغم ذلك...

فقد ماتت نينا قلقَةً على عرفان !

كان كلّ شيءٍ صادقاً..

رسالة الانتحار..

تقارير جاكو

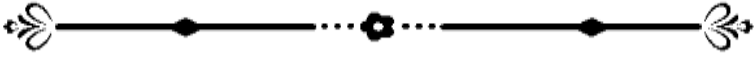
ومدوّنة الملاحظات في هاتفها المخبّأ!

إلا شيئاً واحداً فقط.....

شيفرة أحرف اسمه المرتبطة مع أيام شهر آب..!

في تلك الليلة القمرية الصافية حين أخضعها لجلسة المعالجة النفسية الأخيرة في بيتها، واكتمل مخزون اقتناعها التام بأنّها السبب أولاً وآخرًا في عدم قدرتها على احتواء ابن أخيها الذي هرب منها مشمئزاً من طريقة الحياة التي لم تناسبه

- مكتملاً من مداراته لها - عازمت على إنهاء حياتها بأسهل طريقة وأسرعها إزهاقاً للروح... وهي الشنق بواسطة الحبل ذي العقدة المنزقة، حين اختاراً معاً السلك الكهربائي الطويل وعلمها تشكيل العقدة لتنزلق تأثراً بثقلها مشكّلةً طوقاً يطبقُ على كامل عنقها ما سيرفع من احتمال موتها



السريع بواسطة الضغط على منطقة الجيب السباتي في العنق وما يتبعه من توقّف مفاجئ في القلب في عملية أقلّها عذاباً وأسرعها موتاً؛ إنّ أحداً من عناصر الشرطة لن يكثرث لأحرف اسمه المرتبطة مع أرقام أيام شهر آب، بل ولن يبذل المحققون جهداً أكبر لمجرّد تأكيد الطبيب الشرعي بأنّ العملية كانت انتحاراً ولا يد للجريمة فيها؛ ومفتاح "بيرل هاواي" من خلاله فقط سيعرف إن كانت سام وأصدقائها قد انتبهوا لما تركته نينا في مسرح الجريمة وما يليه من تربّصهم به أم أنّهم سلّموا بانتحارها وبخلوّ بيتها ممّا يريب...

وطالما أنّه قد مرّ أكثر من أسبوعين على عدم حصولهم على الهاتف، فهذا يعني أنّه قد نجح في التخلص من تلك المتطفلة نينا بأكثر عملية نظيفة وبارعة، حيث كان انتحارها نابعاً من قناعة تامّة بأنّ عليها أن تموت حين فقدت كلّ معنى من معاني حياتها..!

استقلّ عرفان سيّارته متوجّهاً إلى مركز الأبحاث النفسية على فوهة المخروط "دايموند هيد"، نظر إلى الساعة الرقمية في السيارة فوجد أنّ الوقت ما زال باكراً... وربّما يكتشف شيئاً جديداً هناك كما اكتشف المصعد العميق الذي يؤدي إلى قعر المخروط... هناك حيث تحدث الكثير من الأمور المثيرة! كم كان مستمتعاً حين اكتشف هذا المصعد الواقع في آخر الممر الشمالي الضيق للبناء ونزل به لمدّة دقيقتين إلى أعرق نقطة..

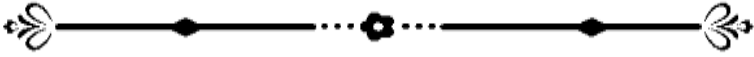
وحين فُتح الباب عن صالةٍ مربعةٍ فيها ثلاثة أبوابٍ ومصعدين آخرين، قرّر عدم التحرك من مكانه لئلا تفضحه قدمه إن خطا وحصل كشفه بواسطة كاميرات المراقبة التي لا بدّ أنّها راصدة المكان.

رفع عرفان صوت المذياع عن أغنية إيطاليةٍ وصار يغني معها... *l'asciatemi cantare* وهو يدقّ بيديه بحفّةٍ على مقود السيارة بما يناسب إيقاع الأغنية شاعراً بالزهو والانتعاش مستنشقاّ عبق المحيط على طريق "دايموند هيد".

استغرق طريقه ثلاثون دقيقة قائدًا سيارته بأدنى سرعةٍ لها ثمّ رصفها في موقف السيّارات الخاص بالمنظمة الأمنية وترجّل منها متوجّهاً إلى المبنى.. سمع صوت موظّف الأمن القابع في كابينته قائلاً له بصوتٍ زاجر:
- مبنّاك من هناك....

- دعه يا إكّس... (قالت جنيفر وهي ترقبُ ما يحدثُ من نافذة مكتبها)
ابتسم عرفان لها من مكانه قائلاً:
- صباح الخير يا سيّدي..

توارت جنيفر عن النافذة منتظرةً قدوم عرفان لمكتبها.. مضت عدّة دقائق ولم يظهر عرفان بعد!
فاتّصلت بموظّف البوابة لتستعلم عن عرفان، لكنّ الموظّف أخبرها بأنّه عاد أدراجه مغادراً المكان!



ابتسمت جنيفر بغيظٍ اكتسح أعصابها، ولم تحتمل فأطلقت ضحكةً عاليةً
لمدى جراءة هذا الطبيب الماكر ووقاحته...

لقد كان عليها النزول مجدداً إلى ذلك المربع الناري للتأكد من عدم
تلاعب فريدريك بعد فاجعته بموت عمته، حيث استغرقت جنيفر عدة
أيامٍ اضطرت فيها لاحتجازه بعد خضوعه للتحقيق لدى قسم شرطة
هونولولو خشية إفساده العمل... بل كل شيءٍ عندما فقد عقله لدى وروده
خبر انتحار عمته في ليلة انتحارها!!

كما أنها لاقت صعوبةً بالغةً وهي تحاول أن تعيد لفريدريك هدوءه واتزانَه
قبل أن يرتكب خطأً يدينه قبل أن يدين أي أحدٍ آخر...

- لماذا قتلتها وتعلمين أنني انسلختُ عن حياتي السابقة؟!... لماذا فعلتِ
ذلك؟! (كان فريدريك يصرخ مهتاجاً وهو يحاول التخلص من قيد رجلين
من الأمن وهما يثبتانه بقوة)

- قلت لك... لسنا المسؤولين عن قتلها!... كما أنني ملتزمةٌ معك
بوعودي...

أحسّت جنيفر بأن الأمور قد تعقدت أكثر بموت عمّة فريدريك الذي لم
يُسَلَمَ بانتحارها، بل عدّها كذبةً هدفها الضغط عليه... ما جعله يقضي
ليلته المريعة تلك -ليلة انتحار العمّة- وقد تحوّل لشبه وحشٍ ضارٍ وجب
تقييده وسجنه في صالةٍ زجاجيّةٍ عاكسة تشرف على سفح المخروط لعلّه

يتخلص من توتره ويتحرر من ضغط الغضب الذي أناخ عليه وشل مراكز الإدراك في دماغه...

لم يغب عن جينفر الفائدة الإضافية التي ستحققها جراء موت نينا غير المتوقع ومجهول الدوافع! ... وقد تحققت لها وللجنة التوظيف تلك الفائدة التي قدّمها فريدريك نفسه وخفيت عنه!

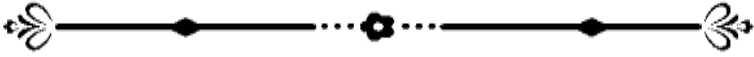
فعاد فريدريك ليتابع ما بدأه، وقد لاحظت جينفر أنه صار هادئاً تماماً ومطيعاً مذعناً لكل ما يُملى عليه.. ما جعلها تخشى الانفجار التالي لهذا الهدوء المرعب!

ولا تعلم المدى الذي سيتمكّن من قطعه على هذه الحال!..
لقد توقّعت من عرفان أن يأتي ويخبرها حقيقة ما حدث...
لكنّه لم يفعل!..

فيا له من شخصٍ غريبٍ محتمل!

....

- لقد زوّدنا إلى الآن ثلاثين مريضاً بذراع جاكو JAKO
(قال السيد ماكاني رئيس شركة ميغا للمستلزمات الطبية وهو يترأس
جلسة الاجتماعات الأسبوعية، مستعرضاً الحالات التي أبدت نجاحاً باهراً
لدى مرضى البتر)



ضمت طاوله الاجتماعات في مبنى الشركة عدة أطباء ومهندسين طبيين بالإضافة لبيكا مدير مركز الأبحاث النفسية وعرفان رئيس قسم الصحة السلوكية في مشفى الملكة..

أبدى بيكا إعجابه لتحسن الحالات النفسية وتجدد حيوتهم لمتابعة حياتهم باستثناء بضعة أشخاص سيقوا للتحقيق لاستخدامهم تلك القوة الخارقة التي زودوا بها، ما أجبر المهندسين المسؤولين على إغلاق الصمام الوريدي الخاص بأذرعهم مانعين بذلك مفتاح القوة من الدوران..
قال أحد المهندسين الطبيين:

- أحدهم في ماليزيا من أصل هاواي... صارع كثيراً ليقنع المحققين بأن ذراع جاكو هي السبب في سحق رأس الرضيع... وعندما حاول استخدامها مرة أخرى لإثباته الأمر... كان الصمام قد أغلق ما جرد الذراع من قوتها! ردّ ماكاني مومئاً برأسه:

- إنّ عدم إدراك المريض لحقيقة الذراع وقر علينا الشبهات..
- أدركها بالتأكيد... لكنّه دخل في حالة صدمة كونه لم يستطع أن يعيد الكرة... لا تنس أنّه ارتكب جريمة قتل بحق طفل... ومهما بلغت التحقيقات من دقة وتحليل عالين... لن يكتشفوا أنّ جاكو على علاقة بها... الدم والعواطف والانفعالات كلّها تعمل على تفعيل تلك القوة الخارقة... وربما أراد المريض لمس وجه الرضيع متأثراً ببراءته وأراد أن يتحسّسه فتمّ ترجمة ذلك لتطبيق قوة الضغط إلى درجة معيّنة توقفت

عندها الحساسات لدى فقدان المقاومة العظمية وحصول عدّة كسورٍ مشتركةٍ في الجمجمة أدّت للموت السريع... ربّما علينا أن نغلق الصمام دائماً يا سيّدي...

- لا يمكن... بل يجب أن يعلم المريض أنّ بحوزته طاقةٌ يتطلّب استخدامها في وقتٍ ما... مهما كانت صدمة المريض قويّةً عليه... لن ينسى يوماً أنّه امتلك من القوّة ما يتجاوز عشرة الآلاف نيوتن سيسيطر عليها ويوظفها بالطريقة الملائمة

- سيّدي.... (ثمّ قلب التقارير بين يديه وهو تفحصها)... هناك ثمانية أشخاصٍ زجّ بهم في السجن..
قال بيكا مبتسماً:

- وماذا في ذلك؟!.... لن يُصدّق أحدٌ أنّ اليد الالكترونيّة هي السبب... ما سيفضي في النهاية للإفراج عنهم..
قال أحدُ الحاضرين مؤمناً على كلام بيكا:

- هذا صحيح... لقد أُفُرج عن مريض JAKO 7389 في جزيرة "كاواي" عندما قرّر القاضي إسقاط التهمة عنه... (ثمّ قرأ التقرير)... ذكر هنا أنّ الضحية عانت من كسورٍ في عظام الكفّ الأيمن لدى مصافحتها لكفّ الذراع جاكو... كانت الضحية امرأةً ومريضُ الذراع شاباً في العقد الثالث من العمر... (ثمّ نظر نحو بيكا)... أرجّح أنّ عواطفه المتأجّجة والتي تندرج تحت مسمّى الحب قد فعّلت قوّة الذراع ربّما، عندما أراد أن يتحسّس يدها

أكثر مختبراً ما تجوده الحساسات من إشاراتٍ إلى الأعصاب الحسية ما أدى لتطبيق قوة ضغطٍ هيدروليكيٍّ لن تتوقف ما لم تلتقط حسّاسات الضغط خلافاً في المقاومة ما يعني الكسر الصريح... (ثم تابع القراءة)... أفرج عن المريض بعد إسقاط الضحية تهمتها والتأكد من خلال مراقبة حثيثة لذراع المريض الاصطناعية استغرقت شهراً كاملاً دون ملاحظة أية قوة خارقة مريبة كون الصمام قد أغلق... حينها اقتنع القاضي بأن ما حصل مجرد خطأٍ تكتيكيٍّ لسوء استخدام المريض للذراع دقيقة التصميم... وعلل بعض أطباء لجنة الفحص الشرعي أنّ أقطاب الذراع الالكترونية قد ضخمت الإشارات العصبية المحركة بشكلٍ شاذ... ما أدى لتطبيق قوى تفوق القدرة البشرية على التطبيق أو التحمل... مؤكدين بأن الأمر قد حدث مرةً ولن يتكرر... تماماً كهذا المخروط البركاني الذي نحن عليه الآن..... سيدي... تلقينا حتى الآن ست رسائل من ذوي المزودين بجاكو أعربوا فيها عن استيائهم من الالتباس بتصميم الذراع الذي أودى بمرضى البتر إلى التحقيق والقضاء!!... استطعنا تجاوز بعض القضايا بمبالغ التعويض المالية التي قدّمها ميغا!

أوما ماكاني برأسه قائلاً:

- هنا يكمن دور الصمام... عدم تكرار القوة بأي شكلٍ من أشكال التحريض...

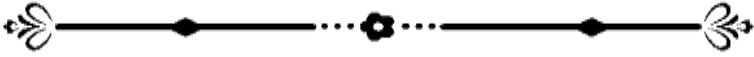
- بعض المرضى الذين اختبروا قوّة الذراع على أشياء ماديّة غير عضوية... لم نقرّر بعد... هل نغلق صمّاماتهم أم نبقّيها مفتوحةً إلى أن يحصل الضرر العضوي؟!

- اممم... لقد انتهينا من نقاش هذا الموضوع... أخبرتكم أنّ الصمّامات لن تُغلق قبل اختبار قوّة الذراع على الجنس البشري حصراً... لا يزال أماننا وقتٌ معتبرٌ حتى نفتح جميع الصمّامات... كم عددُ المرضى المزوّدين بجاكو بصمّامٍ وريديّ مفتوحٍ إلى الآن؟!
أجاب أحد الحاضرين:

- عشرون
- تمّ هدر مزايا الذراع على عشرين شخص؟!... هذا سيّء... كيف سنُفيدُ منهم هؤلاء؟!
قال عرفان موضحاً:

- هؤلاء درعنا ضدّ الشبهات... ليس في مصلحتنا أن تسجّل جميع أذرع جاكو قوئاً عاليةً من الضغط الهيدروليكيّ الساحق...
- بيكا..... توقّعتُ أن يكون طبيبك العربيّ هذا ذكيّاً!
حدّق بيكا بعرفان قائلاً:

- يمكننا إغلاق الصمام قبل أن يتمكّن المريض من الاستفادة من قوّة جاكو
إن كان هدفنا ضمان عدم الريبة!



ابتسم عرفان وهو يسجّل بعض الملاحظات قائلاً:

- نفسيّاً... الأمر مختلف...

قال ماكاني بغضب:

- نفسيّاً... ركّز على أشياء أكثر أهمية لو سمحت دكتور عرفان!

- برأيك - نفسيّاً - هل ستضمنُ موافقة المرضى على الإفادة من قوى الضغط

العالية المزودين بها وتوظيفها فيما يصبّ في مصلحتك يا سيّدي؟!

أجاب ماكاني بصوتٍ مغتاضٍ هادئ:

- في مصلحتهم هم.... ومصلحة جزيّرتهم المحتلّة...

تابع عرفان تسجيل ملاحظاته مومناً برأسه وقد قرّر الصمت..

قال ماكاني مستفسراً:

- هل من مشاكل.... استفسارات....؟

أجاب أحد المهندسين الطبيّين وهو يتصفّح أحد التقارير:

- إلى الآن... كلّ شيءٍ على ما يرام.... لدينا ثلاثة مرضى ينتظرون حصول

الاندماج العظميّ الكامل للجزء الداخلي لجأكو مع العظم ليتّم تركيب الجزء

الخارجي الوظيفيّ.... أحد هؤلاء ورد إليه - عن طريق أحد مواقع التواصل

الاجتماعيّ - خبر إحالة أحد المزودين بجأكو للقضاء بسبب كسره أصاب

صديقته.... لم أستطع الجزم بمصدر حصوله على الخبر - وهو ينتظر بفارغ

صبره أن يجرب ذلك الشعور... هل نغلق صمّام الذراع فور تزويده بها يا

سيّدي..؟!

أجل ماكاني نظره بين الحاضرين قائلاً:

- تصويت يا سادة..

رفع خمسة أشخاص أيديهم إيجاباً والخمسة الآخرين بمن فيهم بيكا وماكاني

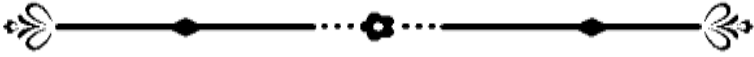
وعرفان صوتوا بـ\لا\

فقال ماكاني:

- أريد تفصيلاً شاملاً عن معلومات هذا المريض..

- اسم المريض ليكون لي عمره سبعة عشر عاماً... هاوأيّ الأصل.. خضع لعملية بترٍ منذ ثلاثة أشهر بسبب أذيةٍ هرسيةٍ في ذراعه الأيمن نتيجة سقوط كتلةٍ من المعادن في معمل والده...

من خلال مختصر عملية البتر واستئصال الكفّ وتُلبّي الساعد تحت المفصل ثم وصل الأعصاب المحركة المتبقية بعد البتر بعضلاتٍ مختلفة بتقنية TMR (إعادة تعصيب العضلات المستهدفة)... تمّ خضوعه بعد ذلك لعملية دمج الجزء الداخلي لجاكو مع العظم منذ أقلّ من شهر.. لوهلية قرّر المندوب إيفاد مقيم السنة الأولى -عربيّ الجنسيّة- المشارك في العملية اسمه أسامة لمتابعة اختصاصه خارج الجزيرة... لكنّ إمساكه عن الإلحاح في السؤال عن إمداد جاكو بدم المريض حال دون ذلك.... وهو المقيم الوحيد الذي انتبه لهذا الأمر بعد آخر مقيم تمّ إيفاده منذ شهرين!... في الواقع.... إنّ امتناع ميغا عن إجراء عمليّات غرسة جاكو خارج هاواي قد أتى ثماره الآن!



أدرك عرفان أنّ سؤال أسامة عن جاكوفي آخر مرة اجتمع فيها مع المقيمين الأربعة قبل ذهابهم لبیت نینا إنّما یقصدُ به السرّ الکا من خلف إجراء المندوب الجراحیّ الغریب، وهو وصل الوريد من خلال صمّامٍ ثنائی الشرف مع الحوجة المرافقة للجزء الداخلي المندمج بالعظم...

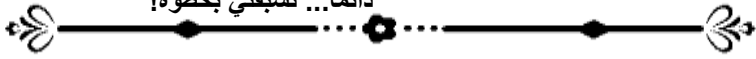
ابتسم عرفان في سرّه عندما تذكّر محاولة سینا صرف نظره عمّا یریب لدى ذكرها أقطاب الذراع الالکترونیّة وليس حقيقة ما انتبه له أسامة! على عرفان زیارة بنک "بیرل هاوای" للتأكد من أنّ ما تركته نینا هناك لا یزال موجوداً وأنّ أحداً من المقيمين الأربعة لم یكترث لرسالة الانتحار التي تحوي خلفها على أحرف اسم عرفان - التي سینتقم ممّن أرفقها بلا ریب- والمفتاح الصغیر الذي یؤدي إلى هاتف نینا حیث مدوّنة الملاحظات وصور التقارير عن سرّ جاکو!

تابع عرفان ماقاله المهندس عن التفاصيل:

- من خلال مراقبة المعالج النفسی للمریض تبین لنا أنّه احتفظ بحماسة لتجربة القوّة السریة لجاکو والتي عدّها هبةً إلهیةً مُنحت لكلّ مریضٍ مُني بعملية البتر... وعليه استغلال هذه القوّة الممنوحة له مرّة واحدة فقط لتحقيق هدفه... (ثمّ صمت المهندس محدّقاً بالجميع)...

فتساءل ماكانی:

- ما هو هدفه..!؟



أجاب المهندس بارتباك واضح:

- هدفه هو... سحق يد والده الذي كان السبب في بتر يد ليكو... هل ما زلتهم
مصرّين على فتح الصمام الوريدي لهذا المريض؟!
ابتسم ماكاني بفخر:

- هدفٌ نبيل....

ضجّت قاعة الاجتماعات بجلبةٍ وتمتماتٍ خافتة..

وحده بيكا أدرك ما يرمي إليه ماكاني فقال:

- لو لم يكن هاوئياً... ما كان هدفاً نبيلاً..

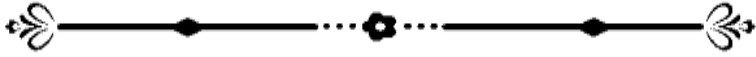
تساءل عرفان بمجديّة بالغة:

- أتريد أن تمنح جاكو للوالد أيضاً؟!... (ثمّ ابتسم باستغرابٍ واضح)...
سيّدي... أنت تحوّل الناس الذين تحرص على مصلحتهم حسب زعمك إلى
رجال سايبورغ²³!!

قاطعته ماكاني قائلاً لبيكا:

- بيكا... على المعالج النفسي للمريض ليكون حذراً ودقيقاً...
ليتمكّن من توظيف انفعالات ليكو في الوقت الصحيح... هذا المريض
بالذات اتركوا صمّام وريده مفتوحاً... وربما سنبدأ به لكشف أسرار جاكو
له كأول مريضٍ مطّلعٍ على كامل المشروع... هل من شيءٍ آخر؟!...

²³ السايبورغ: هو الشخص الذي يحوي في جسده على عضو اصطناعيٍّ أو آلةٍ تقنيّةٍ يتمّ التحكم بها.



أغلق جميع المهندسين مصنفاتهم ثم همّوا بالانصراف وبقي ماكاني وبيكا وعرفان..

فقال بيكا بصوتٍ مضطرب:

- سيكون لدينا مشاكل عدّة يا ماكاني... الإعلام... كيف سنتعامل معه؟!
- ألم تتخلّص من تلك المراسلة المزعجة؟؟... كفى إذاً...
- نعم... تخلّصتُ منها... تقريباً... لكن ماذا لو قرّر أحدهم البحث خلف جاكو؟!

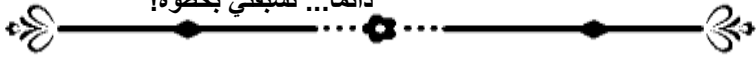
- إنّ تورّع المرضى في أماكن متفرّقة سيقلّل كثيراً من احتمال حدوث هذه المشاكل...

- يبقى هناك احتمال... وعلينا التعامل معه....
أجاب عرفان:

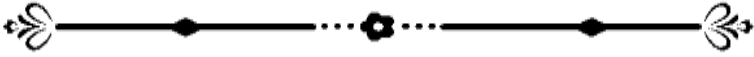
- أخشى على موضوع الهذيان أكثر من جاكو يا سيّدي... في النهاية نحن نتحكّم بالذراع متى وكيفما أردنا... أمّا الهذيان.. أخشى أن تخرج أموره عن السيطرة... إنّ حصر تفشّي هذا الاضطراب في أرخبيل هاواي دون غيره سيثير الريبة... علينا أن نسجّل حالاتٍ أخرى خارج الجزر... كإحدى ولايات أمريكا والفلبين وعدّة دولٍ أخرى...

رمى بيكا ماكاني مبتسماً بفخرٍ لاختياره عرفان طبيباً مسؤولاً عن قسم الصحة السلوكية في أكبر مشفى في هاواي فتساءل ماكاني:

- كيف سنتجاوزُ هذه المشكلة؟!



- علينا أن نصدر جميع منتجات ميغا للدول الشقيقة!
- ضرب ماكافي بكفه على الطاولة صائحاً:
- لن أمنح شرف ذلك!... ميغا لهاواي وحسب..
- على هذه الحال... ستفلس جميع المشافي ولن يخضع أي مريض لأي إجراء جراحى على هذه الجزيرة!... الإعلام الأمريكى شرس جداً... ومتأهب لإذاعة جميع الشكوك والاحتمالات... أقلها تسمية جديدة للأرخبيل "الجزر الملعونة"... ثم إن المرضى لن يصعب عليهم السفر عدة ساعات إلى ولاية قريبة من الولايات المتحدة لإجراء عملياتهم الجراحية... سيدي... حصر موضوع الهذيان ضمن أرخبيل هاواي لن يؤدي إلا إلى إفقار الجزيرة من الناس...
- صاح ماكافي متحمساً:
- وهو المطلوب!... هؤلاء الناس والسيّاح إنهم من يُسيء استخدام موارد جزيرتنا... عليهم أن يجدوا مكاناً سياحياً آخر غير هاواي ليتمتعوا به أنفسهم!... هل أصبحت حضارتنا العريقة وتقاليدنا المقدسة مجرد مسرحيات تُعرض للسيّاح لأجل متعتهم؟!... إنهم لا يفهمون شيئاً عن تاريخ هاواي وأصالة شعب كاناكا... جلّ غايتهم زيارة الجزيرة لقضاء عطلة مستمتعين بمزايا جزرنا ضاربين بعرض الحائط أحاسيس الدم الهاواي النقي!..



تنهّد عرفان منزعجاً من كلام ماكاني المشحون بعواطفِ الوطنيّة الهاوئيّة
وسلالة الدم النادرة..

حوّل نظره نحو بيكا متفربساً في ملامحه عن ردّة فعله.. لكنّه لم يجد سوى
ملامح جامدة غير متأثرة سلباً أو إيجاباً..

استغرق ماكاني نصف ساعةٍ مستذكراً تاريخ هاواي منذ الإطاحة بالحكم
الملكي للملكة الحكيمة حتى اللحظة الحالية محتتماً حديثه قائلاً بأنفاسٍ
متلاحقة تلت سعاله الشديد:

- إنّ أمريكا حكومةٌ تستهتر بحيوات شعبنا وأرض جزيرتنا... .. ألا يكفي
أنّها أخفقت في احتواء حرائق غابات لاهائنا²⁴ وتصنّعت الودّ عندما أرسلت
سيّارات الإطفاء التي لم تكن تحوي صنابيرها أساساً على المياه!....

- سيّدي... أنت تعلم أنّ لاهائنا غنيّة بأعشاب غينيا* التي كانت الوقود
المغذي لتلك الحرائق... كما أنّ هبوب الرياح الشرقية القويّة منخفضة
الرطوبة زاد من إضرار النيران وانتشارها على مساحاتٍ لا يمكن احتواءها!

- كلا... أراهن أن أمريكا هي من افتعلت تلك الحرائق..... إنّ وزير الدفاع
نفسه اعترف بتقصير الحكومة الأمريكية ما نجم عمّا يقارب الألفين من
المفقودين وأكثر من مئة وخمسين ضحيّةً فقدت حياتها...!! (ثم تمتم بغضبٍ
دفين)... لن أنسى لجنيفر عراقيلها المتعمّدة عندما استغلّت حاجة لاهائنا

²⁴ حرائق غابات لاهائنا: حدثت في جزيرة ماوي في آب 2023 وهي الأكثر دموية في الولايات المتحدة منذ أكثر من مئة عام وفقاً للجمعية الوطنية للحماية من الحرائق.

للمواد الطبيّة في استفزازي فامتنت عن ابتعاث المواد إلى جزيرة ماوي المنكوبة.....(ثم أكّد على كلامه صائحاً)... هديني هو استعادة أرضنا وحضارتنا واستقلال حكومتنا... هديني هو نبذ السيّاح ورفدهم إلى أماكن أخرى... ببساطة أريد أن يخاف الناس أن يخطوا على هذه الجزيرة التي لن تحيا إلّا بشعبها وإنسانها الهاواي الأصلي.... واضح؟!

نهض عرفان وبيكا قائلين:

- واضح...

وهما بالانصراف مغادرين صالة الاجتماعات في مبنى شركة ميغا، ثم استأذن عرفان الطبيب بيكا ذاهباً إلى مشفى الملكة ليبدأ مناوبته في قسم الصحة السلوكية.

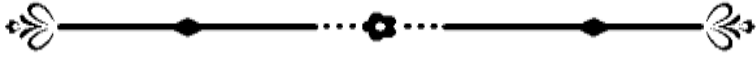
استقلّ سيّارته وثمة شعورٌ غريبٌ نما في أعماقه لمجرّد تذكّره أنّ سينا تعمّدت الكذب عليه عندما سأل أسامة عن حقيقة ذراع جاكو في ذلك الوقت..

فقرّر التعرّيج على بنك "بيرل هاواي" سعياً منه لإبادة هذا الشعور الغريب..

- مساء الخير...

ابتسمت الموظّفة مرحّبةً به....

- أهلاً بك... كيف أساعدك؟!



* أعشاب غينيا: عشب غازي ذو معدّل نموّ سريع قد يصل ارتفاعه لثلاثة أمتار، تعدُّ أعشاباً خطيرةً عندما تجفّ في الصيف لتحريضها على انتشار حرائق الغابات.

- لدى الأنسة نينا كالوا صندوقاً هنا في قسم الودائع... هل لا يزال موجوداً؟!
- أنت الذي سأل عن وديعة نينا مرّتين من خلال اتّصالك بالهاتف بنا منذ فترةٍ مضت صحيح؟!
ابتسم عرفان مومئاً برأسه:

- نعم... صحيح
- لقد وصلنا خبر وفاتها منذ عدّة أيام... وإن لم يأتِ من يتسلّم وديعتها سنلتفها..

- ألم يأتِ أحدٌ لتسلّمها؟؟!!
- كلا...

- هل أستطيع أخذها أنا؟!
- ماذا تكون بالنسبة للآنسة نينا كالوا؟!
فكّر عرفان قليلاً ثمّ قال:

- إنني طبيبها النفسي الخاص.... ورئيس قسم الصّحة السلوكية في مشفى الملكة..

- بطاقتك الشخصية لو سمحت...

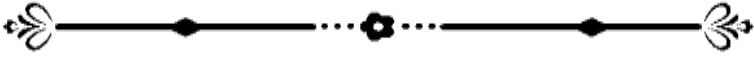
استغرق عرفان ربع ساعة حتّى تمكّن من الحصول على هاتف نينا ثم خرج من مبنى بنك "بيرل هاواي" وشعور النصر بلغ من قلبه كلّ مبلغ! أخيراً استطاع التخلّص من كابوس نينا بشكلٍ نهائيٍّ، فمجرّد حصوله على وديعتها يعني أنّه ضمن أخيراً عدم معرفة أحدٍ بما اطلّعت عليه في مكتبه في ذلك اليوم!

صحيحٌ أنّه غامر بالطريقة التي اختارها لإقناع نينا بالانتحار واحتمال وقوع المدوّنة وصور التقارير الموجودة في هاتفها في أيّد غريبة - مُتسلّحاً أمامها بالصدق وحسن النية من خلال توجيه الشبهات الخفيّة إليه - .. لكنّه كان متأكّداً من أنّ هذه الأدلّة الصغيرة ليست كفيلةً بأخذها بعين الاعتبار، وأنّها لا تتجاوز بما تدليه ما نشره الإعلام والصحافة، هذا إن لم تُعدّ صور التقارير مجرّد كلامٍ فارغٍ مُخلّقٍ وزائفٍ هدفه الإساءة للشركة المتطوّرة ميغا....

على عرفان أن يفخر بطريقة تفكيره النادرة...
أخيراً صفّاه له الجوّ من كلّ قلق...

لا داعٍ بعد اليوم للتفكير بأولئك المقيمين المزعجين أصدقاء فريدريك الطريد.

سينا فقط... نقطة ضعفه!



وَدّ لو يستطيع رؤيتها الآن ويخبرها بكم تعني له من جمال الحياة وأهنتها!
لقد أخبرها بذلك مراراً، لكنّها تمتنع عن منحه الفرصة فتتقبله كشخص
راغبٍ ومحَبٍّ من جديد!

وقد صدّقت حين وصفته بالترجسية!
لكنّها تجهل أنّ هذه الصفة هي عقاره المهدّئ لشخصه الأسير في أعماقه..
حاول عرفان تذكّر الوقت الذي بدأت فيه تلك النرجسية بالنموّ في داخله
وتفشّيها بهذه الطريقة الجائحة، فلم يتذكّر سوى ساعة تحرّجه من المشفى
على عكازتين وبقدّم معاقة!

منذ ذلك الوقت... وانقلبت حياته رأساً على عقب!
وأصيب بما يشبه الانفصام بالشخصية لفترةٍ طويلةٍ من الزمن خسر
خلالها اتّزانه لدى مجتمعه والمحيطين به، فلم يجد بداً من قمع شخصيّته
المتوحّشة وتقييدها في ذلك المعتقل العميق جداً ضمن قفصه الصدري،
مقابل أن يسلمها دقة القيادة لتكون المدبّر الخفي الذي سيضمن له حياةً
كريمةً سليمةً من أذى الآخرين المعنويّ قبل أيّ شيءٍ آخر..
من هنا ربّما.. استطاع تشخيص حالته بالنرجسية تماماً كما قالت سينا!
تلك الفتاة التي تفهمه تماماً بل وتستطيع قراءته وتفسير لواعجه وتفهم
دوافعه رغم إنكارها لهذه الدوافع..
إنّ عقل عرفان يرفض سينا رفضاً تامّاً...

لكن قلبه مُستميّتٌ للاستئثار بقلبها.. ربّما بعد انبهاره برّدة فعلها منذ زمنٍ طويل!

هذه العلاقة بين عقل عرفان وقلبه تكادُ تصيبه بالجنون!
على سينا أن تستجيبَ لقلبِ عرفان.. وإلّا ستكونُ العواقبُ وخيمةً جداً!
ستكون وخيمةً عليه قبل أيّ أحدٍ آخر..

سار عرفان بهدوءٍ إلى سيّارته وجلس خلف مقودها، ثم تناول هاتفه وقد قرّر إجراء اتّصالٍ صغيرٍ معها..
رنّ الهاتف طويلاً ما أكّد له أنّها متردّدةٌ في الإجابة..

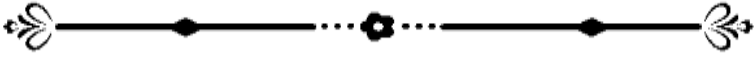
فُتح الخطّ وأرهف السمع إلى صوتها المهيب عندما قالت:
- ألو...

قال عرفان بصوتٍ رقيق:

- شكراً لك...

- شكراً على ماذا؟!

- لأنني وجدتُ فيكَ الشخص المناسب... ترياقِي وأملي ودافعي للحياة.....
لقد اشتقتُ إليك سينا!..... انتظري.... لا تغلقي الهاتف أرجوك..... (أحسّ
بتسرّب مشاعر الذلّ إلى قلبه الذي استقبلها بكامل انتعاشه وحبّه ثم
أردف).... إنّ اجتماعنا هنا في هاواي.... لم يكن مصادفة.... فقط فكري
بالحكمة الإلهية التي تأبى إلّا أن تجمعنا وتضمّ قلوبنا.... فلا تتجاهلي هذه
الحكمة يا سينا.... كيف السبيل لنيل حبّك؟!.... أرشديني وأعدك أن أكون



طَوَعَ أَمْرِكَ.... أَقْسَمُ لِكَ أَنَّ خَطِيئِي السَّابِقَ لَا يَتَعَدَّى كَوْنَهُ سُوءَ تَقْدِيرٍ
لِلْمَوْقِفِ.... عَلَيْكَ أَنْ تَدْرِكِي أَنَّ الْقَدَرَ سَيُضَمِّنَا تَحْتَ جَنَاحِهِ.... وَسَأَعْمَلُ
بِكَامِلِ طَاقَتِي الْعَاطِفِيَةِ لِأَسْتَجِيبَ لِهَذَا الْقَدَرِ.... فَلَا تَجْزَعِي!..... (ثُمَّ تَحَوَّلَ
صَوْتُهُ لِيَكُونَ أَكْثَرَ حِدَّةً) وَإِنْ كُنْتَ تَعْتَقِدِينَ أَنَّ حَبِّي لَكَ حُبٌّ نَرَجِسِي...
فَأَنَا أُوَكِّدُ لِكَ أَنَّهُ سَيُحَالُ حُبًّا نَقِيًّا صَافِيًّا لَدَى اسْتِجَابَتِكَ لَهُ!..... أَلَوْ.....
سَيِنَا..... هَلْ تَسْمَعِينَنِي؟!...

حَدَّقَ عِرْفَانٌ فِي شَاشَةِ هَاتِفِهِ مَتَسَائِلًا عَنِ الْكَلِمَةِ الَّتِي أَزْعَجَتْ سَيِنَا فَأَنْهَتْ
الْمُكَلِّمَةَ.... بِمَعْنَى أَدَقٍّ... عَنِ اللَّحْظَةِ الَّتِي أَغْلَقَتْ فِيهَا الْخَطَّ فِي وَجْهِهِ!
أَدَارَ مُحَرِّكَ سَيَّارَتِهِ لِاعْنَاءَ هَذَا الْقَلْبِ الذَّلِيلِ الْعَاقِقِ بِحُضُورِ هَذِهِ الْفَتَاةِ
الْقَاسِيَةِ دُونَ غَيْرِهَا

الفصل الثامن عشر

(مشفى الملكة)

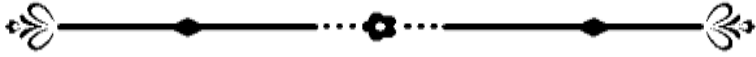
كانت سينا تكتب عدّة ملاحظاتٍ في دفترها الصغير الموجود دائماً في جيب رداؤها الأبيض في غرفة مكتبٍ استطاعت الحصول عليها من مدير مركز طبابة هونولولو..

ارتاحت سينا لتحليّ كادر طبابة هونولولو بالمسألة والوداعة في التعامل، حتى مقيمها الأعلى لم يكن لها إلاّ كلّ احترامٍ وودّ..

كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة بعد الظهر عندما غادرت سينا مشفى الملكة الذي أصبح أكثرَ مراجعيه مرضى الهذيان المديد التالي للجراحة... ذلك المرض الغريبُ مجهول السبب!

لا بدّ أنّ انتشاره فقط على أراضي جزر هاواي قد أثار الجدل وحرك منظّمة الصحة العالمية للتفكير بإرسالة لجنةٍ طبيّةٍ وهندسيّةٍ تحقّق في أمر ظهوره الغامض على المرضى الخاضعين للجراحة!

إلاّ أنّ تأخر هذه المنظّمة في التحرك حتّى اليوم قد أثار استغراب سينا، وبناءً على متابعتها للأخبار والإحصائيات، فقد تجاوز عدد المرضى مئة ألفٍ على جزيرة أوهاو فقط! ما يعني أنّ العدد أكبر من ذلك في كامل أرخبيل هاواي!



ترى... ماذا من الممكن أن يكون السبب الحقيقي خلف ظهور أعراض الهذيان لو كان مرضاً مُفتعلاً؟!

أسندت سينا رأسها على قبضة كفها الأيسر وهي ترسم خطوطاً على دفترها الصغير مفكرةً في أسبابٍ سياسيّةٍ عدّة تكمن خلف افتعال هذا الهذيان.. قد يكون لاختراع اليد الاصطناعية الالكترونية الذكية جاكو JAKO بتزويدها بقوة خارقة أهداف عدّة تخدم عصاباتٍ أو منظماتٍ سرّية غايتها نشر الفوضى لمصلحتها!

سرعان ما نفت سينا فكرة الفوضى هذه، فما أسهل من بثّ الفوضى والاضطراب بين الناس دون اللجوء لاختراع شديد الذكاء لا بدّ وأنّه استغرق سنواتٍ من التخطيط لإنشائه!

الناس سريعو التأثير بالأخبار..!

الفوضى تُنشر بالأخبار... أقلّ مجهودٍ وأسرع وقت!

لماذا اختيرت الجراحة ليتمّ ربطها بالهذيان؟!

ولماذا يصاب بعض المرضى به دون غيرهم؟!

هل لتكوينهم الجسدي علاقةً بتأثرهم به مثلاً؟!

هل يمكن أن يكون الدماغ قد تأثر بغازات التخدير، فشكّل ردّة فعلٍ تمثّلت بهذا الهذيان الذي يدوم قرابة شهرين ليُشفى حسب ما قال مدير مركز الأبحاث النفسية الطيب بيكا في آخر لقاءٍ تلفزيونيٍّ معه..؟ ابتمت سينا في سرّها عندما تذكّرت خبر مقتل المراسلة وزميلها المصوّر

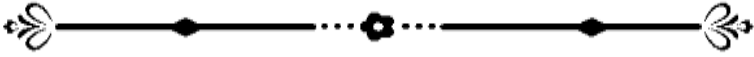
جزء سقوطهما على سفح المخروط البركاني "دايموند هيد" في يوم إجرائهما اللقاء التلفزيوني... ذلك المكان الغامض الذي تخفي منحدراته القاسية الكثير من رفات المتطفلين!

يتربّع على قوّته مركز الأبحاث النفسيّة حيث يعمل عرفان، والمنظمة الأمنية S حيث يعمل فريديرك، وشركة ميغا الطبية التي انطلقت منها ذراع جاكو الساحقة! ربّما لو ثار بركان "دايموند هيد" لحلّ كلّ هذه المعضلات!

في الحقيقة ليس حلّاً بما تعنيه الكلمة حرفياً..! على الأقلّ ربّما بثورانه قد يُفضي إلى إبادةٍ كاملةٍ لكلّ تلك المشاكل المزعجة الصادرة عنه!

على عرفان أن يكون على قوّة "دايموند هيد" عندما يقرّر ذلك المخروط الثوران!

لقد توقعت سينا من عرفان كلّ ما يمتّ للخبث والمكر والخداع بصلةٍ إلا أن يقومَ بجريمة قتلٍ تمّ أغلاق قضيتها على أنّها انتحار..!! لا تنكر أنّه شخصٌ ذكيٌّ ودقيقٌ في التخطيط والعمل، وربّما قد سخر حياته لتنمية خبث تفكيره وتغذيته بدراسة كلّ الطرق والوسائل التي تحرّض على إظهاره بمظهر الشخص الطيّب - ذي النوايا الصافية - الساتر باحترافٍ فائقٍ لحقيقة باطنه النتنة!



ربّما لو استغلّ جهده المتعوب عليه في استكمالهِ لاختصاصهِ السابق "الجراحة العينية" لغدا طبيباً ناجحاً لا يكون على الأقلّ موضع سخرية واستهزاءٍ من زملائه الأطباء الاختصاصيين ذوي العقول المحترمة في وطنه الأم!

نظرت بازدياءٍ حولها في غرفة المكتب الصغيرة عندما فكّرت بكمّ جمال الحياة لو تحلّت جميع عقول البشر بالاحترام والنزاهة قبل أن تُقدم على التفكير في أيّ شيء... ربّما كانت الأرض في أحسن أحوالها وما عاد لفكرة الخير والشر وجوداً!

أرخت سينا ملامح وجهها وشعّت من عينيها نظراتٌ من الأسى والحزن الخفيّ عندما أدركت أنّ العقل النير لا يمكن أن يجتمع إلّا مع قلبٍ مجرّدٍ من الأحاسيس لتستطيع منظومته العمل بما يتناسب مع هذا العالم القاسي!

تخيّلت سينا نفسها في هذه المحنة الغامضة قبل عشر سنوات! ربّما لو رأت جثة نينا - التي أرادت زيارتها وحسب - مستلقيةً بوضعيةٍ كانت معلّقةً بها من رقبتها لأغمي عليها بلا شك! ترى أيّهما أفضل؟!

الشخص نقّي التفكير، حسّاس القلب، صادق العواطف وأكثرها وضوحاً! أم معتاد الخيبات الذي يحرص على إخفاء أحاسيسه ودحر صلاحيّات قلبه إلا من عمليّة ضخّ الدم لأجزاء الجسد؟!

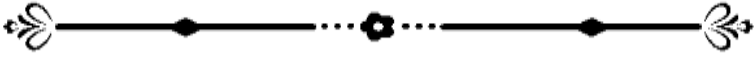
حتماً على الشخصية الأولى أن تعيش في الروايات والأفلام الخالية من صدمات الهزيمة وانكسارات الحياة الحقيقية! تلك الحياة التي لا تعترف إلا بالقوة والذكاء المتملّص تماماً من حسن الظن بالآخرين!

امتنت في أعماقها الآن لجدارتها الضليعة في التواصل مع الناس على اختلاف تفكيرهم وأحاسيسهم، دون أن يؤثر ذلك على نقاء سريرتها وصلابة مبادئها الإنسانية وفضائل الأخلاق في التعامل! لكنها أخطأت عندما أقحمت أسامة في موقفٍ سخيٍّ لدى اضطرابها المفاجئ!

بدا أسامة لها شخصاً صادقاً رغم ذلك.. تماماً كما ظنت بعرفان في السابق!.. أو كما أوهمها باحترافية! كيف لها أن تثق بصدق شخص آخر الآن؟ كيف لها أن تستعيد قدرتها على الوثوق بقلبها هي فتمنحه صلاحية المشاركة في اتخاذ القرار؟!

صحيح أنّ سينا أحكمت سيطرتها على رغبات قلبها المخدوش الذي لم يتوان عن خلق الرغبة في إنزال أقسى أنواع العقاب والانتقام الحق، لكنها لم تُنكر انكساره وألمه!

وكانت كلّما استفسرت منه عن أقصى رغباته في أضعف حالاته، اطمأنت لبقائه نقيّاً سليم السريرة من الغلّ والأحقاد رغم ألمه الدفين!..



إنّها لم تتقبّل أبداً ذريعة سوء الشخص الفاسد بأنّ قسوة الحياة وخبائتها
تبرّر تحوّل البشع هذا!

لو كان عرفان مقتنعاً بأنّ عاهته ذريعة لكونه شخصاً سَخِرَ عقله لأعمال
الفساد والشرّ لبات في حقيقة الأمر شخصاً في قَمّة الغباء والحمق..
كان عليه أن يكون مدركاً بأن الطريق الذي اختاره طريقٌ موحشٌ مقفّرٌ
إلا من عواقبه الوخيمة!

طريق الخير وطريق الشرّ.. كلاهما طريقٌ وعراً!
لكنّ الاختلاف يكمن في النهاية المفضية للجزاء المُستحقّ!
هذا... أكيد...

أجفّلت سينا لدى سماعها صوت الباب وهو يُفتَح بعنفٍ حيث هُرعت سام
قائلةً بحماسٍ لسينا:

- لقد أتى من تسلّم وديعة نينا في بنك "بيرل هاواي"
ابتسمت سينا للنور الضئيل الذي أضاء عتمة الطريق نوعاً ما.. فقالت
بصوتٍ جذل:

- حقّاً..؟!

- لا أصدّق دهاءك يا فتاة!... لقد أتى عرفان بنفسه ظهر أمس وحصل على
هاتف نينا كما أخبرتني الموظّفة..!

افتّر ثغر سينا عن ضحكةٍ صامتةٍ عندما أوقعت عرفان في شبكتها والتقط
الطعم أخيراً!

أحسّت في أعماقها بامتنانٍ عظيم لتأخّر أسامة في فكّ الشيفرة الموجودة على الوجه الآخر لرسالة الانتحار..

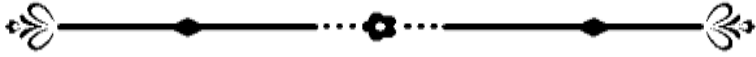
هذا التأخّر هو الذي أفضى لتفلّت شيءٍ من زمام الحذر لدى عرفان! وربّما لو استطاع أسامة فكّ الشيفرة في اليوم الثاني أو الثالث مثلاً وهُرِعوا إلى بنك "بيرل هاواي" بدمٍ ثائر، وحصلوا على ما أودى نينا إلى تلك النهاية المريعة لاكتشف عرفان أنّهم سيتربّصون به، أو أنّهم سيُعْلِمُونَ المحقّق المسؤول عن القضية بكلّ شيءٍ وذلك حتماً لن يُفْضِيَ للنهاية المرجّوة كون الشيفرة وصور التقارير تعدّ أدلّةً ناقصة وقد لا يُؤخذ بها كون القضية انتحاراً ما سيدفعّ عرفان لإحكام زمام الحيلة والحذر لاجئاً إلى طرقٍ أخرى... يتخلّص فيها من تحرّكاتهم الواضحة ضده وضدّ ذراع جاكو

!JAKO

لقد أحسّت سينا بضرورة إرجاع الوديعة إلى مكانها وكأنّ أحداً لم يلمسها، فكان ذلك طعماً قد يجذبُ الفريسة المطلوبة إن وُجدت وقد يكون عرفان أو غيره.

في النهاية...

لم يكن تفكيراً سيئاً أنّ وجهت سينا سام لتطلبَ من الموظّفة منحَ أيّ شخصٍ على تصريح الحصول على وديعة المتوفّاة نينا بشرط إخبار سام – المصرّح لها أولاً – بكلّ شيءٍ يخصّ ذلك...



وبالفعل..

تلّقت سام صباح اليوم مكالمَةً من موظفة بنك بيرل هاواي تخبرها أنّ الطبيب النفسيّ المعالج للمتوفّاة نينا قد سأل عن الوديعة وحصل عليها كما أوصت سام.

قالت سينا مخاطبةً سام:

- لماذا لم تخبركِ الموظّفة أوّلاً بأنّ عرفان قد اتّصل بالبنك مستفسراً عن الوديعة خلال الأسبوعين الماضيين؟!

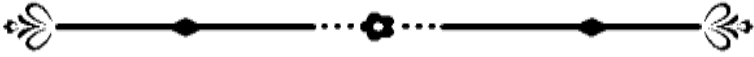
- ربّما لم تجد سبباً يدفعها لقول شيءٍ غير مريبٍ في نظرها... نحن فقط من شعر بالشكّ والريبة ما دفعنا للتدقيق في كلّ شاردةٍ وواردة!

- لقد تمّ تفسيرُ الكثير من الأمور من خلال ما حصل... وثمّة احتمالين اثنين لكون عرفان على معرفةٍ بالهاتف المخبّأ... الأوّل أنّ نينا قد أطلّعته على كلّ شيءٍ فيما مضى مطمئنّةً لوثوقها التام به وهذا أستبعده لأنّها أشارت بشكلٍ صريحٍ إلى أنّه شخصٌ خطير... والاحتمال الثاني أنّه هو من دفعها لوضع هاتفها الحاوي على معلوماتٍ مريبةٍ في البنك وربّما ربّتب مسرح الجريمة بالطريقة التي أرادها هو كربط أحرف اسمه بأيّام الشهر مستفيداً بذلك من أمرين... أحدهما التأكّد من لا مبالاة المحيطين بنينا بالرسالة والشيفرة وهذا ما حصل عليه صباح أمس.... والثاني...

- سينا.... لقد ضعت....

- هل يُعقل...؟؟!!!! لا أصدّق؟!

- أخبريني... إلى أين وصلتِ بتحليلاتكِ المعقّدة؟!
- حدّقت سينا بعينيها الواسعتين بسام بذهول تام.. ثمّ دفعت بالكُرسيّ الجالسة عليه للخلف قليلاً وهي تقول:
- هل يمكن أن يكون عرفان هو الذي كتب رسالة الانتحار والمدوّنة على الهاتف حتّى الشيفرة الحاوية على اسمه؟!
- كان خطّ نينا واضحاً في رسالة الانتحار التي صوّرها أسامة... أعرف خطّها جيّداً...
- هه... أعني... أنّه دبر كلّ شيءٍ بمساعدةٍ من نينا نفسها!..
- أفهميني...!
- أنا أعرفه كما أعرف نفسي.. يستطيع عرفان أن يُسيطر على أفكار الشخص وعواطفه ويوجّهها بالطريقة التي يريدّها هو... ربّما لوجوده الدائم حول نينا - وهذا ما لمسناه عندما ذهبنا لزيارتها في ذلك اليوم - وحديثه الطويل معها ومنحجها ثقته التامة ما دفعها لمبادلتها هذه الثقة.. هو ما غيّب عن نينا فكرة أنّه شخصٌ لا يؤتمن.. خصوصاً وأنّه وافقها على تعريض نفسه للخطر بالحديث عنه في مدوّنة هاتفها بتلك الاتّهامات الصريحة...
- لكن... كيف قتلها؟!
- بل سَلِي كيف دفعها للانتحار؟!
- وضعت سام يدها على رقبتها بخوفٍ شديدٍ متسائلةً:
- كيف؟!



- لماذا نفيتِ احتمال انتحار نينا على الرغم من تعلّقها الشديد بفريديريك ابن أخيها الوحيد... كونها مُنيت بخسارته؟!
انفعلت سام قائلةً:

- لأنّها لم تتأكّد كجميعنا من أنّها خسرتَه؟!!

- ماذا لو أنّ أحدهم أكّد لها بأنّها خسرتَه فعلاً وأنّه ما عاد له معها لقاء... لا سيّما وأنّ هذا الشخص هو عرفان موظّف مهمّ على محروط "دايموند هيد" يعلمُ كلّ ما يجري هناك وقام بدوره ببثّ اليأس والإحباط يوماً بعد يوم من كونها لم تنجح في الحفاظ على ابن أخيها الوحيد..... لا تنسي أنّك أقبلتِ أنْتِ على الانتحار مرّةً عندما تركك فريديريك!... إنّ حبّ نينا لفريديريك يفوقُ حبّك له... أظنّ أنّها ستنتحر عندما يتلاعبُ أحدهم بأعصابها وعواطفها راسماً نهايةً شنيعةً لفريديريك!..... لا أعلمُ تماماً..! وربّما بطريقةٍ ما ساعدها على الموت بأسرع طرق الموت وأقلّها عذاباً وذلك أفضلُ ما قد يحصلُ لها!... إنّ احتمال ذلك فاق كلّ احتمالٍ آخر... لقد تخلّص من شاهدةٍ هامّةٍ بأقلّ الخسائر الممكنة... بل وببضع كلماتٍ من طبيبٍ في قسم الصحة النفسية يستطيعُ أن يسيطر على مريضه بسهولة... كيف إذاً بشخصٍ محترِفٍ في الأصل؟!... سام.... (ثمّ قوّست عينيها اللتين أظهرتا الخوف والحذر)... إنّ ربط عقدة السلك الكهربائي المستخدم في عملية الشنق يجعلها عقدةً منزلةً وليست ثابتة... ليس أمراً سهلاً على شخصٍ ليس لديه سوابق

انتحار!... قد يكون عرفان هو من علّمها ربط العقدة بهذه الطريقة
ليُسّر موتها!

- على هذه الحال....

- على هذه الحال.... يبقى عرفان مجرماً لن يُعترف به!... كلامنا هذا مجرد
كلام... ولو أنّني لا أعرفه جيداً لما خطر لي أساساً هذا الخاطر! وعلى ذلك (ثمّ
حرّكت رأسها بنفي وخيبة)... لن يُصدّق المحقّق المسؤول عن القضية ما
توصّلنا إليه من تحليلٍ يبقى مجرد افتراضٍ خالٍ من الدلائل...
احتدّ صوتُ سام قائلةً:

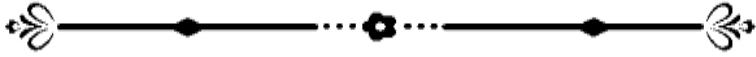
- كيف سنقضي عليه إذا؟!... كيف سنوقّع به؟!...

- اهدي... كم مرّةٍ عليّ طلبُ ذلك منك؟!... إنّ مجرد بلوغنا خبر استعادته
الوديعة قد أضاع لنا أولى خطوات الطريق... علينا فقط أن نتابع الطريق
دون أن يعلم عرفان شيئاً عمّا نخطط له.... علينا أن نخفي عنه حتى أنفاسنا
كإخفائنا حصولنا على هاتف نينا...

من الذاكرة... قبل بضع سنوات

قالت سينا مبتسمةً ابتسامتها المشرقة وهي جالسةٌ خلف طاولة المكتب
في عيادة مروة:

- ثمّة طبيبٌ في الجراحة العصبية اسمه إباء... يريدُ التقدّم لخطبتي!... إنّّه في
اليونان الآن... وهذه صورته..



قالت مروة ضاحكة:

- إنه جميل جداً... وذو حضورٍ رائع...
- نعم... وعلى مستوى عالٍ من التفوق والنجاح.. يحرص على تنمية مهاراته الرياضية..
- (نظرت مروة بإعجاب)... اممم
- لقد أخبرني أنه يمارس الرياضة ساعةً كاملةً كلّ صباح منذ عشر سنوات!... ثم يذهبُ إلى عمله في المشفى ويعودُ ليرتّب بيته ويطهو ويقرأ ثم ينأى بعض الوقت لتبدأ ليلته الحافلة بتطوير ذاته.... إنه مولعٌ بالقراءة... مثلي إلى حدٍّ ما... ويشاهدُ الأفلام ويملِكُ سيارتين ويعشقُ السياحة والسفر والفرح والمرح!
- (أمعنت مروة النظر بصورته على شاشة الهاتف المحمول) يشبه فتاناً يُقدِّمُ محتوىً عن الواقع بطريقةٍ مرحة... اسمه "أحمد مشلّح"..... حقّاً... انظري.... يشبهه كثيراً!....
- هل تجدين إباءً جميلاً؟
- بالتأكيد....
- أمّا أنا... فلا...
- هه... (اتبسّمت مروة مستنكرةً)... يلفتُ انتباهك أشياءً أخرى... قلت لي إنه يحبّ القراءة...

- طلبتُ منه أن يذكر لي عناوين بعض الكتب التي قرأها... فقال إنه يحرص على قراءة كل ما يمتُّ للطبِّ بصلة... إنه مُتِمٌّ بي يا مروة... مولعٌ باللمحة التي تعرّف بها علي... (ثم ابتسمت بتأثيرٍ بالغ)... الشخصُ الذي تتمناه كلُّ طبيبة... العوضُ الجميل...

- (ابتسمت مروة بشغفٍ وحنان) سعيدةٌ لأجلِك يا صديقتي... بالنظر إلى مؤهلاته... أجده كُفئاً جداً إن لم يكن مثالياً!

- أستمعُ شخصاً مثالياً حقاً... (ثم سحبت نفساً عميقاً)... لقد تحدّث إلى أبي وقال إنه قادمٌ من اليونان للقاءه في نهاية الشهر...

- هذا رائع... يا لشهامة هذا الشاب... إنّ إقدامه السريع مدعاةً للفخر...

- لقد تحدّث عرفان مرةً إلى أبي... لا تنسي ذلك...

- ما الذي جاء بعرفان الآن إلى دماغك؟!.. (قالت بغضب)... إنه خاطبُ الآن وانتهى الأمر...

ضحكت سينا عالياً:

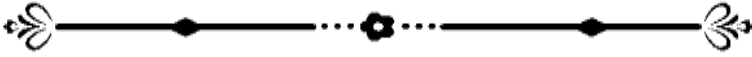
- وهل ستصدّقيني إن قلتُ لك إنّ طبيب الجراحة العصبية المزعوم هذا... هو عرفان!

- ماذا؟!... مستحيل... (ثم صمتت قليلاً مفكّرةً)... صوته... نعم!...

كيف كان صوته عندما كلّم والدك يا سينا...؟

- وعندما كلّمني أنا أيضاً!... لم يكن صوت عرفان - المرتعش بحيائه -

بالتأكيد... هه... إن تطبيقات تعديل الأصوات على وسائل التواصل



الاجتماعي تملأ المنصات الالكترونية... كيف إذاً باحترافي التمثيل
والخداع؟.. إن هذه التقنيات سلاحه الجبان!

أمسكت مروة بكتفي سينا وهي تهمس بخوف:

- إن ما تقولينه يفوق حد الغرابة... لماذا سيفعل ذلك؟!

- تحبلي مدى خيانتته لمخطوبته ما دفعه للتخطيط وسرد قصة مثالية
يدليها لا سيما اختلاقه نقطة ممارسته الرياضة ساعة كاملة كل صباح!... إن
قدمه المعاقة تؤثر على تفكيره وعواطفه تأثيراً لا يمكن تصوّره!!... يستحيل
على عرفان مزاوله الرياضة بساقين إحداها أقصر من الأخرى بمسافة
معتبرة!... هه... قال عشر سنوات قال!

- أنت تخيفيني!... الآن أريد إثباتاً أن إباء هو عرفان!

- إثباتاً واحداً فقط!.. يا لتواضعك يا صديقي!

أخرجت سينا ورقة صغيرة من علبة الأوراق وقلماً ثم بدأت تشرح لمروة
نقاط التوافق بين أسلوبي المراسلة وعدد النقاط التي تستخدمها
الشخصيتان في الكتابة - الفراغ والنقطتان اللاحقتان - وأربع كلمات
معينة متشابهة تماماً بالأحرف - التي تختلف عادةً بين الشخص والآخر
دون أن يخل بالمعنى - تستخدمها الشخصيتان، وردود الأفعال واضحة
الاصطناع التي يُبديها إباء خشية افتضاح أمره أنه عرفان!!

تابعت سينا:

- لقد قال إنه يحبّ اللونين الأخضر والأزرق... إنهما لونيّ الرّدائين الذين ارتديتهما عندما قابلتُ عرفان في المشفى ومركز الليزر للعيون L.V.. والأهمّ من كلّ ذلك... هو غياب إباء عنيّ يوماً كاملاً عقب محادثته المشحونة بالعواطف الكاذبة... تماماً كما كان يفعلُ عرفان...

- طيّب...؟!

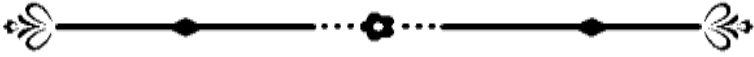
- لا شيء... قلتُ له إنّ كلامك يذكّرني بكلام طبيبٍ فاشلٍ وكاذبٍ اسمه عرفان...

- لماذا فعلتِ ذلك؟! (قالت مروة بغضب)... ماذا لو لم يكن هو أيتها الحمقاء!.. ما الذي سيدورُ في رأسه من أفكارٍ مريبة؟! ماذا لو ظنّ بكِ سوءاً؟!

قالت سينا باستخفافٍ واضح:

- اهديّ... الأمرُ لا يدعو للتوتّر!.. (ثمّ أردفتِ بجديّةٍ بالغة) بغضّ النظر عن شخصيّة إباء المثالية التي لم تنلُ أيّاً من إعجابي... فقد قرّرتُ أن أكون استنتاجي النهائي بناءً على ردّة فعله عندما أقولُ له "كلامك يذكّرني بعرفان" - وكيف كانت ردّة فعله؟!

- لم يتكلّم أبداً.. لقد بدا مصدوماً لا سيّما عندما قلتُ له إنّ عرفان مفتقرٌ لشهادة الاختصاص!.. لو لم يكن هذا الشخص هو نفسه عرفان... لسألني أول ما سألني... "من يكون عرفان هذا؟!... وكيف تعرفينه؟!... وأطلعيني



على كل شيءٍ يخصّه" لكنّه لم يقل أيّاً من هذا.. بل غيّر الموضوع وذكّرني بأنّه مولعٌ بي.. ثمّ أنهى الحديث باقتضاب...

- وبعد ذلك؟!

- غاب عني يوماً كاملاً... لا يغيبه عادةً المولعون هؤلاء!... وعندما كتب لي... لم أردّ عليه... كتب لي مرّةً أخرى يستفسر عن عدم استجابتي! ما اضطره للاتّصال بي... سمحتُ بإجراء المكالمة... لكنّه أغلق الخط عندما قلتُ "ألو.. ألو" وتهرّب من الحديث بمكالمةٍ صوتيّةٍ على غير عادة المولعين! الذين يولعون بسماع أصوات أحبائهم!! وتابع الكتابة يستحثني على الردّ... ربّما لم يكن مُفعلاً برنامج تعديل الصوت آنذاك... أعاد الكرة مرّتين بخلافٍ أنني بقيتُ صامتةً... فقال بعد مرور ثلاث عشرة ثانية بصوته المعدّل "ألو... ألو" ثمّ أغلق الخط... وتابع الكتابة بهستيرية... بينما كنتُ أفكر فيما عليّ فعله... فلم أجد سوى حظر الرقم خطوةً مهذّبةً بحقي!

- ياااااه.....لماذا... فعل ذلك؟!... هل انفصل عن مخطوبته؟!

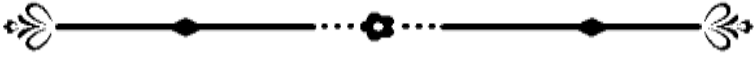
ضحكت سينا عالياً:

- كلا... إنّ زفافه قائمٌ بعد عشرة أيام من لعبته الغبية هذه... تخيّل مدى إخلاصه لعروسه يا مروة؟!

- بل تخيّل مدى غبائها ما ورّطها هذه الورطة!

قالت سينا بخوف:

- إنها مسكينة!... لقد كدتُ أكون مكانها لو لم يُعِمِ القدر عينَ عرفان عني ثم يُريني حقيقته القدرة!.. صدّقيني... لو لم أتعرض لطعنته.. لم أكن أبداً لأدقق وأبحث خلفه وأحصّ بعضاً من أخباره!.. إنّ مخطوبته مُغيّبةٌ تماماً عن أسلوب تفكيره ونيّاته!... هذا الشخص.... يختارُ النخبة من الناس بغية دراسة تأثيره عليهم!.... لن يعرفه أحدٌ على حقيقته إلّا إذا تلقى الغدر المباشر منه!... هل تذكرين؟؟ جميع أطباء الجراحة العينية... لم يكلف أحدهم نفسه عناء تحذيري بشكلٍ صريحٍ من ثقتي بعلاجه... جميعهم اكتفوا بإبداء استغرابهم باختياري له طبيباً لعيني التي مُنيت بذلك الاختلاط الذي أودى بي إلى هذه المتاهة المريعة... وإلى هذه الرواية بالتحديد!... لك أن تتخيّل ماذا فعل عرفان عندما حظرتُ رقبته اليونانيّ الزائف الأخير... لقد تحدّث إليّ من ثلاثة أرقامٍ محليّةٍ أخرى... تارةً على أنّه مريضٌ اسمه قيس يريدُ العلاج وتارةً على أنّه علاء يريدُ استشارةً نصيّةً... فقط ليشتت انتباهي عن شخصه الحقيقي!... يريدني أن أستبعد أن إباء هو عرفان وأنه مجرد مريضٍ مزعج... الدليل الأخير على أنّهما واحد... هو أنّه قام بجذف جميع الصور الشخصية التي بعثها إليّ... فانتحال الشخصية جريمةً يعاقب عليها القانون... لا أعلم أنّي احتفظت بملقطاتٍ للشاشة لكامل المحادثات!.... (ثمّ ابتسمت بمكر)... الأحمق... أصدقك القول... لقد أبهرني بطريقته في الخداع لدرجةٍ تحايله على والدي!.. والكذب عليه!



- إِنَّ ذَلِكَ قَمَّةٌ فِي الانْحِطَاطِ! لَكِنْ... مَا هَدَفُهُ؟!
- تَصْمِيمُهُ عَلَى إِيْذَانِي مِنْ جَدِيدٍ! لَوْ أَنَّهُ يَكُنَّ لِي شَيْئاً مِنَ الْمَشَاعِرِ
الْصَادِقَةِ... لَمَا تَجَرَّأْتُ عَلَى التَّحَدُّثِ إِلَى أَبِي بِشَخْصِيَّةٍ مَزِيْفَةٍ!.. أَوْ رَبِّمَا أَرَادَ أَنْ
يُثَبِّتَ لِي أَنَّي قَدْ أَقْعُ ضَحِيَّةً لَشَخْصٍ مُخَادِعٍ آخَرَ غَيْرِ عِرْفَانَ الَّذِي لَمْ يَعِدْنِي
بشَيْءٍ حَقِيقِي وَالَّذِي لَمْ "يَتَجَاوِزْ حُدُودَ الْاحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ".. يَرِيدُ أَنْ يَبْرِيءَ
شَخْصَ عِرْفَانَ فِي نَظَرِي مُقَارَنَةً مَعَ شَخْصٍ إِبَاءٍ - وَاضِحِ الْوَعُودِ - الَّذِي
سَيَكْذِبُ وَيَتَهَرَّبُ لَاحِقاً... ثَمَّةُ الْكَثِيرِ مِنَ الْأَهْدَافِ الَّتِي سَيَحَقِّقُهَا مِنْ
لَعِبَتِهِ الْمَاكِرَةِ!..

- هَذَا وَارِدٌ... لَا سَيِّمًا عِنْدَمَا لَمْ تُرْضِ سَرِيرَتَهُ الطَّامِعَةُ بِإِيْذَانِكَ بِأَيِّ رَدَّةٍ
فَعَلَ مِنْكَ تُشْعِرُهُ بِالْإِنْتِصَارِ فِي رِسَالَتِكَ التَّوْبِيخِيَّةِ الْمَهْذَبَةِ تِلْكَ!.. لَا أَصْدَقُ
مَدَى إِحْسَاسِكَ يَا فَتَاةُ!.. لَقَدْ قَلَّتْ إِنَّ لَهُ عَوْدَةً... وَهِيَ قَدْ عَادَتْ لِكُنِّي لَمْ
أُتَحَيَّلْ أَنَّهُ سَيَسْلُكُ هَذَا السَّلُوكَ الصَّبِيَّانِي الْخَبِيثَ!..
قَالَتْ سَيْنَا بِمَجْمُودٍ:

- لَيْسَ إِحْسَاسًا... إِنَّهُ عَقْلِي... هُوَ الَّذِي تَوَقَّعَ ذَلِكَ...
قَالَتْ مَرَّةً بِصَوْتٍ مُحْتَدٍّ:

- كَلَّا... إِنَّ قَلْبِكَ هُوَ الَّذِي يَسْرِبُ إِلَيْكَ هَذِهِ الْإِشَارَاتُ!.. بِالْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ.. لَا
أَجْدُ تَفْسِيرًا وَاحِدًا فَقَطْ يَدْفَعُهُ لَذَلِكَ!.. بِالْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ... مَنَحْنَا الْفُرْصَةَ
لِعِرْفَانَ بِإِنْتِظَارِهِ... لِأَنَّنَا لَمْ نَلْمَسْ مِنْهُ أَيَّ شَيْءٍ حَقِيقِيٍّ يَدْفَعُنَا لِرَفْضِهِ!..
تَذَرِّعُ بِأَهْلِهِ.. صَدَّقْتُ ذَرِيعَتَهُ أَنَا وَأَنْتِ لَمْ تَصَدِّقِيهِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ حَقِيقَةِ

الأمر!... أنا صديقتك - الحيادية جداً تجاه محادثاتكما القليلة - حاولت كثيراً بث الطمأنينة في قلبك المتنازع دائماً لأنني أحلّل الأمور بعقلي - أنا - خارج إطار الأحاسيس الذي تميزين به عني الآن كونك خائضة التجربة الحقيقية!... لقد صدقت أحاسيسك وخاب المنطق والتحليل!

- الإحساس والمنطق!... (قالت سينا مفكراً مجزناً)... الشخص الصحيح.. لا يسمح للطرف الآخر أن يلجأ للإحساس أو المنطق بغية معرفة الحقيقة.... إنه يسلك طريقاً واضح التفاصيل... وليس مبهم المعالم!

....

طرق الباب فدخل مايكل مبتسماً قائلاً بحماس:

- مساءً الخير.... ماذا تفعلان؟!

- أين أسامة؟! (قالت سينا)

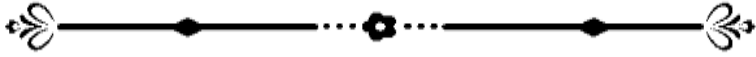
جلس مايكل مومناً بازدياء نحو الباب:

- إنه يجوب أروقة مبنى طبابتكم الشرعية... يعيش الاستكشاف هذا الفتي!

- اتّصل به وليوظّف استكشافه فيما نحن فيه الآن!... علينا أن نبحت أولاً عن السبب الكامن خلف إصابة المرضى بالهذيان المديد التالي للجراحة..

- ولماذا لا نبدأ بجاكو JAKO؟!

- سنبدأ بما يعمل به عرفان... على أحدا أن يُلازم المسؤول عن قسم الصحة السلوكية في مشفى الملكة...



قال مايكل بمكر:

- اذهبي أنتِ.... لن يستطيع غيرك التدقيق بالتفاصيل مثلك!
ضحكت سينا:

- أنا؟!... أكثر الأشخاص الذين يشكّ بهم عرفان!... أنت من سيذهب..

- تقصدين أنني أقلّكم ذكاءً لئلاّ يُشهر سلاح الحذر في وجهي؟!

- بل أكثرنا من لم يُشعر عرفان بالريبة... سام مثلاً أقرب الأشخاص لدينا
بعد فريدريك.... وأسامة هو من سأل عن جاكو بريبٍ عندما كان عرفان
حاضراً برفقتنا.... بقيت أنت!...

- ماذا سأفعل؟!

- لا شيء.... فقط قم بمساعدته واثنتنا بما يقوله ويفعله وكيف يتعامل مع
مرضى الهذيان... عليك أن تحيط بكلّ التفاصيل هناك..... صدّقي...
التفاصيل فقط هي ما سيقودنا إلى هدفنا الصعب!

- ألا تظنين أنّه سيُشكّ بي إن رافقتُه؟!

- طبعاً.. بالتأكيد.... لهذا طلبتُ من رئيس طبابة هونولولو أن يكلم مدير
مشفى الملكة برفع عقوبةٍ بحقّ وفرزك للعمل في أكثر الأماكن
ازدحاماً... وهو قسم الصحّة السلوكية..

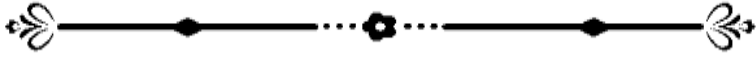
حدّق بها مايكل متفاجئاً:

- ولماذا العقوبة...؟!

- لأنك لا تدع مقيمة طبّ الأسنان الشرعي وشأنها... بل تُزعجها
وتضايقها وتعيقها عن العمل...
صرخ مايكل ذاهلاً:
- أنا..؟!!

قالت سينا بهدوء:
- للأسف... نعم... لدينا شهرٌ كامل... استغله جيّداً...
تمتم مايكل عاضاً على شفته السفلى بغیظ:
- تَبّاً!....
ثمّ نظر نحو سام التي بدت شامتةً به رغم حزنها الدفين فقالت متسائلةً:
- وجاكو؟!
أخذت سينا نفساً عميقاً ثم قالت:
- جاكو هذه....

تناهى إلى سمعهم صوت أسامة وهو يدخلُ الغرفة واضعاً يديه في جيبه
ردائه الجراحي قائلاً:
- لجاكو قصّةٌ طويلة... سأعيشها مع مريض الشب ليكولي الذي شاركتُ
بعمليّتيه الجراحيّتين - البتر وزرع الجزء الداخليّ للذراع في عظمه - وهو
على وشك حصوله على التعويض النهائيّ للذراع الذكية جاكو...
سألته سينا مستفسرةً:
- هل تستطيع مراقبته؟!..



- إنه مريض ويثق بي كوني الداعم الأول له منذ وصوله إلى المشفى بأذية هرسية... سأستغل فرصة نبذه لمعالجه النفسي الخاص وعدم ارتياحه له... كما أنني... (استدرك بجدية بالغة)... لست مطمئناً لفكرة اقتناعه بالقوة الإلهية التي سمع عنها...

- هل يعلم سرّ جاكو؟!

- لا يعلم السرّ تماماً... لكنّه اطلع من خلال صفحات التواصل الاجتماعي على أخبار بعض المرضى المزودين بجاكو الذين أحيل بعضهم للقضاء بسبب الأذيات البشرية التي ألحقها الذراع خطأ!!

- هذا سيئ....

- نعم... إنّ ليكو ينتظر بفارغ الصبر أن يجرب هذه القوة...

- فليجربها إذاً على أيّ مادة قاسية... وراقب ما سيحدث..
ابتسم أسامة هازئاً:

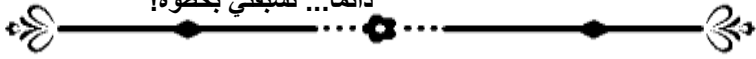
- يريد أن يجربها على أبيه.... يريد أن يسحق ذراع والده!

- ماذا ستفعل؟!

- بدا لي مصمماً جداً.... لا أعلم كيف سأتصرّف.... دعي ذلك للوقت...

- إذاً عليك بجاكو.... ومايكل بالهذيان.... أمّا أنا وسام فلدينا مهام أخرى.

.....



في صباح اليوم التالي...

استدعي مايكل إلى مكتب مدير مشفى الملكة وحصل على "كتاب" فرزه للعمل في قسم الصحة السلوكية والطب النفسي بعد توبيخ دام عشر دقائق لبلوغ المدير شكوى من رئيس طبابة "هونولولو" ما عرضه لموقف مُحرج وسخيف..

فاعتذر مايكل معبراً ما أمكنه عن أسفه الشديد ثم غادر غرفة مكتب المدير مستقلاً المصعد إلى الطابق الثالث وهو يُقنع نفسه بأن تلك التهمة الباطلة مجرد خطة...

وعندما همّ باب المصعد بالإغلاق أشار له عرفان من بعيد ألا يُغلق الباب وأن ينتظره ريثما يصل إليه حيث حاول الإسراع ما أمكنه معتمداً على قدمه السليمة، ثم ابتسم لمايكل ضاحكاً...

- صباح الخير.... وشكراً لك..

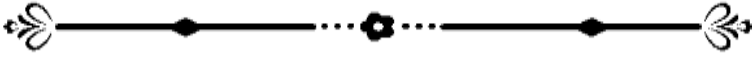
- صباح الخير..

- أهلاً بك في قسمنا...

نظر إليه مايكل متسائلاً فعاجله عرفان بالإجابة:

- لا تكن مُحبطاً... جميعنا مرّ بمحنة العقوبة في أيام إقامتنا...

- لكن... كيف علمت بأمر عقوبتي؟!



ابتسم عرفان خجلاً ثم قال له:

- جميع لوحات الإعلان في أروقة المشفى علّق عليها نسخة من كتاب فرزك مع إنذارٍ داخليٍّ عقوبةً لك!

أرغم مايكل نفسه على الابتسام بأسفٍ وخجلٍ ثم قال:

- أرجو ألا أكون ضعيفاً ثقیلاً... (وحول وجهه عن عرفان غير متأثرٍ بالـ
عضّة شفته السفلية كاتماً غيظه ما استطاع ومؤكّداً لنفسه أنّ التّهمة
الباطلة مجرد خطّة)

فُتح باب المصعد ثم مشى الاثنان باتجاه القسم الذي امتلأت صالة الانتظار
الخاصّة به بالمرضى الجامدين في أماكنهم!

قال عرفان بهدوء:

- هؤلاء المرضى المساكين...

قلّب مايكل نظره في وجوههم ذات الملامح المسترخية دون أي ردّ فعلٍ لأيّ
تأثيرٍ خارجيٍّ..

ثم دخلا غرفة المعالجة سائلاً عرفان:

- ماذا علينا أن نفعل؟!

- لدى كلّ مريضٍ هنا مرافقٌ مسؤولٌ عن حالته النفسيّة... عليك فقط
تسجيلُ القصّة السريريّة وما يسرده المرافق عليك من ملاحظاتٍ أسبوعيّة..
حيثُ يراجعنا مريض الهذيان مرّة كلّ أسبوع... (ثم أشار نحو طاولة المكتب

البعيدة قليلاً عن طاولة عرفان) هناك ستستجوب مرافقي المرضى إن لم تمنع..

- والمرضى؟!

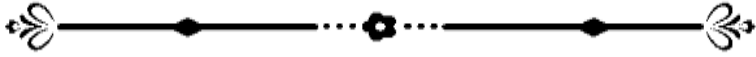
- أنا سأتولّى مهمّتهم... لن أثقل عليك العمل...

ابتسم مايكل مدرّكاً محاولة عرفان لإبعاده عن بروتوكولات العلاج، فانصاع لكل ما أملاه عليه ثم انصرف للعمل...

مضت عدّة أيّام ومايكل يحاول فيها أن يستشفّ شيئاً ذا قيمة إلّا أنّ إصابته بالضجر والملل، حالت دون إجبار نفسه على التركيز.. فصار يُسجّل ملاحظات المرافقين الكثيرة وشكواهم من ابتلاءاتهم الجنويّة التي لا تنتهي، وشعور السخط يسيطر عليه كلّ يوم أكثر ممّا مضى، لكونه ابتلي بعقوبةٍ هو بريء منها..!!

عقوبته هذه التي تستحقّ بامتياز لقب "الأعمال الشاقة" حين أُجبر على العمل لساعاتٍ طويلةٍ في عيادة الصّحة النفسية والسماع للناس الغرباء بل وإرهاق يده بالكتابة التي لا تنتهي!

وحين كانت سينا تسأله يومياً عن نتائج المراقبة، كان يُبدي ضيقاً واضحاً يتبعه لومٌ واحتجاجٌ للمحنة القاسية التي دكّته بها إلى أن سلّم أخيراً بأنّ هذا المرض النفسيّ هو مرضٌ حقيقيٌّ وليس مفتعلاً، وأنّ سينا فتاةٌ باحثةٌ عن المتاعب دون أن تبني رأيها على أيّ أسسٍ سليم!



- انتظر مايكل..... فقط أخبرني.... ماذا يفعلُ عرفان؟! (قالت سينا مستفسرةً وهي تلحُقُ بمايكل الذي كان يسيرُ غاضباً في حديقة المشفى)
توقّف مايكل فجأةً وحدّجها بنظراتٍ منزعجة:

- يعني ماذا يفعلُ؟!... إنّه يعمل....

- أعلم أنّه يعمل.... ماذا يعملُ بالضبط؟!

- أوووف سينا.... يأتي صباحاً.. يحتسي قهوته... ويستقبل المريض... يجتمعُ به... ويطلع على إضرابه الخاصة بالإجراء الجراحي ثمّ يمنحه العقار المعدّل لمثبّطات الأستيل كولين إستيراز مُسجّلاً ملاحظاته الطبية على ذات الإضرابة...

- أيّ إضرابة.... تعني؟!

- إضرابة المريض يا سينا.... ملقّه الجراحيّ السابق الخاصّ بعمليّته الجراحية؟!

ابتسمت سينا متسائلةً باستغراب:

- ما حاجته للملفّ الجراحي؟!....

صرخ مايكل غاضباً:

- ما حاجته للملفّ الجراحيّ....؟!... (ثمّ ارتدّ للخلف مستدرِكاً بصوتٍ

مرتبكٍ).... ربّما.... فعلاً.... ما حاجته للإضرابة؟!

- مايكل.... ماذا تُسجّلون في الإضرابة عندما يتمّ قبول المريض في المشفى؟!

- كل المعلومات السريرية والتشخيصية ونتائج جميع التحاليل والفحوصات مع المشاهدات المرافقة من أعراض وعلامات على المريض... بالإضافة أخيراً للتقنية المتبعة في إجراء العمل الجراحي وما يتبعه بعد ذلك من مراقبات أثناء إقامة المريض في المشفى ريثما يتخرج إلى بيته!

حرّكت سينا رأسها سريعاً قائلة:

- كلاً... ليس هذا النوع من المعلومات العامة جداً والتي يصعب حصرها بشيءٍ مشترك... اسمع... أريد دراسة ملفات المرضى الجراحية.. قال مايكل مستنكراً:

- تريدان دراسة الآلاف من ملفات المرضى؟!

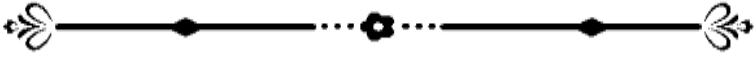
- أريد أن أحصر كل ما هو مشترك في جميع الملفات... نتيجة تحليل ما... تشخيص تفريقي مشترك... أدوية مشتركة... أي شيء يجمع بين تلك الملفات هو ما يقودنا لسبب هذا الهذيان...

تنهّد مايكل بيأسٍ وخيبةٍ عظيمين قائلاً:

- أنتِ مجنونة... تبحثين عن إبرة في كومة قش... وقد لا يكون للإبرة وجود! وعملك هذا يستغرق شهراً طويلاً دون فائدة... هل تدركين ذلك؟! قالت سينا بتصميم وإصرار:

- لا عليكِ مني... كيف أستطيع الحصول على تلك الملفات دون أن يعلم عرفان؟!

- لا يُمكنك الحصول عليها خارج القسم...



- إذا... صوّري...
- (رفع رأسه للسماء) يا إلهي كفّ سينا عني!.... (ثم خاطبها) كم صورةً عليّ التقاطها؟!.. كلّ ملفٍّ يحوي أكثر من عشر أوراق... ثمّ إنني لا أستطيع التصوير بحضور عرفان... والأهمّ من كلّ ذلك... إنّ الملفّات ليست من اختصاصي هناك..... انسي سينا... الأمر مستحيل.....
- رمقته سينا بنظراتٍ جادّةٍ شخّ منها غضبٌ وحقق:
- عليك أن تتابع ما بدأناه.... وإلا فسيضيع حقّ نينا يا مايكل!
- شعر مايكل بالأسى لتذكّره نينا تلك المرأة التي يستحيل أن تنتحر دون التأثير عليها بطريقةٍ بشعةٍ ثمّ قال مستسلماً:
- أستطيعُ تصوير الملفّات ليلاً في أثناء منابقي الليلية..
- سألته سينا متحمّسةً:
- أديك منابقاتٌ ليليةٌ في قسم الصحة النفسية؟!
- ضحك مايكل ساخراً:
- كلاً.... مناباتي في قسم الطوارئ بناءً على عقوبتك الملقّة... يقتصرُ عملي في قسم الصحة النفسية وقت الصباح والظهيرة.... أستطيعُ التسلّل ليلاً إلى القسم وإيفادك بالمعلومات..
- ليتني أستطيع التسلّل معك!.... أقصى ما أخشاه هو معرفة عرفان أنّي على تربّصٍ به... لهذا... أريدُ أن تبعث بالصور إلى رقي هذا... (ثمّ أملت

عليه الرقم وتابعت)... لا تُسجّل عليه اسمي... أرسل إليه الصور فقط دون أيّ شيءٍ آخر... واضح؟
- أنتِ حذرةٌ جداً...

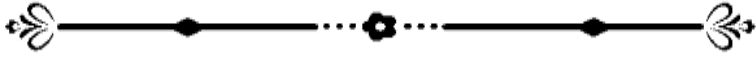
- لأنّنا على المحكّ مع شخصٍ نرجسيٍّ جداً...

أمضى مايكل عدّة ليالٍ في القسم وهو يبعثُ بالصور إلى رقم سينا في حين تولّت سام أمر مناوباته في قسم الطوارئٍ للتغطية عنه برضىٍ وصدرٍ رحبٍ لأوّل مرة...

كانت سينا متربّعةً على سريرها في غرفة إقامتها في المشفى وهي تسجّل كلّ ما ورد في الملفّات من معلوماتٍ قبل وفي أثناء وبعد الجراحة، مُستغرقةً ساعاتٍ طوال وهي تحاول جمع نقاطٍ مشتركةٍ بين مرضى الجراحة العامّة والجراحة العظميّة والجراحة القلبية والصدرية والعصبية والنسائية بالإضافة للجراحة البولية وجراحة الرأس والعنق بما فيها الجراحة الفكيّة والعينية والأذنية....

حاولت التركيز أولاً على الورقة الخاصّة بالعلاج النفسيّ للمرضى بعد إثبات إصابتهم بالهذيان، فوجدت أنّ جرعات العقار المُعدّل لمُثبّط الأستيل كولين إستيراز متفاوتةٌ إلى حدٍّ بعيد...

هذا ما أثبتَ ما قاله مايكل عن تفاوت درجات الهذيان لدى المرضى... تساءلت سينا عن سبب هذا التفاوت ما جعلها تركز على الوقت المستغرق لإجراء العمليّات الجراحية لكلّ مريضٍ على حدة، عائدةً لفكرة أنّ مدّة



التخدير العام هي السبب في هذا التفاوت، إلا أنّ إصابة المرضى الخاضعين للتخدير القطني²⁵ بالهذيان جعلها تلغي فكرة التخدير بكونه سبباً للاضطراب النفسي هذا!

فكرت سينا بالمقياس الذي اعتمده عرفان - الذي حتماً لا يُدرِك شيئاً من اختصاص الطب النفسي الدوائي خاصّة - في تحديد الجرعة اللازمة من العقار الدوائي المُعدّل....

فقامت بتخصيص جداول لكل اختصاصٍ جراحيّ على حدة، وهي تفرز لكل جدولٍ مرضاه مع الجرعات المخصّصة من العقار، فخلصت إلى نتيجة مهمّة جداً... وهي أنّ مرضى الجراحات الصغرى أعطوا جرعاتٍ قليلةٍ من العقار بالمقارنة مع مرضى الجراحات الكبرى...

- الوقت... الوقت... الوقت..... إنّ للوقت المُستغرق في العمل الجراحيّ دوراً في الهذيان!

سرعان ما نفت سينا الوقت عندما وجدت أنّ مرضى الجراحة الأذنيّة والعينية قد أصيبوا بأقلّ درجةٍ من الهذيان، على الرّغم من استغراق عمليّاتهم المعقّدة وقتاً أطول من غيرهم المصابين بدرجةٍ أعلى من الهذيان.. في حين لاحظت أنّ مرضى جراحة الأوعية الدموية والنسائية تليها

²⁵ التخدير القطني: أو التخدير النصفي هو حقن المواد المخدّرة في النخاع الشوكي في الظهر لتخدير القسم السفليّ من الجسم ويكون المريض فيه واع بخلاف التخدير العام.

الصدرية والعظميّة، قد أُصيبوا بدرجاتٍ عاليةٍ من الهذيان على التوالي، على الرغم من استغراقهم وقتاً أقلّ في بعض العمليّات...! لم تشعر سينا بباب الغرفة وهو يُفتحُ إلا حين نادتها سام وهي تُجيل نظرها في

فوضى الأوراق العارمة التي تملأ الأرض وتلك المعلّقة على الجدار المقابل... - هذا لا يكفي... أريدُ المزيد... (قالت سينا وهي تكتبُ لمايكل رسالتها) قالت سام:

- إنّها الليلة الثامنة.... هل من جديد؟!

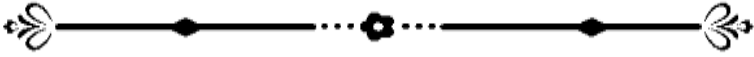
أومأت سينا برأسها متوتّرةً ثمّ قالت:

- تقدّم بطيءٌ جداً.... لماذا سجّل مرضى الجراحة العامة درجاتٍ أعلى من الهذيان؟!... ما الفرق بين الجراحة العامّة والجراحة العينيّة مثلاً ليكون هناك فرقٌ كبيرٌ في الاضطراب الهذيانى بينهما؟!

- التعقيد والدقّة بسبب ساحة العمل ببساطة.... هل تقارنين العمل على العين كالعمل على المعدة أو الكبد؟!

- لكنّ ساحة العمل في إجراء استئصال الزائدة الدوديّة الملتهبة صغيرةٌ جداً.... كذلك إجراء إصلاح فتقٍ إربيّ..... لحظة.....

ركّزت سينا على مرضى الفتق الإربيّ فوجدت أنّ جرعة العقار المُعدّل واحدةٌ لجميع المرضى... فانتابها شعورٌ بالتوتر وهي تُحصى مرضى استئصال الزائدة الدودية الملتهبة فوجدت اشتراكهم بذات الجرعة...



ثم صرخت بانفعال:

- ما علاقة ساحة العمل في كل ذلك؟!.... حتى مرضى جراحة الكبد وجراحة المعدة وكل نوع من أنواع العمليات الجراحية كلها لها جرعةٌ مخصصةٌ وتقريباً جرعةٌ واحدة....! هذا لا ينطبق على الجراحة العامة وحسب.... انظري... إنّ كل نوع من أنواع عمليات الجراحة العظمية تشابهت في ذات الجرعة... ما يُثبتُ فعلاً أنّ لساحة العمل علاقةٌ عظيمةٌ إن لم تكن أساسيةً في إصابة المرضى بالهذيان.... لماذا لا أستطيع فهم المعادلة؟!

- اهديّ سيناً.... أنتِ تُجهدين نفسك... إنّ ما وصلتِ إليه من معلوماتٍ حتى الآن... أمرٌ عظيم..

حدّقت بها سيناً متسائلةً بهدوءٍ مخيف:

- أمرٌ عظيم؟!... أين العظمةُ في كل هذا التعقيد؟!... أشعرُ أنّي ضعتُ في متاهةٍ من الأفكار.... هذا سيّء....

- كلا.... لا تيئسي... ستصلين إلى نتيجةٍ حتماً.... انطلقي ممّا وصلتِ إليه وتابعي..

بدأت سيناً تعبثُ بشفتها السفليّة قائلةً بتوتر:

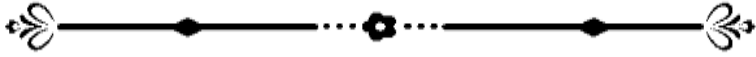
- ماذا لو كان اللزوم الدوائيّ المُعطى للمرضى بعد عمليّاتهم الجراحية هو ما عليّ البحث فيه ودراسته؟!... أو ربّما فترة الإقامة في المشفى بعد العمليات؟!... أو.... (نظرت نحو سام بعينين مُتعبَتَيْن يائستين)... لماذا لم

يُصب جميع مرضى الجراحة بالهذيان؟!.... لماذا نجا بعضهم كالقاضي | كيانو
كاما | الذي ترأس المحكمة العليا بعد موت سابقه؟!
فكرت سام وهي تسيرُ محاولةً عدم التعثر بالأوراق قائلةً:
- ذلك الرجل الهاوائي اللطيف... سعيدةً لتوليّه هذا المنصب...
قالت سينا بصوتٍ غاضب:

- سام.... ركزي معي...
علا صوت رنين هاتف سينا فكان المتصل مايكل...
أحسّت بتجمّد الدم في عروقها عندما لاحظت أنّ مايكل يتصل برقمها
الجديد الذي اتّفقت معه على إرسال الصور إليه وحسب دون أيّ شيءٍ آخر
عدا ذلك...!

علمت سينا أنّ أمرهما قد اكتُشف وأنّ مايكل في ورطة!
ازدردت لعبها بصعوبةٍ ثمّ ضغطت على الإشارة الخضراء ساعحةً بإجراء
المكالمة دون أن تنبس ببنت شفة..
مرّت عدّة ثوانٍ دون أن يتحدّث أيّ من الطرفين إلى أن تناهى إلى سمعها
أنين مايكل تبعه إغلاقٌ للمكالمة.....

نهضت سينا من فورها قابضةً على يدي سام وهي تهمس بصوتٍ واجف:
- مايكل في خطر.... اطلبي من كادر قسم الطوارئ أن يتوجّهوا إلى قسم
الصحة النفسية... عليهم أن يُسعفوه فوراً...



وعندما انطلقت سام قالت لها سينا مفكرةً على عجل:

- انتظري.... لا تذهبي أنتِ....

حيثُ راودتها فكرة احتمال أن يستعلم "الجاني" من كادر قسم الطوارئ
عَمَّن اتّصل بهم لإسعاف مايكل الذي لا يعلم عن وجوده هناك أحد!
فاتّصلت برقم أحد الموظّفين في مركز الطبابة الشرعية في هونولولو قائلةً:

- إيانو.... عليكِ بأقرب كбин هاتف.... اتّصل بطوارئ مشفى الملكة... ثمّة
مصابٌ في قسم الصحة النفسيّة.... بسرعة وحالاً...

مضت عدّة دقائق إلى أن صدحت مكبّرات الصوت في أروقة المشفى بصوت
الموظّفة قائلةً:

- على كادر قسم الطوارئ التوجّه إلى قسم الصحة النفسيّة حالاً... يُرجى من
المنابوين في قسم إسعاف الطوارئ التوجّه إلى قسم الصّحة النفسيّة على
الفور...

.....

كانت سينا واقفةً بهدوءٍ مصطنعٍ تراقب العملية الجراحية المجرّاة على
مايكل جرّاء إصابته بطعنة سكينٍ في بطنه وهي مصرّةٌ على أنّه استُهدف،
فروقب، ثمّ طعن بغية إصابته بتلك العواقب الهذيانيّة للجراحة..
ولولم يكن أرخبيل "هاواي" قد توسّط المحيط الهادئ، لما تردّدت سينا في
العمل على نقله إلى أقرب مشفى خارج هذه الجزر، إلّا أنّ حالته الإسعافية

لا يمكن أن تحتل انتظار ساعة وليس ست ساعات للوصول إلى أقرب ولاية أمريكية!

على هذا المعدل، ستقفّر الجزيرة بالتأكيد من الناس حتى لو قرّروا إجراء عمليّاتهم الجراحية الباردة²⁶ في ولاياتٍ أخرى خارج الجزيرة إلا أنّ جميع الحالات الإسعافية الجراحية لن تحتلّ الوقت المُستغرق للسفر، ما يعني رفض

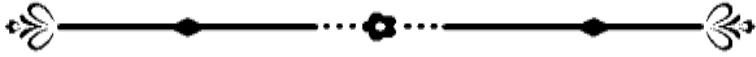
الناس العيش في مكانٍ لن يأمنوا فيه إن أُصيبوا بأقلّ رضّ جراحيّ يتلوه هذيانٌ مديد!

أذعنت سام لما أمله مقيمتها العليا عليها وهي تعمل على إيقاف النزيف ورأب الجرح الداخلي الذي أصاب كبده والعضلات البطنية المغطّية له... في حين حاولت سينا التدقيق بكلّ حركةٍ يتمّ إجراؤها على المصاب عسى أن تصل إلى نتيجةٍ لبحثها المُضني...

لكنّ حقيقة استيقاظ مايكل ثمّ فقدانه التوجّه اللازم لمتابعة حياته ودراسته، أدمت قلبها وأضرمت أعصابها لاسيّما وأنّها كانت السبب في كلّ ذلك!

ولو لم تخش أن تُبعد عن غرفة العمليّات إن أبدت أيّ ردّ فعلٍ منفعليّ

²⁶ العملية الجراحية الباردة: هي كلّ عملية جراحية غير إسعافية تحتلّ الانتظار بعض الوقت حسب تعليمات الطبيب.



لأنهارت بكاءً وألماً لما أودت إليه حماقتها وتهوّرهما في سبيل العثور على سبب ضئيل الاحتمال...

قطع تفكيرها صوت سام قائلةً برجاءٍ وهي تفرد الخيط الجراحي:

- إلهي... أرشدنا لما يمكن عمله حتى لا يُصاب مايكل بالهذيان...
إلهي... اجعله من الناجين من هذا الاضطراب..

كان شكل الخيط الجراحيّ ذو اللون الأخضر الداكن وهو يتحرّر من غلافه الرابع نتيجة سحب سام إبرته المتّصلة به، قد غيّب سينا عن كامل غرفة العمليات بما تحويه..

إنّهُ الخيط الرابع المستخدم لرأب جروح الطعن الداخلية..
جثت سينا ثم أمسكت غلاف الخيط الخارجيّ الذي رمته سام على الأرض وبدأت تقرأ ببطء:

- خيوط فيكريكروم Vicrychrom الجراحية الممتّصة

طوله 2 متر

اللون: أخضر داكن

مجدول

قياس: 3\0

إنتاج شركة ميغا

قالت المقيمة العليا وقد لاحظت تركيز سينا على غلاف الخيط:
- إنه خيطٌ ممتص يُستخدم لخياطة الجروح الداخلية... لقد أبدعت ميغا
عندما جمعت بين خصائص خيط "الكروم كاتفوت"²⁷ مع خصائص خيط
"الفكريل"* بمجدهما معاً...

تمت سينا كمن يقف على رأسه الطير:

- نعم... لقد... أبدعت...

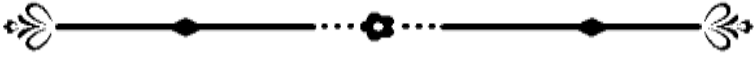
ثم تراجع شاردةً وغادرت غرفة العمليات تحاول حث خطأها غير آبهة
لكتلة الأفكار الجاثمة على خلايا دماغها إلى أن بدأت تركض متحررةً من
كل شيءٍ إلا من فكرةٍ واحدة... وهي الخيط!

لمحت في أثناء ركضها في رواق جناح العمليات، عرفان الذي كان يسيرُ
بيطاً باتجاه معاكس، فتبادلا نظراتٍ خاطفةٍ مُبهمة..

ثم استقلت سينا المصعد باتجاه غرفة إقامتها في المشفى..

وبدأت سريعاً بفرز جرعات الدواء المعدل لكل نوعٍ من أنواع العمليات
المجراة، وقامت بربط جرعة كل مريضٍ مع عدد الخيوط الجراحية
المستخدمة والمكتوبة في ملف المريض الجراحي لدى فقرة التقنية المتبعة في
إجراء العملية فخلصت -

²⁷ خيوط "الكروم كاتفوت" وخيط "الفكريل": هما نوعان من الخيوط الجراحية الممتصة يختلفان في منشأ التصنيع وطريقة الامتصاص وعدة خصائص أخرى.



خلال ساعتين من البحث- إلى نتيجة مفادها أنّ جرعة العقار الموصوفة للمريض تعتمدُ إلى حدٍّ كبير على عدد أغلفة الخيوط الجراحية المستخدمة..!

إنّ الخيط الجراحيّ المُمتصّ هو المادّة الوحيدة التي تبقى في جسم المريض بعد خضوعه للجراحة، والتي يُمكن ربطها بأيّ مادّة دوائية سامة تُسبّب أعراض الهذيان...

هذا تماماً ما يُفسّر سلامة المرضى المصابين بجروح سطحية اكتنفت فيها بخيط جراحيّ غير قابلٍ للامتصاص ويجبُ إزالته بعد مدّة...

أدركت سينا سبب حاجة عرفان للملقات المرضى الجراحية إذ كان يهّمه شيءٌ واحدٌ فقط، وهو عددُ الخيوط التي يُعتمد على أساسها جرعة العقار المعدّل لمثبّطات الأستيل كولين إستيراز!

إنّ ما يُثبّت صحّة استنتاجها هو انحصارُ الهذيان ضمن مشافي أرخبيل "هاواي" دون غيرها من ولايات أمريكا، وهذا يتناسبُ تماماً مع قرار شركة ميغا في منع تصدير مستلزماتها الطبية خارج "هاواي"!

شعرت سينا بالأسف لفوات أوّان إنقاذ مايكل بسبب استنتاجها المتأخّر هذا!

لقد دفع ثمن هذا الاستنتاج غالياً..

والأهمّ من ذلك هو كيف ومَن على سينا أن تُعلّمه بهذا الخبر المرعب! عليها أن تكون حذرةً وأن تحافظ على سرّية ما توصّلت إليه إلى أن تجد

من تثقُ به ويكون على درايةٍ واسعةٍ بخطورة الأمر!... وإلا لَمَا تعرّض مايكل لطعنة السكين!

لملت سينا الأوراق ورتبتها كيفما اتفق مستغلةً الوقت في التفكير بطريقةٍ تُثبتُ صحّةَ تسمّم الخيط الجراحي دون أن تثيرَ أدنى درجةٍ من الفوضى وتعرّضها للخطر، فقرّرت أخذ عيّنةٍ من الخيط بطول نصف متر وفحصها في قسم السموم الجنائية في مركز طبابة هونولولو لتحليلها والتأكّد من صحّة فرضيّتها..

ويبقى السؤال....

ما سرّ نجاة بعض المرضى وإصابة الأغلبية بالاضطراب الهذيانّي؟! غادرت باتجاه غرفة العمليات حيث كانت سام تخيّط الطبقة السطحيّة الأخيرة من الجلد وهي تتمم بدعواتها "الهاوائية" ألا يُصاب مايكل بالهذيان.

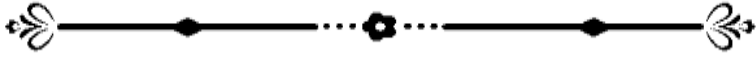
.....

كان الألم الذي أيقظ مايكل من سباته شديداً، أراد الصراخ لكنّ الألم كان يشتدّ، وعندما فتح عينيه ببطء وجد أصدقاءه حوله مبتسمين فهمس بصوتٍ مُتعب:

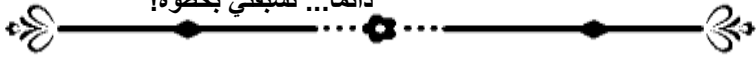
- هل عرفتم الجاني؟!

سأله أسامة باستغراب:

- ننتظرك لتستيقظ وتخبرنا أنت...



- حرّك مايكل رأسه بصعوبة نتيجة شعوره بالدوران نافياً بقوله:
- لا أعلم... بوغت من الخلف بمنديلٍ أطبق على أنفي وفي... هذا جلّ ما أتذكّره!
- سألته سينا:
- ألم تتعرّف على مهاجمك يا مايكل؟؟!!
- كلا... السافل.... إنّ ألّمي فظيع..
- إذا... لقد خدرك بمنديلٍ مخدّر ثمّ سدّد طعنته ليستدرج صاحب الرقم إليك... أغلب الظنّ أنّه علم بكلّ شيء... لكن لا دليل لديه...
- قالت سام مهدّئة:
- لقد أصابت السكّين الفصّ الأيمن من الكبد.... حمداً لله لم تكن إصابة مميتة..
- شعر مايكل بضيقٍ مختلطٍ بالخوف:
- لقد تعمّد ذلك.... تُرى... متى ستظهر أعراض الهذيان عليّ؟!
- قالت سينا بصوتٍ حزينٍ وآسف:
- مايكل.... إنني آسفة حقاً... لم أتخيّل أنّ الأمر سيكون بهذا السوء...
- احمرّ وجه مايكل قائلاً بصوتٍ خفيضٍ مبتسماً:
- لا عليك... (ثمّ تمتم)... لا بأس... أنا بخير.... لكن... هل وصلت إلى نتيجة؟!



- امممم... ليس بعد...

ندّ عن مايكل صوتُ أنينٍ مصحوبٍ بنظراتٍ مصدومة قائلاً بألم:

- لا..... سيناً..... لا..... لا تقولي هذا...

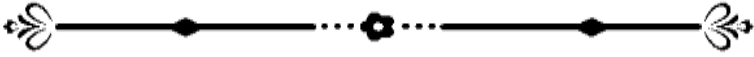
طُرق بابُ الغرفة فدخل المحقّق الذي حقّق في قضيّة انتحار العمّة نينا وبرفقته عنصران من قسم شرطة هونولولو قائلاً:

- من فضلكم.... نريدُ التحدّث إلى المصاب... أرجو إخلاء الغرفة..
قالت سام برجاء:

- سيّدي المحقّق... لقد استيقظ لتوّه... ألا يُمكننا الانتظار حتى يستعيد شيئاً من عافيتِه؟!

- كلا... نريدُ أن نسأله بعض الأسئلة قبل أن تظهرَ أعراض الهذيان المديد...
لا تقلقي... لن نثقلَ عليه!

غادر الثلاثة مُدركين أنّ لا طائل يُذكرُ من هذا النوع من التحقيق الروتينيّ، وأنّ مايكل سيُحسنُ التصرّف بما سيُدليه من معلومات... لم يكن شعوراً بسيطاً أن يتخيّل مايكل نفسه مصاباً بأعراض تُشبه أعراض الخرف المبكر بعد أيّام قليلةٍ من إصابته بطعنة السكّين! ولو أنّ الأمر يستحقّ في النهاية هذا الثمن، لحفّف ذلك من مصابه نوعاً ما.. لكنّ سينا أحالت كلّ توقّعاته وآماله هباءً منثوراً بقولها... ليس بعد... كان مايكل يراقبُ الساعات التالية وهو يُحصى ما عليه تسجيله خشية نسيانه، من أسماء عائلته التي أُصيبَت بصدمةٍ من الذعر لدى ورود خبر



إصابته إليها، وأسماء أصدقائه وعناوين الأماكن التي يتردد إليها بما فيها بيته والمشفى وشاطئ "وايكيكي" الساحر وغيره الكثير... ثم أحسّ بالحزن لفقدانه اللاحق جميع الذكريات السعيدة واللحظات الجميلة التي تُهَوِّن عليه حياته كلما اشتدت عليه بقسوتها، على الرغم من خلّوها تقريباً من المنغصات، إلا ذلك الشعور البغيض لدى نفاذ علبة السجائر وهو في خضمّ عمله في المشفى.

إنّ ما هوّن عليه الأمر بعض الشيء هو الشفاء التام بعد شهرين تقريباً، وأنّ العقار المعدّل سيُخَفَّف قليلاً من الأعراض..

لكنّ الهذيان في النهاية هو هذيان!

ومايكل سيُصبح مايكل الخرف!

فيا لها من عاقبة!

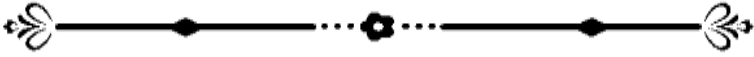
أشرقت شمس "أواهو" في الصباح الخامس الذي استطاع مايكل أخيراً النوم فيه بعمقٍ حين خَفَّت شدة الألم كثيراً عما كان عليه.. فاستيقظ وفي نيّته متابعة نومه غير مكترثٍ لأيّ شيءٍ سوى الراحة.. أزعجه صوتُ طرق باب الغرفة الهادئ فنهض بصعوبةٍ قائلاً:

- تفضّل...

فتح الباب عن عرفان وفي يده طاقةً من الأزهار الهاوائية الملونة قائلاً:

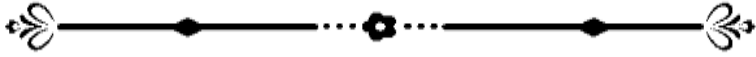
- صباح الخير... وحمداً لله على سلامتك

- رقمه مايكل بنظراتٍ ملؤها الشكّ ثمّ تدارك الموقف مرحباً:
- شكراً لك.... تفضّل بالجلوس..
- جلس عرفان ثمّ قال بصوتٍ حزين:
- مؤسّفٌ أنّ إصابتك حصلت في قسم الصّحة السلوكية.... لا شكّ أنّ التحقيق سيأخذ سيره لينال المجرم جزاءه العادل..
- نعم... كنتُ أَسْأَل فقط عن مصلحة المجرم في طعني...
- ربّما تسأَل المجرم بدوره عن سبب وجودك هناك في وقتٍ متأخّرٍ من الليل.... كما تسأَلتُ أنا!
- ليتني أستطيعُ إخباره عن كمّ العمل الذي عليّ إنجازه عندما فُرزتُ إلى ذلك القسم اللعين.... كما تعلمُ أنت!
- اممم.... ما يهمُّ الآن هو أنّك بخير.... (ثمّ ابتسم بلطف).... عليك أن تخلّد للراحة.. وأعدك أنّنا سنعملُ معاً للقبض على المجرم المتسلّل إلى القسم...
- غيّر مايكل سير الحديث متأوّهاً:
- لا يهمني بقدر قلقي من الهذيان المديد التالي للجراحة.... ساعدني رجاءً.... هل من طريقةٍ تجعلني من الناجين منه؟!
- ابتسم عرفان بأسف:
- أتمنّى ذلك.... لو كان ثمة طريقة... للجأ إليها جميعُ المرضى يا مايكل
- آآآ.... ماذا أفعل؟!.... لا أريد أن أصبح مجنوناً يا دكتور.... هل أبداً
- بتناول العقّار المعدّل؟!.... ما رأيك؟!.... أرجوكُ أرشدني..



- أنت أمريكي أم بريطاني؟!
- لا هذا ولا ذاك.... إنني هاوئي...
- نهض عرفان من مكانه ثم تقدّم نحو مايكل ببطء واقترب منه قائلاً:
- افتح عينيك جيداً... (ثم قرب منبع ضوءٍ من حدة عينه اليمنى متفحصاً
وأعاد الكرة على عينه اليسرى فقال بصوتٍ بدا مصدوماً رغم هدوئه)...
يبدو أنك محظوظ يا مايكل...
- ماذا تعني...
- أعني.... لم تظهر عليك العلامات الأولية بعد على الرغم من مرور اليوم
الخامس التالي للجراحة... (ثم حدّق به ملياً مبتسماً بذهولٍ ضاحكاً
ضحكةً بدت مغتظةً رغم تصنعها)... هذا.... رائع...
- برقت عينا مايكل ثم تهّدج صوته فرحاً:
- أحقّاً ما تقول؟!.... لن أصاب بالخرف؟!
- اسمه هذيانٌ يا مايكل.... وليس خرفاً!
- ضحك مايكل بهستيريّة:
- سيّان يا دكتور... زهايمر... خرف... هذيان... جنون... كلّها شيءٌ واحد
أوما عرفان برأسه مبتسماً:
- صحيح... حقٌّ لنا أن نحتفل.... أين أصدقاؤك؟!
- كلّ في عمله..
- اسمك مايكل... عادةً ما يُسمّى الهاوئيون أسماءهم الخاصّة..

- ليس ضرورياً... لكن نعم... في الغالب هذا صحيح... دكتور... أريد أن أسألك سؤالاً...
- تفضل...
- لماذا انتحرت نينا برأيك؟!
- بانت مشاعر الأسف واضحة على ملامح عرفان الذي قال بهدوء:
- يؤسفني ما أصابها... كان على فريدريك أن يدرك عواقب قراره في التخلي عن عمته...
- ألم يطلب منك فريد ذات مرة أن تحمي سام إن حصل وحاولت الانتحار؟! لماذا لم يطلب منك ذات الأمر مع عمته الأكثر تأثراً بفقدانه ربّما!
- يبدو أنّك تأثرت بأسلوب سينا في الاستجواب!
- هل هذا يسوؤك؟!
- لا يسوؤني شخصياً... إنّني في النهاية شخصٌ بسيط... البساطة هي ما جعلتني على قيد الحياة يا مايكل... وأنصحك أن تكون مثلي... بسيطاً..
- أنت بسيط وأنا بسيط والجميع بسطاء... ليجد من يريد دمارنا أسهل الوسائل والطرق من خلال بساطتنا!
- أنتم بالذات... لا أحد يريد دماركم!
- من تقصد...؟!



نهض عرفان منسحباً من المحادثة ثم ابتسم بلطفٍ جذل:
- كن حذراً... لقد أفلقتني عليك يا فتى!
ثم غادر تاركاً أثراً محيراً لدى مايكل الذي فكّر جدياً بأنّ عرفان بريء حقّاً
من دم نينا!

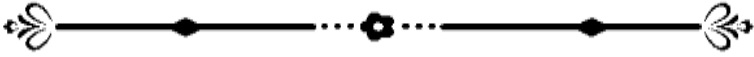
الفصل التاسع عشر

(دايموند هيد)

- التزموا الصف يا سادة.... بهدوء... كل في دوره... لو سمحتم... الزموا الصف

كان موظف إدارة أمن النقل والمواصلات في مطار "دانييل إينوي- هونولولو" يسعى لتنظيم الدور وحث الناس على الهدوء، حيث كان المطار يعاني من ازدحامٍ شديدٍ للمسافرين المغادرين على متن الخطوط الجوية الهاوائية إلى أماكن أخرى خارج أرخبيل "هاواي" المعزول والبعيد ما جعله وبسبب الفوضى التي أثارت ذعر السكان، مكاناً غير آمن...

لقد شهدت مطارات جزر هاواي الشمالي حشوداً غفيرةً في الآونة الأخيرة، بعد أن يئس السكان من احتواء ما قد شيع عنه اضطراب PPOD الهذيان المديد التالي للجراحة وانتشاره بشكلٍ واسعٍ في مكانٍ لم يعد عاديّاً أن تحدث فيه الحوادث المرورية أو السقوط أو أيّ إصاباتٍ أخرى بما فيها تلك الناتجة عن جرائم اعتداء كالطعن والطلق الناري ما تُرغم المصاب للخضوع لأقلّ عمليةٍ جراحيةٍ تُسبّب له هذياناً يدوم في أفضل الأحوال شهرً إلى شهرين.. ما جعل الناس تفكّر جدّاً بالسفر ومغادرة الأرخبيل إلى مناطق لم تُسجّل فيه أيّ إصاباتٍ من ذلك الاضطراب النفسي الغريب..



وقف والد الشاب ليكو لي ينتظرُ دوره في الصف بانزعاج واضح وهو يراقبُ هذا الازدحام الشديد للمغادرين في أكثر أوقات السنة اكتظاظاً بالسيّاح القادمين من جميع دول العالم!

مضت ساعتان إلى أن استطاع الحصول على تذاكر السفر لعائلته المكوّنة من أربعة أشخاص - الأب والأم والابن ليكو والابنة نيهاو- وعندما عاد إليهم سأل زوجته وابنته عن ليكو حين لم يجده، فقالا إنّه قد ذهب إلى الحمام!

لم يكن صعباً على الشاب ليكو ذي اليد اليمنى المبتورة والتي تمّ دمجها مع الجزء الأوّل الداخليّ من الذراع جاكو JAKO الهروب من المطار في ظلّ هذا الازدحام الشديد..

لقد كان رافضاً تماماً فكرة السفر قبل حصوله على كامل الذراع والتي لن يستطيع الحصول عليها خارج هاواي، خصوصاً وأنّ موعد وصل ذراعه بها في الأيّام القليلة القادمة...

إلا أنّ إصرار والده ذي الشخصية الغاضبة أغلب الأوقات حال دون ذلك الرفض فقرّر الهرب والعودة من حيث أتى!

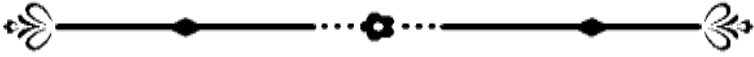
كان باص النقل الذي استقلّه من موقفه الخاصّ في المطار، قليل الركّاب ما جعله خائفاً من احتمال اكتشافه من قبل أبيه أو أحد أقاربه، ذلك الخوف الذي لم يستطع التخلص من آثاره بعد أن بُترت يده بسبب إهمال والده وإرساله إلى مخزن الحديد في المعمل دون أدنى درجةٍ من الحيلة والحذر!..

فزع ليكو لدى اهتزاز هاتفه في جيب بنطاله، فأخرجه بيده اليسرى وفكّر ملياً قبل أن يُغلق المكالمة الواردة من أبيه، ولم يجد بُدّاً من الاتصال بطبيبه وصديقه أسامة والاستئناس برأيه فيما عليه أن يفعل إلاّ السفر ومغادرة هاواي دون حصوله على الذراع الحارقة جاكو JAKO

- ألو... دكتور... أنا ليكو... أرجوك يا دكتور... احصل لي على الذراع سريعاً... لقد قرّر أبي مغادرة الجزيرة... وأنا لا أريدُ المغادرة بهذا الشكل الشائن... (ثمّ نظر إلى يده اليمنى الموصولة بأسطوانة معدنية صغيرة شاعراً بالسخط والغضب)... كيف سأُتخلّص من هذا الشخص إلى الأبد؟! مضت عدّة دقائق إلى أن هدأت لواعج ليكو واستكان لصوت طبيبه العقلاني الهادئ، ثمّ أغلق هاتفه وقرّر الذهاب إلى مشفى الملكة حيث سيلقاه هناك...

إلاّ أنّ المكالمة التالية الواردة من معالجه النفسي الخاص كانت كفيلةً بإصابته بالقلق والتشوُّش عندما طلب منه العودة إلى المطار وملازمة والده الذي سيحظى بتجربة "القوة الإلهية" كما أراد لها ليكو تماماً؛ عليه فقط أن يصبرَ وسيرى أنّ فكرة السفر قد أُلغيت تماماً... - تَبّاً... تَبّاً...

قال ليكو وهو يراقبُ نصف الذراع الباقية من جسده، همّة الآن هو اكتمالها بجاكو ولا شيء آخر!



ترجّل ليكو عند أوّل موقفٍ لباص النقل ثمّ بحث عن أقرب طريقٍ يوصله إلى مشفى الملكة بناءً على طلب طبيبه أسامة..

استغرق طريقه ربع ساعةٍ حيث توقّفت سيّارة الأجرة وأسدّى ليكو حسابه على عجل ثمّ غادر السيّارة التي سرعان ما توقّف مكانها سيّارةً أمنيّةً داكنة وترجّل منها رجلان بملابس سوداء ثمّ سحبا عنوةً إلى داخل السيارة

صرخ أسامة مندفعاً نحوهم:

- ليكو... ليكو... دعوه....

ثمّ حاول فتح باب السيّارة بقوة وهو ينادي:

- إلى أين تأخذونه؟؟

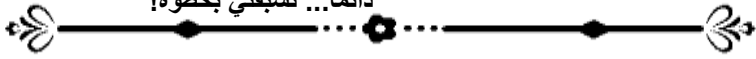
- من هذا الشخص يا ليكو؟! (قال أحد الرجلين مخاطباً الشاب)

أجاب الشاب بصوتٍ مرتجف:

- إنّه طبيبي... أسامة... الطبيب الذي سيشبك ذراع جاكو بغرستها في ساعدي..

- أحضروه معنا..

علم أسامة أنّه في حالة شبه اختطاف، وأنّه سيُحاول الاستمتاع ما أمكنه في الطريق الأخضر المؤدّي إلى مخروط "دايموند هيد" حيث مصدر المتاعب على هذه الجزيرة..



تساءل بصوتٍ هادئ:

- إلى أين نحن ذاهبون يا سادة؟!

أجاب السائق:

- إلى المنظّمة الأمنيّة S

- هل لديّ ما أساعدكم فيه هناك؟!

- نعم..

- هل أنا مُختطف...؟

- تقريباً..

- هل أنا في خطر؟!

- كلا..

- هل ليكو في خطر؟؟

قال الرجل الجالس بجانب السائق غاضباً:

- هلاً سكّ من فضلك.... لديك عملٌ ستنجزه هناك ثمّ تعود أدراجك...

- هل أستطيعُ إجراء مكالمة؟!

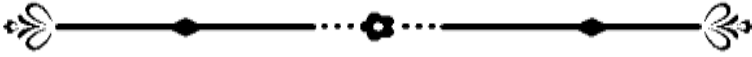
- (أطلق زفرةً غاضبة).... مع من تريدُ أن تتّصل؟!

- مع أحدِ أصدقائي... لأخبرهم ألاّ ينتظروني على الغداء...

- اتّصل... لكن سريعاً...

أجرى أسامة مكالّمته باقتضابٍ مع سينا ثمّ سألهم:

- متى تنتهي مهمّتي؟!



- لا نعلم.... لن نُؤخِّرْك... (ثمَّ وجَّه كلامه إلى السائق) إنَّه طبيبٌ مزعج!

أجاب أسامة بعد أن أغلق الهاتف:

- آسف... سأصمت..... متى سنصل؟!

- كلمةً أخرى وسأرمي بك على سفح المخروط

سكت أسامة على مضض ثمَّ عاد لمراقبة الطريق آملاً أن تُنَجِّزَ مهمَّته سريعاً.

توقَّفت السيارة في موقفها الخاص قرب مبنى المنظَّمة الأمنية ثمَّ قادَ الرجلان

أسامة وليكو إلى مكتب رئيسة المنظَّمة الأمنية S السيِّدة جنيفر لويس التي

قالت بلكنتها الأمريكيَّة:

- أدخلوا المريض إلى غرفة العمليَّات...

صرخ ليكو وهو يحاول دَفْعَ الرجلين عنه قائلاً:

- لماذا العمليَّات؟!.... هذه المرحلة لا تحتاج للجراحة.... أخبرهم يا أسامة...

(ثمَّ تلاشى صوته لدى مغادرته برفقة رَجُلِي الأمن منادياً) أسامة....

فتساءل أسامة بثباتٍ زائف:

- سيِّدتي... أأستطيع معرفة السبب؟!

- لأنَّك ستُخرج لي هذه الأسطوانة المتَّصلة بيده... جاهز؟!

ابتسم أسامة بذهولٍ وسذاجة:

- لماذا؟!؟!

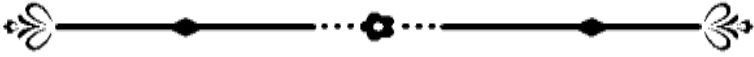
- دكتور... يجبُ أن نجمع جميع أذرع جاكو حالاً...

فكّر أسامة بحجم الورطة التي هو بها الآن خصوصاً وأنه لم يتأكد بعد من طبيعة الجهة المسؤولة عن حياة ليكو والتي تسمّي نفسها المنظّمة الأمنيّة S كان عليه أن يُفكّر بطريقةٍ تُخلّص ليكو من معاناته لا أن يزيدّها! من الواضح أنّ هذه السيّدة صارت على علمٍ بخطورة الذراع جاكو JAKO لكن لماذا لم تهتمّ بموضوع الهذيان وسببه الذي اكتشفته سينا؟! لقد دخلت الجزيرة في فوضى عارمة، وهي على وشك الإفقارٍ من الناس بفعل فاعلٍ بلا أيّ شك؟!!

رمق أسامة جنيفر متسائلاً عن مدى ثقته بها لتكون أوّل شخصٍ يبثّه الحقيقة التي اكتشفها مع أصدقائه فيما يخصّ تقارير الذراع جاكو وذلك الخيط الجراحيّ المسموم الذي أخفت سينا حقيقته عن الجميع في البداية - حتى مايكل الذي كان مهتّداً بالهذيان - خشيةً افتضاح أمره قبل أن تتمكن من المعلومات...

إنّ سينا حذرةٌ للغاية!

وليس خوفاً من أن يكتشفها عرفان غريب الأطوار! لم يعلم أسامة بعد مخطّط سينا من كلّ ذلك التعيم للمعلومات الخطيرة التي ينبغي الإعلان عنها بالسرعة القصوى.. ربّما تخشى الوقوع في فخّ الشعور بالانتصار فيفتلّت منها بعضٌ من زمام ما تُسيطر عليه، ما قد يؤدي بكلّ شيءٍ بما فيه حياتها!



تذكر أسامة تلك المحادثة المقتضبة معها حين اقترح عليها إرسال عيّنة من الخيط إلى منظّمة الصحة العالمية فأجابت باستنكار:

- ما أدرانا أنّ الخيط سيصلُ إلى الأشخاص الحقيقيين؟!... كما أنّي أفكر في طريقة تحميننا يا أسامة... هذا أولاً... ثانياً... علينا أن نوقع بعرفان ولن نفعل ذلك ما لم نجتمع بفريدريك!

- أنت مجنونة.... كيف وأين سنجتمعُ بفريدريك؟!
ابتسمت سينا بمكر:

- على "دايموند هيد"

- مستحيلٌ وصولنا إلى هناك...

ضحك أسامة في سرّه عندما تذكر قوله ذاك وهو الآن في منتصف فوهة المخروط البركانيّ الخامد وربّما على بُعد خطواتٍ من لقائه مع فريدريك.. عليه أن يركّز على ذلك الطلب الغبيّ الذي عليه أن يحقّقه لجنيفر، وهو نزع الجزء الداخليّ من جاكو من ذراع ليكو..

تلك العمليّة المستحيلة تقريباً دون أن تسبب للفتى أذيّاتٍ خطيرةٍ هو بغنى عنها!

كما أنّ أسامة ليس مؤهّلاً كفايةً لهذا النوع من الإجراءات الجراحية الصعبة بأقلّ الأضرار الممكنة..

طرق الباب ثم دخل موظّف الأمن قائلاً:

- سيّدتي.. عرفان يريدُ رؤيتك

دخل عرفان بنفسه دون انتظار وحقّ بأسامة بلا أي ردّ فعل يُذكر ثم قال مخاطباً جنيفر:

- اختطافك ليكو ليس ما ينصّ عليه اتّفاقنا يا سيّدي...
- أعتقل من أرى أنا أنّه يجب أن يُعتقل أما أنت... (ثمّ لطمت وجهه بصفعة قويّة)... أنت وقح...
أدار عرفان رأسه الذي تحرّك إلى اليمين بفعل الصفعة بهدوء ثم ابتسم بدمائة:

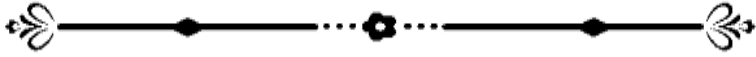
- وقح لأنني لم آت لمكتبك في ذلك الصباح... لا أذكر أنّي وعدتك بالقدم!

- أنت مجرّد جُرذ يا عرفان... ألعيبك هذه لن تنطلي علي!... إيّاك أن تظنّ نفسك أنّك ذو قيمة!... أنت جُرذٌ خبيثٌ لدى بيكا... وقارضُ مزعجٍ للمنظمة يجب التخلّص منه!

ثمّ أضاف أسامة بهدوء مبتسماً غير متأكّدٍ إن كان سيخرج حياً من هنا أو لا:

- وثعبانٌ سامٌ قاتل بكلماته المسمومة التي قتلت نينا....
تحوّل صوت عرفان ليصبح جاداً عندما حدّق بأسامة متفاجئاً:
- تلك الوديعة

- لقد وقعت في الفخّ يا عرفان
- لكن... كيف... وقد أخبرتني الموظّفة أنّ أحداً لم يستلم هاتف نينا؟!



- نَسِيتُ أَنْ تَحْبِرَكَ الْجِزْيَةُ التَّالِيَةُ: - بَعْدَ سَام -
قال عرفان متداركاً:

- هه... الكلمات لا تقتل... لا دليل يدينني أيها الأحق...
- ربّما لو لم يكن الحبل المستخدم في الشنق سلكاً كهربائياً معزولاً بمادّةٍ مطاطيّة... لاستطعت الإفلات... كان عليك أن تمسح بصماتك عن المادة المطاطيّة العازلة بعد أن علّمتها لنينا بكلّ إخلاصٍ وحبّ كفيّة صنع العقدة المنزقة... حتى هاتف مايكل... لقد أرسل للفحص الجنائيّ وقريباً ستصلُ نتيجة تحليل بصمات الأصابع الغريبة التي استخدمت الهاتف..
أحسّ عرفان بالرعب الحقيقيّ لأوّل مرّة مذ خطا على أرض الجزيرة، فطالع وجه جنيفر عسى أن تُخلّصه بطريقتها الخاصّة من هذه الورطة إلّا أن نظراتها الشامتة حالت دون أمنيته!

إنّه يعلمُ أنّه يملكُ من الأسرار القادرة على دكّ مخروط "دايموند هيد" على رأس الجميع، لكنّه آثر السكوت فتابع أسامة متسائلاً باستغراب:
- إنّ حماقتك في فكرة الإشارة لاسمك على صفحة أرقام شهر آب جعلتني أنفي عنك صفة النباهة!... لماذا فعلت ذلك؟!؟

- اسمي... هه... لستُ أنا من ربط أحرفه مع الأرقام... (ثمّ خاطب جنيفر)... أحد موظفي الأمن في المنظّمة S... هو من فعل ذلك بغية الإيقاع بي فعلاً... إنّّه فريدريك!
قال أسامة بثباتٍ متشككاً:

- هل تقول إنّ فريديك....

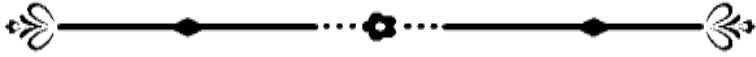
- نعم.... دخل المنزل ليلاً بُعيدَ انتحار عمّته... كانت جثّتها ما تزال دافئة.. وشكّل تلك الشيفرة اللعينة... أمّا الوديعة فكانت تلك حبكتي لتثق بي نينا من جهة ولأكتشف عن طريقها أنّ أحداً منكم سينتبه للموضوع... أحسّ أسامة بالقشعريرة لدى تخيّلهِ مرور فريديك بجثة عمّته المعلّقة بالسقف في الظلام بأعصابٍ باردة ليُشيرَ بأصابع الاتّهام إلى غريم نينا الحقيقي!

هذا بالضبط ما أثبت كذب عرفان عندما قال إنّ فريديك طلب منه حماية سام إن حصل وأقدمت على الانتحار في ذلك اليوم حين حاولت سام إغراق نفسها، لكن في الحقيقة كان عرفان يراقبها ليُثبتَ ولاء فريديك للمنظمة بأنّه انسلخ حقّاً عن كامل حياته السابقة!

تأكّد أسامة حينها فقط أنّ عرفان شخصٌ رخيصٌ يراقبُ ويكتبُ تقارير مراقبته لعدّة جهاتٍ يعملُ لديها، وقاتلٌ منافقٌ جبانٌ لا يؤتمن لأقلّ كلمةٍ يتفوّه بها لسانه الكاذب! والأهمّ من ذلك أنّه باردُ الأعصاب غير آبهٍ لعواقب أفعاله الماكرة... حتّى إدانته التي سمعها الآن بأذنه لم تكن بالنسبة له أكثر من مجرد معلومةٍ عابرةٍ ليس إلّا!

ألهذه الدرجة هو متأكّدٌ من عدم جدوى ذلك الدليل الدامغ؟!

- سيّدي... إنّ ليكو تحت التخدير... (قال أحدُ رجال الأمن لجنيفر)



أشارت جنيفر بعينها للموظف ليصطحب أسامة إلى قسم العمليات..
أحس أسامة بالحيرة وهو يسألها مبتسماً:
-الكذبُ صفةٌ سيئة... لقد أخبرني هذا الرجل أنني وليكو سنكون بخير
ولسنا في خطر!

-

- ماذا يجب أن أفعل بالضبط؟!
- أظنّ أنّ طليبي كان واضحاً... أخرج جاكو من جسده....
- لكنّها مندجّةٌ بذراعه... هذا مستحيل...
- إذاً أقطع ذراعه المتّصلة بها....
- لكن....
- حسناً... ظننتُ أنّ ليكو يهّمك أمره... (ثمّ خاطبت موظّف الأمن) اذهب
أنت.... وائتني بجاكو...
سأله أسامة بسداجة:

- أأنتَ طبيب؟!... تستطيع استئصالها صحيح؟!
أخذ الموظّف الفأس المعلقة بجانب أسطوانة إطفاء الحريق قائلاً:
- سأستخدم هذه!... (ثمّ غادر)
علم أسامة أنّ حقّه من الوقت قد فات وأنّ عليه الانصياع لأوامر هذه
السيدة المربعة فقال بعجل:
- انتظر... أمزحُ معك وحسب!.... خذني إلى غرفة العمليات..

سألته جنيفر:

- كم تحتاج من الوقت لُنهي مهمّتك؟!
- لا أعلم... إنّها المرة الأولى التي أستاذل فيها شيئاً مُلتصقاً بالعظم
- اعتبرها تدريباً... ففي الطريق إلى هنا تسعة مرضى هاوائيين مزوّدين بجاكو..

حدّق بها أسامة متمنياً ألاّ تطلبَ منه هذا الطلب مجدّداً تسع مرات! ثمّ غادر برفقة الموظّف.

تساءل عرفان باهتمامٍ واضح:

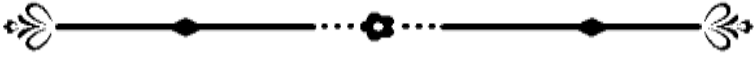
- لماذا تريدان استئصالها من الهاوائيين؟!... هل خرجت الأمور عن السيطرة؟!

أمسكت جنيفر فنجان القهوة ورمته بأقصى ما تستطيع من قوّة، ولو لم يُبعد عرفان رأسه لشجّه وأدماه.. فقال لها محدّجاً:

- إنّها المرّة الأولى التي أراك فيها مرتاعةً هكذا... ماذا حدث؟!
- تمتت جنيفر بغضبٍ مكبوت:

- لقد هرب فريدريك... منذ عدّة أيام... ولم أجِدْ له أثراً في أيّ مكان!
- قال عرفان ببساطة:

- وماذا في ذلك؟.... اقتليه حيثما تجدينه!
- صرخت جنيفر بهستيريّة:
- كلا... كلا... يجبُ ألا يموت...



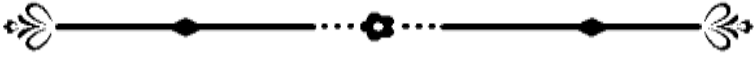
- أوف!... ولماذا؟!
- لقد فتح صمّامات جاكو الوريدية... وأغلق نظام التحكّم بشيفرة خاصة... لا يعلمها إلا هو...
شعر عرفان بالإنّارة المختلطة بالخوف فتساءل بهدوء:
- أين مديرة أعماله كاترين... ألا يُفترضُ بها ملازمته؟!
- لقد هرب بينما كنا معاً في مطعمٍ في حيّ "آينا هاينا Aina Haina" عندما غابت عن أنظاره بضع دقائق...
- في الواقع... هذا سيء... سيء جداً...
أمسكت جنيفر بيديها السراوين النحيلتين تلايت عرفان ثم خاطبته بعصبية:
- أنت... ما دورك الحقيقي؟!... هل تظنّني بلهاء عندما تجرّأت على اختراق القسم الشماليّ من مبنى مركز الأبحاث والنزول بالمصعد السري إلى المربع الناري الأزرق؟!... هل يكفي عدم تحرّكك من مكانك في ذلك الوقت خشيةً أن تفضحك قدمك لئلا أعرفك أيّها الجبان؟!... (ثم صرخت به)... كيف سمحت لأولئك المقيمين الأغبياء أن يكتشفوا أمرك؟!... كيف تركت بصمات أصابعك على السلك الكهربائي؟!...
قال عرفان مجادلاً:
- لماذا سمحتِ أساساً لفريدريك بالإشارة إلى اسمي؟!؟!!

- أنت تعلم أنّ تلك الإشارة مجرد عبثٍ لن يُفيد المحققين في شيء!...
(وتابعت غاضبةً)... إنّها مشكلتك الأساسية أيّها الغبي!... (ثمّ تحوّل صوتها
لصوتٍ يائسٍ)... أنت ستكون السبب إن وقعنا!... وإن وقعنا يا عرفان أقسم
لك... أنّني سأعلّق رأسك تذكّاراً على قمّة المخروط..
ضحك عرفان هازئاً:

- أرجو أن تكوني خائفةً من ثوران المخروط أكثر من وقوعنا يا جنيفر..
- الجوّ حارّ... ألا تشعر بالاهتزازات هنا؟!... لا يمكنني التخلّي عن فكرة
ثورانه من جديد.... (ثمّ أفلتته بعصبية)... مع ذلك... لن أغفر لك
الأعييك الصبيانية المراهقة معي....

- هل أرسلتِ حقاً بطلبٍ إحضار الهاوائيين التسعة لاستئصال جاكو؟!
- ليس بعد... إن لم يتمكّن المهندسون من فتح قفل نظام التحكم وفكّ
الشفيرة اللعينة... ليس أمامي سوى هذا الحل..
- اممم... هل أنتِ واثقةٌ أنّ المرضى وذويهم سيتقبّلون إجراء عمليّة
الاستئصال الجراحيّ على جزيرةٍ اشتهرت بما يُسمّى بالهذيان المديد التالي
للجراحة؟!!

ازدردت جنيفر لعابها بخوف ثمّ قالت:
- وإن لم نرسل بطلبهم... ماذا علينا أن نفعل قبل أن تُكتشف قوّة جاكو
الحقيقيّة والتي كانت أساساً ذات تساؤلاتٍ مربية لدى الناس والجهات
العليا؟!... علينا أن ننزعها من أذرعهم قبل أن يهتدوا للسرّ الحقيقي...!



ويستخدموا هذه القوة بتهور... حينها ستدك الولايات المتحدة مخروط
"دايموند هيد" على رؤوسنا جميعاً... علينا أن نصرف يا عرفان...
- أمامك حلان لا ثالث لهما... إما أن تُكثفي جهودك لتعثري على
فريدريك ونجبره على فتح قفل نظام التحكم ثم نعاقبه عقاباً يليق بسلوكه
الطائش.. أو وإن طال الأمر... اقضي عليهم...
- لستُ بلهاء لأثير الشكوك بالقضاء على أشخاص جميعهم مزودين بالذراع
الاصطناعية!

- لا تنسي... ثمة العشرات لم يستطيعوا استخدام قوتها...
- دع ذلك للوقت... أتمنى أن نتمكن من الحل الأول وأن نجد فريدريك..

....

كان أسامة يُحضّر نفسه لإجراء الجراحة التي لا يعلمُ تماماً عن تقنيّتها بما
يمده بالثقة اللازمة لانتزاع هذا الشيء الملتصق بيد ليكو..
لم يستطع أن يحدّد تماماً المكان الذي يضمّه..
إلاّ أنّه أدرك أنّه بات على عمقٍ سحيقٍ من سطح قوّة المخروط دون أن
يتخيّل أنّ مبنى المنظّمة بهذا التعقيد الغريب!
كيف علمت المنظّمة بالسّر وهي على عداءٍ دائمٍ مع شركة ميغا "مبتكرة
جاكو" أصلاً...؟!

لا بدّ أنّ ثمة ما يُحَاك بالاتّفاق بين الطرفين، إلاّ أنّه استبعد شيئاً من ذلك
عندما فكّر بأنّ ميغا لو أرادت انتزاعَ جاكو من أذرع المرضى المبتورة،

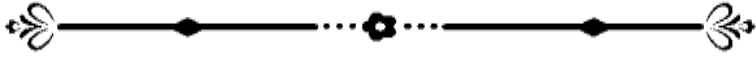
لأوكلت هذه المهمة الحساسة لمدوبها الجراح الذي قام بزراعتها باحترافية ومدّ تلك الحوجلة الغريبة بدم المريض!
هذا ما يثبت أنّ جنيفر تتصرّف دون علم ماكاناي في هذا الموضع من الخطة!

أجال أسامة نظره في المكان الذي يشبه إلى حدّ بعيد قسم العمليات في مشفى الملكة إلّا أنّه تحت طبقات المخروط البركانيّ الخامد "دايموند هيد" إذ ليس من المستبعد أن يتمّ استحداث قسم خاصّ بالعمليات الجراحية في مكانٍ مُحاكٍ فيه مؤامراتٍ وخططٍ إجراميةً هدفها تسميم الناس ومدّ بعضهم بقوى خارقة غير طبيعيّة لتحقيق مآرب شبه سياسيّة!

وحيث أنّ أسامة وسينا لم يتأكّدا بعد من طبيعة الأهداف الكامنة خلف تسميم الخيط الجراحي إلّا أنّ انخفاض عدد السكّان الملحوظ على جزر "هاواي" في أكثر أوقات العام ازدحاماً - لما يقصده السيّاح من استجمامٍ وراحة - قد أكّد لهما أنّ المقصد من كلّ ذلك هو التخلّص من الناس من خلال بثّ الذعر في نفوس جميع من يفكر في السفر إلى هاواي وصرف نظرهم للسياحة في مكانٍ آخر أكثر أمناً لهم!

هذا من جهة الخيط الجراحي!

أما من جهة جاكو... فلا يزال الأمر غريباً جداً!
إذ ما الهدف من توزيع شبه سلاح قاتلٍ في مناطق متفرّقة من العالم؟
بغضّ النظر عن فكرة تحويل الناس لأشبه آليّين متميّزين عن أقرانهم ذوي



القدرات البشرية العادية، فإنّ وصل وريد المريض ليصبّ في حجرة خاصّة
لا يزال أمراً محيراً!
لكن...

لماذا طلبت جنيفر استئصال جاكو من أذرع تسعة أشخاص فقط دون
غيرهم؟!
هذا بالضبط ما أكّد له أنّ أمراً طارئاً قد خرج عن السيطرة أجبرها على
ذلك الأمر!!

وعلى أسامة أن يكتشف ذلك!
ولا وقت للتخمين..

فقد حان وقت الحقيقة!

دخل أسامة غرفة العمليات التي تضمّ المريض ليكو، وقد ساعده من يبدو
أنّه ممرض على ارتداء زيّه الجراحي بينما كان يفحص الغرفة محصياً عدد
الأشخاص الموجودين، طبيب تخدير أو ربّما فني... مُمرّضين ورجلي أمنٍ عند
الباب!

طلب أسامة برجاءٍ من الممرّضين:

- أرجو أن يساعدني أحدكما... أحتاج مساعد جراح...

فسمع صوتاً مألوفاً عند الباب قائلاً:

- أنا هو مساعدك...

استدار أسامة فرأى عرفان وهو يضمّ يديه ضمن الرداء الجراحي الذي فردّه الممرّض فقال له أسامة ممتعضاً:

- أما أنت فشكراً... لا أريد... أستطيع العمل بمفردي...

تقدّم عرفان صامتاً ثمّ أمسك المشرط الجراحي بطريقةٍ رعناء فعاجله أسامة:

- ماذا تفعل؟!... ليس بهذه الطريقة...

- إذًا... أمسك أنت... وابدأ العمل..

- هل من طريقةٍ تُخلّصني من هذه الورطة...؟؟

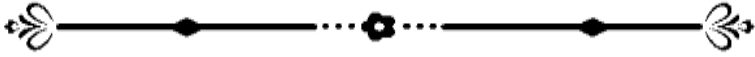
- كذلك الطريقة التي تُخلّصني من مشنقة الإعدام!... (ثمّ احتدّ صوته زاجراً)... باشر العمل...

تنهّد أسامة ثمّ فكّر باستحالة أمر هروبه، فقرّر العمل أخيراً ليُخلّص ليكو على الأقلّ من تلك الذراع المرعبة!

حتى لو استيقظ وخاب ظنّه فيما تأمّله منذ مدة، فذلك أفضلّ كثيراً من قضاء بقية حياته برفقة ما يعدّ أداة إرهابيّة قد تودي بحياته في يومٍ من الأيام..

كما أنّ وجود عرفان برفقته، سيُساعده بطريقةٍ ما على اكتشاف شيءٍ يجب معرفته..

أمسك أسامة قلم التخطيط الجراحي وبدأ برسم خطّ منحنيّ على طول ذراع ليكو، ثمّ بدأ بتسليخ الجلد والطبقات تحته إلى أن وصل إلى القسم العضليّ



المصمم لاستقبال أقطاب الذراع الالكترونية الموزعة بشكلٍ معقّدٍ ضمن العضلات...

حاول فصل الأقطاب بهدوءٍ محافظاً ما أمكنه على نظافة ساحة العمل من التسليخ أو الجراحة غير الضرورية واهتدى أخيراً إلى ذلك الوريد الموصول من خلال صمّامٍ ذي شرفتين إلى الحجرة الصغيرة...

شعر أسامة بالإثارة لدى محاولته فصل الوريد عن الصّمام المطلي بمادةٍ مانعةٍ للتخثر ما أكّد له أنّ الدم يَرُدُّ إلى الحجرة بشكلٍ متقطّعٍ متى ما أُريدَ له ذلك دون أن يُسمح للوريد بترميم نفسه مكان القطع! قال أسامة بهدوءٍ مخاطباً عرفان وهو يعمل:

- هل صفعتها قوّة؟!

-

- أعني.... كيف سمحتَ لتلك المرأة أن تضربك؟!.... هل فعلتَ ما يستحقّ الضرب؟!

- ما رأيك أن تخرس وتتابع عملك؟!

- أريدُ أن أسألك سؤالاً لطالما حيّرني.... ليس صعباً حصولك على شهادة اختصاصك السابق... ماذا كان؟!... الجراحة العينية؟!.... لماذا اخترتَ القdom لهاوي وقد غيّرتَ نوع الاختصاص؟!.... أهذه الدرجة كنتَ سيّئاً في بلدك يا عرفان؟!.... أم أنّك لا تملك الوقت الكافي للتفرّغ للعمل والدراسة وقد كان

هناك ما يشغلك من التفكير في أساليب ملتوية تجعلك تجني ثمار غيرك من الأطباء؟!

- إنَّ سينا لم توفر معلومةً سرَّبتها لك عني؟!... ألهذه الدرجة تفكّر بي؟!.. تعرف أخباري وتحرص على نشرها بطريقةٍ مضحكة!..

- هل تظنّها مصادفةً أنّ مايكل لم يُصب بالهذيان بعد طعنك له؟! حدّق به عرفان دون أن يتفاجأ فتابع أسامة:

- ممّ كنت خائفاً بالضبط للدرجة التي دفعتك لطعن شخصٍ أعزل؟!.. حتّى بعد تنويمه بالمخدّر؟!؟! ولو لم تحرص على إصابته بالهذيان لاكتفيت بتنويمه دون طعنه بالسكين!

-

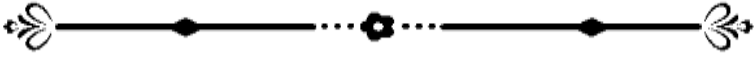
- لماذا برأيك خذلك مايكل ولم يُصب بالهذيان؟!... والأهمّ من ذلك... ما مغزى سؤالك عن اسمه وجذور أصله؟!

- انتبه من أن تمرّق الوريد أفضل لك من هذه الأسئلة السخيفة!

- يا رجل... ألا ترى أنّك موضع إهانةٍ أينما حلّلت؟!... لم تفلح في بلدك وجئت إلى هنا لتضرب من امرأةٍ أمريكية... والآن تعمل كمساعد جراح لطبيب جراحةٍ عظمية... بصفتك من؟!... طبيبٌ نفسيٌّ أم طبيبٌ جراحةٍ عينية أم جراحةٍ عظمية؟!!

حاول عرفان كتم غيظه عندما قال:

- عندما تخرج من هنا على قدميك... سأجيبك!



- تعني أنني في خطر؟!.... لن تكثر جنيفر لحياتك بقدر اهتمامها بحياتي... على الأقل.. لم تجد أمامها غيري أنا المقيم في سنته الأولى ليُجري هذه العملية الجراحية الصعبة...

أغار أسامة انتباهه لصوتٍ بعيدٍ ما جعله يشعر بالقلق فسأل عرفان قائلاً:

- هل سمعت؟!!

- ركّز في عملك ولن تسمع شيئاً...

- إنه صوتٌ تسرّب لغازٍ ما.... (ثمّ نظر نحو الرجل المسؤول عن التخدير مستفسراً إلا أنّ الأخير أكّد أنّ لا مشكلة في عملية التخدير فتابع أسامة غير مطمئنّ تماماً للمكان)... آلة التفريغ....

سَلّم الممرض أداةً طبيّةً استخدمها أسامة وبدأ بتفريغ العظم المتشكل حديثاً حول مهد زرعة الذراع الالكترونية جاكو.. ثمّ حاول نزعها بالروافع العظمية الخاصّة.. دون جدوى!

فكّر أسامة قليلاً ثمّ خاطب عرفان:

- لا أعلم سبب إصرار جنيفر على استئصال جاكو تماماً... إلا أنّ ما اكتشفته نينا من معلوماتٍ خطيرةٍ في مكتبك والذي سبّب لها موتها اللاحق شنعاً باستخدام....

- اختصر... (صرخ عرفان غاضباً)... وإلا سأقتلك حقاً!

- برأيك وحسب خبرتك السريّة في تصميم هذه الذراع الذكية... ألا ترى أننا إن اكتفينا باستئصال الحجرة... ستصل جنيفر إلى مبتغاها الغامض؟!...

انظر هنا... إنّ مهد الغرسة عميقٌ جداً ضمن نخاع عَظْم الكعبرة... لن يسرّ جنيفر أن يستيقظ المريض وقد عظم حجم خسارته وما يليه ذلك من عواقب غضب ذوي المريض الذي مُني بعمليةٍ بترٍ جديدة!... أعني... لو أنّنا فقط قطعنا الدم..... لربّما امتنعت الذراع عن مدّ صاحبها بالقوّة الخارقة!

- افعل ما تراه مناسباً... في النهاية لا أدرك كثيراً من اختصاص الجراحة العظمية

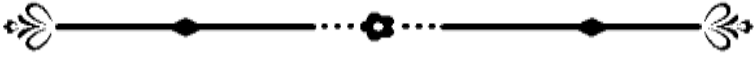
- أضف إليها الطب النفسي والجراحة العينية...
- أتعلمُ أمراً؟!... ادعُ فقط أن تخرجَ حياً من هنا...
- يارب...

مضت عدّة دقائق تمكّن خلالها أسامة من فصل الوريد وحبس فوهته بـرُقَيٍّ معدنيٍّ ثمّ نشر ما يوصل الحجرة الدموية المتّصلة بالذراع قائلاً:
- والآن... خيْط "فيكريكروم Vicrychrom" الذي لن يؤثّر بليكو كما لم يؤثّر في مايكل..... غالباً..

رمقه عرفان وشرارات الغضب تتطايرُ من عينيه فقال أسامة بسداجة:
- آسف...

- كلمةٌ أخرى... و..

اهتزّ المكان برمّته فاختلّ توازن الجميع ما جعلهم يتمسّكون بالأشياء الثابتة فصرخ عرفان قائلاً:
- ما هذا؟!... انفجار؟!!



هُرَع رجال الأمن باتجاه الصالة المربعة لتفقد الأمر، فاستغرب عرفان برود أعصاب أسامة الذي كان مركزاً على عمله بغية خياطة العضلات بأدق طريقة ممكنة وفي نيته خروج المريض من الجراحة بأقل رضى ممكن... توقف اهتزاز الأرض فقال أسامة وهو يُغلق آخر الطبقات تحت الجلد بواسطة الخيط الجراحي الممتص:

- ما كان ذلك الاهتزاز؟!

- يُخَيِّل إِلَيَّ أَنَّ المخروط يتجهز لثورانٍ جديد!

- نكادُ ننتهي... هَلَّا أخبرتَ جنيفرَ أَنَّ مهمتي قد انتهت لو سمحت؟!

- لم تنتهِ بعد....

- نعم.... لا يزال أُمَامِي خياطة الجلد... بخيطٍ سليمٍ غير ممتص...

- لا تتغابي أُمَامِي... ماذا تعلمُ بشأن الخيط؟! هل كنتِ أنتِ صاحب الرقم الذي تواصلَ مايكل من خلاله معك؟!

- وإن لم أكن أنا؟!

- سينا؟...

- وإن لم تكن سينا...

- سام؟... أحدكم حتماً... اسمع.... هَلَّا توقفتِ عن اللعب وفكرتِ جدّياً بالعمل معي؟!

- أعمل معك؟!... يكفي لهاواي عرفانٌ واحد... لا يعلمُ نفسه ماذا يعمل!!

- بل أعلمُ تماماً ما أعمل...

خلع أسامة قفازيه الجراحيين بعد أن وضع الضماد العقيم على الغرز الجراحية الخارجية ثم تساءل باستهزاء:

- أُنْحَفِي... ما هي مهمتك لدى جنيفر؟!... أو لدى بيكا رئيس قسم مركز الأبحاث النفسي؟!... أم لدى ميغا؟!... أم أنك ذلك الشخص المُسلم الذي يعمل لدى الجميع؟!

- هو ذا.... إنَّ من الذكاء أن تعمل لدى الجميع ثم تختار الوقت المناسب الذي تُحقِّق فيه مصالح أحد الجهات على حساب المصالح الأخرى بالشكل الذي لن يُخلَّ بالتوازن الذي تُحافظ فيه على علاقتك بالجميع.

دس أسامة الحجرة المعدنية الصغيرة التي استأصلها من ذراع جاكو ضمن جيب بنطاله ثم قال بسذاجة:

- في الواقع... إنَّ خطتك تصيب أكثر الأحيان... لكن هل تخيلت نفسك إن وقعت؟!... سيتخلى عنك الجميع إن لم يتفقوا على إنزال الجحيم بك!

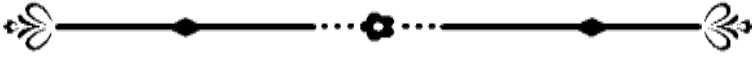
- عليك أن تكون ذكياً... وتحرص على ألا يوقع بك أحد...

- كذكائك الذي أهداك صفعَةً رنانةً على وجهك من امرأة؟!... لا شكراً... خدي لا يحتمل الصفعات!

- أحمق.... هي صفعَةٌ مقابل ثقةٍ عظيمةٍ ستُمنح لك... وستردّ تلك الصفعَة بعشر أمثالها في حينها...

ابتسم أسامة ذاهلاً فقال عرفان:

- أظنني أمرح؟



- كلا.... تبدو جاداً....
- هذا بالضبط ما أرمي إليه...
- هل تعلمُ أول ما سيخطرُ لي عمله عندما أقرر أن أكون مثلك؟!... سأستدرجك لتخبرني بسرّ الخيط الحقيقيّ وسرّ جاكو وتأثير الاثنين بشكلٍ غريبٍ على الناس!.. ثم أفكر بطريقةٍ تجعلني أتملّص من ثقتك التي ستبني عليها أملك بي.... تماماً كما تتعامل مع جنيفر وماكاني وبيكا!... وبالنظر فعلاً لخطورة المعلومات التي سأحصلُ عليها منك... فالأمر يستحق المغامرة... إلّا أنّ مبادئٍ وقيمي الأخلاقية لن تسمح لي بسلوك هذا الطريق المغلف بما تسمّيه ذكاءً هو في حقيقته كتلةٌ من الأفكار المراوغة المتفلّته غير المؤطرة بإطارٍ أخلاقيّ يضبطها... وداعاً...
- ثمّ غادر أسامة غرفة العمليات وهو يشعر أنّ ثمة اهتزازٌ بسيطٌ قد أصاب المكان، ضغط على زرّ أحد المصاعد الثلاثة الموزّعة على جدران الصالة المربّعة بشكلٍ مستقل... فناداه عرفان:
- ليس هذا المصعد....
- سار عرفان بتؤدة متوجّهاً نحو المصعد الثاني ذي الحرف S فضغط على زرّ النزول...
- اهتزّ المكان برمّته ما جعل أسامة يصرخُ فرعاً:
- بالله عليك.... هل هذا زلزال؟!...

فزع عرفان متمماً:

- لا أعلم...

فُتح باب المصعد S أخيراً فتذكر أسامة ليكو قائلاً:

- انتظر... يجب أن نُحضّر الفتى

- ليس هذا الوقت المناسب...

- لن أتركه هنا...

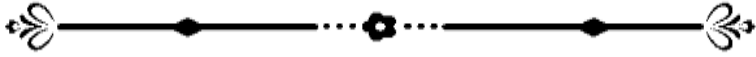
ركض أسامة باتجاه غرفة العمليات التي خَلَتْ من جميع من كان فيها هارين، فوضع ليكو على ظهره وهو يئنّ أنيناً خافتاً بعد أن قَطَعَ عنه المسؤول عن التخدير الغازات والمواد المخدّرة، وأسرع به إلى المصعد حيث عرفان، إلّا أنّ أسامة لاحظ أنّ المصعد قد أُغلق وصعد إلى الأعلى...

- اللعين.... الجبان...

(صرخ أسامة غاضباً حين علِم أنّ عرفان لم يكلف نفسه عناء الانتظار) أسرع إلى المصعد M واستقلّه إلى الأعلى مذعوراً من معاودة الاهتزاز الذي توقّف برهة قبل أن يصل إلى وجهته..

انتظر أسامة دقيقتين اهتزّ خلاهما المصعد اهتزازاً خفيفاً عمّا كان عليه في الأسفل..

تنفّس الصعداء عندما فُتح باب المصعد وسار في الممرّ الضيّق متسائلاً عن صحّة الوجهة التي يسيرُ إليها مستغرقاً ثلاث دقائق إلى أن بانّت له أضواء



الردهة أخيراً، لكتّه فزع عندما سمح صوت رجلٍ ظهر أمامه يصرخ باللغة الهاوائية وفي يده مسدّسٌ موجّه نحوه:

- توقّف مكانك...

تجمّد أسامة في مكانه هامساً:

- تبا.. أين أنا؟!

- اخرس... تعال إلى هنا... بهدوء

أجال أسامة نظره وهو يسيرُ إلى أن وصل إلى الردهة متسائلاً في أعماقه عن حقيقة المكان الذي سرعان ما نفى أن يكون مبنى المنظّمة الأمنية S إنّ الممرّ والردهة وحتى المصعد يشبه إلى حدّ بعيد ما استخدمه قبل أن ينزل -بشكلٍ مائلٍ- إلى أعماق المخروط لإجراء عمليّة استئصال الذراع جاكو من ساعد الفتى..

تقدّم نحوه رجلان مسلّحان لم يبدوا لطيفين يتحدّثان باللغة الهاوائية وهما يستجوبان أسامة:

- من أنت؟.. أجب بسرعة؟

- أنا طبيبٌ مقيمٌ في اختصاص الجراحة العظمية

- وهذا الفتى؟!

- إنّهُ مريض... اسمو ليكولي

قال الرجل مخاطباً الآخر:

- إنّهُ هاوائي...

قال أسامة مؤكداً:

- نعم.... هو كذلك....

- سلّمنا الفتى... (ثم تقدّم أحد الرجال وحمله على ظهره في حين تابع الآخر حديثه مُشهوراً المسدّس في وجه أسامة) تعال معنا أنت...

سار أسامة متوسّطاً الرجلين دون أن يعي سبب وجوده في مكانٍ لم يكن فيه أصلاً

ما جعله يفكر أنّ الصالة المربّعة الموجودة في أعماق المخروط من الممكن أن تكون نقطة وصلٍ بين مبنى المنظّمة الأمنية S ومبنى آخر ربّما شركة ميغا أو مركز الأبحاث النفسي!

وطالما أنّ عرفان قد استخدم المصعد S فهذا يعني أنّ المصعد قد قاده إلى مبنى المنظّمة الأمنية، في حين أنّ المصعد الآخر الذي طلبه أسامة أوّل الأمر ذا الحرف M قد ارتفع به إلى مبنى آخر مغاير!

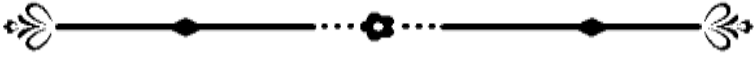
يا سلام!

فكر أسامة بحجم المصيبة التي أوقع نفسه بها، ما جعله يلعن عرفان الذي هرب تاركاً كلّ شيء وراءه دون أن يُخبر أسامة بمجرّد معلومةٍ واحدة عن أنّ المصاعد تؤدي إلى أماكن مختلفة..

استجمع أسامة قواه حين تساءل بهدوء:

- هل أستطيع معرفة المكان الذي نحن فيه؟!

- قريباً ستعرف



استقلّ الثلاثة المصعد الذي ارتفع بهم إلى الطابق الثاني فوق سطح فوهة المخروط -أخيراً- ثمّ توجهوا منه إلى غرفة مكتب المدير ماكاني! نظر ماكاني بعينين يتطاير منهما شرارات الغضب ثمّ قال سائلاً الرجلين باللغة الهاوائية:

- من هذا الشاب؟!

امتقّ أسامة لحسن حظه أنّه يفهم هذه اللغة قليلاً فقال مبتسماً بسداجة:

- اسمي أسامة ياسيدي..

- من أين جئت؟!

- من أعماق المخروط... من مكانٍ وُصف بأنّه المربع الناري

- الأزرق...

- نعم... الأزرق

- ومن أين قِدمتَ قبل أن تتوجه إلى المربع؟!

صمت أسامة مفكّراً قبل أن يتكلّم خشية أن يطير رأسه فصرخ أحدُ الرجلين به غاضباً:

- أجب بسرعة

- حسناً... كنتُ في مكانٍ آخر... يشبه هذا المكان... في الواقع... كنتُ في

مبنى المنظّمة الأمنية S

- ماذا طلب إليك الأمريكيّون... ولماذا كان ليكو برفقتك؟!

عاد الرجل الذي حمل ليكو منذ قليل ثمّ قال مخاطباً المدير ماكاني:

- سيدي... خرج ليكو لتوّه من غرفة العمليات... ويده المتّصلة بجاكو مضمّدة!

صرخ ماكاني غاضباً وهو يخاطب أسامة:

- هل طلبتُ إليك جنيفر استئصال جاكو من جسد ليكو؟!
أوماً أسامة بهدوء:

- نعم

- قل إنك نزعته من يده وسأقتلك!

- كلا يا سيدي... إنّها موجودة... لم أستطع نزعها
- غادر من هنا... حالاً...

- إلى بيتي؟!

- الأفضل خارج هاواي!

انتظر ماكاني ريثما فرغت الغرفة ثمّ رفع سماعة الهاتف متّصلاً بجنيفر التي
أجابت بصوتٍ خفيض:

- نعم...

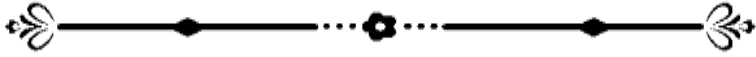
- تعالي إلى مكّتي... وإلا سأجعل هذا المخروط يطبق على رأسك..

انتظر رئيس شركة ميغا نصف ساعة إلى أن اجتمع بجنيفر التي صحبت

بيكا - مدير مركز الأبحاث النفسي - وجلس الثلاثة متأهّبين

استفتح بيكا الحديث قائلاً بعقلانيةٍ وهدوء:

- لنكن واقعيّين.... بدأت الأمور تخرج عن سيطرتنا



قال ماكاني:

- قل إنها خرجت عن سيطرة هذه الغيبة

قالت جنيفر:

- كنت ملتزمة بالاتفاق معك إلى أقصى حد

- أبداً ما كنت لأتفق مع بيكا على ائتمان أمريكي واحد على استراتيجيّة
أحافظ فيها على الدم الهاوئيّ موحّداً.... (ثم نهض من مكانه وأمسك بشعر
جنيفر المجعد بعنفٍ قائلاً)... أمريكيةً وضيعةً أنتِ يا جنيفر.... كيف
تجروين على استئصال جاكو دون إذنٍ مني؟!... (ثم رفع رأسها ممسكاً بشعرها
لتواجهه بوجهها الهادئ المستسلم فاستدرك متابعاً) تخونيني يا جنيفر!...
نلتِ مني عدّة سنواتٍ خسرتُ خلالها الكثير من المال والجهد والوقت
لترويضك!... وها أنتِ ذا... تُعلنين عن قذارة دمك يا جنيفر!!.... (ثم أخرج
خطافاً من جيب قميصه الهاوئيّ المرقط بالأزهار الحمراء ووضع رأس
الخطاف المدبّب على رقبتها هامساً)... أنتم الأمريكيّون... لا تحكمكم
المبادئ ولا تقيّدكم القيم.... مصالحكم فقط هي وقودكم ودافعكم
للخيانة ونقض العهود!... وأنّ أيتها الشقيّة... نلتِ ما يكفي ثمناً
لتعاونك التافه.... وفي النهاية...

- أرجوك... سيّدي.... (همست جنيفر برعب)

- في النهاية.... تخونيني!؟

تدخل بيكا مبتسماً:

- يكفي يا ماكاني!

أدخل ماكاني رأس الخطاف المدبب في عنق جنيفر السمراء مخترقاً الطبقة السطحية من الجلد، فصرخت جنيفر إلا أن ماكاني هز رأسها بعنف:

- اخرجي....

نهض بيكا من مكانه ثم أمسك يد ماكاني حاملة الخطاف مهدداً:

- دعها... هذا يكفي

صفعها ماكاني بقوة ثم تركها وعاد إلى مكانه قائلاً:

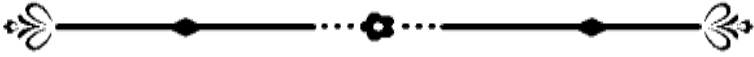
- لم يعد هناك وجودٌ لهاوائيين الساذجين اللطفاء... اشكري بيكا لأنه أنقذك حقاً!

مد بيكا كأس الماء إلى جنيفر التي أخذت منه رشفة ثم تماسكت قائلةً:

- أقسم لك أنني لم أتجاوز نصوص اتفاقنا... وأنني بذلت ما بوسعي لتأخير الإعلان عن الاضطراب الهذيانى المديد التالي للجراحة... حتى أنني أكدت لمنظمة الصحة العالمية أن الأمور تحت السيطرة ولا داعي لأي إجراء تحقيقي..

صرخ ماكاني:

- سألتك عن جاكو....

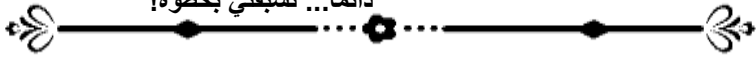


- لقد فكّرتُ في حلِّ يميننا من الشكوك الحائمة حول جاكو... فلم أجدُ بدّاً من استئصالها قبل أن يستخدم أصحابها قوّة الضغط الهيدروليكيّ بشكلٍ عشوائيٍّ ما سيودي بميغا إلى الجحيم...
ابتسم ماكاني ثم ضحك بقوّة قائلاً:

- أيّ شكوك؟!... ألم تكن الصّمامات الوريدية مغلقة؟!
- سيّدي... يؤسفني أن أخبرك أن فريدريك فتح جميع الصّمامات الوريدية... ثم أغلق نظام التحكّم وفرّ هارباً... إنّ ذلك الهاوائي لم تنفع معه جلساتك التأديبية... فقام هو بخيانتنا!

- هذا مستحيل... (تهدّج صوت ماكاني غاضباً)... ألم يجتزّ جميع الاختبارات التي خاضها ما جعلنا نثقُ به؟؟!

- نعم... كان قرار لجنة التوظيف التي ترأّستها يا سيّدي قراراً حازماً بتوظيفه... أما ما تبعه من اختباراتٍ لاحقة... فلقد أقدمتُ مخطوبته على الانتحار دون أن يحرك ساكناً! وانتحرت عمّته شنقاً فلم يُقدّم على أيّ خطوةٍ مريبة... بل وخضع للتحقيق باذلاً ما بوسعه ليبذو شخصاً لا علاقة له في كلّ ما جرى!... على الرغم من معرفته أنّ عرفان هو السبب في موت عمّته فاكثف بالإشارة إليه بطريقةٍ مُشفّرة بناءً على طلبنا... حيث أعلمناه أنّ عرفان هو الجاني وأجبرناه على دخول منزل عمّته ليلة انتحارها لكتابة الرسالة المشفّرة... سيّدي... إنّ مرور فريدريك بجثّة عمّته المعلقة دون أن يتأثر لها... كان الدليل الأقوى على إخلاصه لنا...



سأل ماكاني بيكا مستفسراً:

- إلى أين يمكن أن يذهب؟! ولماذا فَتَحَ الصّمامات بدل إغلاقها مثلاً... لو أنه أراد أن يوقّف عمل جاكو للأبد؟!

تنهّد بيكا ثمّ أجاب بهدوء:

- يريدُ فريديرك أن يدمّرنا... لم أجدُ تفسيراً آخر!

ارتعش صوتُ جنيفر ثمّ تمتمت وقد بدأت عيناها تترقق بالدموع:

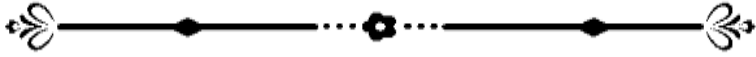
- نعم... لم يكتفِ بفتح الصّمامات وحسب... فلقد فعل قبل أن يُغلق نظام التحكم برنامج التدمير الذاتي للمربّع الناري الأزرق... هذه الاهتزازات التي شعرنا بها منذ قليل... كانت ناتجةً عن انفجار خزّان الهواء الأوّل والثاني الصغيرين القريبين من مركز الطاقة... لن يطول الأمر قبل أن تنفجر الخزّانات المركزية ما سيؤدي بالضغط الهائل المُجمّع في الهيكل إلى انفجارٍ كبيرٍ لا نعلمُ مداه.. حتماً سيخترق فوهة مخروط "دايموند هيد" ما سيدمّر كامل الساحل الجنوبي لجزيرة "أواهو" إن لم يستوعب هيكل المخروط هذا الضغط!

قال ماكاني مستفسراً:

- أين المهندسون؟!

- لقد هربوا بعد سماعهم أصوات الانفجارين... كما أنّهم... عجزوا عن فكّ الشيفرة!

- أين هربوا..؟!



- لا تقلق يا سيدي... ما زالوا على "دايموند هيد"... لم يسمح لهم رجال الأمن بمغادرة المخروط..
- اسمعيني جيداً... (ثم اقترب منها مُحكماً قبضته الكبيرة على ذقنها النحيلة) تماسكي وحافظي على أعصابك... أدرك مخاوفك من انفجار المخروط أكثر من أي شيء آخر... تصرّفي مع الأطباء والمهندسين وكأنّ شيئاً لم يكن... ثم كثّفي جهود رجالك في البحث عن فريدريك...
- حاضر.. (قالت جنيفر بصعوبة نتيجة ضغط كف ماكاني الغليظ على وجنتيها)
- تصرّفي كما تتصرّفين دائماً... أنتِ رئيسة المنظمة الأمنية المتعجرفة القاسية الواثقة القويّة... لن أرحمك جنيفر إن لم تتماسكي... سأرمي بك في قعر المربع الناري الأزرق إن لمستُ منك ما يخالف أوامري... واضح؟!
- حاضر... (قالت محاولةً التخلص من قبضته)
- ثم حرّريه بعنفٍ مُعرضاً عنها وتابع مخاطباً بيكا:
- كم لدينا من الوقت؟!
- خمسة أيّام..
- ماذا سنفعل؟
- دع الأمر لجنيفر والمهندسين... عسى أن يتمكّنوا من السيطرة على نظام التحكم أو العثور على فريدريك...
- وجاكو؟!

- تجاهلها... لن يتمكن المرضى من فهم آلية عملها لا سيما وقد اعتادوا استخدامها فترة من الزمن بصمّاماتٍ مغلقة!... أرجح أنّهم لن يفعلوا قوّة الضغط الهيدروليكيّ خصوصاً بعد اقتيادهم للمحاكم في أولى أيّامهم برفقة الذراع... لدينا عدّة أيام... إمّا أن نعمل على استعادة زمام الأمور... أو نلفظ فيه أنفاسنا الأخيرة.....

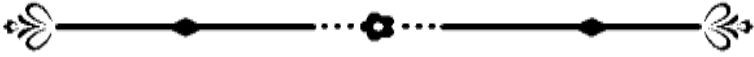
.....

بعد ثلاثة أيام...

كان فريدريك يسيرُ شبه تائه بين الغابات القريبة من شاطئ "سنسيت sunset" شمال جزيرة "أواهو"

لم يستطع كبح دموعه من الهطول منذ لحظة هروبه بعد مغادرته مخروط "دايموند هيد" جحيمة وجحيم أفكاره الهادفة..

ذلك المكان الذي بسببه لاقى الكثير من الضغوطات وقاسى أشدّ العذاب.. كانت حالة الهستيريا التي أصابته منذ علم بموت عمّته أشبه بالصعقة الكهربائية لدماعه الذي أبى أن يصدّق أنّ عمّته نينا قد انتحرت بسببه!! لم يصدّق في ذلك الوقت أنّ عمّته قد تفعلها دون أن يرِدَ إليها أخباراً أكيدة عن تورّطه في مشاكل يستحيل التملّص منها... حيث أنّ سام نفسها وبتسليمه لها الحجر البركاني كان حريصاً على قدح تفكيرها بأنّه أبعد من أن يتركها بتلك الطريقة دون وجود سببٍ حقيقيّ يجب كتمان سرّه! ... أمّا عمّته.... فقد كان عرفان هو حامل أخباره الكاذبة!



صرخ كثيراً... وبكى.... وشجّ رأسه بالجدار الخرساني لخسارته الشخص الأول والأهم الذي كان من المفترض أن يقدم إليه ثمرة نجاحه وإثباته أنه جديرٌ بالثقة من خلال الإيقاع بالعصابة وإنقاذ الجزيرة! كان فريدريك في الآونة الأخيرة أشبه بكتلةٍ مستعرةٍ من النار تأبى الخمود..

لقد كاد أن يقتل جنيفر عندما أعلمته بضرورة حضور التحقيق الذي سيُجرى في قضية انتحار عمته، وأنه عليه - إن أراد الانتقام لها - أن يشيرَ لاسم القاتل عرفان على أرقام أيام شهر آب من هذا العام - الوجه الآخر لرسالة انتحارها- الذي حرّضها على ذلك، وأنّ أمامه أقلّ من خمس ساعاتٍ يستطيع من خلالها إنجاز مهمته قبل أن تكتشف الشرطة الجثة... كلما أراد فريدريك استعادة ما حدث في ذلك اليوم..

استنكر نفسه وهو يتذكّر اللحظة التي خطا فيها داخل البيت محاولاً الانتباه ما استطاع لئلا يرتطمَ بعمته المعلقة في الظلام.. وكأنّ صدمته الحديثة قد خدّرت قلبه فأنجز مهمته سريعاً محافظاً على هدوء أعصابه ثم غادر المكان.

لقد كانت الساعات التالية لتلك الحادثة أشبه بتعذيبٍ نفسيٍّ عنيفٍ لا يرحم..

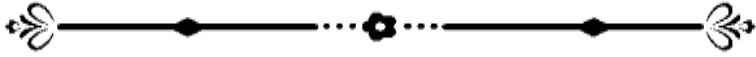
لا سيّما وقد قضى ليلته ومعدته تأبى الاستقرار وهي تستفرغ كلّ ساعتين

عصارتها الكاوية تأثراً لما رآته عيناه اللتان ودّ لو اقتلعهما على أن تشاهدا
هذا الخيال الأسود المتدلّي من السقف..
لم يكن ذلك سهلاً أبداً...!!

بل ومن الظلم أن يوصف بالصعوبة!
كانت أياماً عصيبةً على فريدريك إذ أنّ عناده وإصراره على التخطيط لكمين
مُحكّم، قد أوديا بحياة عمته المحبّة اللطيفة...!!
هذا ما ظنّه فريدريك حتى هذه اللحظة دون أن يعلم أنّ سبباً آخر قد دفع
عرفان والمنظمة للتخلّص منها!

- لقد كنتُ أعلم أنّ لقاءها بعرفان كان خطراً... (كان فريدريك يصرحُ
مخاطباً جنيفر في تلك الليلة)... ذلك المجرم... كنتُ... أعلم... (ثمّ أجهدش
بالبكاء)... أعلم... أنّ عمّتي لن تكونَ بخيرٍ برفقة ذلك الماكر... كان
عليك أن تحميها يا جنيفر لأجلي... عمّتي... المسكينة
والآن....

وبعد أن غادر المخروط وكلّه ثقةً بأنّ انفجاره هو الحلّ الوحيد للأخذ بثأر
عمته.. فقد سمح لبعض مشاعر السعادة المُغتَمّة بالتسلّل إلى أعماقه...
تخيّل وجه جنيفر عندما ورد إليها خبر هروبه وفي حوزته جميع مفاتيح
مخروط "دايموند هيد" وما يحتويه من كوارث يُخطّط لها منذ زمنٍ بعيداً!
في البداية....



خَطَّ فريدريك - ويا للخطط المتغيرة - للعمل الخفي المتقن الذي يهدف لتسليم العصاة إلى القضاء وإشهار ما تقوم به من عمليات سرية إجرامية بطريقة هادئة يستحيل كشفه بها...

فعلى الرغم من المحاضرات الهاوائية الكثيرة وتلقي جرعات متتالية من المشاعر الوطنية والانتماء الهاوائي العريق للجذور الممتدة في أعماق هذه الأراضي البركانية، إلا أنه لم يقتنع بدافع واحد لإنشاء سلاح بيولوجي يجبر الناس

- من غير الهاوائيين - على مغادرة الجزيرة..

لقد كان ماكاني يؤكد على سلامة الناس من أي خطر يُذكر! حيث أن إصابتهم بالهذيان المديد تتراوح في مدتها - أسوأ الأحوال - بين شهرين وثلاثة أشهر..

وأن قوة جاكو هي قوة مدخرة للخطوة التالية إن حصل ودخلت الجزر في حالة حرب كونها أداة الكترونية قابلة للتطوير ثم الاستفادة من مزاياها المحدثة بالإضافة لاختراعات أخرى لن يبخل بها ماكاني لتزويد الهاوائيين الأصليين بما يحتاجونه من عدّة وعتاد لاستعادة جزرهم المحتلة.. "الكاناكا" وشعب هاواي الأصليين...

ما هي إلا مصطلحات غبية يعمل ماكاني وغيره على قدها وإضرارها لتنتفض في وجه العالم الذي لا يكثر أساساً لكتلة الجزر البركانية الغنية بالأناس وجوز الهند!

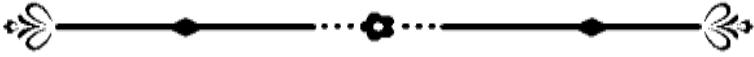
والمشكلة أنّها عاجزةٌ عن تحقيق الاكتفاء الذاتي لو تخلّت عنها الولايات المتحدة، وأهملتها تجارياً واقتصادياً اليابان والصين والدول المجاورة الأخرى...

كان على فريدريك أن يخطّط بشكلٍ دقيقٍ ليستطيع حشر العصا في عجلة الهلاك التي صنعتها عصابة ماكاني وجنيفر! وقد كان له ذلك حتّى وقتٍ قريب....
أمّا والآن...

وبعد موت عمّته الحبيبة فقد تغيّرت الخطة كلياً..
وحان وقت إطباق محروط دايموند هيد على رؤوس أشراره!
وصل فريدريك في أولى ساعات الصباح إلى شاطئ "sunset" حيث حطّ بدراجته المائية في المستودع القريب الذي استأجره لوضعها هناك منذ عدّة أشهر إذ كان ذلك اليوم هو اليوم الأخير الذي مارس فيه هوايته المفضّلة قبل التحاقه للعمل في المنظّمة الأمنية S أو بالأحرى في المربع الناريّ الأزرق..

لم تكن مهمّته هناك التحكم بالصمامات الوريديّة للذراع الالكترونية جاكو وحسب، بل التأكّد من جودة عملها لمجرّد ورود بضعة ميلي لتراتٍ من دم المريض إلى حجرة التفعيل الانتقائي للضغط الهيدروليكي للذراع الالكترونية...

أبداً ما كان في نيّته الإخلاص لهم!



بل سعى باذلاً ما أمكنه لإيهاهم بذلك بغية كشف كامل أوراقهم الخبيثة
وقد حصل له ما أراد..

والآن ما عليه سوى الاختفاء أو الموت إلا أن يقع في أيديهم!
فلم يعد لديه من قدرة على الاحتمال والصبر ما يسمح بتعرضه للتعذيب أو
ما يُجبره ربّما على الاستسلام ونسف كلّ ما بذله من جهدٍ وألم..
وضع يده على خدّه الأيمن متذكّراً الآلام السنيّة التي عاناها طيلة فترة
إقامته على مخروط "دايموند هيد" أو في قعره في الواقع!
إلا أنّه الآن لم يعد بإمكانه عمل شيء!

سوى الانتظار واكتشاف أين سيحطّ به الرحال وفي قلبه جرحٌ نازفٌ لن
يبرأ!

يومان فقط ولن يجدّ الضغط المجمع في قعر المخروط مهرباً إلا من خلال
فوّهته ما سيُحيل الشاطئ الجنوبيّ كتلةً من الدمار، إلا إن اهتدى أحدهم
للشيفرة التي يحملها فريدريك وحده دون غيره..!

لقد أدرك تماماً أنّ أحداً لن يقتله والجميع يريدُه حيّاً لما خلفه رحيله من
عواقب كارثيّة...

فضواغط الهواء العملاقة - مجهولة الشكل - والمحيطه بكامل المربع الناري
الأزرق، كفيلاً بإبادة كامل جزيرة "أواهو" لو لم يكن مخروط "دايموند
هيد" مطبقاً عليها بهيكله القويّ..!

تلك الضواغط التي خَفِيَ شكلها الذي تخيّله من صوتٍ أحدها فقط المرعب
إلا من خلال رسم الأيقونة المخيف الخاص بالتحكّم بها على شاشة
الحاسوب المركزي القابع في الصالة الثالثة اليسرى حيث مركز التحكّم
الرئيسيّ بالمرّبع..

على العالم أن يعرف كلّ شيءٍ عن خَطة ماكاني وجنيفر، عليهم أن يدركوا أنّ
لجاكو قوّة قاتلةً حقيقيّةً وليست مجرد خطأٍ تقنيّ يمكن تفاديه أو
إصلاحه بسهولة.

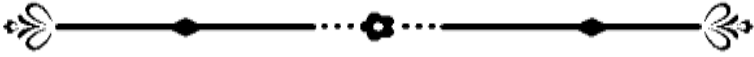
سار فريدريك باتجاه مخزن لباس وأدوات الغوص حيث ابتاع ما يحتاجه
لركوب درّاجته المائيّة ذات المحرّك الخارق النفاث...

كان صباح أوّل أيام شهر تشرين الثاني الزاخر بعبق المحيط قد بعث في
نفس فريدريك شعوراً بالحرية الحزينة أخيراً...

غيّر ملابسه ووضع الخوذة، ثم سحب درّاجته من مكانها على الرّمال باتجاه
ساحل المحيط ليُشغّل بعد ذلك المحرّك الذي دَفَعَ بالمركبة بعيداً عن
الساحل...

أراد فريدريك أن يزيد من سرعة المركبة لعلّه يتخلّص من جميع ما ألمّ به
من خطوبٍ وفواجع جعلته يقاسي من العذاب الذي لم يقنع به، بل وطالَ
عمّته ومخطوبته السابقة!

أراد الهروب ربّما من كامل الأرخبيل!



سمع فريدريك تشويشاً من جهاز الاستقبال الملحق بالخوذة فعلم أنّ أحداً يحاول التحدّث إليه إلى أن سمع أخيراً أحدهم يقول له:

- لن تفلت يا فريد...

أرهف فريدريك السمع مجدداً ليتأكد من صاحب الصوت الذي تابع قائلاً:

- تمنّ آخر ما لديك من أمنيات..

قال فريدريك بصوتٍ مغتاضٍ مرتعش:

- لا أمنيات لديّ سوى أن تموت ميتةً شنيعةً يا عرفان...

ضحك عرفان الذي كان يُجري اتّصاله من مركز الإرسال في مخزن أدوات

الغوص القريب من الساحل ثمّ قال له:

- لنرّ من سيموت هذه الميتة...

- أنت بالذات لن تستطيع قتلي... المنظمة تريدني حيّاً...

- لقد قتلتها... تريدك المنظمة حيّاً... أما أنا فلا... لا أريدك حتّى أن تُدلي

بتلك الشيفرة التي شغلت بها كلّ من على المخروط... أريدك أن تموت وأن

تأخذ معك كلمة السر اللعينة...

- إرادتك الخبيثة تسبقك دائماً... وكأنّك جئت لهاوي لتعيثَ فيها فساداً

وحسب... ماذا تريد بالضبط!؟

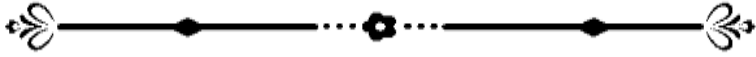
- لي الحقّ في ردّ اعتباري من كلّ من أراد بي سوءاً...

- حتّى لو مُتّ يا عرفان... لن تتخلّص من انتقامي... تفنّن بقتلي إذا..

- وداعاً يا فريد...

كان العاملُ لدى المخزن يراقبُ المرأةَ الغريبةَ التي أغلقت سماعة الهاتف بعد اتّصالها بنخوذة راكب الدراجة المائية ثم حوّل نظره نحو المحيط حيثُ المركبة التي انفجرت وهي تشقّ عباب المحيط وتحوّل تدريجياً لكتلةٍ مستعرةٍ من النار تزدادُ اضطراباً بالتزامن مع هبوب الرياح على محرّكها الممتلئ خزانه بالوقود سريع الاشتعال...

غادر عرفان المكان شاعراً بالنشوة لتخيّله عواقب موت فريدريك من دمارٍ سيسحق "دايموند هيد" ومحيطه بلا أيّ رحمة...!



الفصل العشرون

(الطبابة الشرعية)

"مفقود.... فريدريك كالوا... يُرجى لمن يعثر عليه الاتصال بالرقم بالسرعة القصوى"

كانت جميع محطات الإعلام والقنوات الفضائية تضحّ بهذا الخبر المذيل بصورة له ومكافآت مالية ضخمة لمن يستطيع الوصول إليه أو القبض عليه...

كانت سام تمسك هاتفها المكتظ بالرسائل المُرسلة إلى جميع سكّان الجزر وقد بدأت تشعرُ بالحيرة لهذا التغيّر الغريب الذي اعترى حال خاطبها السابق...

أرادت أن تسمح لمشاعر السرور والشماتة أن تكتسح أعماقها لمصاب فريد الذي يستحق حقاً أقسى العقوبات لما خلّفته قسوة قلبه من خسارة من يُفترض أن يكون أعلى الأشخاص بالنسبة له عمّته نينا... إلا أنّ غرابة الخبر الذي تصدر جميع وسائل الإعلام قد جعلها تفكّر جدّياً بما ارتكبه أو بحقيقة ما حصل ليكون مطلوباً بهذا الشكل المريع! اجتمع المقيمون الأربعة في غرفتهم الخاصة في مركز الطبابة الشرعية بعد الظهر لمناقشة خطوة بحثهم التالية، وفي الوقت الذي أصرّ فيه مايكل على

أَنَّ تأثير الخيط الجراحيّ يعمل بشكلٍ عشوائيّ فيُصيبُ بعض المرضى دون غيرهم إلاَّ أَنَّ سينا أصرّت على أَنَّ فكرة دس السم في الخيط الجراحي الممتص أعقد كثيراً من أن يُصيبَ المرضى بشكلٍ طائشٍ غير مدروس! فسألت أول ما سألتَه لمايكل:

- أظنّ أَنَّ المصادفة قد اختارتك لئلا تُصابَ أنت بالهذيان؟!... أيّ حظّ تملكه إذاً يا مايكل؟!

ابتسم مايكل بفخر:

- حظّي... وأنا أعرفه

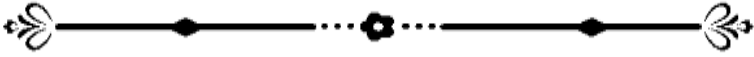
- لا وجود للحظّ.... أراهن أَنَّ عرفان -المجرم المفترض به أن يكون- قد خاب ظنّه كثيراً عندما علّم أَنَّ في جسدك ما منع إصابتك بالهذيان الذي أَراده لك..

- وماذا قد يكون في جسدي ما هو مختلفٌ عن الآخرين المصابين بالمرض! أجاب أسامة دون اهتمام:

- يكفي رأسك.... دماغك... تفكيرك... الأغبياء ليسوا بحاجةٍ للإصابة بالهذيان! أظنّ أَنَّ الخيط يؤثّر حسب مستويات ذكاء العقل البشري..

حاولت سام وسينا كبّت ضحكهما الخافت، فتصنّع مايكل مداراتهما مبتسماً لكنّه سرعان ما قال بصوتٍ جدّيٍّ مغتاض:

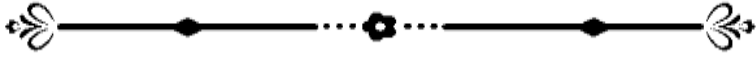
- الغيبيّ هو الذي وافقكم على الخطة ما جعلني أتعزّض للخطر حاولت سينا إخفاء ضحكها قائلةً:



- آسفةً حقاً... لكن الأمر قد استحق المحاولة...
- لا تزال فكرة الخيط فكرةً افتراضيةً... يجب أن نتأكد منه قبل أن ننتقل لسبب تأثيره الانتقائي...
- بالتأكيد... لهذا أخذت عينه منه للفحص الجنائي في مركز طبابتنا... وطلبت من خبير السموم فحص سميته الجهازية على وجه السرعة... وأنا أنتظر منه نتيجة التحليل... ما هذا؟... هل تشعرون بالاهتزاز؟!
- قال أسامة على عجل:
- إنه اهتزازٌ خفيفٌ جداً... بالمقارنة مع تلك التي شعرت بها في قعر المخروط... لقد كان الخطر الذي تعرضتُ له أسوأ كثيراً منك يا مايكل...
- كدتُ أفقدُ حياتي لولا أن رأف بي ماكاني رئيس شركة ميغا وسمح لي بالمغادرة... على عكسك أنا يا مايكل... فلقد حصلتُ لكم على هذه اللعبة الصغيرة التي تصل بين جاكو ودم المريض!
- أمسكتُ سام اللعبة المصنوعة من معدن التيتانيوم الحيوي وهي تقلبها بين يديها قائلة:
- لا منفذ للحجرة إلا هنا... يتسع أنبوبٌ دقيقٌ جداً!
- تماماً... الوريد... من حسن حظي أنني لم أستطع استئصال جاكو من ذراع الفتى ليكون... وإلا قتلني بلا ريب...

قالت سينا:

- كنت في المنظّمة S... ثم هبطت بالمصعد إلى المربع الناري الأزرق... ما الذي ذهب بك إلى شركة ميغا بعد ذلك؟!
- أخبرتك.. أغلبُ الظنّ أنّ المربع الناري يجمع بين البنائين في الأسفل... بواسطة مصعديهما... وأظنّ أنّ المصعد الثالث يعود لمركز الأبحاث... ولو أنّ عرفان الماكر قد انتظرني... لعدتُ إلى المنظّمة وليس إلى ميغا
- إنّ مجرّد خروجك من المربع سالماً يعني أنّ المشكلة أكبر كثيراً من أن يوقع بهم أشخاص عاديّون مثلنا!..... طيّب... مادور هذه الحجرة في جاكو؟!
- إنّها تفعلّ قوّة الضغط الهيدروليكي للذراع...
- عن طريق الدم؟!...
- لو لم تكن هي السبب لما وافقني عرفان على فصلها من جاكو بدلاً من استئصال كامل الغرسة...
- نعود للسؤال الأوّل.... لماذا سجّلت بعض أذرع جاكو قوّة عالية من الضغط دون غيرها؟؟؟!
- أجابت سام:
- أظنّ أنّ السبب يشبه سبب تأثير الخيط الانتقائي إلى حدّ ما... لا بدّ من ذلك.... كون الذراع والخيط من إنتاج شركة واحدة... فالهدف لا شكّ أنّه واحد!
- فكر أسامة بهدوء:



- الخيط يسبب الهذيان... وجاكو تسحق..
- الخيط يُضعف... وجاكو تقوّي.... هذه هي المعادلة
- قالت سينا:
- يجبُ أن نهتدي لآلية التأثير.... لنستطيع تسليم الملف كاملاً لمنظمة الصحة العالمية...
- تساءل مايكل بريب:
- هل تظنين أنّها ستتعاون معنا!
- لا أعلم...!.... أفكر بطريقةٍ تجربها على التعاون أو لتستعدّ لمحاربة الكرة الأرضية لها بالكامل...
- رنّ هاتف سينا مستقبلاً رسالةً من خبير السموم فقرأت بصوتٍ عالٍ:
- خيط الفكريل خالٍ من أيّ مادةٍ سميّة.. أمّا خيط الكروم المجدول معه فقد ثبت احتواءه على مادّةٍ دوائيةٍ لها خصائص تشبه مضادات الكولين..
- (ثمّ خاطبت أصدقاءها بحماسٍ بالغ).... هو ذا... الخيط الجراحيّ مسموم....
- سأطلبُ تقريراً رسمياً بذلك...
- تساءل مايكل مفكراً:
- لماذا لم يؤثّر بي السم؟!
- إجابتك تكمنُ في سبب جدل الخيطين... ولماذا لم يتمّ الاكتفاء بخيط الكروم مثلاً؟!

أجابت سام:

- أذكر أنّ مقيمتي العليا قد أتت على ذكر الفرق بين الخيطين من جهة نوع الامتصاص... خيط الفكريل مثلاً يُمتصّ عن طريق التحلّل المائي وهو أبطأ امتصاصاً من خيط الكروم الذي يتحلّل بواسطة البلعمة²⁸ لهذا تمّ مزج خيط الكروم بالمادة الدوائية لأنّ كريات الدم البالعة هي التي تعمل على حلّ عقده وهذا ما يُسرّع من وصول أشباه مضادّات الكولين للدم..
قال أسامة:

- لستُ خبيراً بالمواد الدوائية... لكنني أظنّ أنّ جدل الخيطين له سبب آخر نهض مايكل قائلاً:

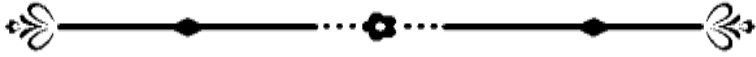
- دعوا معرفة ذلك لي.... هيا بنا يا أسامة
تساءلت سام:

- إلى أين؟!

- عملُ الفتیان... لا تتدخّل به...

فُتح باب الغرفة سريعاً فدخل الموظف إيانو مخاطباً سينا بصوتٍ لاهث:
- دكتورة.... لدينا جثةٌ مجهولة الهوية... ويجب أن تأتي على وجه السرعة
عندما خرجت سينا من الغرفة تَبَعَهَا أسامة قائلاً:
- سينا..... انتظري....

²⁸ البلعمة: عملية تقوم بها الكريات البيضاء حيث تحيط بالجسم الغريب وتبتلعه.



توقفت الفتاة مستفسرة فقال لها مُحذراً:

- إِيَّاكَ أَنْ تُقَدِّمِي عَلَى أَيِّ عَمَلٍ خَطِرٍ بِمَفْرَدِكَ.. وَأَرْجُو أَنْ تَتَوَقَّفِي عَنِ التَّوَعَّلِ فِي هَذِهِ التَّحْرِيَّاتِ أَكْثَرَ مِمَّا مَضَى.... الْأَمْرُ خَطِيرٌ جِداً....
- أَسَامَةٌ.... مَا الْأَمْرُ؟!

فَكَرَّ أَسَامَةٌ قَلِيلاً ثُمَّ قَالَ:

- الْأَمْرُ هُوَ..... كَيْفَ سَأَقُولُهَا.... (ثُمَّ تَرَدَّدَ) أَخَشَى.... أَنْ... لَا أُرِيدُ....
ابْتَسَمَتْ سِينَا ثُمَّ رَمَقَتْهُ بِنَظَرَاتٍ حَانِيَةٍ بَرِيئَةٍ قَائِلَةً:
- هَلْ أَعْنِي لَكَ مَا يُصِيبُكَ بِكُلِّ هَذَا التَّرَدُّدِ حَقًّا؟!.... هَلْ أَسْتَطِيعُ مَعْرِفَةَ سَبَبِ ذَلِكَ؟!

صَمَتَ أَسَامَةٌ مُحَوَّلاً نَظْرَهُ عَنْهَا ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ:

- وَهَلْ ثَمَّةَ سَبَبٍ يُحْكِي؟!.... إِنَّ هَذَا النُّوعَ مِنَ الْمَشَاعِرِ لَمْ أَسْتَطِعْ فَهْمَهُ أَوْ دِرَاسَتَهُ.... ثَمَّةَ إِحْسَاسٍ فِي قَلْبِي يُؤَلِّنِي كُلَّمَا رَأَيْتُكَ أَوْ تَذَكَّرْتُ مَا حَدَثَ قَرَبَ بَنِكَ "بِيرَلْ هَاوَاي"...

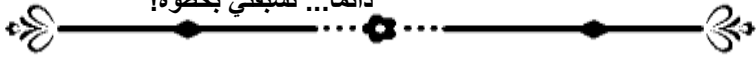
- آسَفَةٌ لَتَسْبِي لَكَ بِهَذَا الْأَلَمِ وَالْحَرْجِ...

- لَا أُرِيدُ اعْتِذَاراً.... أُرِيدُ فَقْط.... أَنْ تَكُونِي بِخَيْرٍ...

- فَقْط؟!!

أَحْمَرَّ وَجْهُ أَسَامَةٌ ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ جَادٍ:

- وَأَنْ تَمْنَحِي نَفْسَكَ الْوَقْتَ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ سَبَبِ ذَلِكَ الْحَذَرِ الْمُبَالِغِ بِهِ... وَأَنْ تَمْنَحِي قَلْبَكَ فُرْصَةً أُخْرَى.... وَأَنْ...



قالت سينا ضاحكةً بعفوية:

- لا أحب أن أثقل عليك... سأكون بخير... وأعدك أن نتحدث في الأمر..
بدا أسامة مندهشاً ثم تساءل بتردد:

- في الأمر..؟!

عاد الموظف إيانو ليحث سينا على الإسراع إلى المشرحة فقالت لأسامة على عجل:

- نعم.... سنتحدث.... إلى اللقاء

استوقفها أسامة قائلاً لها بحزم:

- أرجو ألا تعرضي نفسك للخطر.... واضح؟!

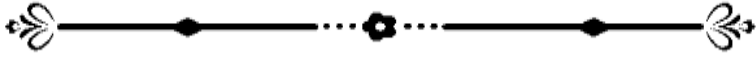
- واضح.... واضح.... (ابتسمت ضاحكةً مغادرةً المكان برفقة إيانو)

....

دخل الطبيب الشرعي غرفة المشرحة وبرفقته المحقق ومعه غُصْران من عناصر شرطة مكافحة الجرائم في هونولولو وآخرين من عناصر الأدلة الجنائية في يد أحدهما كاميرا تصوير معلقة في رقبته..

كانت الجثة شبه المتفحمة مستلقيةً بوضعية الملاك²⁹ على طاولة التشريح..

²⁹ وضعية الملاك: ظاهرة فيزيائية تحدث في الحروق تتميز بوضعية تشبه وضعية الدفاع عن النفس، تحدث نتيجة تخثر البروتينات في العضلات بفعل الحرارة.



قال أحد عناصر الشرطة:

- لقد كانت الضحية تقود مركبة الدراجة المائية ذات المحرك النفاث قريباً من ساحل سنست sunset لجزيرة "أواهو" ويبدو أنّ خللاً في المحرك قد سبب انفجاراً قوياً... لقد حافظت الدراجة على هيكليها الواسع فلم تغرق، ما سبب اشتعال الضحية على متنها دون أن تسقط في مياه المحيط...

قال الطبيب الشرعي:

- هذا ما يُفسّر الضياع المادي في الطرفين السفليين وتشظي بقية الجسد
قال المحقق:

- يبدو أنّ تشبث الضحية بمقبضي المركبة حال دون سقوطه بمياه المحيط ما جعل جسده يتأثر بالنيران لوصولها إلى هذه الحالة شبه المتفحمة...
ارتدى الطبيب الشرعي رداءه وقفّازيه ثم اقترب من الجثة المستلقية بوضعية ركوب المركبة وبدأ بفحصها قائلاً:

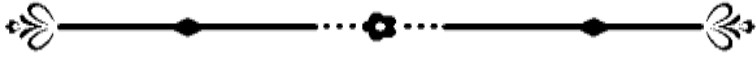
- لقد اختفت ملابسه ما يعني أنّها مصنوعة من موادٍ قد ساعدت على الاشتعال... ربّما هي ملابس الغوص المطاطية... وإنّ محافظته على هذه الوضعية تفيد بأنّ التشنّج الرمي³⁰ قد بلغ ذروته.
تساءل المحقق:

- ما سبب الوفاة أيّها الطبيب؟!

³⁰ التشنّج الرمي: حالة من حالات تصلب الجثة الشديد.

- أذيةٌ دماغيةٌ بسبب إصابة شظيَّة معدنيةِ الفصِّ القذالي³¹ من الدماغ..
سأل المحقِّق عناصر الشرطة مجدداً:
- ألم تصلوا لمعلومات الجثَّة الشخصية؟!
- كلا يا سيّدي... لم يكن لديه بطاقةٌ شخصيّة عندما بحثنا في ملابسه التي تركها في المستودع الخاص بالمركبة... وليس من عادة العاملين في مخزن أدوات وملابس الغوص أن يطلبوا بطاقات الزبائن الشخصية...
- قد تعودُ الجثَّة إذاً للشخص المفقود فريدريك كالوا...
- إنّ هذه المركبة ملكه يا سيّدي...
- لن نستطيع تأكيد هويّته من خلال قيادته المركبة... أيّ أحدٍ آخر يمكن أن يقودها غيره... حتى لو كانت ملكه...
- قال الطبيب متابعاً عمله في فحص الجثّة:
- لقد أرسلنا بطلب قسم الاستعراف للتعرّف على هوية الضحية...
- طُرق باب غرفة المشرحة فدخل أحد عناصر الشرطة قائلاً بصوتٍ مرتبك:
- سيّدي المحقِّق... رجال أمن المنظّمة S يطالبون بأخذ الجثّة...
- أخبرهم أنّ قسم شرطة هونولولو لن تُسلم الجثّة ما لم تقم بكامل مهامها القانونيّة...
- اقتحم المشرحة رجُلٌ أمينٌ من المنظّمة بلباسهم الداكن ونظاراتهم السوداء... وقال أحدهم مخاطباً المحقِّق:

³¹ الفصّ القذالي: الجزء الخلفي من دماغ الإنسان.



- سيدي... رئيسة المنظمة تطالبكم بتسليم الجثة وسنقوم نحن بالإجراءات اللازمة...

- كيف تجرأتما على الدخول إلى هنا بدون تصريح رسمي؟!... أخرجوهم من هنا حالاً...

أجاب رجل الأمن بصوتٍ حازم:

- سيدي... هذه الجثة تعود لموظفٍ أمميٍّ مهمٍّ لدينا... ونريدُ استعادتها... دخلت سينا ومقيمها الأعلى غرفة المشرحة مجتازين عناصر الشرطة ورجلي الأمن..

همست سينا في أذن الطبيب الشرعي بضع كلمات..
قال المحقق غاضباً:

- كيف تأكدت أنها تعود لموظفكم هذا؟!... إنها جثةٌ مجهولة الهوية... انظر... حتى ملامح وجهه غير واضحة... أرجو أن تغادرا المكان بهدوء قبل أن أحيلكم للقضاء كونكم تعرقلون عمل القانون!

كان أحد الرجلين يكلم رئيسة المنظمة جنيفر بواسطة السماعة الموصولة بأذنه فلقم مسدسه مخاطباً المحقق بلهجةٍ أمرية:

- سلّمنا الجثة دون أيّ مقاومة... الأمر نافذٌ سيدي المحقق..

تدخل الطبيب الشرعي قائلاً بلطفٍ ما استطاع:

- هلاً منحتنا يوماً واحداً فقط؟!... سنفحص الجثة ثم نسلّمكم إياها مع تقرير الفحص كاملاً

حدّق المحقق بالطبيب غاضباً من قراره المخالف لقرار المحقق الذي أصرّ على عدم الانصياع لهذه المنظّمة المتعسّفة ثمّ تساءل مبتسماً باستغرابٍ وتوجّس:

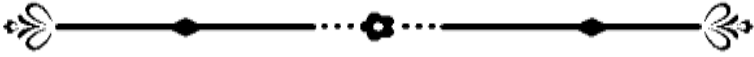
- أستغربُ إصراركم للحصول على مجرّد جثة!!!... هذا يدفعني لإجراء المزيد من التحقيقات يا سادة... ما الذي تخفيه مجرّد عظامٍ وعضلاتٍ ورأسٍ شبه متفحّم؟!

بدت الحيرة والارتباك جليّين على وجهي رَجُلِي الأَمَن فقال أحدهما:
- لديكم اثنتا عشرة ساعة.... بعدها سنستلمُ الجثة مع التقرير بشكلٍ مفصّل...

(ثمّ غادرا المشرحة)

قال الطبيب الشرعي مخاطباً حامل كاميرا التصوير:
- احرص على التقاط صورٍ دقيقةٍ جداً... على طول الجثة وبوضعيّتها الحالية... ثمّ كلّ جزءٍ أُشيرُ لك إليه...
- حاضر..

كانت سينا تراقب عمل الطبيب الشرعيّ العام الذي استغرق ساعةً كاملةً وهو يُسجّل ملاحظاته مألثاً استمارة المعلومات الخاصّة بالفحص مركزاً في النهاية على سبب الوفاة..



ثم أخذ عيّنةً من العضلات العميقة غير المتأثرة بالحريق لفحص البصمة الوراثية ومقارنتها مع الحمض النووي الخاص بالمشتبّه به فريدريك كالوا.. قال المحقق مخاطباً أحد عناصر الشرطة:

- أريدُ عيّنةً من الأغراض الشخصية بفريدريك بالسرعة القصوى... اذهب إلى بيت عمّته نينا... واحصل لي على الكثير من أشياءه... مشط شعره.. فرشاة أسنانه... كلُّ ما في غرفته أريده هنا... يجبُ أن أحصلَ على نتيجة التحليل في أسرع وقتٍ ممكن... (ثم طلب من العنصر الآخر)... وأنت... خذِ العيّنة إلى مخبر تحليل المادة الوراثية ليتّم معالجتها ريثما يأتي زميلك بما طلبتُ إحضاره..

ارتدت سينا ومقيمها الأعلى ردائيهما الخاصّ بالفحص ثم كشف المقيمُ الأعلى أسنان الضحية مبعداً الشفتين المنكمشتين بفعل الحرارة ما أمكنه ليُفسح مجالاً أوسع لمعاينةٍ أوليةٍ للأسنان..

فقرّبت سينا وجهها من الأسنان مدققةً النظر لثوانٍ عدّةٍ فاحصّةً ما تراه عيناها ثم قالت بصوتٍ خائبٍ مخاطبةً المحقّق:

- أخشى يا سيّدي المحقق... ألا تكون الجثةُ عائدةً للمشتبه به فريدريك كالوا!

صاح المحقّق مندهشاً:

- ماذا؟؟؟!!!

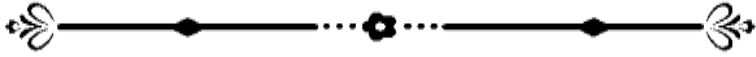
- إنَّ الأسنان الأمامية للحيَّة تختلف جذرياً عن أسنان فريدريك الذي اجتمعتُ به مرَّةً قبل عدَّة أشهر... انظر هنا يا سيِّدي... القاطعان والناب وحق الضاحكان في الفكِّ العلويِّ الأيسر - هذه الأسنان التي حتماً تظهرُ عندما يحدثك أحدهم - لم تكن مُتوجَّهَةً بأيِّ تاجٍ ترميميٍّ لدى فريدريك... بخلاف ما نراه هنا... جميع أسنان الفكِّين متوجَّهَةً باستثناء أسنان الفكِّ العلويِّ الأيمن...

قال المقيمُ الأعلى:

- ربَّما هي معالجاتٌ حاصلَةٌ في الفترة التالية للقائِك بفريدريك... أعني.. أنَّها ليست سبباً كافياً لِتُنْجِي الاستعراف كما تعلمين يا سينا!!!
قال المحقِّق مؤمناً على كلام المقيم الأعلى:

- هذا صحيح... تابعا الفحص من فضلكما... أريدُ النتيجة بسرعة..
حدَّثت سينا بمقيمها الأعلى ثم همست بصوتٍ خفيضٍ مؤكِّدةً:
- كانت أسنانه سليمةً تماماً... لقد كانت جميع قواطعه والأنياب برَّاقةً تلمع في وضوح النهار ما جعلها تلفتُ انتباهي بمثاليَّتها!... انظر... ما هذه التركيبات الثابتة المريعة؟!

- لن نستطيعَ الحكم ما لم نستأصل الفكِّين ونملأ استمارة البصمة الفكِّية بالشكل الأكاديميِّ العلميِّ الصحيح يا سينا... (ثمَّ خاطب المحقِّق)... سيِّدي... لا تأخذ كلامنا على محمل الجدِّ قبل أن نكتب التقرير



النهائي... نَحَبُ أَنْ نَفَكَّرَ بِصَوْتٍ عَالٍ... هيا يا سينا... أَحْضِرِي المِشْرَطَ وابدئي
بإجراء شَقٍّ يَصِلُ بَيْنَ شَحْمَتِي الْأُذُن... ريشما أَحْضِرِي المنشَارَ الكهربائي...
استغرق استتصال الفكين بشكلٍ مثاليٍّ نصف ساعة مع تحريرهما من كامل
الأنسجة الرخوة باستثناء البقايا العالقة في العظام...
تمت سينا قائلةً:

- حتما ليست أسنان فريدريك.... انظر إلى أسنان الفك السفلي... لم يخلُ
سُنٌّ فيه من تاجٍ واحد!... جميع أسنانه متوجّة!!...
نفد صبرُ المقيم الأعلى قائلاً بهدوء:

- هل لديك ما يمكن مقارنته مع ما لدينا هنا عدا ذاكرتك؟!
- للأسف.... لا....

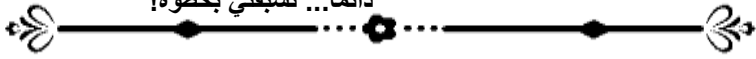
تدخل المحقق على عجلٍ قائلاً:

- دكتور... قل لي... ماذا نستطيع إحضاره لك لتتم هذه المقارنة؟!
- أيّ صورٍ شعاعيةٍ للمفقود... أيّ صورٍ فوتوغرافيةٍ قريبةٍ له أو حتى
البعيدة....

- من أين لنا أن نحضّر لك الصور؟؟

- طبيب أسنانه.... حبذا لو حصلت لنا على أحدث ملفّاته السنيّة وصوره
الشعاعية البانورامية لفكّيه...
فكّر المحقق قائلاً:

- هل نملك الوقت للتواصل مع جميع أطباء أسنان جزيرة "أواهو"؟!



تدخلت سينا سريعاً:

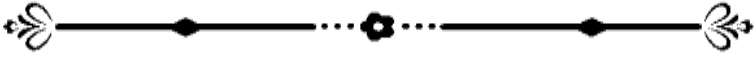
- سيدي... ابدأ بعبادة "أوهانا" السنّية في حيّ "كاليهي"... هناك حيث رأيته وقد صرّح بأنّه يعالجُ أسنانه..
وجّه المحقّق كلامه للشرطيّ:

- اذهب إلى مركز أوهانا واطلب كامل ملفّ المريض فريدريك السنّي... (ثمّ قال طالباً من العنصر الرابع)... وأنت... لديك ساعة فقط.... اتّصل مع جميع المراكز السنّية في "أواهو" واسأل عن أيّ معلومة سنّية تخصّ المفقود..
قالت سينا:

- سأخذ صوراً شعاعيّة للفكّين لنملاً استمارة البصمة الفكّيّة..
ذهبت سينا بالفكّين المستأصّلين إلى غرفة التصوير الشعاعي وهي شبه واثقة بأنّ الجثة تعود لمفقود آخر تماماً إلّا أن يكون فريدريك!..
لقد كانت أسنانه الأمامية حتى وقتٍ قريبٍ سليمةً تماماً لدرجةٍ شبه مثالية..

أمّا ما بين يديها الآن فهي أسنانٌ حاويةٌ على تعويضاتٍ ثابتةٍ أماميّةٍ وخلفيةٍ سيّئة الانطباق على الحواف اللثويّة!

انتبهت سينا لوجود رجلٍ الأمن من المنظّمة الأمنية S جالسٍ على المقاعد في الردهة ما جعلها تتأكّد من خطورة فقدانهم لزميلهم فريدريك...
لكن...



حتى لو كانت الجثة تعود له.... ما الذي يدفعهم لاستعادتها ضاربين بعرض الحائط علاقتهم بالجهات العليا المختصة؟!
إنّ تدخل مكتب التحقيقات وقسم شرطة هونولولو لا يصبّ في مصلحة المنظّمة ولا في مصالح أيّ من رؤساء المباني الثلاثة على فوهة مخروط "دايموند هيد"

تنبّهت سينا لصوت سام التي اندفعت نحوها قائلةً بفزع:
- ما قصّة الجثة الموجودة في المشرحة هنا..؟!.... (ثم اختنق صوتها)... هل هي حقاً لفريد؟!

رمقتها سينا بحيرة ثم قالت:
- من أخبرك بهذا؟!

- الجميع هنا يتحدّثون عنها.... وإلا... لماذا حضر أعضاء المنظّمة S...
سينا... أرجوك.... أثبتني أنّ الجثة ليست لفريد.... قولي إنّّه لا يزال حيّاً!
أعادت سينا النظر للفكّين بين يديها ثم أجابت بحزم:

- لم نتأكّد بعد.... دعيني أتابع عملي وسأوافيك بالتفاصيل...
كان رجلا الأمن يراقبان الفتاتين عن كثب، فاقتربا أحدهما من سينا قائلاً لها:

- دكتورة.... يجب أن نتحدّث إليك.... هلاّ أتيت معنا؟!...
لم تشعر سينا بالاطمئنان فقالت:
- قل ما لديك هنا لو سمحت.... فلديّ عملٌ عليّ إنجازه..

- هذه الأسنان بين يديك.... هي لتلك الجثة صحيح؟!
أخذت سام الفكين من يد سينا وحدّقت بهما مرتعشةً وهما منطبقين
بوضعية تشابكٍ حديّ أعظميٍّ ثم قالت مبتسمةً بصوتٍ غير مستقر:
- هذه ليست أسنان فريد يا سادة... خاطبي لم يزر طبيب أسنان قط... هذه
الأسنان مختلفة تماماً عن شكل أسنان فريد...
قالت سينا متذكّرةً:

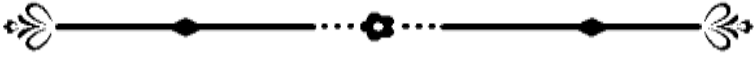
- ماذا كان يفعل إذاً في عيادة أوهانا السنيّة، عندما رأيناه معاً برفقة مديرة
أعماله؟!... هل كان يكذب عندما قال لنا إنّ يعالج أسنانه هناك؟!
أجابت سام بصوتٍ محتدّ:

- لا أعلم... (ثم سلّمها الفكين بعنف)...إلا أنّ هذين الفكين ليسا
لفريد وكفى....
قال رجل الأمن مؤكّداً:

- لقد كان فريدريك يتردّد للعديد من المراكز السنيّة في أثناء عمله لدينا!
سألته سينا سريعاً:

- لماذا؟!... ماذا كان يفعل هناك؟!
أجاب الرجل بسداجة:

- يُعالج أسنانه... لقد تودّم وجهه مرّةً نتيجة معالجة سنيّة سيّئة على حسب
زعمه... (ثم قال بصوتٍ حازم)... اسمعيني يا آنسة... أو دكتورة... أيّاً
يكن... هذه الجثة هي حتماً للمدعو فريدريك كالوا... تعاوني معنا



- رجاء... ثمة ما أخفاه فريدريك وعلينا إيجاده بالضرورة والسرعة القصوى... سلامة جزيرة أوهاو تعتمد على هذا الشيء...
- ابتسمت سينا وسام غير مصدّقتين فقالت سينا:
- إن كنتِ تقصدُ الهذيان المديد... فلقد فات الأوان...
- أتحدّث عن سلامة الجزيرة وليس السكّان وحسب... ألا تشعرين باهتزازاتٍ خفيفةٍ تصيبُ الأرض منذ عدّة أيام؟!
- نعم... بالتأكيد... جميعنا شعر بها!
- تنهّد الرجل محاولاً التحدّث بهدوءٍ عقلائيّ:
- هذه الاهتزازات مصدرها قعر مخروط "دايموند هيد" صرخت سام بذعر:
- أتعني أن بركان "دايموند هيد" الخامد... قد نشط وهو على وشك الثوران؟!
- اهدي رجاء... (ثمّ نظر حوله)... ليس من الجيّد بثّ الذعر في نفوس السكان... لن يثوّر بالمعنى العلميّ الجيولوجيّ له... لقد قام فريدريك بتفعيل ضواغط الهواء العملاقة في قعر المخروط ثمّ أقفل نظام التحكم بمراكز الضخّ وفرّ هارباً منذ عدّة أيام..
- قالت سينا بازدياءٍ واضح:
- ولماذا لم تُخبر المحقّق والشرطة بذلك؟!... أظنّ أنّهم سيقدّمون لكم يد المساعدة بشكلٍ أكفأ ممّا!... أم أنّ ضواغط الهواء هذه مثلها مثل منتجاتٍ

أخرى غير قانونية يتم استحداثها على فوهة أو في قعر مخروطكم المريب هذا؟!

- إنَّ ما يحدث هناك مجرد أبحاثٍ علميةٍ سرّية.... وبموافقاتٍ أمنيةٍ من الجهات المختصة.

- أبحاثٌ علمية؟!.... الخيط الجراحيّ المسموم.. وذراع جاكو القاتلة.... هل هذه هي الأبحاث التي تتحدّث عنها؟!

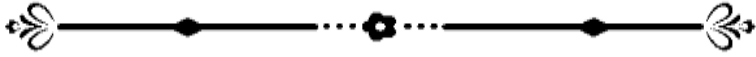
- أنا.... أصدقك القول.... لا أعلم شيئاً عمّا ذكرته!.... إلّا أنّ مهمّتي الآن تكمنُ في العثور على فريدريك سريعاً!

بدا لسينا أنّ الرجل صادقٌ فيما يقوله، وأنّه مقتنِعٌ بفكرة الأبحاث العلمية "البريئة" تلك...

قالت سام بغضبٍ دفين:

- لقد كان فريد يعمل لديكم!.... تخلّى عنّا جميعاً وانتحرت عمّته بسبب استحواذ المنظمة عليه وإخلاصه الجنوبيّ لها.... (وأمسكت بكمّ سترته بشراسة)... بعد ذلك تأتون باحثين عنه بهذه الطريقة المستفزّة؟!... مُلصقين به تهمةٌ فظيعة... (ثمّ صرخت عالياً)... بل وتدّعون أنّ الجثة المحترقة هي جثّته!

- دكتورة... أسكتي صديقتك رجاءً!... أعود وأؤكد لك... إنقاذ الجزيرة أهمّ الآن من أيّ شيءٍ آخر...



قالت سينا مستفسرةً بقلق:

- بماذا أستطيع مساعدتكم أنا شخصياً؟!... ألا يمكن فتح نظام التحكم بمولّدات الضغط أو ضواغط الهواء تلك؟!... لا بدّ أنّ منظّمكم لديها من الأكفّاء ما يكفي للتصرّف في حالات الطوارئ هذه!
- كان فريدريك أكثر المهندسين خبرةً في التحكم بأنظمة الحاسوب والتكنولوجيا... لم يستطع أيّ من مهندسينا مجاراته!
- تمتت سام محدّقةً بذهول:

- هذا صحيح... إنّ فريد ضليعٌ بالبرمجة والخوارزميات... يا إلهي... (ثمّ جثت على ركبتيها قائلةً برعب)... علينا أن نهرب... إنّ كان ما تقوله صحيحاً... فلن يتمكّن أحدٌ من فكّ الشيفرة التي أقفل بها نظام التحكم هذا..

- للأسف الشديد... لم يكتفِ بذلك... بل حدّد عدد محاولات حلّ كلمة السر بعشر محاولاتٍ فقط!... يعدّ ذلك قليلاً جداً بالمقارنة مع عدد الاحتمالات الكبير نتيجة عدد الخانات التي تبلغ اثنتين وثلاثين، ستّ عشرة خانةً في الصّف الأوّل... وستّ عشرة في الصّف الثاني...

تساءلت سينا وقد طغى الرعب الحقيقيّ عليها:

- على هذه الحال...

- على هذه الحال.. إن لم يستوعب هيكل المخروط الانفجار الناتج عن الضغط الهائل المولد في الخزانات المصفحة... سيبدأ الجزء الجنوبي بشكلٍ كاملٍ من جزيرة أوهاو...

- أيُّ جنونٍ هذا؟!... ماذا علينا أن نفعلَ لمنع هذه الكارثة؟!... أليس من الأفضل أن تتمنوا أن يكون فريدريك حياً على أن تُضيعوا وقتكم في تأكيد الجثة له؟!!

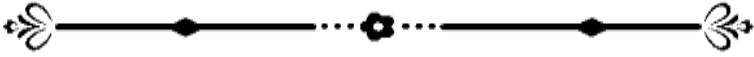
- هذه الجثة تعودُ له قولاً واحداً... ظروف موته وجميع الأدلة تشيرُ إلى أنه قُتل نتيجة عبث أحدهم بخزان الوقود في مركبته ذات المحرك النفاث.. التي كان يفكر بالهرب بها خارج الجزيرة...

بدت سينا متوجسةً حين سألت:

- من هو المجرم الوضع الذي قتله وهو يعلمُ أنَّ فريدريك مسؤولٌ عن حيوات مئات الألوف من البشر؟!.. (ثم حرّكت رأسها غير مقتنعةٍ تماماً بما تسمع)... إنَّ أحداً من المنظمة هو الفاعل بلا ريب... إن كان قُتل مقصوداً فحتماً أراد المجرم بذلك أن يدمر الجزيرة... وبالنظر لطريقة موته.. فقد كان التخلص منه متعمداً!

- لا وقت لدينا للتنقيب عن المجرم..

انتفضت سام من مكانها وقد أحكمت قبضتها ممسكةً بتلابيه قائلةً بأنصاف أنفاسها المتلاحقة:



- من الذي قتله؟!... قل إنه عرفان... (ثم صرخت) وسأفجر أنا بركان دايموند هيد....

أطرق الرجل مستسلماً:

- للأسف... إنه هو... لا تقلقي.. إنّ المنظّمة تبحث عنه وستحرص على القبض عليه... والآن... رجاءً دعونا نركّز في الكارثة!

ثمّ شعر الجميع باهتزازٍ في الأرض ما جعل سينا تتساءل بخوف:
- أين يمكن أن نجد كلمة السرّ تلك؟!

صمتَ الرجل قليلاً ثمّ اقترب من سينا هامساً:

- تعتقدُ المنظّمة أنّ فريدريك أخفى كلمة السرّ في مكانٍ ما في أسنانه
- هذا مستحيل!!

- كانت كاترين -مديرة أعماله- ترافقه أينما ذهب... إنّ تردّده الغريب على أغلب المراكز السنّية في الجزيرة... جعل المنظّمة تشكّ في أمره... أحدُ الأطباء صرّح لكاترين أنّ أسنان فريدريك سليمةٌ تماماً وأنّ الألم الذي يدّعيه مجرّد حساسيةٍ سنّيةٍ عالية... لكنّ إصرار فريدريك على العلاج لم يدع للطبيب خياراً آخر سوى الانصياع للمريض وإراحته من الألم القوي!... وبسبب سوء الحال الذي أوصلنا إليه فريدريك الآن.... جعلت المنظّمة تفكّر جدّياً في البحث في أسنانه عن آية ورقةٍ صغيرةٍ قد أخفاها في مكانٍ ما تحت أو بين هذه التيجان السنّية....

قالت سينا بانفعال:

- ما الذي تقوله؟!.... لا يمكن فعل ذلك!... حتماً ستُتلف الورقة بطريقةٍ ما ضمن الوسط الفموي... (ثم صمتت قليلاً مفكّرةً وتابعت)... إنّ خطورة الأمر لا تحتمل الافتراضات.... دعنا نوّكد أولاً أنّ الجثة تعودُ للمهندس فريدريك كالوا... ثم لكلّ حادثٍ حديث... يجبُ أن أذهب..

أمسك رجل الأمن بيد سينا حاملة الفكّين قائلاً:

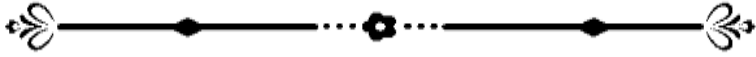
- اسمحي لي بهذين الفكّين رجاءً... ودعي كامل الجثة لديكم...
- هذا مستحيل.... إنّ الفكّين أثمنُ ما لدينا من معلومات.... كما أنّك لن تستطيع التعامل معهما بمفردك.... تحتاجُ طبيب أسنانٍ قطعاً للبحث عن تلك الورقة...

- إذّا... ستكونين أنت طبيبة الأسنان التي ستنقذنا...
تراجعت سينا للخلف بترددٍ قائلةً:

- أخشى أن يكون ما تبحثُ عنه غير موجود!!.... هيا بنا يا سام...
دخلت الفتاتان غرفة التصوير الشعاعي والتقّطت سينا عدّة صورٍ شعاعيّةٍ لكلّ فكٍّ على حدة بوضعيّاتٍ مختلفة... ثمّ عادت بهما وبالصور الشعاعية إلى غرفة المشرحة، وبقيت سام تنتظرُ خارجاً غير واعيةٍ تماماً لما يجري...
سأل المقيم الأعلى سينا:

- أين كنتِ كلّ ذلك الوقت؟!

- أعذر... هل أحضر رجال الشرطة ما طلبناه لعملية المقارنة؟



- ليس بعد... دعينا نبدأ أولاً بملء استمارة البصمة الفكّية...
أمسكت سينا الاستمارة وكتبت جميع معلومات المواصفات الخارجية
للجثة مجهولة الهوية، إلى أن وصلت إلى قسم البصمة الفكّية فبدأت
بكتابة الرموز الخاصّة بكلّ سنّ على المخطط الترسيميّ في الاستمارة وما
يحويه من ترميمات أو ما أصابه من نخور... كلّ على حدة...
فقلت وهي تعمل للمحقّق:

- جميع أسنان الفك السفلي³² تحوي على تعويض ثابت أو كما هو معروف
لدى الناس بأنّه تاج سنّي من نوع المعدن الملقّح بالخزف... تم تنويج كلّ سنّ
بشكل منفصل... لدينا إذاً في الفك السفلي ستّة عشر سنّاً متوجّاً سليماً من
أيّ معالجات لبّية... الأمر منطبق تماماً على أسنان الفك العلويّ الأيسر*...
لذا سأظلل المخططات الترسيمية لجميع هذه الأسنان..... هكذا.....
أما الفك العلوي الأيمن... فأسنانه خالية من التيجان السنيّة... (ثمّ سألت
المقيم الأعلى)... ثمّة خمسة أسنانٍ مفقودة الترميم.... (ثمّ خاطبت المحقّق
موضّحةً) أو الحشوات السنية..

سأبدأ بالثنيّة... إنّها مُعالجَةٌ لبّيّاً دون أيّ ترميمٍ خارجيٍّ لمدخل العصب
السنّي... وجميع جدرانها سليمةٌ من أيّ نخر... سأكتب تحت الثنيّة العلويّة
اليمنى ذات الرقم 11 الرمز RCT³³

³² الفكّ السفليّ هو عظمٌ مفرد، أما الفكّ العلويّ فهو عظمٌ مزدوج لذا يقال: فكّ علويّ أيمن وفكّ
علويّ أيسر ملتحمين بالدرز الحنكي (مصطلح تشريحي)

³³ RCT: رمز للمعالجة اللبّية لأقنية السن الجذرية root canal treatment

الرباعية سليمة تماماً... سأكتب تحت مربّعها ذي الرقم 12 الرمز S³⁴
 الناب كالثنية تماماً... دون أيّ اختلاف... سأكتب تحت مربّعها ذي الرقم

13 الرمز RCT

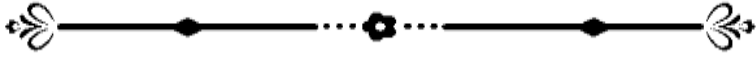
الضحك الأول... إنّ الترميم أو الحشوة مفقوداً لما يبدو أنّه كان نخرًا أصاب
 السطح الطاحن والجدار الوحشيّ للسن... لا ترميم إذاً فهو نخر... لذا
 سأكتب تحت مربّعه الخاص ذي الرقم 14 الرمز DO³⁵

الضحك الثاني... سليمٌ تماماً... سأكتب تحت المربّع ذي الرقم 15 الرمز S
 الرحي الأولى... مفقودة الترميم أيضاً.... (ثمّ أمعنت النظر في الرحي
 متابعَةً)... التحضير طال السطح الطاحن مع الجدارين الأنسي والوحشي
 للسن... سأكتب تحت مربّعه الخاص ذي الرقم 16 الرمز MOD

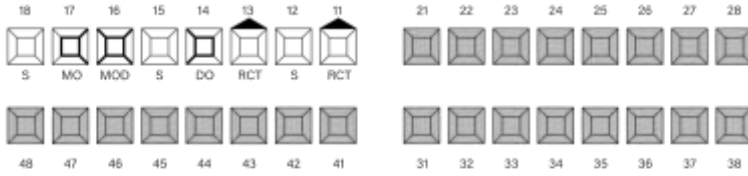
الرحي الثانية... مفقودة الترميم... التحضير طال الجدار الأنسيّ مع السطح
 الطاحن... سأكتب تحت المربّع ذي الرقم 17 الرمز MO
 وأخيراً الرحي الثالثة.. سليمةً تماماً.. سأكتب حرف S تحت المربّع ذي
 الرقم 18

³⁴ S: رمز لكلمة سليم sound

³⁵ DO: رمز لنخر أصاب السطح الطاحن والجدار الوحشي للسن (أسماء سطوح السن حسب
 جهاتها التشريحية)



ثم عرضت المخطط الأخير على المحقق والمقيم الأعلى (قائلةً) هكذا ستكون البصمة الفكيّة



تساءل المحقق باهتمام:

- لماذا فُقدت حشوات الأسنان الخمسة؟!

أجاب المقيم الأعلى مفكراً:

- يبدو أن طبيب أسنانه ليس ماهراً كفايةً ما أدّى لانتهيار الترميمات التي وضعها....

قالت سينا:

- قد تنهارُ حشوةٌ ترميميّةٌ واحدة... أو اثنتين... وليست الخمس جميعها بما فيها مدخلي لبي الثانية والناب..

ثمّ أطفأت أضواء الغرفة وسلّطت منبع الأشعة فوق البنفسجيّة على أسنان الفك العلويّ الأيمن، باحثّةً عن أيّ نوعٍ من الحشوات الضوئية المتقنة

والتي قد لا يمكن تمييزها عياناً دون هذا النوع من الأشعة فقال لها المقيم الأعلى مبتسماً:

- الصور الشعاعية التي التقطتها للفكين تغنيك عن هذا الفحص....
قالت سينا بصوتٍ مضطرب:

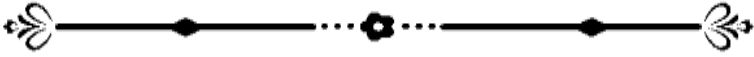
- لا بأس بالمزيد من الفحوصات.... (ثم تمتت هامسةً) ثمة ما يريب...
هذه البصمة الفكيّة ليست عادية.... لو كانت الجثة تعودُ لفريدريك حقاً...
ما الذي اضطرّه لتتويج نصف أسنانه الأمامية العلوية السليمة بهذه
التيجان القبيحة لو لم يكن هدفه تحميلها؟!.... هذا إن غَضَضنا الطرف
عن جميع أسنان الفك السفلي....

مرّت عدّة ساعاتٍ إلى أن دخل الشرطيّ غرفة المشرحة وفي حوزته عدّة
ملفاتٍ سنّيةٍ للمفقود فريدريك قائلاً:

- لقد عالج فريدريك أسنانه لدى أربعة مراكز سنّية متفرّقةٍ على جزيرة
أواهو وهذه ملفّاته...

سرعان ما تلقّفت سينا الأوراق والصور من يد الشرطيّ، وقامت بفردها على
الطاولة، ثم أخذت نفساً عميقاً لتهدأ وتدرّك ما عليها أن تبدأ به...
فاختارت أوّل صورةٍ بانوراميّةٍ الثُقِطت لفكيّ فريدريك منذ بضعة أشهر...
كانت الأسنان سليمةً من أيّ نخرٍ سنّيٍّ وخاليةً من أيّ نوعٍ ترميميٍّ فقالت
بانفعالٍ للمقيم الأعلى:

- انظر هنا.... هذا يُثبتُ صحّةَ كلامي... أسنان فريدريك سليمةٌ تماماً..



أخذ المقيم الأعلى الصورة الثانية التالية بتاريخها متفحصاً معالمها ثم قال:
 - هنا... تم تتويج أسنان نصف فكّه السفلي الأيمن.... (ثم أخذ الصورة
 الثالثة التالية بالتاريخ متابعاً)... هذه الصورة تؤكد أنه تم تتويج بقية أسنان
 الفك السفلي) والتقط الصورة البانورامية الأخيرة ذات التاريخ الأحدث من
 بين الصور قائلًا) هنا... تم تتويج أسنان فكّه العلوي الأيسر... حتى الآن...
 كلّها معالجات قد تحصل.... لكن.... (ثم صمت قليلاً معنًا النظر)..... هذا
 غريب....

ابتسمت سينا ابتسامة نصرٍ ضاحكةً:

- ماذا عن الفكّ العلوي الأيمن في هذه الصورة يا دكتور؟!... إنك لم ترَ أيّاً
 من النخور السنّية المحافظة وتلك التي اضطّرت المريض لإجراء معالجاتٍ
 لبيّةٍ للثنية والناناب في الفكّ العلوي الأيمن.... صحيح؟
 قال المقيم الأعلى متردداً وهو يتفحص تاريخ الصورة الذي يسبق تاريخ اليوم
 بأقل من شهرٍ واحدٍ فقط:

- شهرٌ واحد... ربّما تطوّرت هذه النخور خلال شهرٍ واحد.... إنّ ذلك
 جائز.... أمّا المعالجات اللبّية للثنية والناناب.... فأني رَضّ سنيّ قد يؤدّي
 لثموت العصب السني ما يضطرّ طبيبه لاستئصاله....

- كلاً.... الرضّ سيصيب سنّين متجاورين وليساً منفصلين بواحدٍ سليم...
 (ثم سألت مؤكدةً على كلّ كلمةٍ تقولها) وهل تطوّر خلال شهرين برأيك ما

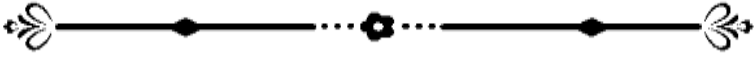
أرغم المريض على تتويج أربعة وعشرين سنّاً بتيجانٍ سيّئة الانطباق والتصميم؟؟!!

- ربّما..... (ثمّ احتدّ صوته مستدرّكاً)... إلّا ترمين إليه؟!... إنّك لم تأتِ بتناقضٍ واحدٍ غير قابلٍ للتفسير ينفي الاستعراف ويثبت أنّ الجثّة ليست جثّة فريدريك كالوا... إيّاك سينا أن تحتلّي ما يحيدنا عن الأدلّة الملموسة... لا يزال استعرافنا بحاجةٍ لأدلّةٍ كافية...
بدا المحقّق خائباً حينما قال راجياً:

- حاول رجاءً أيّها الطبيب... أريدُ تأكيداً قاطعاً أو نفيّاً قاطعاً... لا وقت لدينا!

- لا أستطيع تأكيد الاستعراف اعتماداً على الأسنان المتوجّة وحسب... إنّ أسنان الفكّ العلويّ الأيمن في الصورة البانورامية الأخيرة معافاةً تماماً وقد أوقعتنا في حيرة... على الرغم من أنّها تناقضاتٌ مُفسّرة!... لكنّ الفاصل الزمنيّ بين تاريخ الصورة واليوم ليس مقنعاً!
قالت سينا بثقةٍ مفرطة:

- ذلك يعني أنّ ثمة احتمالاً بأنّ فريدريك لا يزال حيّاً... حدّد المقيم الأعلى زميلته بنظراتٍ غاضبة، ثمّ أمسك الأوراق وأعاد دراسته بهدوءٍ لعلّه يحصل على نقاط توافقيّة إضافية، بينما كان المحقّق يذرّع الغرفة جيئةً وذهاباً..



مضت ساعتان إلى أن دخل أحد عناصر الشرطة وفي يده تقريرٌ ورقّي قائلاً:
- سيّدي المحقّق... أظهرت نتيجة فحص DNA الجثّة مع DNA المفقود
تطابقاً بنسبة 99.9% ما يعني أنّ هذه الجثّة تعود لفريدريك كالوا
تسمّر الثلاثة في أماكنهم محدّقين بالشرطي، فرمق المقيم الأعلى سينا متوعداً
قائلاً لها:

- لقد تفوّق علينا فريق تحليل البصمة الوراثيّة وأنّ لا تزالين تختلقين
الغازاً غريبة... (ثمّ تصلّب مراقباً الاهتزاز الخفيف الذي أصاب المكان وقال
متابعاً) الاهتزازات كثيرة اليوم...

بدت سينا غارقة في غياهب أعماقها المتمنّية ربّما أن يكون فريدريك حيّاً
على أن يموت وفي حوزته ما يوقّف هذه الاهتزازات السابقة للانفجار
الكبير...

تذكّرت آخر ما قاله رجل الأمن عن احتمال إخفاء ورقة صغيرة في أسنانه،
فاستغلّت انشغال الجميع في غرفة المشرحة وأخذت الفكّين المُستأصليّن
واستمارة البصمة الفكّيّة مع الملفّات ثمّ غادرت الغرفة..

لحقت بها سام مستفسرة عن المستجّدات لكنّ سينا لم تُجِب...

بل ذهبت إلى الرّدهة حيث رجلي الأمن قائلةً لهما:

- هيّا بنا...

غادر الثلاثة مبنى الطبابة الشرعية واستقلّوا السيارة السوداء باتجاه مخروط
"دايموند هيد"

من الذاكرة... منذ بضع سنوات

- ألو... مرحباً..

(صوتٌ أنثويٌّ هادئ)

- من يتكلم؟!

- أنا ليان طبيبةُ الأطفال... زوجة عرفان...

وضعت سينا يدها على فمها وكأنّها تخفي صدمتها.. ثم أجابت محاولةً التماسك:

- من عرفان؟!

- أظنّ أنّك تعرفينه يا دكتورة... (تهدّج صوتها)

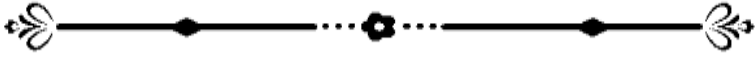
- حسناً... ما الأمر؟

- ألا يجدُركِ سؤالي عن كيفية بحثي عنكِ وحصولي على رقمكِ؟!
قالت سينا بصوتٍ ثابت:

- لا يهمني... هل من خطبٍ يستدعيكِ للتحدّث إليّ؟!

- خطبٌ واحدٌ فقط!... إنّها خطوبٌ ومصائب!... لقد اختفى عرفان... ولا أعلمُ عنه شيئاً!... لقد كان طوال المدّة الفائتة يهذي باسمكِ... وباسمَيْن لطببتين أخريَيْن!... لكنّه كان عندما يذكرُ اسمكِ يهتاجُ وكأنّه يصيبه مسٌّ من الشيطان!... أردتُ فقط أن أسألكِ إن كنتِ تعلمين عنه شيئاً...

- دكتورة... من أين لي أن أعلمَ عنه شيئاً؟؟؟!... أنتِ من يجدُركِ أن تعلّمي كونكِ زوجته... وليس أنا؟!



صرخت المرأة بهستيرية:

- كوني زوجته لا يعني ذلك شيئاً!.... تغيّر عرفان كثيراً.. لقد تحوّل في الآونة الأخيرة لشخصٍ آخر غريبٍ أقربَ للجنون!.... لقد صار عنيفاً وقاسياً على غير عادته...! تكرّر غيابه الطويل عن البيت (انهارَ صوتها باكيةً)... ثم اختفى...

- اختفى؟!!!!

- نعم... (صرخت المرأة بصوتها المرتعش)... فقدتته منذ قرابة شهر!... أين أجده برأيك؟!... أرجوك... ساعديني في العثور عليه! قالت سينا مبتسمةً باستياء:

- صدّقيني... لا تبحي عنه... من الجيّد لكِ أنه اختفى... لأبسّط عليكِ الأمر... يبدو أنّه لم يحتمل قيودَ الالتزام والمسؤولية الزوجية... لذا قرّر الهرب!

- الهرب؟!!!!..... لماذا لم يفتعل أسباب الطلاق إن أراد الانسحاب؟!

قالت سينا محدّقةً في الفراغ أمامها:

- لأنّه لا يُريدُ أن يبدو مُذنباً!

الفصل الحادي والعشرون

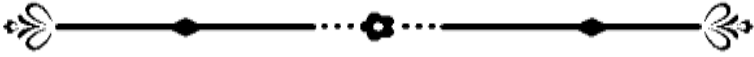
(حي كاليهي)

كان عرفان يسيرُ ببطءٍ في حيّ "آينا هاينا Aina Haina" بعد مغادرته الفندق، مرتدياً فستاناً هاوائياً طويلاً ومعطفاً فضفاضاً رقيقاً، وقد انساب شعره الأشقر الطويل المستعار على كتفيه إلى منتصف ظهره واضعاً قُبْعَةً قشّ أنيقةً واسعةً زرقاء اللون.

استطاع السير بشكلٍ غير ملفتٍ تقريباً بمساعدة حذائه النسائيّ ذي الكعبين العريضين العالين والذي تحوي فردته اليمنى دعامةً عوّضت فرق الطول بين الساقين المختلفتين في الطول...

لم يستطع كبت شعوره بالجلد والسعادة كونه لم يوفّر عملاً أو جهداً في التفكير بخططٍ هدفها العبث باستقرار حياة الآخرين، وإقحامهم في جوٍّ من الاضطراب والارتياح ما يؤدي في نهاية المطاف إلى عاقبةٍ هي بمثابة صندوقٍ مغلقٍ من المفاجآت السوداء، ينتظر اللحظة التي يكشف فيها الصندوق عن محتواه المرعب.

لم يحاول مرّةً ثني دوافعه النفسيّة - المتعطّشة للتعذيب الذي وتدهور صحّة الآخرين النفسيّة - عن تغذية الشغف لديه في اضطهاد مَنْ هم على تواصلٍ معه، بالتزامن تماماً مع كسب ودّهم، إلى أن يجذب ضحيّته لنقطةٍ



لا بد أن تُدرك فيها أنه تمّ الإيقاع بها بدهاءٍ ومكرٍ خبيثين في أعقِ المصائب.

وقد كان له ذلك لدى أولئك الهاوائيين الأغبياء المتعطّشين للاستقلال عن الحكومة الأمريكية.

لم يكن أمر وصوله إليهم وكسب ثقتهم سهلاً! لقد كلّفه ذلك وقتاً طويلاً وتملّقا مُتقناً والتفكير بحنكةٍ لتدبير خططٍ فريدةٍ تحدم مصالحهم المتتابعة المتوّجة بالهدف الأساسي وهو إخلاء جزر "هاواي" من جميع الأعراق البشرية إلّا العرق الهاوائي الأصيل ذي الدم النقي!

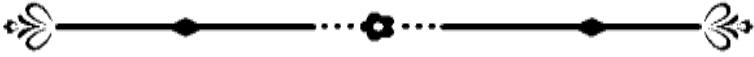
ذاك الدم محورُ عمل الذراع الالكترونية جاكو JAKO والوسط الوحيد الذي يتعطّل فيه عمل الخيط الجراحيّ المشرب بالمادة السميّة المسبّبة للذهيان.. أحبّ عرفان فكرة تكرار تجربة ألاميهه - المتخفيّة باحترافيّة شخصيّة الطيّبة الهادئة المخادعة - على جزيرةٍ كاملة!

وأحسّ بضرورة تجربة تأثيره على هؤلاء الناس الغرباء والغدر بمشاريعهم المصيريّة، فلم يجد أمتع من التعاون مع بيكا وماكاني الهاوائيين الكهلين وبثّهما قلقه وحذره من سلوك جنيفر غير المريح والتي تحيد عن الاتّفاقيّات السريّة بين الطرفين، كما أنّه لم يسمح لجنيفر أن تشعرَ بالاطمئنان لدى تعاونها السريّ غير القانونيّ ما أرغمها على استشفاف حال العلاقة -

الآنيّة- من عرفان بشكلٍ دائمٍ بين منظّمتها والجزء الهاوائي على فوهة مخروط "دايموند هيد".

على الرغم من إدراك عرفان أنّ طبيعة العلاقة بين الطرفين أعمق وأخطر كثيراً من أن يتمّ التلاعب بها من قبل شخصٍ أجنبيٍّ غريبٍ عنهما، إلّا أنّه يعلمُ أنّه يملكُ من الدبلوماسية المحترفة فاسدة النية ما قد يؤدي بكامل الجزيرة إلى الهاوية... وقد حصل له ذلك!!

لا يُنكرُ أنّه استاء بادئ الأمر لاضطراره التأثير بنينا مُستغلاً حبّها العظيم لابن أخيها ما أودى بها إلى حبل المشنقة -الرحيم- لكنّه عندما اكتشف اتّفاق جنيفر والهاوائيين ماكاني وبيكا على تلقينه درساً خفياً - وربّما زرع الخوف الدفين في أعماقه من خيانتته لهم - لدى تكليف فريدريك بالإشارة إليه بطريقةٍ متواريةٍ عن الأنظار، قرّر تلقين العصاة القابعة على فوهة مخروط "دايموند هيد" درساً حقيقياً مُستغلاً هرب فريدريك وتحويل وهم ثوران بركان "دايموند هيد" الحامد إلى حقيقة! محققاً بذلك غايتين، أقلّهما أهميّة الانتقام من فريدريك والثلاثة الجاحدين، والغاية الأهمّ والأعظم هو حصوله على شرف إدراك تأثير بعضٍ من أفكاره على مئات الألوف من البشر بشكلٍ عام وعلى أخطر المنظّمات بشكلٍ خاص! يستحقّ عرفان أن يُعترف به! إنّهُ شخصٌ مهمٌّ وذكّيٌّ جداً...



وعلى جميع مَنْ أنكره أن يعلمَ أنَّ عرفانَ يستطيعُ امتلاكَ كلِّ ما يريد
والأخذَ بثأره من كلِّ شخصٍ أرادَ به سوءاً!
إنَّ نرجسيَّته - التي تنكرها سينا - تحميه!

يقعُ على سينا إذاً مسؤولية هذا النوع من الدمار، لو أنَّها أحبَّته كما أحبَّها،
لَنسيَّ أمر هذه الجزيرة بالكامل، وربَّما وقف إلى جانبها وساعدها في
الحصول على كلِّ ما تريد معرفته!

لكنها فتاةٌ غبيَّةٌ لا تدرك معنى خسارة شخصٍ عظيمٍ كعرفان..
فلتنعمْ إذاً بهذه النهاية...

لم يكن سيره بمساعدة الحذاء أمراً سهلاً، لكنَّه ممكناً جدّاً..
إذاً لا بدَّ له أن يُتقن المشي الطبيعي بعد تنكره هذا ليأمنَ مكر الجميع الآن.
وكونه غير لون شعره المستعار واللباس كاملاً عندما كلَّم فريدريك من
خلال جهاز الإرسال المتَّصل بالخوذة، فقد قلَّ بذلك احتمال عثور الأعداء
عليه!

لم يبقَ الكثيرُ على انفجار خزانات ضواغط الهواء العملاقة -مجهولة
الشكل- وما سيتبعه من انفجار مراكز الطاقة في قعر "دايموند هيد"، لذا
كان على عرفان الاتجاه شمالاً ليأمن هذا الانفجار!

تخيّل عرفان أعضاء المنظمة الأمنية الأغبياء وهم يبحثون عنه مفتشين
كامل منزله ذي الطراز الهاوائي في حيِّ "كاهاالا Kahala" وما حوله!
ثمَّ ابتسم لإدراكه أنَّ أهمَّ ما قد يكشف أمره وهو خطواته - غير المتناسقة

التي اعتاد عليها جميع من عرفهم- قد وراها الآن ولأوّل مرّة عمداً بهذا الحذاء ذي الدّعامة التي عوّضت فرق الطول اللعين الذي شوّه -بل أباد- تصالحه مع ذاته وواقعه..

- سيّدي الشّقراء...

استدار عرفان مستعلماً عمّن يناديه، فوجد شابّاً طويلاً ذي ملامح عنيفة يرتدي ملابس زرقاء يخاطبه، فلم يكثر له وتابع سيره بين منازل حيّ "آينا هاينا Aina Haina".

مضت عدّة دقائق سائراً ببطءٍ إلى أن وجد شابّين مُماثلين باللباس الأزرق والرسوم الغريبة "الخرقاء" واقفين في نهاية الشارع، ما جعله متأكّداً من أنّ عصابةً ما من عصابات جزيرة "أواهو" قد استهدفته لتوّها..
انحرف عرفان يميناً محاولاً الإسراع لكنّه توقّف فجأةً عندما قطع عليه الطريق شابّان آخران ابتسما له قائلاً أحدهما:

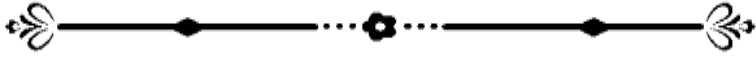
- لا تهربي منّا يا سيّدي... هلاً رافقتنا في نزهة؟

حاول عرفان تغيير صوته الذكوريّ فقال بصوتٍ ناعمٍ أجشّ:

- أرجوكم... دعوني... إنّني سيّدةٌ مسكينة...

ضحك الشباب الخمسة الذين أحاطوا به ثمّ اقترب منه أوّلهم هامساً:

- لن نوّخرك كثيراً يا سيّدي الجميلة...



أحس عرفان بالورطة الغبية التي وقع بها، فقرّر أخيراً نزع شعره وقبّعته ومسح بعض ما طلى به وجهه من مساحيق التجميل مراقباً دهشة الشبان بتنكره المتقن ثم قال لهم بصوته الحقيقي:

- لستُ امرأة.... والآن دعوني من فضلكم...

قال أحدهم خائباً:

- كنت تشبه امرأةً تطاردها عصاباتنا... يا للخيبة....

فابتسم عرفان مُطمئناً ثم قال:

- آسفٌ لأنني خيّبتُ ظنّكم...(وسار محاولاً تجاوزهم لكنهم امتنعوا عن إفساح المجال له فحدّجهم بغضب) ما الذي تريدونه؟!

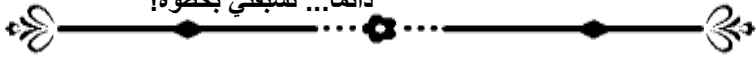
قال الثاني بسداجة:

- أوووو... لقد أغضبناها!...

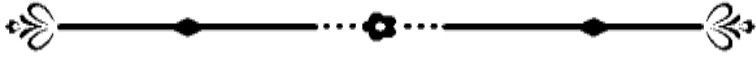
فضحك الجميع مستهزئين، ثم اقترب الثلاثة منه منتشلين أزياءه النسائية، وقد وضع أحدهم الشعر المستعار والقبّعة على رأسه سائلاً رفاهه بصوتٍ ذكوريٍّ زائف الرقة:

- هل أبدو جميلةً يا أخواتي؟!

أجبر الثاني عرفان على خلع المعطف، ففقهه الجميع بكلّ ما أوتوه من قدرة على الضحك لمظهر عرفان الذي بان بالفستان الطويل عديم الأكمام غير المتناسق مع شكل وجهه المصطبغ بالألوان ورأسه الذكوريّ شخصيّة هزليّة مضحكة!



- بادلني حذاءك أرجوك... (قال أحدهم وهو يخلع صندله)
بينما أجبر الثالث عرفان على ذلك وهو يقول ضاحكاً:
- ما رأيكم بزّي عصابة "كريبس" الجديد؟!
قال الأوّل بعد أن ارتدى الحذاء ذي الدّامة واكتمل زيّه النسائي:
- ما هذا؟!.... كيف تستطيع السير بهذا الحذاء؟!
شعر عرفان برغبةٍ حقيقيّةٍ في البكاء عندما أدرك أنّ عصابةً غبيّةً كهذه لن تدعه وشأنه ببساطة، وأنّ قدميه لن تساعداه على الهرب منهم بأيّ شكلٍ من الأشكال، فانتظر ريثما ينهي الجميع مزاحهم السخيف دون أن يعلم نهايةً للأمر!
سمع الجميع صوتاً بعيداً لعدّة شبّانٍ آخرين اقتحموا السّاحة مرتدين ثياباً حمراء قائلين:
- أفسحوا المجال لعصابة الدماء....!... سلّمونا هذا الرجل!
قال ممثّل عصابة "كريبس":
- هذه الفتاة الجميلة ملكنا!... اعثروا على ضحيّةٍ أخرى....
انفرد ممثّل عصابة الدماء بنظيره من عصابة كريبس وتحدّثا بصوتٍ خافت ثمّ سلّم الأوّل للثاني كيساً صغيراً بداخله ما يشبه الطحين الأبيض قائلاً له:
- بسرعة... لا وقت لدي...



قال ممثّل عصابة "كريبس" وهو يتذوّق بعض ما في الكيس:
- كَتّا نطارْدُ فتاةً تشبهه... أردنا المزاح معه وحسب... اعتذروا منه يا شباب
وأعيدوا إليه أغراضه...

غادر الخمسة ذوي الملابس الزرقاء، بعد أن ألبسوا عرفان -معتذرين-
ملابسه النسائية كلّ قطعةٍ في مكانها كيفما اتّفق...
لكنّ عرفان أحسّ بالخوف عندما أحيطَ بشبّانٍ آخرين بدوا أكثر وحشيّةً
وعدوانيّةً من سابقهم لا سيّما وقد أعلنوا عن اسم عصابتهم المخيفة
"عصابة الدماء" سيّئة السمعة والمشهورة في هاواي!

فتساءل في أعماقه عن مقدار سوء حظّه الذي أودى به ليقعَ في أيدي أشهر
عصابتين وأكثرهم عدوانيّةً "كريبس والدماء" اللّتين تستحلّان عادةً حيّ
"كاليهي Kalihi" البعيد جداً عن هنا...

فقال بوْدَ متملّقاً:

- شكراً لأنقاذكم حياتي...

لم يُجب أحدٌ منهم بل اكتفوا بمراقبته بنظراتهم المتوعّدة فتساءل بصوتٍ
مرتعش:

- ماذا تريدون منّي؟!

- كلّ الاحترام والتقدير..... هاتوه يا دماء....

.....

لم يستغرق أسامة طويلاً عندما أنهى بحثه الأخير... حيث تواصل خلال الأيام الفائتة مع جميع مرضى بتر الذراع الذين تم وصل ذراع جاكوبهم في مشفى الملكة، وذلك من خلال إنشائه بريد الكترونيّ وهميّ باسم شركة ميغا وتركيزه على نقطة تأقلمهم مع الذراع، وتمكّنهم من أداء جميع وظائفها، ومدى التحكم الذي وصلوا إليه منتهياً بالسؤال الأهم عن عمل أقطاب الذراع الذكية ومدى تضخيمها للإشارات العصبية المحركة المفسّرة بقوة الضغط الحاصلة عند القبض على أيّ مادة!

فحصل بذلك على جميع المعلومات التي يحتاجها وهي تفصيل أسماء المرضى الذين لاحظوا قوى غريبة طبّقها أذرعهم الاصطناعية ما أقحم البعض في عواقب غير محمودة!

ثم ذهب إلى قسم الصّحة السلوكيّة حيث طلب من الطبيب المقيم - الذي حلّ محلّ عرفان - أن يوافيه بملفّات الصّحة النفسيّة لجميع مرضى البتر الذين أُجري لهم جراحة غرسة جاكو JAKO، فلاقى الرفض بادئ الأمر كما توقع أسامة تماماً، إلّا أنّ إصراره على ضرورة توحيد ملفّات مرضى البتر لدى قسم الجراحة العظمية لإجراء بعض الأبحاث قد ساعده في الحصول عليها لبعض الوقت...

بعد ذلك قام بفرز المرضى المزوّدين بالذراع جاكو إلى نوعين:

- المرضى الذين لاحظوا قوى غير طبيعيّة طبّقها أذرعهم الاصطناعية
- المرضى الذين لم يذكروا أيّ شيءٍ يخصّ هذه القوى.

ثمّ جمع ملفّاتهم في قسم الصّحة السلوكية فلم يجد إلا ملفّات المرضى المزوّدين بجاكو - المعفّية من القوى - المصابين بالهذيان المديد...! رنّ هاتفه عندما كان يسجّل نتيجة بحثه الأخير في مساء اليوم الذي اجتمع فيه مع أصدقائه في طبابة هونولولو الشرعية فكان المتّصل مايكل:

- أأنت جاهز؟!

- نعم... كدتُ أنتهي.... هل سارت الأمور على مايرام؟!

- على خير ما يُرام.... أنتظرك بعد ساعةٍ في حيّ "كاليهي"

- كلا... تعالَ إلى المشفى ثمّ نغادر معاً.... أخشى ذهابي إلى هناك بسِحتني العربية...

- حسناً... انتظري ساعةً فقط... هل أخبرتَ سينا؟!

- ليس بعد... لا بُدَّ أنّها مشغولةٌ في العمل على الجثّة في الطبابة الآن...

أغلق أسامة الهاتف ثمّ استطلع الوقت الذي تجاوز السابعة مساءً، فنهض وغيّر ملابسه وفتح نافذة غرفته مستطلعاً حال الطقس الذي أنذر بمطرٍ غزيرٍ ستجوّد به الغيوم الملبّدة في سماء "هونولولو" كما هو مُتوّع في أيام تشرين الثاني، فارتدى سترته الجلديّة ووضع في جيبها الحجرة المعدنية التي استخرجها من غرسة ذراع ليكو الاصطناعية وغادر غرفة إقامته.. سار ببطءٍ مفكراً بخطواته القادمة، وبما تفعله سينا في الوقت الحاضر وهي تفحص تلك الجثّة الغريبة...

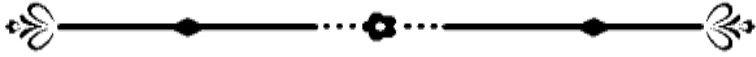
شعر باهتزازٍ خفيفٍ في الأرض تحته ما ذكره بالقصة المربعة التي أخبرته بها سام عن إبادة الجزء الجنوبيّ من "أواهو"، وبالتنظر للمسافة الفاصلة بين مخروط "دايموند هيد" ومشفى الملكة وتأثير اهتزازات المخروط حتّى هذا المدى فالأمر يتعدّى كونه أمراً عَرَضِيّاً يسهلُ التعامل معه! تمنّى أسامة في أعماقه أن تكون المنظّمة محقّةً في أنّ فريدريك قد أخفى شيفرة فكّ قفل أنظمة التحكم في أسنانه...

تلك الأسنان ورقة سينا الرّابحة التي ستستغلّها في مركز الطبابة - الأكثر أمناً لها- بعيداً عن مركز الخطر مخروط "دايموند هيد" المرعب.. امتنّ أسامة لِكَون الحثّة قد وقعت في أيدي مكتب التحقيقات الفيدرالي قبل أن تطالها يد المنظّمة، ما يعني أنّ الأمور قد بدأت تنحى منحاهما الصحيح والسليم بعيداً عن أن يتعرّض هو أو أحدٌ من أصدقائه للخطر... خصوصاً سينا صفيّة روحه الرقيقة...

بدأ المطر يهطلُ برقّةٍ باعثاً جوّاً من الاسترخاء لدى اختلاط عبق الأرض المبلّلة برذاذ المطر ورائحة المحيط..

فسار أسامة تحت الودق الرقيق في حديقة المشفى غير مصدّقٍ لمدى بشاعة خطط شركة ميغا وما أودى في نهاية المطاف لإبادتها عن بكرة أبيها ما لم يصل أحدهم إلى ما يوقف العدّ التنازلي لتلك الكارثة..

اجتاز أسامة الحديقة ومنها إلى المدخل الرئيسيّ للمشفى حيث كان



مايكل ينتظره في سيّارته، فصعد إليها ثم انطلقا باتجاه حيّ "Kalihi" كاليهي

استغرق الطريق إلى هناك ثلث ساعة قبل أن يرصف مايكل سيّارته في آخر الحيّ شديد الانحدار..

ترجّلا من السيارة وسارا باتجاه الجبال تحت المطر في الظلام.. فقال أسامة وقد انتابه شيء من القلق:

- ألم تجد مكاناً لطف قليلاً من هذا المكان؟!

- على العكس... إنّه المكان الذي نحتاج...

ثم لاحظ أسامة لباس مايكل ذي البيجاما الرياضيّة الفضفاضة قائلاً:

- أيّ شخص أنت ما جعلك تتجرّأ القدوم إلى هنا؟!

ضحك مايكل عالياً وهو يشير بيده مسلماً على أحد الشبان المخيفين ثم قال:

- هذا المكان... هو أكثر ما خشيت نسيانه إن حصل وأصبت بالهذيان!

توقّف أسامة متفاجئاً ثم سأل صديقه:

- أتعني أنّك رجل عصابات؟!

- نوعاً ما...

- تقتل وتعمل بالتجارة بال ممنوعات؟!

- ليس بهذه الطريقة...

- إذا كيف وأنت صديق الجميع هنا؟!... تضحك لهذا وتُلقي التحيّة على ذاك؟!!

- إنني مجرد صديق أو حليفٍ حياديّ.. تستطيع القول إنني طبيب هؤلاء الناس الخاص..

- تعالجهم بشكلٍ غير قانوني بعد إصابتهم بطلقٍ ناريٍّ من الشرطة نتيجة سطوٍ مُسلّحٍ مثلاً؟!!

- ليس بالمعنى الجرمي الحرفي هذا...

صاح أسامة بصوتٍ مكبوت:

- أنت مجرمٌ مثلهم!

أطبق ما يكل بيده على فم أسامة هامساً:

- أغلق فمك!... إن سَمِعَكَ أحدهم سيقتلك حتماً.. لستُ مجرماً أيّها

الغبيّ... إنّ هذا الحيّ فقيراً بالمقارنة مع الأحياء الأخرى... آتي إلى هنا كلّ

يومٍ ساعةً أو اثنتين أعالج فيه المرضى الفقراء ذوي الشبّان لا أكثر... أمّا

عن موضوع الطلق الناري وضحايا جرائم الاعتداء وتلك التي نسجتها

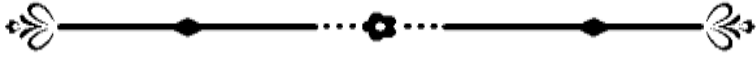
مخيلتك... فلا يد لي فيها ولستُ أهلاً أصلاً لمعالجتهم..

- ماذا تعني بأنك لست أهلاً لذلك؟!!

- أعني... أنّي مجرد طبيبٍ عاديٍّ أستطيع فقط فحص مرضى العائلات

الفقيرة هنا ووصف الدواء اللازم.. وإن عظم الأمر أستطيع خياطة جرح

بسيطٍ لا أكثر... هذه هي إمكانياتي...



- فعلاً... هذه هي إمكانياتك...
حدّجه مايكل بانزجاج:
- ماذا تقصد؟!... بالطبع لن أخبر الناس أنني طبيب جراحةٍ عظيمةٍ لئلاّ
أتعرّض للإكراه لدى إصابة أحدهم نتيجة عراكٍ غير قانونية... مهمّتي
تنحصرُ ضمن العائلات -الأطفال والنساء وكبار السن- فقط...
- ألهذا كنت تغادر المشفى باكراً وتتملّص من مناوباتك الليلية؟!
- نعم... تعال من هنا... واحذر الطريق المنحدر... إنّ أثرَ المطر سيّئٌ في هذا
المكان...
- سار أسامة تحت المطر ببطءٍ منتبهاً في أثناء صعوده على الطريق الجبليّ المائل
ثمّ قال:
- بالتّظر لمهاراتك في السّير على الطريق الوعر رغم جرحك... فأرى أنّك
ضليعٌ فعلاً بهذه المنطقة أيّها الهاوائي اللطيف...
- خبرة يا أخي...
- انتبه أسامة لوجود عدّة شبّانٍ ذوي ملامح مخيفة سرعان ما تبدّلت عندما
لمحوا مايكل مرحّبين به بجملة قائلين:
- طيبينا العزيز كايل³⁶... لقد أشرق الحيّ...

³⁶ كايل باللغة الهاوائية تعني الفرد الحرّ...

راقب أسامة تحلقّ الفتيان حول مايكل وهم يُعلمونه بمستجدّات حال مرضاهم مبتسمين.. ثمّ فزع الجميع لدى سماعهم صوتاً غليظاً لرجلٍ يصيحُ بهم باللغة الهاوائية:

- ابتعدوا يا أنصاف البشر³⁷

أحسّ أسامة برعشةٍ من الخوف أصابت جسده عندما نظر نحو الرجل الضخم الغاضب، وعندما همّ بالهرب مع الفتيان، سحبه مايكل من سترته فعاجل الرجل مايكل بصوتٍ مغتاز:

- أَيْنَقْصِكَ الأصدقاء لتحضّر معك هذا الأبيض القبيح!

انزعج أسامة لهذه الصفة التي هو بريءٌ منها تماماً لكنّه أرغم نفسه على الابتسام وقال بسداجةٍ متودّداً:

- ألوها...

قال مايكل ضاحكاً:

- لو كيلا... زعيم عصابة الدماء في المنطقة... ألم تخفّف من بدانتك أيّها الضخم؟!... أخبرتك أنّ البدانة ليس جيّدةً لك...

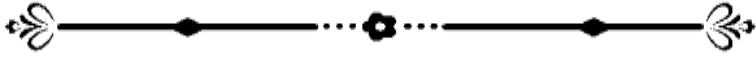
ارتجّ جسم لو كيلا المكتنز ضاحكاً بفخر:

- إنّها عضلاتي... تعال يا كايل.... هديّتك بانتظارك...

تبع أسامة مايكل هامساً له:

- اسمك مايكل أم كايل؟!

³⁷ أنصاف البشر: شتيمةٌ يطلقها الهاوائيّون على غير الهاوائيين



- اسمي الهاوائي هنا... كاي..
- تَبّاً لك ولهذا المكان...
- توقّف لوكيلا البدين عند باب حديديّ صديّ لمستودع صغيرٍ شبه مهجور..
- ثمّ فتح الباب قائلاً:
- إنّه شابٌ عنيد.... ولو تركت أمره لي لسحقته وجعلتُ منه رقاقة...
- قال مايكل بملامحٍ مخيفةٍ متجمّدة:
- بل اتركه لي...
- اهتزّ المكان لصراخ لوكيلا بالشبّان المجتمعين حول أحد البراميل المستعرة بالنار طالباً منهم مغادرة المكان ثمّ قال لمايكل:
- لو لم يكن متنكراً.. لَقَبَضْنَا عليه منذ الساعة التي طلبت فيها مساعدتنا...
- متنكراً؟!
- قهقه الرجل البدين ثمّ تابع:
- نعم... بزيّ امرأة.... لقد قبض عليه أعداؤنا عصابة "كريس" أوّلاً عندما كانوا يطاردون امرأةً بنفس مواصفات تنكّره...
- تساءل أسامة مندهشاً:
- بزيّ امرأة؟! (وعندما رأى نظرات لوكيلا الغاضبة نحوه قال)... آسف!
- فتابع لوكيلا:

- من حسن الحظّ أنّه وقع في أيدي "كريبس"... صحيحٌ أنّنا أعداء... إلّا أنّ مشاريع المقايضة بيننا رائجٌ للغاية... على عكس العصابات الأخرى... عادةً ما تحرص على عدم تسليم الفريسة دون مقابلٍ مصيريٍّ أو أثمانٍ باهظة... (ثمّ ابتسم لمايكل متودّداً)... ولأجلك... فأنا مستعدٌّ لكلّ شيء... (ثمّ سلّمه حقيبةً نسائيّةً)... هذه أشياء...

خرج لوكيلا وأغلق الباب خلفه مستدرِكاً:

- أحسن استقبالٍ ضيفك... أنتظرُك هنا

قال أسامة بازدرأٍ بعد مغادرة البدين:

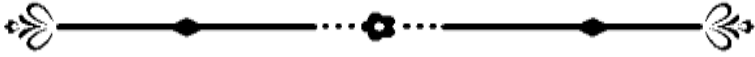
- صوته القبيح يشبه صوتك...

- صوتي أرقّ قليلاً...

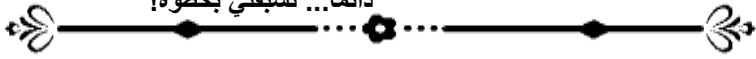
حاول أسامة تمييز ما بداخل المستودع المُنار ببضع شعلٍ من النيران تحتويها البراميل فلم يجدْ أحداً، ثمّ حوّل نظره نحو مايكل الذي تابع سيره بثباتٍ باتجاه الداخل هامساً:

- انتبه... نحن بمفردنا الآن...

بان أخيراً في آخر المستودع طيفٌ لشخصٍ جالسٍ مُقيّدٍ إلى كرسيٍّ خشبيٍّ.. أشعل مايكل ضوء هاتفه المحمول ثمّ سلّطه على وجه عرفان الذي أغمض عينيه متجنباً الضوء القويّ، فمدّ أسامة يده ماسحاً شيئاً من مساحيق التجميل عن وجهه الناعم قائلاً:



- لم أصدق ما سمعته عن تنكرك إلى أن رأيتك الآن!... فستان وبعض الأساور وحذاءً نسائيً وشعرٌ طويل!... ممّن كنت تهرب؟!
تمتم عرفان بصوتٍ مُتعب:
- ساعداني أرجوكما... جسدي يؤلمني...
- ساعد نفسك بنفسك...
- كيف؟!
سأله مايكل:
- ممّن كنتَ تهرب؟!
قال أسامة:
- هذا النوع من الأسئلة لن تنفع معه!... سيُدلي بقصّة كاذبةٍ تقنعك حتّى النخاع...
- جلس مايكل على الكرسيّ المقابل وأراح ساقه اليمنى على اليسرى مُشعلًا سيجارته التي سحب منها نفّساً عميقاً، ثمّ قال لأسامة وهو ينفخ الدخان من أنفه وفمه:
- تفضّل... أسأله ما تريد...
- ليس لديّ ما أسأله...
- ولا أنا... تكلّم إذاً يا عرفان..
أجاب عرفان:
- ماذا عليّ أن أتكلّم؟!



- أي شيء...

- لا تعبتُ معي... (ضحك هازئاً)

تقدّم أسامة نحوه قائلاً بلطفٍ باللغة العربية:

- إنه أبعدُ كثيراً من أن يعبتَ معك!... أنصحك وبشدة أن تتعاون مع

مايكل... (ثم أشار إليه)... هذا الشاب الذي طعنته مرة... إنه زعيمُ

عصاباتٍ خطير!

قال عرفان متجاهلاً لغته الأم ليُسمع مايكل:

- ألم يكن من الأفضل أن نتحدّث بهدوءٍ في مكانٍ غير هذا المكان؟!... لا

يليقُ بشائينٍ محترمين أن يسلكا هذا الطريق الجبان... تحتطفاني ثم

تستجوباني بهذه الطريقة المهينة!

- تخيل إذاً أننا جالسون على شاطئ المحيط نستجم في يومٍ عاصف كونك

تحبّ هذه الأجواء!... أو أننا جالسون في حديقة المشفى نحتسي الشاي..

وتحدّث أيّها المحترم الشريف...

- اسألني لأجيبك....

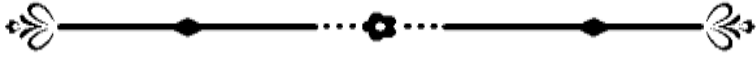
- ها... لن أسألك ولن أوجهك للإجابة التي تريدها أنت!...

- براحتك... (قال بازدراء)

نهض مايكل من مكانه ثم ارتدى -مثبتاً سيجارته بين أسنانه- قفازين

عازلين للحرارة، والتقط قضيباً معدنياً ذا نهايةٍ محمّاةٍ من نار البرميل

المجاور ثم اندفع بها نحو وجه عرفان ممسكاً باليد الأخرى شعره قائلاً:



- أمّا أنت.... فليس براحتك...

ثمّ هوى بالقطعة المحمّاة على خدّ عرفان الذي دوى صراخه في أرجاء
المستودع
أبعد مايكل يده قائلاً:

- تعال يا أسامة.... واستمتع برائحة اللحم... (ثمّ هوى بالقطعة على الخدّ
الآخر مثبّتاً رأس ضحيّته بشراسة وصاح به ليغطّي على صراخه المدوّي)...
اهدئي.... سأصنّع لك خدين حمراوين حقيقيّين...
كان أسامة يراقب مايكل مشمئزّاً من طريقته في التعذيب، ثمّ سرعان ما
اقرب من عرفان الذي أطرق لاهثاً عندما ابتعد عنه مايكل ليُهَيِّئَ قطعةً
معدنيّةً أخرى فقال له باللغة العربية:

- يا رجل... قل ما لديك... لقد فاجأني هذا الهاوائيّ العنيف!
صرخ به عرفان دون أن يغيّر من لغة كلامه:
- ماذا أقول؟!

عاد مايكل إليهما قائلاً لعرفان:

- ارتاحي يا أميري... لا تقولي شيئاً... اصرخي فقط....
ابتعد أسامة بضيقٍ واضح فتمتم عرفان مذعوراً:
- ماذا... تفعل؟!

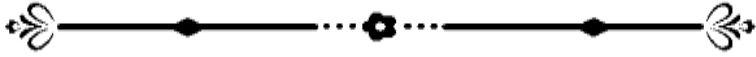
- حان وقت تكحيل العينين... تعالي... (وثبتت رأسه حين هوى بحلقة معدنية على محيط عينه اليمنى مستدركاً)... اهدي يا جميلتي... لا تتحرّكي... سأصنع لك "مكياجاً" يليقُ بفستانك ذي الأزهار هذا...
هدأ صراخ عرفان المدوّي فأدرك الاثنان أنّه دخل في حالة إغماء...
ألصق مايكل قطعة المعدن بجلد ذراعه مختبراً إدراكه لكنّه لم يتحرّك فقال
لأسامة:

- إنّها المرّة الأولى التي يصدقُ فيها... لقد أغْيي عليه حقاً!
- ماذا سنفعل؟!

نادى مايكل أحد الفتیان في الخارج ليُحضّر له دلوّاً مليئاً بالماء البارد، ثمّ صبّه على رأس المقيّد الذي شهق فزعاً وارتعش صوته عندما قال:
- ماذا.... تريدُ مني؟!

فقال أسامة بصوتٍ مدعورٍ بلغته الأم:
- قل له أيّها الأحق... إنّهُ يريدُ أن يشويكَ بهذه البراميل... هؤلاء
الهاوايّون لا يعرفون الرحمة...

بدا مايكل لأسامة - وهو يضحكُ لدى سماعه حسيس بقايا الجلد المحترق على المعدن في البراميل - شخصاً مختلفاً تماماً عمّا يعرفه..
لم يتخيّل لحظةً أن يكون مايكل بهذه الشخصية الشرسة العنيفة، ما أكّد أنّه تأثّر فعلاً باحتكاكه اليوميّ مع سگان هذا الحيّ المخيف..
ثمّ حوّل أسامة نظره نحو عرفان الذي بدا واضحاً أنّه لا يزال يفكر دون أن



يسمح لنفسه بالاستسلام.. فابتعد عنه مستسلماً هو الآخر لحظة توجّه
مايكل نحوه وسرعان ما دوى صراخه مجدّداً...

- عینان جمیلتان.... ما أحلاك يا عرفان.... قلبي أنت يا عرفان!
قال مايكل وهو يتأمل الوجه المحترق النازف، ثم ابتسم وهو يهيئ حركته
الأخيرة:

- حان وقتُ أحمر الشفاه.... وأحمر اللسان.... وأحمر البلعوم...
أخيراً نطق عرفان باللغة العربية مستنجداً بأسامة بعينين باكِتَيْن ووجهٍ
مخيفٍ نازفٍ:

- بالله عليك أنقذني من هذا الوحش!
توقف مايكل مستفسراً من أسامة عمّا قاله عرفان فأجاب أسامة مقطّبا:
- لقد شتمك..!

- شتمني؟!

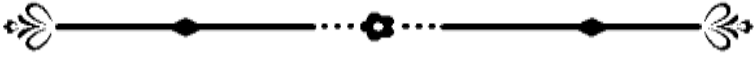
صرخ عرفان بأسامة:

- أيّها الحقيّر التافه...

إلا أنّ مايكل عاجله بلكمةٍ عنيفةٍ أطاحت به فوق مع الكرسيّ المقيد به
على الأرض، ثمّ عاد مايكل إلى برميل النار قائلاً لأسامة وهو يحرك قضيب
المعدن المستعر:

- أجلسه... وثبّته جيّداً.... لم أعد أريد سماع أيّ شيءٍ منه.... سأذيبُ
لسانه القذراً!

أجلس أسامة عرفان الذي نظر إليه بعينين متوسّلتين فهمس أسامة به:
- آخر مرة أساعدك بها... تكلم لتنقذ نفسك...
- بماذا... ماذا... ما الذي عليّ قوله؟!
ابتعد أسامة عنه فاقترب مايكل وفي يده القضيب ذي اللون الأحمر..
فصرخ عرفان قائلاً:
- نعم... نينا انتحرت... أنا دفعْتُها للانتحار... أنا طلبْتُ إليها أن تنتحر...
قتلتُ فريدريك أيضاً... وطعنْتُك بنفسِي يا مايكل...
خاطب مايكل أسامة مفكراً:
- معلوماتٌ قديمة...
تمتم عرفان:
- تَبّاً... تَبّاً...
كان عرفان يشعر بألمٍ فظيع نتيجة احتراق أجزاء وجهه، وإنّ ما زاد الأمر
سوءاً عليه، هو إجباره على البوح دون أسئلة!
فلم يعلم من أين سيبدأ وكيف سيصيغُ كلاماً يخرجُه من الورطة التي ألَمّت
به بأقلّ الخسائر الممكنة..
إذ أنّ تأليفَ الأكاذيب الصغيرة أسهلُ كثيراً من حَبْكِ قصّةٍ كاذبةٍ طويلةٍ
مترابطةٍ ومقنعة...
ببساطة كانت أفكاره تائهة ولم تساعد بديهيّته التي تعمل عادةً بما يتناسبُ
مع صوت السائل وطبيعة السؤال والهدف من السؤال!



أما والآن وقد أرغم على الكلام دون أدنى توجيه لما يُرادُ به قوله... فلا مجال أمامه لاختلاق قصةٍ أو تأليف حبكةٍ مراوغةٍ تملّسه من عواقب هذا الاستجواب الوحشي...

سأله مايكل بصوته الغليظ وفي يده الأداة المعدنية وهو يسحبُ شعر عرفان بعنف:

- أريدُ جديداً....

- الخيْطُ الجراحيّ الممتص "فيكريكروم" خيْطٌ مسموم.... وجاكو أداةٌ قاتلة صرخ مايكل:

- معلوماتٌ قديمة... فصل لي الخيْط....

عصّ عرفان على شفّته النازفة بقوةٍ محاولاً انتقاء ما سيقوله ثم نطق بصوتٍ مرتعشٍ:

- الخيْطُ الجراحيّ يسبّبُ الهذيان المديد لجميع الأعراق البشرية باستثناء شعب "كاناكا"... إنّه حاصلُ جدلٍ نوعين من الخيوط أحدهما المُشَبَّعُ بالمادة السّميّة يُمتصّ ببلعمة الكريات البالعة التي تتعرّفُ بطريقةٍ ما على الشيفرة الوراثيّة المُثبّنة بالمادّة بواسطة مواد رابطة لا أعلم عنها الكثير... فإن كان المريضُ هاوائياً... فإنّ الشيفرة الوراثيّة للكريات البالعة المتطابقة مع الشيفرة الوراثيّة الهاوائيّة المرتبطة بمجزيئات المادة السّميّة، تدفعُ البالعات لبلعمة الخيْط بما يحويه بالكامل دون أن تسمح للمادة بالتحرّر إلى الدم.. أمّا إن كان المريضُ من عِرْقٍ آخر غير هاوائيّ.... فإنّ الشيفرة الوراثيّة

للكريات البالغة لن تتطابق مع الشيفرة الوراثية المرتبطة بمجزيئات السم فتُبَلِّغ ألياف الخيط وتلفظ جزيئات السم ساححة لها بالتحرّر إلى الدم فيعمل الخيط بذلك عمل مضخة السيروم البطيء إلى أن تنتهي البالعات من عملها لدى امتصاصها آخر أجزاء الخيط....

- ما سبب جدل الخيطين؟!

- إنّ خيط الكروم سريع الامتصاص بالمقارنة مع خيط الفكريل... لذا تمّ جدلها لمحايدة مدّة امتصاص الخيط

حدّق الاثنان بعرفان بنظراتٍ مندهشة فقال عرفان كلماته السريعة:

- أقسم لكما إنّني أقول الحقيقة....

فقال مايكل مومناً برأسه:

- نعم... تبدو صادقاً... لكنك لا تزال كاذباً وثمة ما تخفيه....

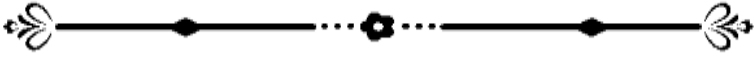
ثمّ همّ ليعيد الكرة مجبراً عرفان على الاعتراف فهتف الأخير صائحاً:

- كلا... إنّها الحقيقة.... أقسم لك....

وعندما دنا مايكل بالمعدن من فم عرفان الذي احتاج في مكانه صائحاً قال أسامة بعد أن أخرج من جيبه حجرة التيتانيوم المتّصلة سابقاً بالذراع جاكو قائلاً:

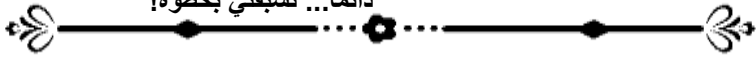
- إذا... حدّثني عن هذه.....

ازدرد عرفان لعبه محاولاً التركيز ما استطاع ثم أوماً برأسه قائلاً:



- نعم.... هذه حجرة التحليل المتصلة بذراع جاكو الالكترونية... إنها تحلل المادة الوراثية للدم الوارد إليها من وريد المريض المتصل بها.... فإن كان الدم هاوائياً... سمحت للذراع باستخدام قوة الضغط الهيدروليكي الساحق... وإن لم يكن هاوائياً... تعطلت قدرة جاكو الخارقة ولم يُفد المريض من قوتها... يتصل الوريد بالحجرة من خلال صمامٍ مطيٍّ بمادةٍ مانعةٍ للتخثر... ويمكن التحكم بهذا الصمام بواسطة نظام تحكمٍ خاص... حيث يستطيع المهندسون الطبيّون إغلاق الصمام متى ما أرادوا بغية عدم اكتشاف الهاوائيين قدرة جاكو الخارقة قبل أن يتحقّق عدد المرضى المراد بهم السيطرة على جزر هاواي.. إنّ الهدف من كلّ العملية هو استعادة الهاوائيين أرضهم المحتلّة من الولايات المتحدة واستقلال حكومتهم... حيث يدّعي ماكاني -رئيس شركة ميغا- أنّه من سلالة الملكة ليليوكالاني.... ومرةً من سلالة الملك كاميهاميها الخامس.... أقسم لكما أنّي لا أعلم السلالة الحقيقيّة التي ينحدر منها.. أسبل أسامة يده قائلاً باهتمام:

- كلامه صحيح... إنّ جميع مرضى الذراع الذين اختبروا قوًى غريبة... لم يكن لديهم ملفّاتٌ علاجيةٌ في قسم الصحّة السلوكية ما يعني أنّ أحداً منهم لم يُصب بالهذيان المديد التالي للجراحة! على خلاف المرضى الذين لم يلاحظوا تلك القوّة... جميعهم أُصيبوا بالهذيان المديد التالي لجراحة غرسة جاكو بأذرعهم... هذا يُطابق تماماً كلام عرفان....



فقال مايكل ناظراً باشمئزازٍ نحو عرفان ذي الوجه المشوّه:

- إذاً فقد طعنتني ولم تكن تعلم أنني هاوئي الأصل!

أجاب عرفان بصوتٍ مختلطٍ بالأنين:

- لقد صدّقتُ قصّةَ عقوبتك لدى فرزك إلى قسم الصّحة النفسيّة فلم أتخيّل نيّتك في كشف أسرار الملقّات ما جعلني أهملُ فكرة التأكّد من أصلك أساساً... إلّا أنّ وجودك المريب في تلك الساعة المتأخّرة من الليل وتصويرك للملقّات المرضى الجراحية أجبرني على التصرّف سريعاً آملاً أن...

- لا تخجل.. قل... إنّك آملٌ أن أكون من أيّ عرقٍ آخر غير العرق الهاوئي! أطرّق عرفان صامتاً وشعورٌ الحزني يغمره لأوّل مرّة بهذه الطريقة الذليلة، كان ألمٌ وجهه الملتهب فظيماً فقال متوسّلاً:

- أكادُ أموتُ من الألم...

تساءل أسامة بهدوء:

- هل ثمة ما يجبُ أن نعرفه يا دكتور الجراحة العينيّة الفاشل؟!

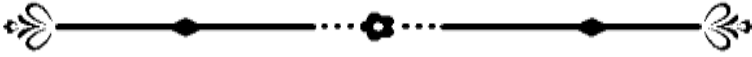
صمت عرفان مفكراً فارتدّ رأسه بعنفٍ للخلف لدى إمساك مايكل بشعره قائلاً:

- لن أسمح لدماعك الخبيث أن يحيك قصصاً مُضلّلة... تكلم وحسب...

- حسناً... سأتكلم... دايMONد هيد على وشك الانفجار... فريدريك

السبب... هو الذي خان الجميع هناك وأقفل أنظمة التحكّم ثم فرّ هارباً...

- أريدُ معلوماتٍ جديدة...



- قتلته لأنتقم منه ولئلا أسمح للمنظمة بالعثور عليه لفك الشيفرة....
(ثم ارتعدت أوصاله وتهدج صوته)... ماذا أيضاً... ماذا أيضاً...؟؟
رن هاتف أسامة فكان المتصل سام!
أحس بشعور غريب لدى اتصالها، فعادةً ما تتصل سينا به..... وليست...
سام!

خرج من المستودع مجيباً على المكالمات التي أطاحت بكامل وعيه لدى
سماعه صوت سام - شبه الآلي - وهي تحيره بأن الجثة تعود لفريدريك
وبأن سينا غادرت مركز الطبابة منذ عدة ساعات برفقة رجال أمن المنظمة
S إلى مخروط "دايموند هيد" لحل شيفرة نظام التحكم هناك...
لماذا؟!..... وكيف؟!!

حاول أسامة الاتصال برقم سينا بيديه المرتعشتين آملاً كل الأمل بأن سام
مخطئة فيما أخبرته به!
فُتح الخط فسمع صوتاً مشوشاً تبعه إغلاقاً للمكالمة!...
أعاد الاتصال برقم سينا غير واع لصوت المجيب الآلي وهو يصدح في كل
مرة:

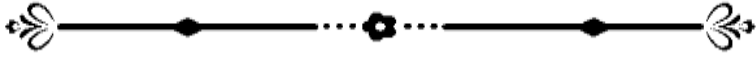
"عذراً... الرقم مفصول عن الخدمة..يرجى معاودة الاتصال لاحقاً"
أسبل يده - حاملة الهاتف - وهو يتذكر طلبه شبه المتوسل منها ألا تعرض
حياتها للخطر... وقد... وعدته... بذلك!

لماذا إذاً لم تكثرث لوعدها هذا وذهبت بمفردها إلى هناك دون أن تُعلمه
حقاً عما تخطط له؟!

أراد أسامة رمي كل شيء لمايكل الآن والذهاب حالاً إلى "دايموند هيد"
صارفاً عن ذهنه أية فكرة سوداء قد زارت مخيلته للتو...
لكن...

كيف سيذهب إلى هناك؟!
أحس بلسعة كهربائية قد قدحت في دماغه متذكراً عرفان...!!
فاندفع راكضاً بأقصى سرعة نحو المستودع مُركّزاً على أنّ عرفان هو المفتاح
الذي سيضمن دخوله إلى المخروط حيث سينا...
فوجئ مايكل بانتشال أسامة قضيب المعدن المُحمى من يده متجاهلاً ألم
الحرارة الكاوية لها وقابضاً على عنق عرفان قائلاً له بصوتٍ خفيضٍ مشحونٍ
بالحنق والغضب:

- كيف.... أستطيع الذهاب إلى "دايموند هيد"؟!
- بدا أسامة غير واعي لتنبيه مايكل عندما همس له:
- على رسلك.... لا... تقتله....
- قال عرفان بصوتٍ يكاد يختنق تحت ضغط قبضة أسامة:
- يمكنك.... الذهاب..... دعني.... لا... أستطيع....



حرّر أسامة عنق غريمه قابضاً على شعره الشعث بشراسةٍ كاد يطيرُ لها رأسه..

سعل بشدةٍ فعاجله أسامة صائحاً بصوتٍ أَرعب مايكل نفسه:
- تحدّث...

- يمكنك الذهاب إلى هناك عبر نفق "دايموند هيد" الشمالي من جهة
محمية "فورت روجر"... ثم اسلكا الطريق الأيمن بعد المفترق سيراً على
الأقدام لتصلا إلى المنظمة الأمنية... لكن عليكما الحذر... فرجال الأمن
يطوّقون قوّهة المخروط

تساءل مايكل في سرّه عن هذا التغيّر الغريب الذي اعترى أسامة خصوصاً
عندما سأل عرفان بهدوءٍ رهيبٍ وصوتٍ غير مستقرّ قائلاً:
- ما هي أوّل نقطةٍ نصادف فيها رجال الأمن؟!

- إنهم موجودون في كلّ مكان... لكنّ النفق الشمالي -حيث النقطة
الأبعد- عن الأبنية الثلاثة هو الأقلّ حمايةً من الغرباء... رغم ذلك لن
يسمح لكما رجال الأمن بالتوغّل أكثر...

- والعمل؟؟!

- أقسم إنني لا أعلم..

- علاقتك بجينفر طيبة... تحدّث إليها...

انبعثت نظراتُ الرعب من عينيّ عرفان المُطوّقتين بجلدٍ منسلخٍ نازف فقال
بصوتٍ فزِع:

- إنها الشخص الذي كنت أهرب منه!... ستقتلني جنيفر إن علمت مكاني! قبض أسامة على تلايب عرفان ممسكاً بياقة فستانه النسائي زافراً أنفاساً حارقةً وهو يقول له:

- استخدم أسلوبك القذر بالكذب والمكر... وطمّدت علاقتنا بها.. (ثم دوى صوته).... علينا أن نُخرجَ سينا من هناك...

فوجئ الاثنان بهذا الخبر الذي وقع كالصّاعقة عليهما، وحدّق عرفان بأسامة مُتمتماً بصوتٍ متفاجئٍ وحزين:

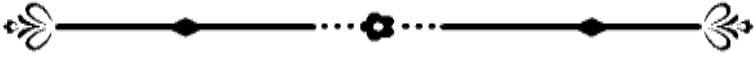
- لماذا... وكيف ذهبْتُ إلى هناك؟!

عاجله أسامة بلطمَةٍ قويّةٍ صارخاً به:

- لأنّك قتلت فريدريك وتظنّ المنظّمة أنّه خبأ الشيفرة في أسنانه... إنّ سينا تغامرُ بحياتها الآن بسببك أيّها الخبيثُ التافه...

ابتسم عرفان يائساً باستسلامٍ فانكملت ملامح وجهه المتودّمة متألماً ثم قال:

- إنّها السبب في كلّ ما أنا عليه الآن!... (ثمّ خاطب مايكل)... كانت فكرة إعادة ودیعة نينا إلى الخزّانة في البنك فكرتها صحيح؟!... حتى فكرة عقوبة فرزك إلى قسم الصحّة النفسية أليس كذلك؟!... والرقم الذي كنت ترسلُ إليه صور الملقّات... إنّهُ رقمها بلا شك!... تلك الفتاة المحتالة... دائماً... تسبقني بخطوة!... ليتني تركتها تموت في المحيط آنذاك... (وعندما همّ أسامة بضربه منعه مايكل مشيراً إليه بالتوقّف لما سيُبدليه من معلوماً على



أسامة معرفتها فاستدرك عرفان سائحاً لشخصه الحقيقي الداخلي بالانبثاق (البوح)... لا أعلم الطريقة التي تحذرنى بها... ولم تدعني أحمّن مرّةً ما تفكّر به!..... عيناها... صوتها... أسلوبها... حركاتها... حتى طريقة تنفّسها لا توحى أبداً بكمّ ما تخفيه من الفطنة والدهاء... إنّ دقّة الملاحظة لديها وطريقة تحليلها للأمور تُصيّني بالصداع... أتعلّم سرّ تفوّقها هذا؟!.. إنّهُ أحاسيسُها التي تُنكرُها دائماً في ظاهر الأمر... هي التي توجّه عقلها للتفكير باحثاً عن أدلّةٍ تُثبت تلك الأحاسيس... ولم يخب إحساسها مرّةً واحدة...!... إنّها فتاةٌ صادقةٌ حقّاً... (ثمّ تابع بازدياء) إلّا في أمرٍ واحد... علاقة عقلها بقلبها!..... كاذبةٌ سينا عندما تدّعي أنّها ليست على وفاقٍ مع قلبها... بل إنّها تستجيبُ سريعاً لأحاسيسه... فتفكّر بطريقةٍ رهيبَةٍ وكأنّها تلبّي نداءً مستعجلاً إلى أن تجد دليلاً ملموساً يفتح لها كلّ الأقفال التي تمنعها من التنفّس ما لم تحلّ عقدها! (ثمّ أطرق مستسلماً)... حدّسها فطيع!

قال مايكل محتقراً شخص عرفان:

- تتكلّم وكأنّك تعرفها جيّداً...

- ألم تخبرك ما؟!.. لقد تقدّمتُ لخطبتها قبل بضع سنوات!

حدّق أسامة ومايكل به غير مصدّقين فقال مايكل بصوتٍ مرتاب:

- أيجب أن أحرق لسانك لأتأكد أنّها الحقيقة...؟!؟

أجاب عرفان مستسلماً غير مكترثٍ لأيّ شيء:

- اطمئن... إنها الحقيقة... إنّ سينا تشبهني... بل تميّز عني بطريقة حذرهما واحتياطاتها الخفيّة....

قال أسامة مبتسماً تستعُرُ في أعماقه رغبةً عميقةً في سحق هذا المريض:

- لكنّها تعاكسك بصفاء قلبها... لم تنسجُم نياتك الخبيثة مع نياتها الطيّبة... ما أدّى ذلك للتفريق بينكما...

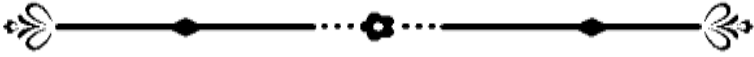
- كانت تكشفني وتنبأ بالحقيقة... لكنّها لم تُبَحْ مرّةً واحدةً بما تُخفيه!... وكأنّها كانت تختبرُ المدى الذي سأقطعه وإلى أين سيؤدي بي المطاف بغموضي! (ثم ضحك متألماً) تخيل... لم أخبرها بحقيقة عدم حصولي على شهادة الاختصاص ولا أعلم حتى الآن السبب الذي دفعها للبحث عن حقيقة ذلك... ولا كيف علمت عني كلّ تلك المعلومات رغم إتقاني التمثيل وإظهارني من الثقة اللازمة ما يجعلها تطمئنّ تماماً لصدق ما أخبرتها به وإخلاص نيّتي....

قال مايكل مخاطباً أسامة:

- إنّ ما أسمعُه الآن... يدفعني لقطع وداجيّه بـسيخ النار... (ثم خاطب عرفان)... كيف تجرأت على العبث معها؟!

قال عرفان شامخاً رأسه ذا الوجه المشوّه بفخرٍ غير آبهٍ لكلّ وسائل التعذيب التي أُحيطت به:

- أردتُ أن أختبرَ شخصيّتها الفريدة عن كُتب... (ثم تحوّلت نظراته لتصبح مغتاضةً غاضبة)... لكنّها على الرغم من لطفها ورقفتها لم تترك لي ثغرةً



واحدة أستغلّها لتعذيبها وحصرها في زاوية الضعف والعجز... لقد كانت تجبرني أنا على الهرب من حديثها المبطن بالشكوك وأسئلتها ذات الإجابات المعقّدة التي غالباً ما يسبق إجابتي عنها سؤالها لها عما تعني أولاً؟!... كثيراً ما أخبرتها أنني إنسانٌ بسيطٌ... ولا أفهمُ التعقيدات التي تُفحمني بها... إنّ لطفها ذاك.. مجرد اختلاق!... إنّها فتاةٌ محتالة!

أوماً أسامة قاتلاً بهدوء:

- قل إنّك بسيطٌ مرةً أخرى... وسأقتلع لسانك أنا من مكانه!..... ثمّة ما عليك أن تدركه أيّها الأحمق... إنّ تلك التعقيدات أيّها الغبيّ التافه... ليست إلّا فرصاً كانت سينا تمنحها لك لتُخرجك من إطار الكذب والخداع بالطف الطرق الممكنة وأكثرها احتراماً... إنّها لم تجبرك على قول الحقيقة بعبارات الاتّهام الصريح والإدانة المباشرة!... إنّ سينا لطيفةٌ للغاية... لكنّ عقلك المريض لا يستوعب أنّ اللطف لا يعني السذاجة!... (ثمّ اقترب منه قاتلاً بصوتٍ عميق) ألم تُدرك أنّها فعلت ذكاءها معك من منيع حرصها على عدم إحراجك أو الضغط عليك؟!... أتعلّم كم هو صعبُ مداراة الشخص المخادع وعدم مجابته بواقع زيفه وتدليسهِ؟!... أهذا ما استنتجته؟!... إنّها كاذبةٌ بلطفها؟!... تظنّ فيها كما تعلّم عن نفسك من خبث السريّة!... (ثمّ تابع باللغة العربية)... بوّدي حقّاً أن ينحرك مايكل أو أن أتركك هنا تنهشك عصابات الحيّ... حرامٌ عليك حياتك!.. ليت سينا تراك بهذا المنظر الرخيص متنكراً بزّي امرأة... أنت أيّها الشابّ العربي... لقد

دُثِّتْ عروبتك ولطخت اسمك العربي بسلوكك وأفعالك... (ثم بصق في وجهه وعاد أدراجه خارجاً من المستودع)..
 لحق به مايكل مستعلماً عما دفعه للتصرف بهذه الغرابة، فوجده واقفاً متأملاً السماء الماطرة بغزارة ثم همس بصوتٍ يأس:
 - كيف سننقذها؟!

فأداره مايكل ليواجهه بعنفٍ قائلاً:

- ماذا تعني بكيف سننقذها؟!

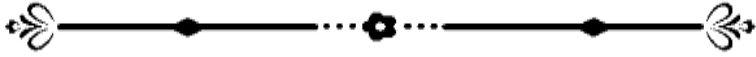
نظر أسامة نحوه بعينين دامعتين:

- أخشى أن مكروهاً قد أصابها... لا سيّما وأنها التي اكتشفت سمية الخيط الجراحي... ربّما كان عرفان قد أخبر جنيفر بذلك قبل خيانتها لها...! ربّما كان اختلاق قصّة الشيفرة مجرد خطّة لاستدراجها إلى هناك!.. لا نعلم حتى إن كانت الآن على قيد الحياة أم لا...

حدّق به مايكل مستغرباً هذا القنوط فاستدرك أسامة:

- ألم تلاحظ توقّف الاهتزازات الأرضية؟!... هل كان ذهابُ سينا إلى ذلك المخروط علاجاً لهذه الاهتزازات ما جعلها تتوقّف؟!
 ابتسم مايكل ثم قال:

- لا تكن أحمق يا أسامة... إنّ حيّ "كاليهي" بعيدٌ جداً عن مخروط "دايموند هيد" (ثم نادى لوكيلا سائلاً إياه)... هل شعرتَ باهتزازاتٍ أرضيةٍ في الآونة الأخيرة يا لوكيلا؟!



اقترب البدين متسائلاً عما يعنيه بسؤاله فقال مايكل مخاطباً أسامة:
- أرايت؟... لا يعلم أحدٌ هنا عن الاهتزازات شيئاً!.... (ثم رقّ صوته الغليظ ضاحكاً)... لقد تأثرت بكلام عرفان كثيراً...
أجاب أسامة مطرقاً بحزن:

- تأثرتُ بعطف سينا وحرصها القويّ على مشاعر الآخرين حتّى أولئك الذين لا يستحقّون!... هل تظنّ أنّ سينا أحبّت عرفان ذات يوم؟!
فكر مايكل قليلاً ثمّ أجاب:

- لا أظنّ ذلك... إنّ منحها الفرصة له لا يعني أنّها أحبّته بتاتاً!... ففكر معي... شخصيتها أذكى من أن تمنح مشاعرها دون أن تدرس أبعاد ذلك وتأكّد من مصبّ عواطفها إن كان يستحقّها أو لا... أظنّ أن سينا كانت تدرسُ شخصيّة عرفان -بحكم علاقتهما- لا أكثر... ما لك وهذا الكلام!... لقد أبدعت الفتاة وأذهلتني... أصدّقك القول... حتّى آخر لحظة اعتقدت أنّ عرفان شخصٌ جيّد... وأنّ سينا تظلمه!.... والآن انظر إلى أين وصلنا بفضل إصرارها على التنقيب خلف ذلك الحقيقير!

افتّر ثغرُ أسامة عن ضحكةٍ واسعة مومئاً برأسه قائلاً:

- هذا صحيح... (ثمّ قطب مستدركاً باهتمامٍ قلق).... والآن... لنجبر ذلك التافه على التحدّث إلى جنيفر... يجبُ أن ننقذها ونذكّ المخروط على رؤوسهم جميعاً....

دخل الاثنان المستودع وقد تقدّم مايكل أسامة بعدّة أمتار..

ثم توقف فجأةً وصرخ:

- أسامة... احذر... لقد أفلت عرفان من قيده!

كان الكرسيّ الموجود بجانب البرميل قد أوحى بأنّ عرفان سحب نفسه مع الكرسيّ ثم حَزَّ الحبل بأداةٍ ما أو ربّما بحافّة البرميل نفسه حالاً وثاقه. بينما كان مايكل يتجوّل باحثاً عنه، باغته عرفان مطبقاً بساعده على عنق مايكل وفي يده الأخرى أداة معدنية تشبه السكين ثم صاح به:

- سأقتلك إن لم أخرج من هنا سالماً...

تنهّد مايكل ثم تمت:

- خيرٌ لك ألاّ يعذبك أحدٌ غيري يا عرفان...

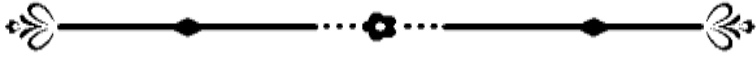
كان أسامة يراقبهما مفكراً بطريقةٍ تمكّنه من تحرير صديقه دون أن يصيبه أذى... وعندما هبّ لتخليصه أوّماً له مايكل بالتوقف، ثم أطلق صفرةً بنغمةٍ موسيقيّةٍ طويلة فلمح أسامة طيفاً يتسلّل إليهما ببطءٍ دون أدنى جلبه، إلى أن تمكّن من عرفان وداهمه من الخلف محكماً قبضتيه خانقاً عنقه ما أرغم عرفان على إفلات مايكل مبعداً تلك اليدين المتخشبتين القاسيتين عن رقبتة...

فقال مايكل:

- لا تقتله يا كاهيكو... ما زلنا بحاجة... عد إلى مخبئك..

أفلته الفتى سريعاً قائلاً بسداجة:

- حاضر يا أخي كايل...



ثم وثب بخفّة على قدميه الحافيتين واختفى..

شهق عرفان محاولاً التنفّس بسرعةٍ متمماً:

- هل هاتان يدان بشرّيتان؟!.... كاد يكسر عنقي.... أين كان يختبئ هذا الصعلوك؟!

أحضر مايكل الكرسيّ ثم دفع عرفان عليه عنوةً وهو يقول:

- مجرم... فهمنا... لكن... أحق؟!... تهدّدي في عقر داري؟!

أخرج أسامة من الحقيبة النسائية هاتف عرفان ثم لوح به قائلاً:

- سأمنحك دقيقةً واحدة لتحيك بها قصّة منطقيةً تقنع جنيفر لتسمح لنا بالدّخول إلى "دايموند هيد"..

الفصل الثاني والعشرون

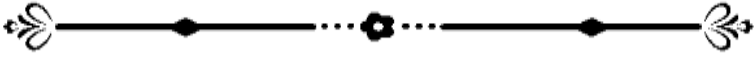
(دايموند هيد)

كانت الجلبة على فوهة مخروط "دايموند هيد" عندما خطت فوقه سينا غير مُطمئنة البتة..

بدا لسينا أنّ ذلك طبيعيّ جداً بالنظر للاهتزازات الأرضية القويّة المتكرّرة التي يجودُّ بها قعر المخروط..

إنّها لم تع تماماً سبب إنشاء ضواغط الهواء العملاقة وتخزين هذه الكميات الهائلة من الهواء إن لم يكن الهدف الأساسيّ منها هو التدمير! لم تنكر شعورها بالتوجّس والخوف لدى مرافقة رجلي الأمن وفي حوزتها فكي فريدريك المُستأصلين وجميع ملفّاته السنية...

حيث كانت خطواتها ثم صعودها السيارة الداكنة واقتربها السريع من مركز الخطر على طريق المخروط غير المستقرّ كفيلاً برسم خيالاتٍ مرعبةٍ ما يجعلها راغبةً كلّ الرغبة بالفرار والتعهد بالأسنان إلى هؤلاء الرجال الغرباء ثمّ السفر لجزيرةٍ أخرى أكثر أماناً من جزيرة "أواهو" الغامضة! لكنّها وبالنظر لحساسية الموقف وضيق الوقت الذي لا يسمح لأيّ طبيب أسنانٍ آخر أن يدرس ويُفصل المعطيات السنية، فقد سلّمت بضرورة



المغامرة لانتقاد أكثر من ثلاثمائة ألف من الناس غير الواعين لما يُحاك من مؤامراتٍ بشريةٍ وخططٍ تهجيريةٍ إجرامية!

ولو لم تكن معالجات فريدريك السنية قد أُجريت بدافع غريبٍ غير منطقيٍّ وطريقةٍ مريبة، لما صدقت أساساً أنّ من الممكن أن يكون فريدريك قد أخفى فعلاً شيفرة نظام التحكم في أسنانه.. وعلى الرغم من قصر المسافة بين مشفى الملكة وفوهة مخروط "دايموند هيد" فقد أحسّت سينا خلالها بتوترٍ أرغمها على السؤال كلّ حين:

- متى نصل؟؟.... وأين نحن الآن؟؟

كانت معاملة رجال الأمن لها حياديةً للغاية أقرب منها للتودّد خاليةً تماماً من الإكراه والغلظة التي عومل بها أسامة في زيارته السابقة للمخروط. وعندما ترجّل الثلاثة من السيارة، كان شعورُ الاهتزازات الأرضية أقوى كثيراً ممّا كانت عليه في المنطقة حيث يقع مشفى الملكة ومركز طبابة هونولولو الشرعي..

كان من الواضح لسينا أنّ جنيفر -رئيسة المنظمة الأمنية S- تحاول أن تبدو رابطة الجأش عندما استقبلت مقيمة طب الأسنان الشرعي رغم محاولاتها ستر لواعجها القلقة المضطربة...

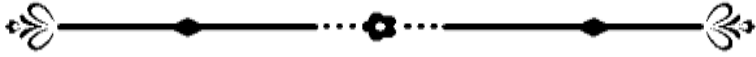
وقد كان ترحيبها واحتفاؤها اللطيف المفعم بالاحترام قد أراح سينا إلى حدٍّ ما وطمأنها بأنّ الأمور لا تزال تحت السيطرة، وأنّ حلّ الشيفرة قاب قوسين أو أدنى من خلال فكّي العظم هذين والأسنان المتوّجة المغروسة بهما!

جلست سينا بتوترٍ على المقعد الجلدي بجانب طاولة مكتب جنيفر، ثم قالت دون أن تحرّك عينها عن كاترين الواقفة بجانب الرئيسة:
- ما الذي جعلكم متأكّدين من أنّ أسنانَ فريدريك هذه تُخفي ما تبحثون عنه؟!

أجابت كاترين بصوتها المبحوح المغتاض:
- لأنّ أحداً من أطباء أسنانه لم يكن مقتنعاً بطريقة وصف فريدريك لآلامه السنيّة.... جميع معالجاته السنيّة أُجريت بإكراه الأطباء عليها نزولاً عند رغبته....

أراحت إجابة كاترين سينا نوعاً ما لكنّها استمرّت بتفنيد وجهة نظر المنظّمة فتساءلت متجاهلةً اهتزاز المكان:
- لماذا لم تفكّروا باحتمال أنّ الشيفرة بحوزة المجرم الذي قتل فريدريك؟..
أقصد... الوقت كما تقولين لي يا سيّدي ليس في صالحنا... أخشى أن نهدره بلا أيّ طائل!

أجابت جنيفر بصوتٍ مرتعشٍ مبتسمةً:
- لا تشغلي نفسك بالمجرم... بينما نحن نعملُ هنا... هناك العشرات من رجال الأمن يبحثون عنه... (ثم أخذت الفكّين المستقرّين على الطاولة) لنركّز على هذه الأسنان من فضلك... اليوم هو اليوم الأخير....
تجمّدت ملامح سينا متسائلةً فعاجلتها كاترين:
- هو الأخير لبقائنا أحياء قبل أن يُبيد المخروط الساحل الجنوبي...



- وأنا... ما دوري بالضبط؟!!

تنهّدت جنيفر ثم نهضت من مكانها وجلست على الكرسيّ المقابل لسينا عابسةً وهي تقول:

- أظنّ أنّ الموظّفين أخبراك بدورك المطلوب... انظري حولك يا دكتورة... لم يبقَ في المكتب أثاثٌ ثابتٌ على حاله... علينا أن نوقف عمل ضواغط الهواء العملاقة ثمّ نسرب ما تجمّع في الخزانات إلى مصارفها الخاصّة في المحيط تحت قاعدة المخروط....

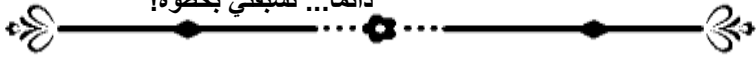
تساءلت سينا بسذاجة:

- لكن... لماذا وُجدت هذه الضواغط المخيفة أساساً؟!!

- دكتورة... لا وقت لهذه الأسئلة... لقد هيّأنا لك مختبراً تعملين به للتنقيب عن أيّ ورقةٍ او قصاصةٍ من أيّ مادةٍ قد تمّ دسّها داخل هذه الأسنان... تفضّلي معي من فضلك..

سارت سينا وفي حوزتها الفكّين والملفّات برفقة جنيفر وكاترين اللّتين اقتادتاها باتجاه المصعد الأوّل.. ثمّ الثاني الواقع في آخر الممر الجنوبي المقابل ما أثارَ شعوراً في أعماقها بالفرع والخوف لدى وجودها في المصعد ذي الأرضيّة المكتنّظة بالحجارة الصغيرة فتساءلت بصوتٍ خافتٍ قبل أن يُغلَق الباب:

- هل المختبر يقع في الأسفل؟!!



أومات جنيفر إيجاباً ثم قالت بهدوء:

- للأسف.... نعم... عندما تصلين إلى هناك سيستقبلك المهندسون المسؤولون عن أنظمة التحكم بعد موت فريدريك.. (وتابعت بتوسّلٍ ورجاء)... لدينا ما يقاربُ العشرين ساعة... أرجو أن تنجحي باستغلالها يا دكتورة... (ثم أمسكت بكتفيها راجيةً) أتوسّلُ إليك.... يقعُ على عاتقنا حيات الكثير من الناس.. كوني منقذتهم رجاءً..
أُغلق باب المصعد وعينا سينا المتسمّرتين عليه تفضحان عمق إحساسها بالمأزق الوشيك..

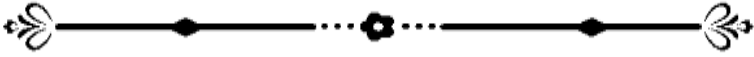
رنّ هاتفها المحمول فتناولته مستطلعةً اسم المتّصل الذي كان أسامة... سرعان ما تذكّرت سؤاله لها وإصراره عليها بالألا تغامر وتوغّل أكثر في ما يعدّ خطراً عليها..

لقد أنساها الفكّان والأسنان أسامة تماماً!!

فتحت الخطّ قائلةً له بصوتٍ متأسّف:

- ألو.... أسامة.... (ثمّ علا صوتها)... ألو.... لا أسمعك..... (ثمّ أغلق الخط).

انتظرت جنيفر دقيقتين إلى أن تأكّدت من وصول المصعد للمربّع، قامت بفصل الكهرباء عنه ثمّ عادت أدراجها مخاطبةً كاترين:
- هذه الفتاة تعلمُ جميع أسرارنا... يجبُ أن نتخلّص منها..



أجابت كاترين:

- لندعُ أن تتمكّن من حلّ اللغز أولاً...

انتشلت جنيفر هاتفها المحمول من جيب سترتها الجلديّة ثم اتّصلت
بماكافي رئيس شركة ميغا قائلة:

- سيّدي... طيبة الأسنان صارت في المربع الناري الأزرق للتنقيب عن
القصاصه المخبّأة في أسنان فريدريك....

-

- كلاً... لقد قِدمت بمفردها... أغلبُ الظنّ أنّها تجاوزت قسم التحقيق
لدى شرطة هونولولو بطريقةٍ ما وحصلت على فكّي فريدريك....

-

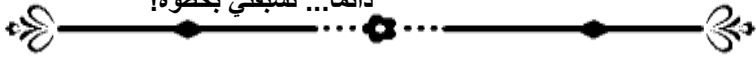
- حاضر.... نأملُ أن يكون ظنّنا في مكانه... إنّهُ خيارنا الوحيد... لقد
تأكّدتُ بنفسِي من إغلاقِ مصعدي ميغا والأبحاث....

-

- بالتأكيد.... سأوافيك بالأخبار... المجدُ للهائيين يا سيّدي...
ثم أغلقت الهاتف متممة:

- فلتذهب للجحيم أنت والأسنان وتلك الطيبة الغبية
قالت كاترين مبتسمة:

- ما هذه الأمنيات يا أختي.... تمنّي أن تنقذنا أسنان فريدريك المسكين..



توقفت جنيفر سائلةً أختها بجديّة بالغة:

- هل اقتنعتِ حقاً بأنّ فريدريك خبأ الشيفرة في أسنانه؟
أومأت كاترين بترددٍ محييةً:

- نعم... بالتأكيد...

- ههه... أنتِ شخصٌ بسيطٌ على حدِّ وصف عرفان!

- لم... أفهم...

- برأيك... (ثم ابتسمت)... شخصٌ كفريدريك خسرَ كلَّ شيءٍ في حياته... ما الذي سيدفعه للإبقاء على أثرٍ واحدٍ لما قد يوقف ثوران المخروط؟!

تصلّبت كاترين محدّقةً بأختها:

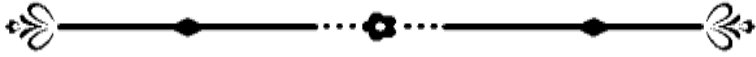
- ماذا... يعني ذلك؟!... لا وجودَ للشيفرة؟!

- كانت موجودةً في رأسه وحسب... والآن بعد موته... بُم... لا شيفرة!
قظّبت كاترين حاجبيها وهي تُحدّجُ أختها بنظراتٍ غير مصدّقة، ثم همست بصوتها المبحوح الذي اختفت نبرته:

- كلا... كلا يا جنيفر... لستِ من خطّط لموتِ فريدريك!...

-

- لكن..... لماذا قتلته وتعلمين أنّه الوحيد الذي سينقذنا؟!
أجابت جنيفر بنظراتٍ مُستكيّنةٍ وراضيةٍ مستلذّة:



- لأنني... لا أريد للانفجار أن يتوقف... (ثم ضحكت بهستيرية)... أي خبيث تملك يا عرفان؟!
أطبقت كاترين يدها على فمها باكية:
- لماذا قتلته؟!... تعلمين أنني أحببته....
كانت جنيفر تستمع لأختها الصغرى بازدياء ثم قالت:
- كفك هراء... لم أقتله أنا...!... كما أنه موظف هارب يعرف كل الأسرار..
همست كاترين بصوت مضطرب حانق:
- كلا... أنت من هيأ له طريق الهرب... أنت أردت أن يهرب... كانت حراسته
في السابق مشددة ودقيقة... لقد هرب ساعة استدعائك لي لإنجاز أمر تافه
في حي "آينا هاينا Aina Haina" فاستغل انشغالي وانشغال رجال الأمن
المراقبين الذين كلفتهم بمهمات أخرى لتغطي على هروبه... (ثم اهتز المكان
فتابعت كاترين غير آبهة)... قولي إنك تعمدت كل ذلك لتلفيق قصة موته
التي ستُنقذك من قبضة ماكاني... (وبكت)... لماذا دبّرت كل ذلك؟!
تابعت جنيفر سيرها متجاهلة اتهامات أختها الصريحة والصحيحة إلى حدّ
ما..
وفي الواقع... كانت دماء جنيفر تغلي توقاً لثوران المخروط على رأس ماكاني
مؤسس شركة ميغا...

في البداية سَعَتَ جنيفر بكامل جهدها للتعاون معه وبذل كل ما لديها من
صلاحيّات إلّا أنّها أبداً ما كانت مرتاحةً لطريقة مُعامَلته المهنية وكأنّه
ابتاعها بنقوده الطائلة فظنّ أنّ له الحقّ بضربها وإذلالها..

ثمّ تحسّست مكان وخزة رأس الخطف في رقبتها... مفكّرةً بأشنع طرق
التخلّص منه ومن مشاريعه التافهة، فلم تجدْ أعظم من فكرة تفعيل
ضواغط الهواء ذات الشكل المجهول الذي يوحي صوّتها المرعب بأنّها آلاتٌ لم
يخترعها بشر!....

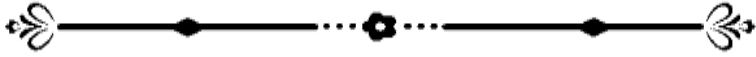
ولم تكتفِ بذلك... بل أحبّت فكرة فتح صمّامات جاكو الوريدية ثمّ
إقفال نظام التحكّم، سعيدةً لتحقيق فريدريك مآربها دون أدنى جهد!
وحقيقة الأمر... أنّ جنيفر بريئةٌ تماماً من فرضها أمراً ينصّ على قتل
فريدريك!

إلّا أنّ بثّ مخاوفها لعرفان قبل نزوله المربّع الناريّ الأزرق شبه المتوسّلة من
أنّ يُفقَدَ فريدريك أو يموت قد أتی ثماره!

حيث أنّ شخصاً مثل عرفان، لن يفوّت فرصة قتل شخصٍ مهمّ، موته يعني
وقوعَ جنيفر في ورطةٍ مع ماكاني لا تُحمدُ عقباها!

لقد كانت صفعُتها القويّة لعرفان ضروريّةً لإشعال الرغبة لديه بالانتقام
وقتلَه فريدريك الهارب الذي أشار أساساً لاسم عرفان على الوجه الآخر
لرسالة انتحار نينا...

فتحقّق له بذلك الانتقامان!



صحيحٌ أنّ ماكاني ردّها الصفعَة صفعات!
إلاّ أنّ الانتقام الكبير سيكون لصالحها هي...
ماكاني وبيكا الآن يتلوان دعواتهما الهاوائية بتهدئة المخروط، وعرفان هاربٌ
كالجرذ في المصارف..!

ابتسمت جنيفر بسرّها عندما أخبرها رجالُ الأمن الباحثين عنه بأنّه
اختفى ولم يبقَ له أثرٌ ما أكّد لها خوفه الحقيقي من أن يُلقى القبض عليه...
لم تختلف طريقة تفكير عرفان كثيراً عن طريقة تفكير جنيفر
الأمريكية!

بل كانت تستمتع لدى اقتراحه أفكاراً خبيثةً غادرةً تستهدفُ الضحية تلو
الأخرى..

أحبّت جنيفر أسلوبه الناعم ولسانه رسولَ أفكاره الماكرة الرخيصة..
على الرغم من ذلك... فقد كانت تحاول الحذر منه ما أمكنها، وربّما كانت
ضحيةً من ضحاياه في وقتٍ من الأوقات، حيث كانت تلمس ذلك في الوقت
التالي لخلافاتها الصغيرة، فترى تأثير الأمر سريعاً على علاقتها المستقرّة
بماكاني وبيكا.

ببساطة..

لم يكن عرفان شخصاً يسهلُ سبره أو قراءته..

بل كان شخصاً صعباً مثله مثل الزئبق يستحيلُ للملّة بعثرته عندما يقرّر أن يُبعثرَ نفسه هنا وهناك محققاً مصالحه الشخصيّة - غريبة الدوافع - ومستغلاً نقاط الضعف لدى جميع الأطراف..

إنّ ما استطاعت جنيفر أن تعلّمه عن عرفان لذّته الغريبة بالتدمير الذكي المخطّط له... فكان له ذلك بقتل فريدريك!

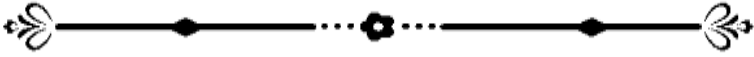
لكنّ مكالمته الأخيرة منذ قليل بضرورة إشراك الطبيّين المقيمين أسامة ومايكل والسماح لهما بدخول فوّهة المخروط قد أغرقها في موجةٍ من الضحك لما يُمكن أن يقدّمه هذان الاثنان اللذان لا يختلفان بغبائهما عن غباء تلك المقيمة الساذجة!

تابعت جنيفر سيرها ضاحكةً ومشاعرُ الانتصار تغمرها أخيراً! عدّة ساعات ثمّ تحلّق المروحيّة لتقلّها وأختها العاطفية البكاء إلى أقرب ولايةٍ أمريكية بعيداً عن كامل أرخبيل هاواي!

.....

فُتح بابُ المصعد على ردهةٍ مربّعةٍ كما وصفها أسامة تماماً... سارت سينا محاولةً تحطّي الحجارة المنثورة على أرضيّة الردهة وهي تبحث عن مقرّ المهندسين الذين ينتظرونها للعمل معهم على إيقاف عمل الضواغط العملاقة.

- مرحباً...



نادت سينا ثم كرّرت النداء وهي تفتح الباب على يمين الصالة دون أن يردّ إليها صوت أحد الموجودين في المربع. كان صوتها يتردّد في الأرجاء وهي تنادي عالياً علّ مجيباً يُطمئنّها بأنّها ليست وحيدة في المكان..

اهتزّت الصالة بقوة ما جعلها تغمض عينيها صارخةً بذعرٍ وهي تحاول التمسك بالعمود المجاور لا سيّما وقد كانت الحجارة الصغيرة تتناثر من حولها..

هدأ الاهتزاز فهبّت بسرعة وهي تفتح الباب تلو الباب يمين المصعد الذي أتت منه دون أن تجد أثراً لأيّ مخلوقٍ سواها في هذا المربع الذي كان من الواضح أنّه مهجورٌ تماماً..

عادت سينا أدراجها وشعور الغضب المُشرب بالخوف يغمّر قلبها الواجف رعباً!

إلا أنّها عندما ضغطت زرّ المصعد ولم تجد ما يدلّ على استجابته لأمرٍ طلبها له نادَتْ عالياً لعلّ أحداً يُنقذها من رعب احتمال وقوعها في مكيدة مُدبّرة!

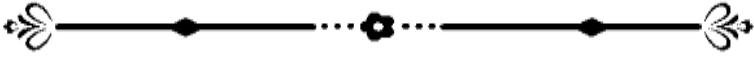
كرّرت المحاولة ضاغطةً على الزر بهستيريّة واضحة لكن دون جدوى! حاولت المحافظة على هدوء أعصابها عندما نظرت حولها باحثةً عن بابي المصعدين الموديّين إلى شركة ميغا ومركز الأبحاث النفسي - على حدّ وصف أسامة - فذهبت إلى المصعد M ثم طلبت نزوله ليقلّلها لكن لا استجابة!

وسريعاً ما كرّرت محاولتها بطلب المصعد P بانفعال ارتعدت له أوصالها خصوصاً وقد كان من الواضح تماماً أنّ عطلاً مُدبراً قد أُلّم بالمصاعد الثلاثة! تناولت سينا هاتفها المحمول بيدين مرتعشتين من جيب رداؤها الأبيض ثمّ بحثت في جهات الاتصال لديها عن رقم أسامة آملّة أن يُجيب سريعاً وهي تضع الهاتف على أذنها التي لم تتلقَ أيّ صوتٍ يفيدُ بصحّة إجراء مكالمّة صادرة، ما دفعها لفحص إشارة شبكة الاتصال التي اختفى رمزها تماماً من الشريط أعلى شاشة الهاتف..

أحسّت بجفاف الدم في عروقها فحدّقت بالشاشة بأنفاسٍ مكبوتةٍ وأعصابٍ شبه منهارة غير واعيةٍ لكمّ الغباء الذي رمى بها وبكامل إرادتها في بئرٍ عميقةٍ مهجورة على جزيرةٍ وسط المحيط! فرمت بالفكّين والأوراق صائحةً ثمّ جثت على ركبتيها حاضنةً رأسها ذي الأفكار المتضاربة صارخةً بأعلى صوتها المذعور:

- كلاً... كلاً....

عاودت الاهتزازات الأرضية تأثيرها فوثبت سينا من مكانها فزعةً لدى سقوط أجزاءٍ من القرميد والآجر فوقها، ثمّ اندفعت راکضةً نحو الصالة اليمنى التي بدت أقلّ خطراً من الردهة إلى حدٍّ ما... تبين لها أنّ الصالة عبارةٌ عن مكتبٍ لموظّفٍ ما، فهُرعت باحثةً عن أيّ حاسوبٍ أو وسيلة اتّصالٍ قد تتمكّن من خلالها التواصل مع أيّ أحدٍ في الأعلى.. لكنّ معاودة إدراكها بأنّ جنيفر أحكمت قبضتها حين تمكّنت



من سينا راميةً بها إلى مركز الانفجار، قد أطاح بكلّ آمالها متيقّنةً بأنّ
مؤامرةً كهذه لا يمكن أن تغفل عن قطع جميع وسائل الاتصال بالمدى
خارج قعر المخروط!

تلوّت سينا ضاغطةً بيدها على بطنها متألّمةً باكيةً وهي ترمق المكان بعينين
زائغتين فرقاً واستسلاماً لمنيّتها الوشيكة حافرةً قبرها بأفكارها الغبيّة التي
حرّضتها على المجازفة بحياتها سدىً وبلا أيّ طائل..!

أسندت ظهرها إلى الجدار خلفها منسلّةً للأسفل حاضنةً رأسها بين ركبتيها
وهي تتذكّر الساعات التي سبقت قدومها إلى قوّة المخروط المخيف هذا...
والأهمّ من ذلك...

حديثها المقتضب مع أسامة وهو يحرّض على تأكيد عدم تورّطها في المشاكل
أكثر ممّا هي عليه..

وبالنظر لما آلت إليه الامور...

فقد أقحمت سينا نفسها في أعنى المصائب وأعقدها بسبب تهوورها وما تبعه
من تفلّت زمام الأمور من سيطرتها حتّى وقتٍ قريب!
تبّاً لها من فتاةٍ حمقاء غبيّةٍ يسهلُ جدّاً الإيقاع بها بسبب ثقتها العمياء
دائماً!

هل عليها تذوّق مرارة الخذلان في كلّ مرةٍ تجب عليها الثقة والتصديق؟!
كان عليها على الأقلّ أن تلتزم بعهدا ووعدا لأسامة....!

كيف فاتها أمرُ إعلامه بذهابها، بل اندفاعها الغيّي المتهور الدالّ على حماقة طائشة؟!

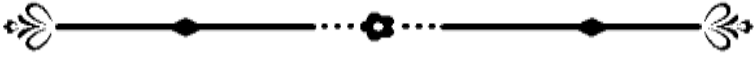
مضت عدة دقائق وسينا شبه غائبة عن محيطها الخطر غير المستقرّ وهي تحصي الوقت المتبقي لحصول الانفجار، وصوتٌ جنيفر يتردّد في أذنها عندما قالت "عشرون ساعة"... فتمتت بيأسٍ عميق:

- إنّ الوقت طويلٌ جداً لأتعدّب به قبل أن أموت... أيّ قلبٍ هذا الذي سيصبرُ كلّ هذا الوقت قبل لحظة موته المؤكّدة!
لكن لماذا أرادت جنيفر قتلها؟!

فتذكّرت رجل الأمن ذاك الذي أخبرها بضرورة حصول المنظّمة على أسنان فريدريك، وبأنّ سينا في لحظة هفوةٍ منها قد استهزأت بحقيقة الأبحاث العلمية السريّة حين أفصحت عن اكتشافها الخيط الجراحيّ المسموم وذراع جاكو القاتلة ما جعلها تعصّ على شفتها الآن نادمةً كلّ الندم لتساؤلها الغيّي الذي لم يكن ليفيدَ في شيءٍ سوى وقوعها في أعنى المآزق خطراً بالنظر لما هي عليه الآن!

لكن...

لماذا اكتفى رجلُ الأمن بالجثة أولاً ثمّ بالفكّين المستأصلين دون سينا التي لو أنّها سلّمتهم الفكّين لم يكن ليرغمها على القدوم معه! نهضت من مكانها وهي تتجولّ في صالة المكتب مستذكرةً كلّ دقيقةٍ مضت



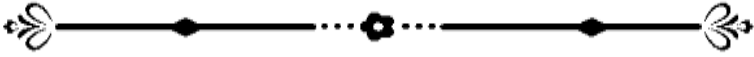
منذ قدوم جثة فريدريك إلى وقت مغادرتها مركز طبابة هونولولو..
"عليها أن تخرج من هنا"

بكت عند تشغيلها الحاسوب الموجود على طاولة المكتب لغياب أسامة عن
ذاكرتها لحظة مغادرتها مركز الطبابة وعدم استجابتها لمناشدته لها... ذلك
الشخص الذي اطمأن له قلبها في نبضة من نبضات إحساسها!..
ثم مشت باتجاه القاعة الداخلية الأخرى - الواقع بابها على يمين الطاولة -
و تجوّلت في أرجائها الواسعة فبدا لها أنّ القاعة ورغم الفوضى العارمة
مختبراً لتنقية العينات وتحليل المادة الوراثية، وفي الزاوية صناديق حاوية على
خيوط "فيكري كروم" الجراحية فتنهّدت غير مكرثة لها وهي تفتح الباب
المجاور لتجد غرفة عملياتٍ مجهزة بكامل الأجهزة الطبية..
مشت بهدوءٍ مستطلعةً المكان بعينين دامعتين وفي أعماقها باعثٌ غريبٌ
يحرّضها على الاستفاقة وعدم الاستنامة لليأس، لكنّ الاهتزازات المتكرّرة
المتفاوتة في الشدّة كانت جديرةً ببثّ دفعةٍ جديدةٍ من الخوف في قلبها، إلّا
أنّها بمجرد أن تهدأ وتستكين.. تتابع سينا استجلاءها الموقع بما يحويه!
غادرت المختبر باتجاه ردهة المربع الناري الأزرق حيث المصاعد لعلّها تجد
أحدها قد أصلح، فمسحت دموعها عندما خاب أملها متابعة جولتها
البائسة نحو الصالة الواقع بابها في الجدار المجاور الذي يضمّ مصعد مركز
الأبحاث النفسية مقابل جدار مصعد المنظّمة..

كان الباب مفتوحاً، فدخلت سينا بهدوءٍ معيّنة الصالة التي لا تختلف كثيراً عن مثيلتها السابقة ثم تجاوزتها إلى باب القاعة الداخلية ما لفت نظرها قبضات جاكو الاصطناعية المعلقة على عارضاتٍ طويلةٍ تصل بين جداري الغرفة، ثم نظرت بفضولٍ يائسٍ إلى الأدوات والمعدات التي كان من بينها علب التيتانيوم المعدنية الشبيهة بتلك التي فصلها أسامة عن ذراع مريضه ليكون...

لم تجد سينا ما يفيد في المكان فخرجت ماشيةً بهدوءٍ قانطٍ نحو الصالة اليسرى المتبقية في المربع التي ما إن فتحت بابها حتى تجمّدت في مكانها لهول أصوات المحركات الضخمة رغم بعدها! فازدردت لعبائها بصعوبةٍ عندما قررت دخول الصالة لاستكشاف ما تحويه..

لم تكن الصالة اليسرى تختلف كثيراً عن تلك اليمنى سوى بالحاسوب الضخم المتربّع بجوار الجدار المقابل للمدخل... كان صوتُ المحركات يعلو مُجَلْجَلًا كلّما ولّجت سينا نحو الداخل، فرأت باباً آخر يشبه باب القاعة الداخلية للصالتين السابقتين ما جعلها تتأكد من تشابه الأقسام الثلاثة التي يضمّها المربع الناري الأزرق. ارتجفت يدها وهي تمسك بمقبض الباب الذي خمنت بأن شيئاً مرعباً يقبع خلف هذا الباب الخرساني كرعب هذه الأصوات المدوية...



ما إن سحبت سينا مقبض الباب الثقيل بأنجائها- حيث تطلّب جهداً أكبر من غيره- حتّى شعرت بضغطٍ هائلٍ من الهواء يحرّكه ضجيجٌ مرعبٌ من هدير المحرّكات، تبعه صوتٌ انفجارٍ قريبٍ هزّ المكان بقوةٍ ما أرغمها على إفلاتٍ مقبض الباب الذي صفّق بعنفٍ مُغلّقاً على المكان بتلقائيةٍ مرعبة نتيجة جذبهِ بفعل قوّة الضغط المعاكس.

مضت عدة دقائق قبل أن تستعيدَ رباطة جأشها مُصغيةً لضربات قلبها المتلاحقة، ثمّ أعادت الكرّة بفتح الباب عن آخره بصعوبةٍ بالغةٍ متصلّبةً لهول جدجلة الآلات وخلوّ المكان من أيّ مصدرٍ للضوء...

كان المكان مظلماً تماماً بخلاف أجزاء المربع الناري الأزرق..

أشعلت سينا ضوء هاتفها المحمول لتستبين شيئاً قد يخفّف من شدّة روعها محاولةً الإمساك بالحائط المجاور للباب خشيةً أن يؤثّر الضغط عليها فيفقدّها توازنها ويسحبها للداخل حيث الظلام!

أمعنت النظر فلم تجدْ إلا متر مربعٍ واحدٍ فقط من صفيحةٍ معدنيّةٍ تليها هوةٌ سحيقةٌ مظلمةٌ لا يمكن إدراك ما بعمقها أو ممّا تحويه من مصادر هذه الضجّة المدويّة...

أغلقت سينا الباب بهدوءٍ مُقاومةً سحبه بتأثير الضغط المعاكس وقد اجتاحتها شعوراً بالبرد رغم ارتفاع حرارة المكان..

فأحكمت قبضتها بقوةٍ غير واعيةٍ لغرز أظفارها في راحتي يديها ثم تمتت شاخصةً بصرها:

- كيف... كيف... سأخرج من هنا؟!

عادت أدراجها هاربةً من الضجيج المخيف نحو الحاسوب الضخم المثبت بالحائط المتصدّر مدخل الصالة ثم ضغطت على عدّة أزرارٍ بشكلٍ عشوائيّ يائسٍ على لوحة المفاتيح، فسمعت صوت التشغيل المنبعث من مُعالج الحاسوب الكبير تبعه ومضاً للشاشة الكبيرة التي توسّطتها مربّعات فارغةٌ مرصوفةٌ ضمن صفّين..

أمعنت سينا النظر في المربّعات وهي تحصيها فوجدتها تماماً كما وصفها رجل الأمن في مركز الطبابة..

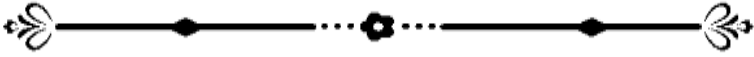
سته عشر مربّعاً في الصفّ الأول، وستّة عشر مربّعاً في الصفّ الثاني! وفي الأسفل رقم اثنين..

فخفق قلبها - الذي أحست بنبضه بالحياة لأوّل مرّةٍ مذ قدومها إلى المخروط- لدى إدراكها أنّ ثمة كلمة سرّ حقيقيّةٍ يمكن إدراجها.. وأنّ رقم اثنين يشيرُ أغلب الظنّ إلى عدد المحاولات المتبقّيّة.. وفي الأعلى مؤقّتٌ يعمل بالعدّ التنازلي..

07:53:09 07:53:08 07:53:07

فابتسمت سينا غاضبةً عندما علمت أن جنيفر قد كذبت عليها حتّى بشأن الوقت المتبقّي للانفجار...

سرعان ما تشبّثت بلوحة المفاتيح لدى معاودة الاهتزازات غير مكرثةٍ إلّا بدماغها الذي صار يعملُ مفكّراً من جديد..



فقرّرت العودة إلى ردهة المربعّ الناريّ الأزرق واستعادة الفكين المستأصلين والأوراق التي تركتها هناك عندما تملكها الخوف لحظة تأكدها من انقطاعها عن العالم الخارجي.

التقطت سينا ما رَمَتْه ثمّ توجّهت إلى قاعة مختبر الأطراف الاصطناعية جاكو آملّة أن تجد ما يمكن أن تحفر به الأسنان ممتنّة في أعماقها لعدم فصل الطاقة عن كامل المربع، ما أكّد لها أنّ الطاقة التي تشغلّ ضواغط الهواء العملاقة هي نفسها التي تمدّ المربع بالكهرباء وأنّ طاقة المصاعد مُستمدّة من منبعٍ خارجيّ مستقلّ عن هنا...

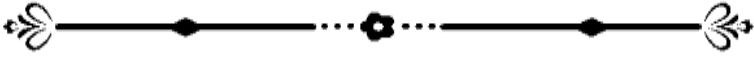
بحث سريعاً عن أيّ آلة أو جهاز يفيدُها في عمليّة التنقيب، إلى أن اهتدت أخيراً لعبة محرّك متّصلٍ مع ما يشبه القبضة التوربينية المستخدمة في العيادات السنيّة إلّا أنّ رأسها يضمّ أداة حفرٍ كبيرةٍ قد تؤذي ما يمكن أن يتمّ تخبيّته تحت التيجان السنية إن لم تَكُن حذرةً في أثناء العمل.. فحصدت سينا عمل المحرّك فدارت أداة الحفر بسرعةٍ بطيئةٍ غير كافيةٍ للعمل ما جعلها تعدّل السرعة من مؤشّر التحكّم الخاص بها.. ثمّ أمسكت بالفك السفلي وجربت جودة حفر الأداة بهدوءٍ على تاج الحزف - المغطّي لتاج الرحي الثالثة اليسرى - إلى أن خلقت ثقباً على سطحه - الدهليزي - القريب للخد - بهدوءٍ ورويّةٍ آملّةً ألا تكون القصاصة في مكان الثقب..

بعد ذلك بحثت في أدراج المكتب بجوارها عما يشبه الروافع المستخدمة في قلع الأسنان أو أي أداة معدنية أخرى يمكن استخدامها لنزع التاج، فوجدت أنبوباً معدنياً ذا رأسٍ منحنيٍّ مشطوبٍ، وحشرتُهُ في الشجرة التي أُحْدِثْتُها ضمن التاج وهي تفكر بصوتٍ مسموعٍ ساخطةً ومركزةً في العمل: - السافلة... لقد كذبت عليّ حتى في شأن المختبر المُجهّز الذي سأعملُ به... أدواتٌ صعبة... لكنّها.... (ثم نزعت التاج) جيدة....

فحصت سينا باطن التاج تحت منبع ضوءٍ كان بجانبها فوجدته مبطناً بطبقةٍ رقيقةٍ من المادة اللاصقة لا تكفي لإخفاء أي شيءٍ ضمنها.. ثم فحصت أسطح سنّ فريدريك - الرحي الثالثة المُحضّرة - باحثَةً عن أيّ خفرةٍ لأيّ مادةٍ ترميميةٍ - سَتَرَهَا التاج شعاعياً- يمكن استخدامها لطمر القطعة الحاوية على كلمة السرّ لكن عبثاً..

كرّرت سينا ذات العملية بتأنٍّ وهدوءٍ على التعويضات المجاورة وهي تتغيّر مكان حفر الأداة بشكلٍ عشوائيٍّ على الأسطح الثلاثة الظاهرة للتعويضات (السطح الطاحن والدهليزي والحنكي) لعلّها تفيد شيئاً من العملية.. لكنّها لم تعثرْ على أيّ شيءٍ ممّا أَرَادَتْه....

وصلت بعملها إلى تاج الضاحك الثاني الأيمن (التاج الثالث عشر)، فانتهت لرأس أداة الحفر الذي تثلم وصار كليلاً عاجزاً عن إحداث ثقبٍ أخرى، ما جعلها تبحثُ مجدداً ضمن الأدوات القابضة في الأدراج المعدنية وهي تلعنُ جنيفر وعرفان وجميع من يعمل على فوهة مخروط "دايموند هيد"



الذي تمتّ مرّةً أن يثورَ -رغم انقراضه- على رأس الجميع...
وبالنظر لما هي عليه الآن فإن لم يحالفها الحظ ستكونُ هي أوّل من سيثورُ
على رأسه البركان دون غيرها!

تأقلمت سينا مع الاهتزازات القويّة المتواترة متجاهلةً شعورها بالخوف
خصوصاً وأنّ الوقت لا يسمحُ لها إلا بتسديد ضربتها الوحيدة آملّةً أن تجدَ
تلك الحبيّة الغريبة!

فوجدت بعد عدّة دقائق مجموعةً كاملةً من أدوات الحفر واستخدمت
أحدها لمتابعة عملها على ما تبقى من التعويضات الثابتة (تيجان الخزف)
التي ترمّم الأرحاء الثلاث في الفك السفلي فلم تختلف النتيجة عن
سابقاتها!

أحسّت سينا بتسلّل الرعب إلى قلبها من جديد وهي تتأمل الفك العلوي
الأيسر ذي التعويضات الثمانية المتبقية وفي أعماقها إحساسٌ سيئٌ بأنّ ما
تقوم به مجرد إضاعةٍ للوقت..

مهما يكن من أمر...

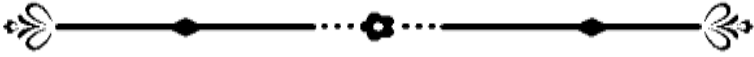
عليها إتمامُ ما تعملُ عليه باحثّةً وممعنةً النظر متأملّةً كلّ زاويةٍ خطيّةٍ
وسطحٍ لباطن كلّ تاج وسنّه المرافق المحضّر...

إلى أن وصلت إلى السن الأخير - الثنية العلويّة اليسرى - فحدّقت بها
لشوانٍ آملّةً كلّ الأمل أن تجدَ ما تبحث عنه، ثمّ بدأت تعمل عليها ببطءٍ
وحذر كونه حتماً سيكون التاج المطلوب الحاوي على الشيفرة...

وعندما حشرت رأس الأنبوب المعدني في الفرجة التي أحدثتها لنزع التاج وسلّطت منبع الضوء على باطنه وعلى السن المُحَضَّر.. اكتسح أعصابها شبه المنهارة شعوراً بالسخط الممتزج بالهلع ما حرّك لديها الرغبة برمي كل شيء في يدها بأقصى ما تستطيع من قوّة، لهُول الخيبة والانكسارات الأربعة والعشرين التي مُنيت بها..

لم يكن أحدٌ من العاملين في المنظّمة صادقاً في شيء! ها هي التعويضات المنفصلة عن الأسنان أمامها خالية تماماً من أيّة قصاصة غبية يمكن أن تفيد منها لإيقاف عمل ضواغط الهواء المرعبة... بل والخروج من هنا!

- يا إلهي.... ساعدني يارب..... المكان مرعب أريد الخروج
مسحت سيناً دموعها وهي تعاوّد فحص أسنان الفك السفلي من جديد
بيدين مرتعشتين دون أن تجد أثراً لأيّ ترميم (حشوة سنّية) يمكن
التنقيب والبحث فيه عن الشيفرة المخبأة... لكن.... ما الذي دفع
فريدريك لتتويج أسنانه السليمة تماماً غير الحاوية على أيّ نوع من
الترميمات (الحشوات) قبل ما لا يقلّ عن ثلاثة أشهر؟!
ثمّ أمسكت الفك العلوي فاحصّة الأسنان الثمانية المحضّرة التي بدت
مثلها مثل أسنان الفك السفلي... غير حاوية على أيّ ترميم..
لماذا توجّج فريدريك ثلاثة أرباع أسنانه دون وجود استطبابٍ حقيقيّ واحد
إن لم يكن يريد أن يخفي شيئاً في باطن التعويضات؟!



لقد كان رأيي سينا مطابقاً لرأي رجلي الأمن وكاترين بأن زيارات فريدريك لأطباء الأسنان لم تكن زيارات علاجية منطقية...
جلست سينا على الكرسي خائرة القوى محدقةً بالأطراف الاصطناعية المتحركة التي سقطت معظمها على الأرض بفعل الاهتزازات، ثم خاطبت الفك العلوي مجهشةً بالبكاء:

- قل لي يا فريد.... تحدّثي أيتها الأسنان.... لماذا سمح فريدريك بعمل آلات الحفر السنية وتشويه أسطحك وتخریب ميناءك الكريستالي وعاجك الصحي متحملاً الآلام التالية إن لم يكن لديه ذريعة مبررة؟!... أسمعيني شيئاً... أشيري لي بأي شيء.... لقد مت يا فريدريك وتركت هذين الفكّين والأسنان... (ثم تأملت الفك العلوي الأيمن متابعه هراءها)... لماذا لم تتوّج هذه الأسنان أصلاً؟!... ولماذا سقطت جميع الترميمات الخارجية للأسنان هنا؟!... بل لماذا استأصلت لبّ الثنية والنباب دون غيرهما؟!....

أمسكت سينا الأداة المعدنية وسبّرت مكان الترميم المنهار في الضاحك الأول حيث سجّلته على الاستمارة نخرًا برمزه الموافق لأسطح السن المحضرة فلم تجد أثراً لما يوحي بوجود أيّ ترميم سابق...

التقطت عدسةً مكبرةً قريبةً لفحص مكان الترميم فوجدت أثر سنبلية القبض³⁸ التوربينية على حالها دون أن تتأثر بأي نوع من المواد الكيميائية المخترشة لا سيّما لدى فحصها الحواف المينائية اللماعة غير الطباشورية، ما

³⁸ سنبلية القبض : أداة حفر صغيرة تستقرّ في رأس القبضة التوربينية تدور بسرعات عالية.

أكد لها أن السن لم يسبق له أن استقبل أي نوع من الحشوات الكيميائية أو

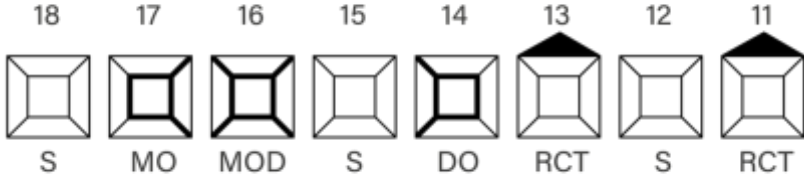
الضوئية التي يستخدمها عادة أطباء الأسنان الأربعة الذين تولّوا علاج أسنانه..

أخذت سينا نفساً عميقاً وهي تتصفح ملفات فريدريك السنية التي حصل عليها رجال قسم شرطة هونولولو من أطباء أسنانه مركزة على ملفه الأخير الحاوي على علاج أسنان الفك العلوي الأيمن...
فعثرت على ما يثبت صحة ما رآته..

لقد تمّ تحضير حفرة على الضاحك الأول العلوي والرحتين الأولى والثانية دون أن يتمّ ترميمها أساساً، ثم قرأت ملاحظة كتبها طبيب أسنانه بجانب كلّ جلسة علاج..

"لا أثر للنخر على السن المعالج.... المريض يعاني من حساسية عالية للألم"
كان من الواضح لسينا أنّ فريدريك ادّعى هذه الحساسية لجبر طبيبه على حفر أسنانه...

لكن لماذا خلّت أسنانه المحضرة من الحشوات الترميمية؟!
التقطت سينا استمارة البصمة الفكّية التي ملأتها برفقة مقيمها الأعلى، وأمعنت النظر في ترميز كلّ سنّ من أسنان نصف الفكّ العلوي الأيمن مفكّرةً باحتمال أن تكون الشيفرة المطلوبة موجودة في هذا القسم من الفكّين..



غادرت سينا قاعة المختبر وهي تحدّق بالاستمارة مُتأملَةً رموز الضاحك والرحّتين الأولى والثانية، التي قد تتغيّر إلى رموزٍ أخرى لو أنّ هذه الأسنان قد رُمت بأيّ نوعٍ من أنواع الترميمات المحافظة.. ومُبرّرةً تتويج فريدريك لبقية أسنانه بأنّه من الممكن أنّه أراد ذلك بغية التعقيم عليها من خلال تغطية تيجانها بالتعويضات والتركيز على رموز أسنان الفكّ العلوي الأيمن..

وصلت إلى الردهة دون أن تفحص عمل أيّ من المصاعد غير واعيةٍ لأيّ شيءٍ إلاّ بطريقة إدخال الشيفرة التي وجدها أخيراً...

وعندما خطت داخل صالة الحاسوب، فزعت لصوت انفجارٍ ضخيمٍ تلاه انهيارٌ جديدٌ للحصى والحجارة وبقايا إسمنت البناء ما جعلها تتعثّر بأحد الصخور الصغيرة فسقطت صادمةً كتفها بحافة الطاولة المعدنية... نهضت بصعوبةٍ وهي تحصي عدد أرقام الأسنان في الصف الأول وعدد

أحرف الرموز في الصف الثاني فشعرت بهبوط قلبها عندما لاحظت أنّ العدد مطابقاً تماماً لعدد المربّعات المرصوفة على شاشة الحاسوب الكبيرة التي أشار مؤقتها بأنّ الوقت المتبقي...

02:42:13 02:42:12 02:42:11

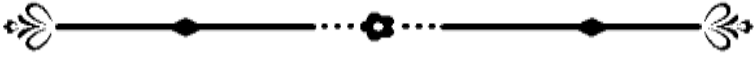
تلاحقت أنفاسها لا سيّما وقد عادت لتخيّل أشكال ضواغط الهواء المربعة في الأسفل بالمقارنة مع جلجلتها المدويّة..

فقررت عدم الاهتمام إلّا بإدخال الشيفرة وهي تحدّق بالرقم 2 أسفل الشاشة مطمئنّة لمحاولة متبقيّة لو أنّها أخطأت..

أمسكت يدها اليسرى بيدها اليمنى ثمّ باشرت الضغط على أزرار لوحة المفاتيح ابتداءً من المربّع العلويّ الأيسر حيث رقم الرّحى الثالثة اليمنى مُدخلة أرقام صفّ المربّعات العلوية تبعها رموز البصمة الفكيّة في المربّعات السفلية، وضغطت زر الإدخال... فجحظت عيناها لدى إخفاق المحاولة ما جعلها تصرخُ عالياً:

- لماذا؟!.... لماذا؟!

ارتجفت وتشوّشت رؤيتها بسبب دموعها الهاطلة محاولةً بصعوبة أن تمنع النظر بالأرقام والرموز المُدخلة فمسحت دموعها بظاهر كفّها منفعلّة عندما انتبهت لوجود حرف A غير المستخدم عادةً في ترميز البصمة الفكيّة في المربّع الرابع قبل الأخير في الصف الثاني ما أكّد لها أنّها أخطأت في أحد رموز الشيفرة بسبب توتّرها في أثناء العمل..



أَحَسْتُ أَنَّ دَقَّاتِ قَلْبِهَا الْمَتَسَارِعَةَ كَفِيلَةٌ بِالْإِطَاحَةِ بِكَامِلِ الْمَرْبَعِ لَوْ خَرَجَتْ مِنْ صَدْرِهَا فَازْدَرَدَتْ لِعَابِهَا وَهِيَ تَعْدِلُ حَرْفَ A لِحَرْفِ S ثُمَّ أَعَادَتْ فَحَصَ الشَّيْفِرَةِ عِدَّةً مَرَاتٍ مُتَأَكِّدَةً مِنْ مُطَابَقَتِهَا تَمَاماً لِاسْتِمَارَةِ الْبَصْمَةِ الْفَكِّيَّةِ..

1	8	1	7	1	6	1	5	1	4	1	3	1	2	1	1
S	M	O	M	O	D	S	D	O	R	C	T	S	R	C	T

أَغْمَضْتُ عَيْنَيْهَا وَضَغَطْتُ بِإِصْبَعِهَا غَيْرَ الْمُسْتَقَرَّةِ عَلَى زَرِّ الْإِدْخَالِ.. جَثَّ سِينَا عَلَى رَكْبَتَيْهَا مِنْهَارَةً عِنْدَمَا أَبْصَرَتْ رَقْمَ الْمَحَاوَلَاتِ 0 فَانْقَطَعَتْ أَنْفَاسُهَا لِثَوَانٍ بَعْدَ اخْتِفَائِهِ الَّذِي تَبَعَهُ اخْتِفَاءُ الْمَرْبِعَاتِ وَمُوقَّتِ الْعَدِّ التَّنَازِلِيِّ. أَظْهَرَتِ الشَّاشَةُ عِدَّةً أَيْقُونَاتٍ إِحْدَاهَا لَهَا رِسْمُ ذِرَاعٍ وَتَحْتَهُ كَلِمَةُ تَعْطِيلِ الصَّمَامِ، وَالْأُخْرَى لَهَا رِسْمُ مُحَرِّكٍ غَرِيبِ الشَّكْلِ وَتَحْتَهُ كَلِمَةُ تَعْطِيلِ... نَهَضْتُ سِينَا مُسْتَنْدَةً عَلَى حَاقَّةِ الْكُرْسِيِّ بِجَانِبِهَا ثُمَّ ضَغَطْتُ تَعْطِيلَ عَلَى أَيْقُونَةِ الْمُحَرِّكِ وَمَشَتْ تَسَحِبُهَا قَدَمَاهَا بِمَشَقَّةٍ بِالْغَةِ غَيْرِ سَاحِحَةٍ لِنَفْسِهَا بِالْإِنْهِيَارِ قَبْلَ أَنْ تَفْتَحَ الْبَابَ الْمُؤَدِّيَ لِمُضَاغَطِّ الْهُوَاءِ الْعَمَلِاقَةِ الَّذِي مَا إِنْ أَنْفَصَلَ عَنْ حَاقَّةِ الْجِدَارِ بِشَكْلِ طَبِيعِيٍّ وَبِسَهُولَةٍ أَكْبَرَ مِنْ ذِي قَبْلِ، حَتَّى أَصْغَتْ سِينَا بِالتَّزَامَنِ مَعَ الْفَتْحِ الْكَامِلِ لِلْبَابِ إِلَى خَفَوَاتِ صَوْتِ آخِرِ مُحَرِّكِ تَبَعَهُ تَلَايَشٌ تَامٌ لِلْأَصْوَاتِ الْمُنْبَعِثَةِ مِنْ أَعْمَاقِ الْهُوَّةِ وَحَلَّ مَحَلَّهَا صَوْتُ تَسَرُّبِ الْهُوَاءِ الْمُتَجَمِّعِ فِي الْخَزَانَاتِ...

وضعت سينا يدها على قلبها المضطرب باكيةً غير مصدقةٍ ما حدث في الدقائق الأخيرة..

وعندما استدارت لتعودَ أدراجها ترنّحت بسبب تشويشٍ طغى على عينيها وعجزٍ عن السيطرة على جسدها ما أسلمها للسقوط منهارةً على حافة الصفيحة المعدنية ومنها إلى الهوة السحيقة...

ولو لم تمتد يدُ أسامة ملتقطاً ساعدها لاختفت في قعر المخروط دون أن يعثرَ لها أحدٌ على أي أثر...
سحبها أسامة قائلاً لها:

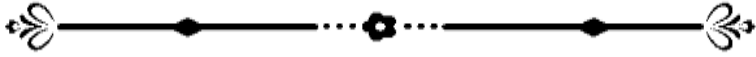
- تماسكي...

ابتسم مايكل وهو يرقبُ أسامة عندما كان يوقظُ سينا وهو يحدثها بلغتهما العربية بصوتٍ حاول عبثاً أن يبدو هادئاً:

- أنا... بل..... نحن هنا.... أرجوك... سينا... استيقظي... قولي لي إنك بخير...
فتحت الفتاة عينيها المتعبتين وقد تمكّن منها الإرهاق التام ثم همست بصوتٍ خفيض:

- صدّقني... لقد نسيت.... لم أقصدُ أبداً أن أُسبّبَ بقلقك.... لقد تسرّعت... ولم أفكرَ إلا بكلمة السر... وإيقاف الانفجار....
ابتسم أسامة مُعاتباً:

- دائماً... تؤثرين على نفسك.... ليتكِ تكثرين لها قبل أن تفكّري بالآخرين...



بكت سينا متذكّرةً هول ما حدث:

- لقد كنتُ خائفةً.... كان كلّ شيءٍ هنا مُرعباً.... أردتُك بصدقٍ أن تكون
إلى جانبي..... لن أبتعدَ عنك أبداً يا أسامة.... فلا تفلت يدي...

ارتعش صوته متأثراً بهذا القلب البريء النابض بالنقاء والعواطف الصادقة
قائلاً لها بلطفٍ ما أمكنه:

- لن أتركك أبداً..... أبداً..... ما حييت...

.....

كانت فوهة مخروط "دايموند هيد" مضيئةً بفعل حزم الأضواء المسلّطة من
المروحيّات المحلّقة فوق قمّته وقد نزل منها رجالٌ مُسلّحون بواسطة الحبال
المعلّقة بها طالبين من رجال الأمن القابعين في نقاطهم الاستسلام ورمي
أسلحتهم جانباً ثمّ صعودهم بهدوءٍ إلى الحافلات العسكرية التي أغلقت
مدخلي الفوهة

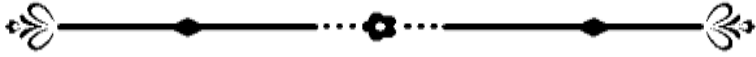
- النفقين الشمالي والشرقي -

حدّق ماكافي الجالس إلى طاولة مكتبه بالرجال العسكريين الذين اقتحموا
مبنى شركة ميغا مطوّقين كامل المنافذ غير مستوعبٍ لسببٍ واحدٍ يُحرّك
دفاعات الولايات المتحدة الأمريكية بهذه الطريقة الهجومية حيث كان
متأكّداً أنّ جنيفر لن تستطيع خيانتته كونها شريكّة مهمّة في عمليّاته..
ثمّ حوّل نظره نحو بيكا - مدير مركز الأبحاث النفسية - وهو يتوجّه نحوهم
باستسلام تام متلقياً تحيّاتهم العسكرية شاقاً طريقه خارج المبنى سعيداً

لهدوء الطبقات الأرضية وتوقّف الاهتزازات ما أثبت له أنّ تلك الفتاة ليست فتاةً عادية..

سار بيكا برفقة عدّة رجالٍ عسكريّين باتجاه مبنى مركز الأبحاث آمراً الإفراج عن المراسلة وزميلها اللذين اضطرّ لاحتجازهما في الغرفة الزجاجية العاكسة الواقعة تحت نافذة غرفة مكتبه الجنوبية بمتري واحد فقط، لكون المراسلة لم تكتث لتعليمات بيكا في ضرورة ضبط الأخبار قبل الإعلان عنها بالطريقة السليمة المناسبة للوضع الراهن قيد المراقبة، وكونها أرادت أن تثيرَ بلبلةً عظّمةً قبل أوانها فقد أمرَ بيكا بعض رجاله باحتجازها فترةً من الزمن مستغلاً أثر ذلك على بقيّة المراسلين عندما بثّ الرعب في نفوسهم فلم يقترب أحدٌ منهم من المكان ريثما يتحقّق له اكتشاف كامل أسرار مخروط "دايموند هيد" المقرّ السري المريب للهاوائي الناشط العجوز ماكاني ذي السريرة الخطيرة والأفكار الإجرامية المستترة خلف أعماله الطبية الإنسانية في ظاهرها....

وفي الواقع... لم يكن هدفه من الانتظار كلّ هذه المدة هو الإيقاع بماكاني وعصابته وتعطيل صلاحيّاته على فوّهة المخروط وحسب، بل أراد الإيقاع بجنيفر رئيسة القاعدة الأمريكية والمنظمة الأمنية S لخيانتها الصريحة لحكومتها وبيع إخلاصها لذلك الهاوائي ضاربةً بعرض الحائط مهمّتها الوطنية الأساسية التي تلقّنتها في قاعدة "بيرل هاربور- بيكام المشتركة"...



والأهم من ذلك تعاونها الخفي مع عرفان -الخائن لجميع الأطراف- الذي قتل فريدريك...

ذلك الفتى الذي كانت عيناه توحيان في أثناء تلقّيه المحاضرات الهاوائية بأنّ خطةً متقنةً يقلّبها في دماغه ويعمل على تنفيذها...

وربّما كان له ذلك من خلال إقفاله أنظمة التحكم ثم هروبه! وحقيقة الأمر فقد كان بيكا خائفاً فعلاً من أن تعجز مقيمة طب الأسنان الشرعي عن حلّ الشيفرة..

تلك الرموز التي خفيت عن الجميع.. باستثناء الطب الشرعي... لقد توضّح جزءٌ من خطة فريدريك التي نصّت على إخفاء كلمة السر في أسنانه التي عدّها بصحّتها وسلامتها.. أكثر صفحة بيضاء سرية وأمنة يجبّئ فيها الشيفرة، مستغلاً أنّ جثته والأسنان هي الطعم الذي سيُرغم المنظّمة الأمنية وشركة ميغا على طلب التعاون من قسم شرطة هونولولو ومركز الطبابة الشرعية هناك...

غادر بيكا مبنى مركز الأبحاث ثم اجتاز الطريق الواصل لمبنى المنظّمة الأمنية S متجاهلاً صراخ جنيفر الناكرة لأسباب اعتقالها، حيث أرادت التغطية على تعاونها مع ماكاني من خلال انفجار المخروط وسحق كلّ ما يدينها..!

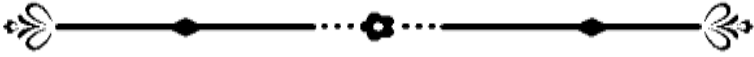
توجّه بيكا نحو المصعد الذي أقلّ زميليّ سينا إلى المربع الناري الأزرق بعد أن قدّمَا مخروط "دايموند هيد" مُفتّحين النفقين الشمالي والشرقي برفقة

رجال قسم التحقيق الفيدرالي المسلّحين وفي حوزتهما دلائل صريحةً وتقارير رسمية تثبت سميّة الخيط الجراحي وحجرة التحليل المنفصلة عن الذراع جاكوو..

لم تكن خطة أسامة من خلال إجبار عرفان على التحدّث إلى جنيفر ليهيّئ له ولمايكل دخولاً آمناً وحسب، إنّما أراد بعد التنسيق مع المحقّق - المسؤول عن التحقيق في أمر جثة فريدريك وانتحار عمّته - تأمين فتحٍ محكمٍ يُسهّل من اقتحام الجنود فوّهة المخروط بشكلٍ آمنٍ ما أمكن... فتزامن اقتحام رجال مكتب التحقيقات الفيدرالي مع إنزال المروحيّات العسكرية وتطويقها لكامل "دايموند هيد" وكذلك الساحل الجنوبي حيث حوصرت بقوّة خفر السواحل الهاوائيّة القادمة من USS بيرل هاربو حسب أوامر بيكا بأنّ الوقت قد حان لكشف المستور لا سيّما وأنّ الاهتزازات الأرضية حتى اللحظة الأخيرة قد أثارت الريبة والشكوك لدى جميع الجهات المختصّة التي تلقت الأوامر باستطلاع ما يحدث في مركز الاهتزازات بركان "دايموند هيد" الخامد!

هبط بيكا بالمصعد وبرفقتة خمسة رجالٍ عسكريّين إلى المربّع الناري الأزرق لأوّل مرّة، ومنه إلى صالة حاسوب نظام التحكم حيث وقف مع رجاله بمواجهة سينا المتكئة على كتف أسامة فاقدة كل طاقتها وبجانبهما مايكل..

رفع بيكا يده بمحاذاة رأسه ملقياً التحيّة العسكرية مع رجاله ضاربين



بأقدامهم على الأرض لما أسدته مقيمة طبّ الأسنان الشرعي من خدمةٍ عظيمةٍ أنقذت من خلالها حيوات الكثير جدّاً من الناس، مُعرباً عن أسفه البالغ لِعِلْمِهِ بالخطر المحدق بها لدى تعطيل جنيفر لجميع المصاعد، فشعر الثلاثة برغبةٍ جامحةٍ بسحق هذا الكهل الذي سرعان ما برّر موقفه بأنّ سينا قد يملكها الخوف الذي يضطرّها للهرب دون أن تبذل جهدها الحقيقي لفتح أنظمة التحكم ما جعله يتستّر على فعل جنيفر وفي أعماقه حدسٌ قويٌّ بأنّ سينا الوحيدة القادرة على استخراج رموز كلمة السر من أسنان فريدريك دون غيرها، لكونها الطبيبة الوحيدة التي لاحظت أنّ جميع التناقضات المفسّرة بين الملفات السنية قبل الموت والصور الشعاعية بعد الموت ليست منطقيةً لضمّها إلى قائمة المُسلّم به دون أن تخضع لبحثٍ دقيقٍ وعميقٍ كالطريقة التي اتّبعتها الفتاة العنيدة!

أما عن ضواغط الهواء العملاقة التي تمّ إيقافها فقد كان هدف ماكاني من إنشائها منذ زمنٍ بعيدٍ بالتزامن مع شركة ميغا على مراحل عدّة، افتعال ما يشبه ثوراناً بركانياً يقذف كلّ ما بقلب المخروط للأعلى من خلال تجمع الهواء المضغوط وحصره ضمن خزاناتٍ مصفّحةٍ كتيمةٍ خالقاً بذلك ضغطاً هائلاً مروّعاً بعد تعطيل حسّاسات الحماية الملحقة بالخزانات والموصولة مع متحكّمات الضواغط والإغلاق الصمّيمي لصمّامات التنفيس الفولاذية لدى الخزانات.. حيث يتمّ التحكم بها بواسطة نظام تحكّم آليّ متطورٍ وذكي غير قابلٍ للاختراق..

لقد كان ماكافي يدّخر هذا النوع من أنواع التدمير يستخدمه لدى افتتاح أمره كسلاحٍ دفاعيٍّ أخير يدمّر به كامل المربّع الناري القابع في قلب المخروط حيث يتمّ استحداث المنتجات الطبية المرادة بها تهجير جميع الأعراف البشرية غير الهاوائية عن أرخبيل هاواي.

.....

كانت الشمس ساطعةً عندما سارت سام ويدها طاقةً من الأزهار الهاوائية نحو القبرين اللذين ضمّا خاطبها السابق والعمّة نينا، وشعوراً دفيناً بالحزن لم يهدأ منذ لحظة إدراكها أنّ فريدريك قد مات في سبيل قضيةٍ عظيمة الشأن، بذل من أجلها الكثير من التضحيات التي انتهت بموته.. هبّ نسيمٌ المحيط القويّ بالتزامن مع صوت سينا العميق:

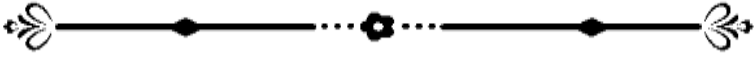
- توقّعتُ وجودك هنا....

- نعم... (ثمّ ابتسمت بحزنٍ عميق)... لقد أنكرتُ أن تكون الجثة المحترقة لفريد حتى آخر لحظة....

- تذكّريه بشخصه الحقيقي... لا ترهقي نفسك بالتفاصيل..

- انظروا من يتكلّم عن التفاصيل...

- بالمناسبة... لا يزال هناك سؤالٌ يحيرني... كيف استطاع فريدريك إتقان رموز البصمة الفكية بهذه الدقة؟!



- لا أعلم... لقد سألتني مرّة عن جدوى اختصاصك الغريب في أحد محادثاتنا الطويلة... وأجبتته بكلّ ما أخبرتني به... يبدو أنّه بحث بعد ذلك بنفسه واستهوته الفكرة... (ثم ضحكت باكية)... إنّهُ مجنون..
- نعم.... مجنونٌ وبهذه التّباهة!... لا أستطيع تخيل عقله لو لم يكن مجنوناً
- سمعتُ أنّ عرفان في مشكلةٍ قضائيةٍ كبيرة...
- هه... خائنٌ ومجرّمٌ وقاتل... هذا النوع من الشخصيات المضادة للمجتمع لا يمكن التعامل معها إلا بسجنها مدى الحياة أو الإعدام..
- في الحقيقة.... لقد حُكم عليه بالإعدام مع جنيفر وماكاني وسيُنَفَّذُ الحكم في الأسبوع المقبل... لم أرّد أن أخبرك بهذا... لكن يجب أن تعلمي....
- صمتت سينا مُسَلِّمةً نظرها الهادئ إلى الأفق البعيد حيث المحيط مبتسمةً لغرابة المصادفة التي جمعتها به في هاواي.
- بدا لها أنّها ستكون مقبرة أفعاله وأفكاره المريعة أخيراً..
- ثمّ تساءلت بفضولٍ بالغ عن المهندسين والأطباء العاملين في شركة ميغا حيث أجابت سام بأنّهم سيَلْقون جزاءهم العادل وسيُوظّفون بعد ذلك للعمل تحت المراقبة
- اختراعاتهم رهيبة..

أحسّت سينا بالقلق من مستقبلٍ مجهولٍ عندما أدركت مدى خطورة العقل البشري وتسخير أفكاره غير المحدودة، لأذية المجتمعات الإنسانية وتحقيق مآرب مُستهجنة لا يمكن سبرها بسهولة!

لقد كانت هاواي أشبه بمختبر تجاربٍ بشريةٍ خصوصاً وقد سرّ بيكا بشكلٍ خفي لإصرار ماكاني على عدم تصدير الخيوط الجراحية خارج أرخبيل هاواي وكأنّه أراد حقاً حصر الأبحاث ضمن منطقةٍ واحدة لتكون دراسته دقيقةً ومحددة...

قالت سينا مستفسرةً:

- إلى الآن... لم أفهم دور بيكا في كلّ ذلك!... إنّه هاواي... رغم هذا فقد كانت جميع القواعد العسكرية الأمريكية في "أواهو" تحت إمرته! ابتسمت سام ضاحكةً:

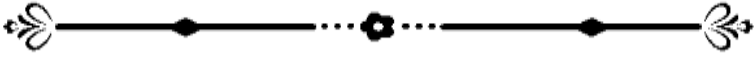
- كفى أرجوك... ليس ضرورياً أن تفهمي كلّ شيء..

سارت الفتاتان باتجاه الشاطئ القريب حيث ينتظرهما مايكل وهو يدخن سيجارته بعصبيةٍ مخاطباً أسامة ذي الملامح الهادئة غير المكترثة التي سرعان ما تبدلت لأخرى ضاحكةً عندما نادتهما سام قائلةً:

- ألوها...

نظر مايكل ممتعضاً لسام قائلاً لها بتهكّم:

- صوتك السيئ... هلاً أخفضته..



- هه... صوتي كالعندليب مقارنةً بصوتك الذي يشبه جلجلة محرّكات
ضواغط الهواء حسب وصف سينا...
استدركت سينا مصححةً:
- وصفي لأصوات المحرّكات...
ضحك أسامة والفتاتان عاليًا بينما ابتسم مايكل مغتاضًا كعادته وهو
ينتظر بفارغ الصبر أن يغيّروا مجرى الحديث الذي عادةً ما يكون محوره
هو...

قالت سام ضاحكةً:
- لم أضحك هكذا منذ مدّة...
أجاب أسامة:
- ولا أنا...
قالت سينا:
- رافّةً بمايكل يا جماعة...
تنحّج مايكل قائلاً بصوتٍ هاديٍّ ما أمكنه:
- شكرًا لك يا سينا...
قالت سام ضاحكةً:
- لااا... هذا الصوت لا يلائمك... قلّها بصوتك الحقيقي...
قلّده أسامة وهو يقول "شكرًا لك يا سينا"

رمق مايكل الثلاثة أمامه وهم يتندرون ضاحكين فقال مايكل مخاطباً
سام:

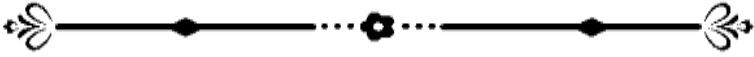
- هل اطلعتِ على برنامج الإقامة الجديد؟!... (ثم أخرج هاتفه ليربها
الصورة)...

حدّقت سام بصورة البرنامج مبتسمةً لكنّها سرعان ما عبّستُ صارخةً:
- لماذا مناوباتي مشتركةٌ معك؟!
- اسألي أسامة...

تحوّلت الأنظار نحو أسامة الذي تمتم بجيئةٍ قائلاً:
- لأنني أريدُ أن تكون مناوباتي مع سينا...
ثم استرق النظر نحو سينا مستطلعاً رأيها بذلك لكنّها بدت له هادئةً تماماً
وكأنّها لم تفهم شيئاً مما حُطّط له ما جعله يتراجع سريعاً عن قراره مؤثراً
الصمت لكنّه أحسّ فجأةً بالِم قويٍّ في ذراعه بسبب قرص مايكل له وهو
يهمس بأذنه:

- قل شيئاً... لا تتراجع... (ثم غمز بعينه سام لينسحب من المكان)
فابتسمت سينا قائلةً لأسامة:
- شكراً لك....

- شكراً...؟!..
- أعني.... كيف أقولها؟!... (ثم دمعت عيناها مستدركةً)... شكراً لإنقاذي
ولأخذكما بثأري من عرفان..



- بل شكرًا لأخذكِ أنْتِ بثأرنا جميعاً من عرفان... لولا توجيهاتك القائمة على أساسٍ دقيقٍ ومدرّوس... لم نكن أبداً لنستطيع الإيقاع به...
أومأت سينا برأسها ثمّ أسلمت نظرها إلى الأفق - كعادتها - حيث الخط الفاصل بين المحيط والسماء الزرقاء قائلةً:

- ثمة أمورٌ عالقةٌ في ثنايا الرّوح لا يمكننا فهمها أو الإفصاح عنها... إنّ ما مررنا به كان قاسياً جداً... نعلمُ أنّ لا حدود لقدرات العقل البشري...
لكن... هل ينطبق ذلك على القلب البشري؟!

صمت أسامة متردداً فيما عليه قوله فاستدركت سينا ناظرةً نحوه بعينين حزينتين:

- للأسف... إنّ القلب الكسير يحدّ كثيراً من قدراته... وأنا قلبي كسيرٌ يا أسامة..

فكّر أسامة قليلاً وقد أصابته الحيرة والتردد ثمّ استجمع قواه قائلاً باهتمام:
- أنصتي لقلبك الكسير إذا...

- كلا... لن أثق بما تُدلي به القلوب الكسيرة... لأنّها تخلق لها دفاعاً حسّاساً لا يصلح للتعايش المشترك الذي تتوقُّ له في ظاهر الأمر... كما أنّي لا أثق بقلبي...

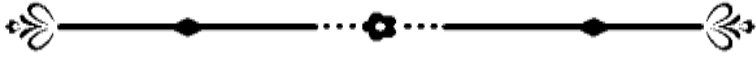
تذكر أسامة ما قاله عرفان عن ادّعاء سينا هذا.. فتساءل عمّا إن كانت تعنيه حقاً أو أنّها لا تتقن التعبير ففكّر قليلاً ثمّ قال لها مبسّماً بفخر:
- ربّما أستطيع تفسير ثقتك المهزوزة هذه....

رمقته سينا بانزعاج واضح فاستدرك أسامة غير آبه لنظرات عينيها المتهكّمة:

- لم يخطئ قلبك أبداً في ضخّ الإحساس الصائب الذي يدفعك لإيجاد إثباتٍ ملموسٍ منطقيٍّ يبرهن صحّة هذا الإحساس... صحيح؟!..... وفي كلّ مرّة.. كنتِ تجدين ما تبحثين عنه... هذا بالضبط ما يجعل ثقتك مهزوزةً بقلبك الذي يجبُ أن يخطئ - على الأقلّ - مرّةً واحدة!..... وإن أحسنّا التعبير يمكننا القول بدلاً من انعدام الثقة هذا... إنّك تترقّبين اللحظة التي تزلّ بها مضخّة الأحاسيس هذه... إنّ خوفك من خيانة القلب هو ما يدفعك لقول ذلك يا سينا... إحساسُ الخوف هذا... هو الشعور الوحيد الذي عجزتِ عن إثباته... وعليه فقط أصدرتِ الحكم الظالم بعدم استحقاق قلبك الثقة.....

تبدّلت نظرات سينا الكامدة والتمعت عيناها محدّقةً بأسامة وعاجزةً عن وصف ما تشعُر به فتابع أسامة مقطّباً:

- أضيفي لإحساس الخوف الخاطئ هذا... شعورك بكسرة القلب... إنّهُ الشعور الثاني الذي أخطأه قلبك النقيّ يا سينا... (ثم ابتسم بعينين مشرقتين)... النّقاء يرّم القلوب ولا يسمَح لها أن تنبض بصدعها دون أن يداويها... أثقُ بذلك... ثقي أنتِ بذلك...

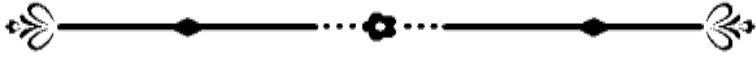


افتَرَّ ثَغْرُ سينا عن ضحكةٍ صافيةٍ فاقت صفاء المحيط الأزرق معلنةً
استسلامها لإحساسها الرَّاهن ومنتعشةً بنسيم الجزيرة وهو يداعبُ روحها
المُتَّكِئة على صَفِيَّها أخيراً..

تمت بعون الله

محتويات الرواية

إهداء.....	5
مقدمة.....	6
الفصل الأول (ماليزيا).....	9
الفصل الثاني (مشفى الملكة).....	13
الفصل الثالث (دايموند هيد).....	42
الفصل الرابع (مشفى الملكة).....	54
الفصل الخامس (مشفى الملكة).....	64
الفصل السادس (دايموند هيد).....	72
الفصل السابع (مشفى الملكة).....	82



- 133..... الفصل الثامن (دايموند هيد)
- 146..... الفصل التاسع (دايموند هيد)
- 162..... الفصل العاشر (مشفى الملكة)
- 189..... الفصل الحادي عشر (دايموند هيد)
- 215..... الفصل الثاني عشر (مشفى الملكة)
- 246..... الفصل الثالث عشر (دايموند هيد)
- 263..... الفصل الرابع عشر (مشفى الملكة)
- 320..... الفصل الخامس عشر (دايموند هيد)
- 336..... الفصل السادس عشر (مشفى الملكة)
- 374..... الفصل السابع عشر (دايموند هيد)
- 399..... الفصل الثامن عشر (مشفى الملكة)
- 445..... الفصل التاسع عشر (دايموند هيد)

490.....	الفصل العشرون (الطبابة الشرعية)
523.....	الفصل الحادي والعشرون (حيّ كاليهي)
561.....	الفصل الثاني والعشرون (دايموند هيد)
603.....	محتويات الرواية



للتواصل مع الدار

المعارض



التعاقدات



مسابقات

طلب إصدارات



الصفحة الرسمية

التوزيع



الإعداد

